بين العقل والنبي



سلسلة الحقيقة الصعبة" (٦)

بين العقل والنبيّ

أنور ياسين

دار "لأجل المعرفة"
ديار عقل - لبنان
٢٠٠٠

سلسلة الحقيقة الصعبة

١. **قسّ ونبيّ**، بحث في نشأة الإسلام الدينيّة
٢. **نبيّ الرّحمة**، بحث في مجتمع مكّة
٣. **عالم المعجزات**، بحث في تاريخ القرآن
٤. **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام
٥. **العلويّون النّصَيريّون**، بحث في العقيدة والتّاريخ
٦. **بين العقل والنّبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة
٧. **رسائل الحكمة**، كتاب الدروز المقدّس
٨. **مصادر العقيدة الدرزيّة**
٩. **السلـــــوك الـــدرزي**
١٠. **مذبحة الجبل** (حسْر اللّثام عن نكبات الشام)
١١. **المسيحيّة في ميزان المسلمين**
١٢. **نزعنا القناع** (ردّ على كتاب أنزعوا قناع بولس..)

سلسلة الأديان السرّيّة

١. **العقيدة الدّرزيّة**
٢. **تعليم الدين الدرزي** (مع ترجمة فرنسيّة)
٣. **النّبيّ محمّد في العقيدة الدّرزيّة** (مع ترجمع فرنسيّة)
٤. **العجل والشيصبان في العقيدة الدرزيّة** (مع ترجمة فرنسيّة)
٥. **رسالة درزيّة إلى النّصيريّين** (مع ترجمة فرنسيّة)
٦. **تعليم الدين العلوي**
٧. **الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النّصيريّة**

دار من أجل المعرفة

ديارعقل–لبنان

٢٠٠٠

مقدّمة

لئن كانتْ جولتنا في معارجِ الأسرار الدرزيّة التوحيديّة، فإنَّ سرَّ الانسانِ الدرزي، أو أيِّ إنسانٍ آخر، يبقى لدَينا مَصونًا محترمًا مقدَّسًا. ولئن كان قصدُنا كشفَ سرِّ اللّه والحكمة والحقيقة، فإنَّ القصدَ إيّاه يستحثُّنا لصونِ سرِّ الانسان وكرامتِه.

وليس مثل كشف سرِّ اللّه والحكمة والحقيقة ما يُغني سرَّ الانسان ويريحُ قلقَه. ولن نبقى حيالَ هذا القلق بغير طائل، ولا أمامَ السرّ دون نَيلِه. عندنا دعوةٌ نريدُ العملَ لها، دعوةٌ إلى محاربة كلّ ما يستعبد الإنسان؛ دعوةٌ إلى الحرّية في كلّ شيء، وإلى معرفة كلِّ شيء، ولا أحد في الدنيا يستطيعُ أن يَصرِفَنا عنها. ولنا هدفٌ نقصدُ بلوغَه، ولو رَكِبْنَا المخاطِرَ: هدفُ معرفةِ الحقيقةِ وتحقيقِها، لأنّ «هدفَ الحياة الانسانيّةِ هو معرفةُ الحقيقَةِ وتحقيقِها»[1].

لن نبلغَ الهدفَ إنْ كنتَ في شكٍّ ممّا نقول. وما نقول يعتمد على المصادر الأساسيّة. إلاّ أنّ هذه المصادر مخطوطاتٌ نادرةً وسرّيّة. ولكنّنا نقدّم نموذجاتٍ عنها، وندلّ عليها في مكتباتِها وأرقامِها. وسننقلُ منها نصوصًا ضافيةً. والأمانة في نقلها إحدى المقدَّسات.

---

(١) كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، ص ٥٠.

في يقـيـني أنَّ اللهَ لم يكلّفْ إنســانًا للدفـاعِ عنــه، لا يهـوديًا ولا نصــرانيًا ولا مـسلمًـا ولا علويًا ولا درزيًا... وليس لأحـد من هؤلاء أن يحتكرَ الله، ويمنعَه عن سواه، إذا ما حَظِيَ بنعمةِ لقياه. وليسَ لأحدٍ منهم أن يفتخِرَ بأنّ اللـهَ اجتباهُ على حساب العالمين، وَتبـنَّاه دونَ سائرِ البشر. وليسَ لأحدٍ أيضًـا أن يطمئنَّ إلى اللّه فَيعـفي نفسه من البحث والتـفتيش عنه. إنّ خيرَ المواقف منَ اللهِ أن يَمنحَك الله حرّيّةَ البحث عنه دون هوادة.

لقد عَـجَّزْنا اللّه بتعـصّبنا له، فـباتَ، وكأنّه إنسـانٌ، لا يعرفُ مَنْ يَبغِضُ ولا مَـنْ يُحب. بل باتَ يُحِبُّ منْ نُحب،ويَبغِضُ مَنْ نَبـغض. بعضُ الغيـارى استأثروا باللّه فمنعـوه عَن سواهم لينعَمـوا وحدَهم بالملكوت. وبعضُ العاشـقين أحبّوا له ما يُريدون، واخـتاروا ما يشاؤون. فـغدا إلهُ اليهودِ يكرَهُ النصارى، وإلهُ النصارى يكرهُ المسلمين، وإلهُ المسلمين يكرهُ الدروز، وإله الدروز، بالنسبة إليهم، يعلو الجميع؛ لأنّه كان آخر التجلّيات الإلهيّة في الكون...

هي غَيْـرَةُ البشرِ على اللّـه حتى يبقى اللّه رهينَتـهم يتلّونُ بألوانِ حبّهم وبغضهم.

هذا ما نجده في اليهوديّة التي لامستْ قلبَ اللّه، فجعلَتْهُ يَختارُها وحدَها من دون سائرالبشر، ونسبتْه إلى أبائها إبرهيم وأسحق ويعقوب، وحـصـرتْ عبـادتَه في هيكـل سليمـان، واحـتكرتِ الوحي والأنبـيـاء، وافتخرتْ بالناموس يُنَزَّلُ عليهـا. وعندما هُجّرَ اليهودُ من وطنِهم هَجَّروا اللهَ مـعهم، وفي نَواحِـهم على ضفـافِ أنهارِ بابل ناحَ اللّه مـثلَهم، وفي شَـتَاتِهم في أقطارِ الدنيـا رَحل اللهُ مـعهم، وعندمـا رَجَعُـوا يَبْنُونَ دولةَ إسرائيلَ بَنَوا للّهِ «كِنْيستْ» على مثال هيكله القديم.

وجاءت المسيحـيّة، وكان اللّه محجورًا عليـه في بيت داود، ومقيَّدًا بسلاسلِ النامـوس، فدعـا المسيحُ إلى إلهٍ يُعبَـد بالروح والحقّ، وفي كل مكان، ودعا إلى مصـالَحَةٍ شاملةٍ بينَ الناس، وعلَّمَ أنَ اللّهَ مـحبّة... ولكنّ زمانًا ما مرّ على الكنيـسةِ حاولتْ فيه احتكارَ الله والاستئـثارَ به، فقيّدتْه بناموسِ جـديد، وحكمت على كلِ مَن هو خارجٌ عنهـا بأنّه لن يَنالَ مِن إلهِ المحبّة أيّةَ محبّة... فوقعتِ المسـيحيّة باليهوديّة، وخافت على اللّه من أن لا يكون كما تشاء.

وجاء الإسلامُ، ودعا إلى «لا إلهَ إلاّ اللّه»، واحدٍ للجميع؛ فكان بذلك خيـرَ الداعين. ولكنّ المسلمين وقعـوا في ثلاثِ خطايا الهيّـة: ألأولى أنّهم ألزموا الناسَ بشريعةٍ أزليّةٍ أبديّةٍ مربوطةٍ بِعُمُدِ السماء؛ ألثانية أنّهم دَعوا إلى اللّه بالسيف، فكان الجـهادُ في سبيله حربًا على الـناس حتى يقولوا: أسْلَمنا؛ ومبـدأهم «لا حكَم إلاّ اللّه»؛ والثالثـة أنّهم اطمأنّوا إلى اللّه كثـيرًا حتى أقـعدَ الأطمـئنانُ كلَّ بحثٍ وتفتـيش. بهذا احتكرَ المسلـمون اللّه من جديد، وفرضوه على الناس فَرْضًا.

وجاءتِ الدرزيّة، فكان حظُّ الـلّه فيهـا عظيماً. لقـد منعتْه عن غـير المنتمِين إليـها، وأغلقتْ دونَهم أبوابَ الدّعـوة، وحجـبتِ «الحكمة» إلاّ عن غير أهلهـا ومستحـقّيها، وحصـرتْ نعمةَ «الكشفِ» في أتباعـها... وكان احتكارُها للّه من أدهى الأخطار عـليه. وأدهى الأخطار أنّها استـترتْ في سائرِ أديانِ البشر، ليستمرَّ البشرُ جميعُهم حيثُ هم في ضلالهم هالكين، ويكون الدروز وحدَهم ناجين.

فمـا عسى الإنسانُ يفـعل؟! أيكونُ لإلهِ موسى حـيثُ هو محتـجَزٌ عليه في هيكل سليـمان؟ أم يكونُ لألهِ عيسى يسـرَحُ في الكونِ الرحيب؟

أم يجاهدُ في سبيلِ اللّه مع محمّد والمسلمين الفاتحين؟ أم هو في الدرزيّة أغلقَ عليه الأبـوابَ ونَعِمَ وحدَه بالمعرفـة والحكمة؟!.. أمّا نـحنُ فلن ندعو أحداً إلى أيّ قـرار... همّنا أن نحرِّر الـلّه منّا، وأن نُفْلِتَ المسكين، الذي هو اللّه، من أوهامِنا وتصـوّراتنا، ومن الجهـادِ في سبيله والدفـاعِ عنه على حساب الإنسان، أيِّ إنسان.

١) الدرزيّة سنة ٢٠٠٠

هذه النظرة الســريعـة إلى كـيفـيّـة تعامـل البشـر مع اللّه كـانتْ ضروريّةً لنا لـلدخول في الدرزيّةِ التي تسـتهوينا أسـرارُها. يستـهوينا مفهـومُها للالوهةِ المتـجلّيّةِ عَبْرَ الأدوار، وموقـفُها الصريحُ مـن الأنبياءِ والأديان، ومنزِلةُ العـقلِ حيثُ هو أصلُ الموجـودات، وإيمانُها بالتـقمّص على أنّه الحلّ العادل للّه مع البشـر، ومناقبيّتُها المتجـسِّدَةُ عند العقّال من أتباعـها... لعلّه يُفـتَحُ بابُ الدعوةِ يومًا ونحن عـلى أعتابِه لا نعـرِفُ ماذا نفعل! وها نحنُ على أبواب دَوْرٍ جديد، قد يُدركُنا على حينِ غفلة!

لقد نَبَّـهَنَا الى ذلك المعلّم كمال جنبلاط «ذو السلطـة الروحيّة»[٢]، عندما أنبأنا، قبل نُقْلَتِهِ الأخـيرة، بقوله: «وسيُفتَحُ دَورُ طَلَبٍ –أو طلاّبٍ– جديدٌ في حـدود سنةِ ٢٠٠٠ بتجلٍّ إلهيٍّ وظهور حـكيم جديد. وعند ذلك يُفتَحُ الطريقُ من جـديد، ويصيرُ بإمكانِ جـميعِ الناسِ في كافّةِ أصـقاعِ العالَم سلوكُها»[٣].

(٢) كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، ص ٥٠.

(٣) المرجع نفسه. لقد قام «قسم البحوث الروحيّـة في الضحى» في «تقديم مختصر رشيد لعشر سنوات من الجـهد والكدح .. لعلّ إخوان الحقّ والوفاء يعاودون الهـجرة الكبرى

وها نحنُ على أبواب السنة الـ ٢٠٠٠، وشهادة الشهيد قد تتحقّق، وهو الذي قيل فيه: أنّه «شهيدُ الإنسانيّة جميعِها»[٤]، وأنّه «شخصيّةٌ عالميّةٌ، تلاقَتْ فيها أنبلُ شمائل الإنسانِ المتحضّرِ... هو ذلك العملاق، قَدَمَاهُ على الأرض، وَجبْهَتُهُ في أبعد مرامي البَصَر»[٥].

٢) من هو الدرزيّ؟

قد لا يكون الدرزيّ، بحسب بعض الدروز، ذاك الذي ينتمي إلى الدرزيّة في الظاهر فحسب؛ بل هناك مَن هو درزيّ ولا يحمل هذا الإسم. عن هذا قال جنبلاط، في وصيّته: «ألدرزيّ ليسَ إسمًا وَقفًا على مَن نُسمّيهم الدروز، أي على النِحْلَةِ الموجودةِ في لبنان وفي جبلِ العرب بسوريا وفي إسرائيل أو في تركيّا أو حتى في شمال باكستان؛ بل الدرزي هو كلُ توحيدي، أي كلّ مَنْ يَعتقدُ بَوحدةِ أديانِ العالَمِ كافّة، وكائنًا ما كانتْ طقوسُها وشعائرُها؛ أي أنّه إسمٌ ينصرفُ إلى مسيحيّين وبوذيّين ومسلمين وهندوكيّين»[٦]. وقد يكونُ الدروز منتشرين «تحتَ تَسْمياتٍ أخرى في كافّةِ أديانِ العالَم، يُمَثِّلونَ بالتالي أكثرَ من ربعِ

من ذات الهجود إلى ذات الوجود» (كلمة افتتاحيّة لكتاب : أبناء النور عبر العصور، بقلم الدكتور خليل أحمد خليل). والمقصود في هذا الكتاب، وفي ما سبقه من مقالات في مجلّة الضحى هو الإستعداد لكشفٍ عرفانيٍّ قد يقوم به الدروز، فيصبحون بحقٍّ «أبناء النور»، بعد أن كانوا طوال ما يزيد على أكثر من ألفٍ وخمس مائة سنة، أبناء الستر.

(٤) حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٥٠.

(٥) سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ٢٨١.

(٦) كمال جنبلاط. هذه وصيتي. ص ٥٤ – ٥٥.

البشريّة»[٧].

ثمّ إنّ الدرزيّة، بمفهومِها الحقيقي، قد لا تقتصر على درزيّةِ اليوم؛ بل هي كانت، منذ أقدم العصور، مستترةً في جميعِ الأديانِ ومسالكِ العرفان. «فدعوةُ التوحيد إنّما هي استمرارٌ للمسالكِ العرفانيّةِ القديمةِ وتطوّرٌ لها. وقد استَبْطنتْها الشرائع السماويّةُ السابقةُ، كما احتضَنَها الإسلامُ فيما بعد وغذّاها... ونحنُ، إذا دَقّقْنا النظرَ، نرى أيّةَ صلةٍ وثيقةٍ تربطُ مسالكَ الحكمة عبرَ التاريخِ بعضَها ببعض»[٨]. فالدّروز هم بالتالي «جماعةٌ كانت منذ كان الوجود. ولَيْتَهُمْ يَعلَمون»[٩].

هذا المفهومُ الصائبُ للدرزيّة جَعَلَنا معنيّينَ بها حيثُ نحنُ في مواقِعنا الإيمانيّةِ والدينيّةِ المختلفةِ. وإنّنا لنرى في هذه النظرةِ الحجّةَ الدامغة لمعرفةِ أسرارِها واكتشافِ كنوزِها وحلِّ رموزِها. بل نرانا مدفوعين إلى ذلك، ملبّين دعوةَ الحكمةِ القائلة: «أجيبوا الدّاعي إذا دعاكم، واسمَعُوا نداءَه إذا نَادَاكم... ارتقِبُوا الحقَّ في كلِّ عصرٍ وزمن، ولا تركنوا إلى التقصير بعدَ الطَّلَبِ والتشمير... فإنَّ حقائقَ الحكمةِ تَكشِفُ لكم عن مشكلاتِها، وتفتحُ لكم أغلاقَها وأقفالَها»[١٠].

***

(٧) المرجع نفسه ص ٥٠.

(٨) الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٠٠.

(٩) الشيخ محمد أبو شقرا، في مقدمة على كتاب «أصل الموحدين الدروز»، للقاضي أمين طليع، ص٦.

(١٠) رسالة الرشد والهداية، رقم ٣٩ ص ٢٨٤–٢٨٥ من «رسائل الحكمة»، طبعة ١٤٠٠ هـ التي نعتمدها في بحثنا هذا.

٣) إسم الدرزيّة:

أمّا إسمُ «الدرزيّة» فلا يَقبَلُ بِهِ الدروزُ بحَالٍ من الأحوال. وقد أُطلقَ عليهم كرهًا منهم. وهم يفضِّلون إسمَ «الموحِّدين» ولقبَ «بني معروف».

يقول سماحة الشيخ بهجتْ غيث: «.. وغلبتْ عليهم تسمية الدروز.. نسبةً لراعٍ أغرقَ في الادّعاء والمغالاة وتشويه الحقائق، فاستحقّ اللّعنةَ على ألسنة جميع الموحدين وغيرهم من العالم الذين يعرفون انحرافه وادّعاءه. وفي الواقع أنّ لقب بني معروف والموحّدين يليق بنا أكثر من الدرزيّة نسبةً إلى ذلك الدّاعي الملعون السيّء الذكر والفعل»[١١].

ويقول الشيخ نجيب العسراوي: «أيّها الإخوان الموحّدون، أطلق عليكم إسم الدروز بقصد تحقيركم، فشرّفتموه بأعمالكم الشريفة وأفعالكم العظيمة، وجعلتموه عنوان المجد والفخار»[١٢].

غير أن عجاج نويهض لا يرى مبرِّرًا تاريخيًا لهذا الاسم. كما لا يجده، كما يقول، في كتب الدروز المقدسةِ، ولا في زمن نشأتهم، ولا في تاريخِهم القديم[١٣].

---

(١١) بهجت غيث، في معارج الروح، ص ٢٦٧.

(١٢) نجيب العسراوي، المذهب التوحيدي الدرزي، ص ٩.

(١٣) يقول عجاجُ نُوَيْهِض: إنّ هذا الاسمَ لم يلزمِ الموحّدين أبداً: فـ «المؤرّخون الثلاثة الكبار... الّذين كتبوا في النِحَلِ كلِّها. واستقصَوها واحدةً واحدةً، وفصّلوا عقائدَها؛ وفَرَّعَ بعضُها من بعض تفصيلاً لا مزيدَ عليه؛ هؤلاءِ المؤرّخون، وهم الشهرَستاني وابن حَزْم والبغدادِي، وانتهَوا من أعمالِهم في القرنِ السادس... لم يَذكروا في كتبِهم شيئًا عن الدروز أو الدرزيّة. ولا ذكرَ عندهم للدروز إطلاقًا.

ولكنّنا نقول للإستاذ نويهض: إنّ مؤرِخًا معاصِرًا لنشأةِ الدرزيّة، والذي انتهى من وضعِ تاريخه سنة ٤٢٥ هـ، وهو يحيى بن سعيد الإنطاكي(١٤)، يذكر في مواضع عديدة من كتابه إسم الدرزيّة(١٥).

وكذلك يقول غالبُ أبو مصلح: «أمّا التسميةُ بالدروز فلها تفسيراتٌ عدّة، يُرجِعُها بعضُهم إلى المدعوّ الشيخ حسين الدرزي أحدِ كبار فلاّحي مصر، وهو أوّل من أيّد دعوة الحاكم بأمر الله، وسار في ركابه»(١٦).

وكذلك جاء في تفسير لغوي لبطرس البستاني قوله: «لغويّاً: يُقال

و«المؤرّخان... إبنُ الأثير وأبو الفداء، وقد أرّخا حوادثَ الشام سنةً فسنةً تقريبًا، لا ذكرَ عندهما للدروز إطلاقًا. وابنُ عساكر وابن الجوزي وابن خلدون، لا ذكر عندهم للدروز إطلاقًا. وكُتُبُ الأميرِ جمالِ الدين عبد الله التنّوخي (+٨٨٤ هـ)، نحو ١٧ كتاباً مخطوطاً، لا ذكرَ فيها للدروز إطلاقا. ألسجلُّ الإرسلاني... لا ذكر فيه للدروز إطلاقًا. ومثله تاريخ ابن سباط(١٣)، وهذا كان في أوّل العهد العثماني. وأمّا الأشرَفاني، وكان معاصِرًا للأمير ملحم المعني فإنّه أوردَ مرّة أو مرتين في كتابه الضخم(١٣) إسم الدروز والدرزيّة، ولكن بطريقة الرواية عن غيره، لا من عنده. تلاميذُ التنوخي كَتَبَ كثيرٌ منهم ودوّنَ، ولا أحد منهم ذَكَرَ كلمةَ الدروز» (عجاج نويهض، الأمير جمال الدين التنوخي... ص: ذ،ر،ز...).

(١٤) تاريخ يحيى بن سعيد الإنطاكي، نشر الأب لويس شيخو سنة ١٩٢٧ بمطبعة الآباء اليسوعيّين،.

(١٥) يقول الإنطاكي: «إنّ بعضَ غلمان الأتراكِ وثبَ على الدرزي وقتله... ولبثت الفتنة ثلاثة أيّام، وقُتل فيها جماعة من **الدرزيّة**» (ص٢٢٣). وقال: «تزايدَ أمرُ **الدرزيّة** الى أن لَعَنُوا آدمَ ونوحَ وجميعَ الأنبياء ومحمّداً وعليّاً، وتغوّطوا في المساجدِ، وَلطَّخُوا القُبْلَة بالقذر، وَبَالُوا على مصاحفِ القرآن» (ص ٢٢٤). وقال: «أذاعَ بعضُ **الدرزيّة** دعوتَه في قومٍ من المسلمين في موضعٍ يُعرَفُ بوادي التيم» (ص ٢٢٦). وقال: «وكان قد اجتمعَ في جبل السَمَّاقِ من بلدِ الرومِ جماعةٌ من **الدرزيّة** وجاهروا بمذهبِهم» (ص ٢٦٥)

(١٦) ليس هو محمد بن اسمعيل الدرزي المارّ ذكره في ملاحظة (١٤).

دَرَزَ الرجلُ أي تمكّن من نعيم الدنيا وخيـراتها. «الدَرَزُ» هو النعيم (كلمة فارسيّة معرّبة).

ويعلّق عـبـد الله النجـار: «بناء على ذلـك، الدروز إذن هم أتبـاع النعيم، أي الذين سـيدخلون حـتماً إلى جنّات عَـدْنٍ إذا ساروا في طريق قويم... ويعتقد البعضُ أنّها نسبـةٌ عسكرية لا مذهبيّة إلى القائد الفاطمي الأمـير أنوجـور أبي منصـور أنوشـتكين الدرزي الذي قـاد الدروز في قـتـالهم في الاقـحوانـة.. هناك... كـان بناء الطائفـة الدرزيّة العـسكري المتين... وهناك... عرفت الدرزيّة بإخـوة السلاح ومعمودية الدمـاء، فرقة عسكرية لا تنوء»(١٧).

ومع كلّ ذلك فإنّ الدروز، في تاريخهم ومنذ نشـأتهم، عُرفوا بهذا الإسم. ولا مجـالَ بعدُ لكثـرةِ المغالطات التي تنسبُـهم الى هذه أو تلك من الأمم والشعوب. والدروز لم يـختاروا إسمَهم هذا؛ بل أُطلِقَ عـليهم كرهًا منهم؛ وهو يرجِعُ الـى محـمّـد بن إسـمعـيل الدّرزي -لعنَه اللّـه- كمـا يقـولون؛ وهو الـ«غـطريس... الذي تغطـرس على الكشف بـلا عِلمٍ ولا يقين. وهو الضدّ الذي سـمعتم بأنّه يظهر من تحت ثوب الإمـام (حمزة) ويدّعي منـزلتَـه، ويكون لـه خـوار»(١٨). لهـذا، فـهـم يفـضّـلون إسم «الموحدين»، نسبة إلى عقيدتهم الأساسيّة في «توحيد الله».

---

(١٧) غالب أبو مصلح، الدروز في ظلّ الاحتلال الإسـرائيلي، ص٤٨-٤٩، وهو يعتمد على سليم حسن الهشي، الاسـماعيليون عبـر التاريخ، الجزء الأول ١٩٦٩ ص ١١٩، وعلى سليم ابو اسمـاعيل، الدروز-التـشيّع الفاطمـي الإسماعـيلي، الجزء الأول، ص ٦٥... وأنوشتكين الدرزي المذكور في متن النصّ هو غير المذكور في (١٤).

(١٨) رسالة الغاية و النصيحة رقم ١٠ ص ٩٢. أنظر فيما بعد...

٤) إسم «الموحّدون»:

وكثيراً ما يرد هذا الإسم في «رسائل الحكمة» وشروحاتها وسائر الكتب الدرزيّة. ففي «ميثاق وليّ الزمان»، وهو العهد الذي يكتبه الدرزي على نفسه، هذا القول: «من أقرّ أنْ ليسَ له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلاّ مولانا الحاكم جلّ ذكره، كان من الموحّدين الفائزين»[١٩]. وفي كلّ صفحة من «رسائل الحكمة»، تقريباً، نجد إسم «الموحدين» و«أهل التوحيد».

و«التوحيد» هو «المسلك الثالث»[٢٠]، على أنّ الأوّل هو «الإسلام» (السنّة) وصاحبه النبي محمّد، والثاني هو «الإيمان» (الشيعة) وصاحبه علي بن أبي طالب. يكنّى الأوّل باسم «التنزيل» أو «الظاهر»، والثاني باسم «التأويل» أو «الباطن».

وقد يسمّى «التوحيد» أيضاً باسم «الطريقة الوسطى»[٢١]، أو «الأوسط الذي هو المنهج الأقوم والطريق الأسلم التي مَن سلكها نجا، ومَن تخلّف عنها هلك وغوى»[٢٢]. هذه هي «دعوة التوحيد الناسخة لجميع الشرَعِ والأديان»[٢٣]، من اتّبعها «تبرّأ من جميع المذاهب، والمقالات، والأديان، والاعتقادات كلّها على أصناف اختلافاتها»[٢٤].

---

(١٩) ميثاق وليّ الزمان رقم ٥ ص ٤٨...

(٢٠) أنظر الرسائل: ٣٨/٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٩/ ٧٤، ٦٧/ ٨٢٥... وغيرها كثير.

(٢١) ١٧/١٨٦، أيضاً :١٣/ ١٤٤، ١٤/ ١٥٣.

(٢٢) الرسائل ١١/ ١٠٦–١٠٧.

(٢٣) ٧٧/ ٧٠٠.

(٢٤) ميثاق وليّ الزمان٥/ ٤٧.

٥) ألدرزيّة مذهب أم دين؟

ألدرزيّة «دين» مستقل. يقوم على مبادئ خاصّة به. له كتابه المقدس، وعقيدته الدينيّة، ونظرته الى الكون، وفرائضه، ومناقبيّته، وطقوسه، ونهجه الرّوحي، وأنبياؤه... وهي لا تمّت الى الإسلام بصلة...

ومهما حاول الدروز اعتبار الدرزيّة مذهباً يضمّه الإسلام، أو ينتمي إلى الإسلام، بشكل من الأشكال، فهو من قبيل التقيّة. والتقيّة ظاهرة في ما جرى بين الدكتور مصطفى الشكعة وبين الشيخ محمّد أبو شقرا شيخ عقل الدروز والاستاذ كمال جنبلاط، وفي ما قرأ الدكتور من كتب درزيّة، وفي ما استنبشه من حقائق في أحاديثه مع مثقّفين دروز ومع عامّة الشعب والأولاد حول هذا الموضوع.

يقول الشكعة: «قد حرصتُ عَمْدًا في أوّل حديثي مع الشيخ أن أستعملَ لفظةَ «الدين الدرزي»، ولكنّ الشيخَ سارعَ في حزمٍ وقال: «يا أخي، أرجوك، لماذا تقول "الدين"؟ قلِ "المذهب"؛ لأنّنا مسلمون موحِّدون»[(٢٥)].

ثمّ انتقلَ الشكعة إلى السيدِ جنبلاط ليَسْمَعَ منه: «الدروز.. اعتنقوا الإسلامَ في مرحلةٍ من مراحل عقيدتِهم؛ ولمّا كانتِ العقيدةُ عندهم متطوّرةً فقد تحوّلوا عن الإسلامِ إلى دينٍ آخرَ مستقلٍّ هو الدينُ الدرزي. إنّ الدّرزيَّة كانتْ مذهَبًا إسلامِيًا، ثم تطوّرتْ وأصبحتْ ديناً مستقلاً. والاقطابُ هم الذين يحدّدون الدينَ من زمنٍ إلى زمن.. ولذلك فالدرزيةُ دينٌ متطوّرٌ». ثمّ يقول جنبلاط أيضاً: «لا يقبلُ الدروزُ أحداً في دينهم..

---

(٢٥) مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ٢٩٢.

الدينُ الدرزي دينٌ صوفيٌّ... الدينُ الدرزي تنظيمٌ حربي»[٢٦].

لقد احتارَ الشكعةُ في أمره بين قطبَين درزيَّين، فذهبَ يقرأُ عبدالله النجارَ الذي يقول: إنّ الدرزيّة مذهبٌ من «الإسلام من حيث انحصاره في القرآن وعدم خروجه عنه»[٢٧]. ويصرّحُ أنّ التوحيد « ليس ديانة»[٢٨]. ويدعونا في قوله: «ولندخلْ في صلب هذا المذهب»[٢٩]. ثم يوضح: «هذا المذهب التوحيدي قائم على الإسلام»[٣٠]، ولكنّه، في طبعةٍ ثانية يحذف جملة «قائم على الإسلام»[٣١].

أمّا الدكتور سامي مكارم، فيما تقوم قيامتُه على السفير النجّار الذي حاول كشف خبايا الدرزيّة وإخراجها عن الإسلام، واعتبارَها، على غيرِ وعيٍ منه، دينًا مستقلاً، فيقعُ هو نفسُه في الخطأ نفسه. يقول: «إنّ نظريّةَ الانبثاقِ.. هي من النظريّاتِ الأساسيّةِ في دِيْنِ التوحيد»[٣٢]. ويطيرُ صوابُ الشكعةِ ويعلّقُ: «لقد فَزِعْتُ عندما قرأتُ هذه الجملةَ لصدورِها في مقامِ تصحيحِ ما اعتُقِدَ أنَّهُ لا يُمثِّلُ نظرَ المذهب. وطافَ بذهني هاجسٌ مَخُوفٌ. فكيفَ يكونُ المستقبلُ في نطاقِ الترابطِ العقيدي الإسلامي لو قالَ الكاتبُ السنّي "دينَ السنّة"، ولو قال الكاتبُ الشيعيُّ

---

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٢٨٩-٢٩١.

(٢٧) الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٠٤-١٠٥، السفير عبدالله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ص ١٦ من ط ٢.

(٢٨) عبدالله النجار، المرجع نفسه، ص ١٦.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ١٧.

(٣٠) مذهب الدروز والتوحيد، طبعة أولى، ص ٨٣. وهو عنوان هذه الطبعة التي ظهرت في طبعة ثانية باسم «مذهب الموحدين الدروز».

(٣١) عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ١٢٣.

(٣٢) الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١١٥.

" دينَ الشعية "؟... وإنّــي آملُ صـادِقًا أن تكونَ هذه التعبيــراتُ غير حاملةٍ المعنى الخطير الذي يُفهَمُ منها لأوّلِ وهلة»[٣٣].

وهكذا احتــارَ الشكعةُ في أمرِهِ وهو يحــادِثُ أقطابَ الدرزيّة ويقرأُ كـتّابهــا: فشــيخُ العــقلِ «يَرْجُوُه» أن لا يــقولَ عن الدرزيّةِ أنَّهــا " دين "؛ وجنبلاطُ لا يُســمِعُه سوى أنّها " دين "؛ وســامي مكارمَ يَسقُطُ في ردِّه على النّجار، وبلا قــصد منه يقول " دين التــوحيد "؛ والنجّــار يخافُ من تسميةِ الدرزية " ديانة "، ولكنّه لا يخافُ من اعتبارِها غيرَ الإسلام...

وراحَ الشكعــةُ يجوبُ المجتــمعَ الدرزيَ ليتــأكّدَ من أفــواهِ الأطفالِ والأولادِ حقــيقةَ الأمرِ ويَرفَــعَ عن عقلِه المظّانَّ، ويعود إلى الرئيس جــمال عبــد الناصر الذي بعثــه ليساهم بمشــروع الوحدة الإسلاميّــة والوحدة العربيّة، ويقولُ لنا في جَــولَتِهِ: «قد لاحظتُ أنّ كل طفلٍ درزي، حتى أبناء أصــدقائنا المســتنيرين، إذا ســئلَ عن دينه قــال: إنه درزي. فإذا قــيلَ له: يعني مســلم! أبدى استغــرابًا شديدًا. وكــأنْ ليس ثمةَ علامــةٌ تربطُ بينَه وبينَ الإسلام. ولــه العذُر كلُّ العــذرِ في ذلك طالما أنّه لم يُعلَّم أنّ الدرزيّة مذهبٌ من مذاهب الإسلام..

«هذا في الأوساط الإجــتماعيّــة. فإذا انتقلْنَا إلى الأوسـاط العلمــيّة وجدْنَا المؤلِّفينَ والمحــاضِرين يتحدثــون عن الدرزيّةِ وكأنّها دينٌ مســتقلٌ ليسَ مذهبًــا إسلامــيا. وإذا أُشيــرَ إلى الشريعةِ الإســلاميّــةِ أُشيرَ إليــها وكأنّها شريعةٌ غــريبةٌ لدين غريب... والعبارات تُوحِي.. إنّ الدرزيّةَ شيءٌ آخر»[٣٤].

---

(٣٣) مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٣٤) مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص٢٨٢...

ومع كلّ هذا لا يريدُ الشكعة أن يصـدِّ ق ما يَسمَعُـه وما يَقرأُه، بل أرادَ أن يأخذَ الحـقيقـةَ مِن أربابها، فاعـتمدَ، بالـنهاية، كلامَ شـيخِ عقلِ الدروزِ محـمّد أبو شـقرا الذي "رجـاه" أن يقولَ بأنّ الدرزيَّة مـذهبٌ لا دين... وغـابَ بالُ الشكعة عن أنَّ الشـيخَ «شـيخ مثـقّفٌ، خَطيبٌ، يُجيـدُ الكلامَ المدروسَ العـميق»[٣٥]، على حـدِّ قـولِ حافظ أبو مـصلح؛ وفـات الشكعـةَ أنّ «حافظ» هذا مَـادِحَ الشيـخِ وَضَعَ عنواناً في كتـابه أسمـاه: «ديانة الدروز»[٣٦]. وغابَ بـالُ الكلِّ عمّـا قاله «المؤرِّخ المتـعمِّقُ الأسـتاذُ يوسف إبراهيم يزبك»، في مـقـدّمتِـه لكتـابِ «الدولةالدرزيّة»، الذي نَقَلَه حافظ أبو مصلح إلى العـربيّة. سُئل يزبك: «وهلْ مذهبُ التـوحيدِ دينٌ»؟ فأجيبُ: «نعم. نعم. نعم»[٣٧].

٦) «بنو معروف»

بقي علينا الـنظر في لقب «بني مـعـروف» الذي يطربُ الدروز له عند سَماعِه. واختلفَ فيه الباحثون:

١. فمنهم مَن يعـتبرُه نسبـةً إلى قبيلةٍ عربيـةٍ اعتنقتِ الدرزيّةَ منذ نشأتها، فقال غالبُ أبو مصلح: «أمّا تسـميةُ الدروز ببني معروف فتعود إلى اسم إحـدى قـبـائلهم السـالفة الـذكر. وذلك بـتسـمـيـةِ الكلِ باسم الجزء»[٣٨].

٢. ومنهم مَن يعـتبرُه اشـتقاقًـا لغويًا من «المعـروف» بمعنى البرّ

---

(٣٥) حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص١٧.

(٣٦) المرجع نفسه ، ص ١٨-٢١.

(٣٧) بيجه ده سان بيير، الدولة الدرزية، ترجمة حافظ أبو مصلح، ص ٢٦،

(٣٨) غالب أبو مصلح، الدروز في ظلّ الاحتلال الاسرائيلي، ص ٤٩.

والإحسان، فيكون الدروز بالتالي «أبناء البرّ والإحسان».

٣. ومنهم من قال: مِنْ «عَرَفَ معرفةً» بمعنى العِلْم. فيكون الدروز بذلك «العارفين»، وأصحاب المعرفة والعرفان، الذينَ يختصّون بالمعرفة الإشراقية من لدنِ اللّه. ومعنى ذلك أنّ «بني معروف» هم أصحابُ المعرفةِ اللّدنيّةِ الحقيقيّةِ. والمعرفةُ الحقيقيّة هي معرفةُ اللّه متجلِيًا في الإنسان، أي هي معرفة اللاهوت في الناسوت، من قول الحكمة: «والمعرفةُ إنَّما هِيَ لِما شُوهِدَ وَعُوْيِنَ»[٣٩]، والمعروف هو اللّه المتجلّي في صورة الإنسان، و «بنو معروف» هم الذين حَظُوا بمعرفة اللاهوت متجلّيًا في الناسوت.

٤. ومنهم مَن قال: من «عرف بمعنى «صَبَرَ»، والعَارِفُ هو «الصَبُور»، من دعوة الحكمة المستمرّةِ الى «الصبر والاحتمالِ». يقول بهاءُ الدين لنصر بن فتوح: ثَبِّتِ الجماعَة في كلّ موضعٍ على الستر.. ويكونوا على الصبر والإحتمال»[٤٠]. ويقول أيضاً في «مكاتبةِ رمزٍ إلى الشيخ أبي المعالي»: «مَنْ صَبَر على قَرِّ البردِ (المحنة) نالَ خضرَةَ الربيعِ (الخلاص)»[٤١]. ويعلنُ أيضاً: «وأنا أقول: إنّ الصبرَ في جميعِ الأمور مطيّة لا تكبو بأهل الديانات»[٤٢]... وغير هذه في الصبر كثير. فيكون «بنو معروف» هم الصابرون على المحنةِ التي ألّمتْ بهم أيامَ «عليّ الظاهر»، الخليفة الفاطمي الذي تولّى الحكمَ بعد «الحاكم» واضطهدَ الدروزَ ست سنوات متوالية.

---

(٣٩) الرسائل: ٥٨/ ٤٥٤، ٧٤/ ٦٥٦.

(٤٠) رسالة ١٠٧/ ٨٢٨، وأيضا ص ٨٢٧..

(٤١) رسالة ١٠٥/ ٨١٦.

(٤٢) المرجع نفسه.

٥. ومنهم أخيراً مَن قال: إنّ لقب «بني معروف» مأخوذ من «الأعراف»، من آيةٍ قرآنيةٍ تقول: " وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُم "[٤٣]. هؤلاء تقول عنهم «الحكمة»: «رجالُ الأعرافِ، شهداءُ الدينِ، ساداتُ الأمم»[٤٤]. و«قائمُ الزمانِ حمزةُ هو سَدِيْقُ الأعراف»[٤٥]، و«صاحبُ رجالِ الأعرافِ الأطهار»[٤٦]. وهم في نهايةِ الدهرِ «خَيْلُ الأعراف»[٤٧]، و«الأعراف أصحابُ اليمين»[٤٨] الناجون.

كلّ هذه المعاني يأخذ بها الدروز. ولذلك فهم يفضّلون هذا اللّقب المشرّف لهم عبر تاريخ نضالهم العرفاني. والأساس في كلّ ذلك هو أنّهم أصحاب معرفةِ اللاّهوتِ في صورةِ النّاسوت. ويعتَبِرون أنفسَهم مختصّين بذلك دونَ سواهم.

٧) رسائل الحكمة:

إنّ مصادرَ بحثِنا كثيرة، رَجَعْنا إلى معظمها، وَدَقّقْنا فيها، واهتدَيْنا بِهدْيها، وَنَقَلْنا عنها بأمانةٍ فجاء كتابُنا -وَلو باعتداد- موافقًا عقيدةَ «الحكمة»، ومطابِقاً لفهمِ أصحابِها السادقين. وأساسُ المصادر «رسائل الحكمة»، أو «المعلومُ الشريف».

---

(٤٣) القرآن، سورة الاعراف ٧/٤٦ وأيضا ٤٨.
(٤٤) الرسائل: ٦١/٤٧٧، أنظر أيضا: ٧٤/٦٦٣ وغيرها...
(٤٥) رسالة ٩٩/٧٩٣. «السادق» وكل مشتقّات الصدق بالـ «س»، كما سترى.
(٤٦) رسالة ٧٢/٦٣٣.
(٤٧) الرسائل ٤٩/٣٦٣، ٦٠/٤٧١.
(٤٨) رسالة ٦٦/٥١٦.

تتألّف «الحكمة» من ١١١ رسالة، «جَمَعَها المغفورُ له الأميرُ عيسى التنّوخي[٤٩] في ستّـةِ كتب. وقد جَـمعَ إليها الأميـرُ عبد الله جَـمال الدين التنّوخي، قدّسَ الله سـرّه، السجلاّتِ الأربعةَ، وألحقَـها في أوّلِ الكتاب... وهذه الكتبُ الستةُ مرتّبةٌ كما يأتي من حيث الدرجة:

ألكتابُ الأوّل، ويُسَمّى «السِيَر» -جَمْع سِيرة- وَعدَدُ رسائله أربعَ عشَـرة رسالة. أوّله «السـجلّ»[٥٠]، وآخِـره «رسالةُ السـبب»[٥١]. وعدَدُ كلماتِ هذا الكتاب: ٢٩,٤٠٠ كلمة.

ألكتابُ الثّـاني، ويُسمّى «الرَدّ»، وفيه ستٌ وعـشرون رسالةً، أوّله «رسـالةُ الدامِغَـة»[٥٢] المتـضمِنّة: الـردُّ على النُصَيْـري، وآخِـرُه «شعـرُ النفسِ»[٥٣]. وعَدَدُ كلماته: ٢٣,٨٠٠ كلمة.

ألكتابُ الثالـث، ويسمَّى «الجزء»[٥٤]، وفيه خمس عـشرة رسالة، أوّلُه «رسالة الجزء»[٥٥]، وآخرُه «رسالةُ التَعَقُّب». وعددُ كلماتِه: ٢٢,٥٠٠

---

(٤٩) وهو الجدّ الخامس للأمـير عيسى التنوخي المعـاصر للامير السيّـد، لم يذكره الشيخ الأشرفاني في كتابه «عمدة العارفين».

(٥٠) كل ما يسمّى سجلا هو نص مولانا الحاكم، قبل بدء الدعوة ٤٠٨ هـ.

(٥١) نص إمام الزمان حمزة.

(٥٢) نص إمام الزمان حمزة.

(٥٣) بإسم ناظمه إسـمعيـل التميـمي، الملقّب بـ «النفس»، وهو تالي حمـزة وثاني الحدود الخمسة لدعوة التوحيد. سيأتي الكلام عليه.

(٥٤) في طبعـة سنة ١٤٠٠ هـ سمّـيت هذه الرسالة باسم «الوصـايا السبع للمـوحدين». وهو من الدكتور محمد كامل حسين في كتابه «طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها» مصر سنة ١٩٦٢، ص ٩٨. والأصح ما ورد في الرسـالة نفسهـا: «الجزؤ الأول من السبـعة أجزاء».

(٥٥) من أول الكتاب الثالث إلى النهاية (أي نهاية السادس) نصّ سيّدنا بهاء الدين.

ألكتابُ الرّابع، ويسمّى «الإيقَاظ»، وفـيه ثلاثَ عشرةَ رسالة، أوّله رسالة «الإيقاظ»، وآخرُه رسالةُ «السَفَر». وعدَدُ كلماتِه: ٢٠,٢٠٠ كلمة.

ألكتـابُ الخامـس، ويُسمّى «المِعـراْج»، وفـيه سـبعُ رسـائل، أوّله «رسالة المِعْـراج»، وآخرُه «رسالة الردّ على أهل التأويل». وعـدد كلماته: ١٩,١٠٠كلمة.

ألكتابُ السادس، ويُسمّيه بعـضُهم «التوبيخ»، وفيه ستٌّ وثلاثون رسالة، أوّله «الـتوبيخ لابن البَربَريّـة»، وآخره «منشورُ الغَـيْبَـةِ». وعددُ كلماته: ٢٥,٠٠٠ كلمة»[٥٦].

هذه الرسـائل جمـعتْ في ثلاثةِ مجلّداتٍ، طبـعتْ سنةَ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، وعليها معتمدنا في بحثنا.

يجد القـارئ هذه الرسائل في مكتبـات عديدة في العالم، مكتـبات عامّة وخاصّة. منها : في المكتـبة الوطنيّة بباريس في نُسَخٍ عديدةٍ من كل جزء، من الرقم ١٤٠٨ حتـى ١٤٣٦، وفي المكتبـةِ الفاتيكانيّـة من الرقم ٩٠٩ حتـى ٩١٣، والأرقام: ٣٧٩، ٧٢١، ٩٣٣، ١٣٢٢، ١٣٣٥، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٨، وفي المـتـحفِ الـبـريطـاني، الأرقام: ١١٤٣-١١٤٧، ١٣٨، ومكتبة كمبرتج، الأرقام: ١٣٦١-١٣٦٥، ومكتـبة مـانشـستـر ريلند، الأرقام: ١١٧-١٢١، ومكـتبـة بْرِنْسْتُـونْ جَارِيْتْ، الأرقام: ١٦١٣-١٦١٦، ومكتبة أكسفُورد: ٤٢٠-٤٣٢، ومكتبة مْـيُونِـخ: ٢١٧-٢٢٤، ومكتبـة لَيْـدِنْ: ١٩٧٨، ومكتـبـةَ بَرْلِين: ١٨٧٠، ١٥٥٠، ١٤٠٣-١٤٠٩، ٢٠٩٩، ٨١٤-٨١٩، ومكتـبـة فـيِنَّا: ١٥٧٣،

(٥٦) راجع: توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مـذهب التوحيد، بيروت، كانون الأول سنة ١٩٦٣، دار ألف ليلة وليلة، ص ٢٩ - ٣٢.

والمكتبة البُودْلِيينيَّة: ٤١٦–٤١٨، ومكتبة شسْتِرْ بيتي: ٣٣٧٣، والمتحف الأسيوي في لينينجراد: ٩٦–١٠٠، وأَبْسَالاَ نورَنْبرج: ٥٠١–٥٠٤، ودار الكتب المصرية، والمكتبة التَّيمورِيّة، قسم العقائد، وقسم النِحل، في أرقام متعدّدة ومتفرّقة، ومكتبات لبنانيّة عامّة وخاصّة، والخلوات الدرزيّة، لا نجد لذكرها أوتعيينها واجباً.

والمعروف أنّ جميعَ رسائل الحكمة وشروحاتِها تُنْسَخُ باليد، ولا يجوزُ طباعتُها. ينسخُها شيوخٌ مدَرَّبون بأمانةٍ كلّيّةٍ، وبألوانٍ خمسةٍ ترمزُ إلى حدودِ الدعوةِ الخمسة، وتؤلّفُ ألوانَ العلَمَ الدرزي؛ بيد أنّ عددًا منها طُبِعَ وتُرجِمَ إلى لغاتٍ أجنبيّة نُثْبِتُ لها سَرْدًا في آخرِ الكتاب.

٨) شروحات «الحكمة

اعتمدْنا أيضاً على شروحاتِ «رسائلِ الحكمة»، وتفاسيرها. وسيّدُ الشارحين والمفسِّرين الأميرُ السيّدُ عبدالله التنّوخي. يقولُ فيه الشيخُ الفاضلُ، أحدُ كبارِ الموحّدين الدروز في القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد)، أي بعد مَضي أكثر من قرنٍ على وفاتِه: «شروحاتُ الأميرِالسيّدِ أمَامَنا، وهي أوَّلُ ما يُحَاسِبُنَا اللّهُ فيهِ يومَ القيامة، لأنّها واضحةٌ مُوضِحَةٌ. ما تَرَكَتْنا في شبهَةٍ، ولا أبقَتْنا في حَيرةٍ. وفيها كفايَتُنا، وما نريدُه عِلمًا وَعَمَلاً»[٥٧].

لقد تركَ الأميرُ السيّدُ أكثرَ من أربعةَ عشرَ تفسيرًا، أجلّها تفسيرُه على «رسالةِ كشفِ الحقائقِ» رقم ١٣ من الجزء الأوّل في مجموعة

---

(٥٧) أنظر إبراهيم يزبك، وليّ من لبنان، منشورات أوراق لبنانيّة. ١٩٦٠.

«رسائل الحكمة»، وهو كتابٌ ضخمٌ تزيدُ صفحاتُه على الألف صفحة. جميعُ ما وضعَه الأميرُ السيّدُ مخطوطٌ، سرّيٌ، نادرٌ. يعتمدُ عليه الدروز حتى يومنا، ويُجلّونَه كالحكمة نفسِها.

واعتمدْنا أيضا على معجمٍ لألفاظِ «الحكمة»، كان سبيلَنا وهدايتنا في اقتناص معاني الكلماتِ، كلمةً كلمةً، وهو «كتابُ الدُّرَرِ المضيّةِ، واللّمعِ النورانيّة، في تلخيص ألفاظِ الحكمةِ الشريفةِ ومعانيها الروحانيّة»، للشيخ ناصر الدين العيد، وهو، بحسب قول الشيخ الدكتور أنور فؤاد أبي خزام، «قاموس باطني لمصطلحات رسائل الحكمة التوحيديّة»[٥٨]، مُنَسَّقٌ على طريقةِ المعاجمِ العربيةِ القديمة، أي أنّكَ تبحثُ عن الكلمة المطلوبة إبتداءً من حرفها الأخير. فكلمة «حكمة»، مثلاً ، تَطلبها في بابِ الميم فصلِ الحاء. يعتمدُ هذا الكتاب على مراجعَ درزيّة جمّة «بحيثُ أنَ المداوِمَ لمطالعتِه والمتبحِّرَ فيهِ يكفيه ذلك عن غيرِه، لأنّ الذي يَطلبُه في المفرّق قد حصل له في هذا الكتاب مجموع» (المقدمة، ١).

وشبيهٌ به كتاب «المذاكرات وبهجة المناظرات»، وهو، «أشبه بقاموس لرسائل الحكمة في معانيها وشروحاتها ورموزها وشخصيّاتها»[٥٩]، للشيخ زين الدين عبد الغفّار تقي الدين (+١٥٥٧م)، الذي له أيضاً «كتاب النقط والدوائر»، أحد المراجع المهمّة لمعرفة أسرار الحكمة. ثم كتاب «عمدة العارفين»، للشيخ محمّد مالك الأشرفاني (+ ١٦٥٩). وهو كتاب «اشتهر عند بني معروف إشهاراً واسعاً»[٦٠].

---

(٥٨) في مقدّمته لكتاب "النقط والدوائر"، ص ١٩-٢٠، حاشية ٢.

(٥٩) المرجع نفسه، ص ١٥.

(٦٠) عجاج نويهض، التنوخي، ص ٢٣٩؛ راجع عنه في فصل "المصادر والمراجع".

٩) مراجع عربيّة حديثة:

استطعنا أيضا أن نجمعَ كتبًا درزيّة حديثة، وضعَها باحثون دروز وغيرُ دروز، وترى لها ثَبْتًا كاملاً في مراجع الكتاب ومصادره. وكان بودِّنا الأخذُ بالمبدأ القائل: إنّ الحقيقةَ تؤخَذُ من فمِ أصحابها؛ ولكنّ الحقيقةَ الدرزيّةَ يعمَدُ أصحابُها على كتمانِها، وَفقَ مبدأ «التَقِيَّة» التي تقولُ به الحكمة الشريفة، وذلك لمنعِها وصَونِها عن غيرِ مستحقِّيها. لأجل ذلك يصعبُ علينا الاعتمادُ عليهم، كما نعجزُ عن معرفةِ الحقيقة عندهم، فنبقى دونها.

وكتب عديدة كتبها دروز وغير دروز، رأى القيّمون على الدرزيّة، وجوب منعها، لأنّها تكشف عن معتقداتها، التي يجب، في أيّ حال، أن تبقى سرّيّة.

من هذه الكتب، نذكر، كتاب السفيرَ عبدالله النجّار، «مذهب الموحّدين الدروز». أصدرتِ السلطاتُ اللّبنانيّة المختصّة قَرارًا رقمه ٤٨٩ بتاريخ ٢ تموز سنة ١٩٦٥ يقضي بمنعه ومصادرتِه. وكَلَّفَ مجلسُ الطائفةِ الدرزيّةِ الدكتورَ سامي نسيب مكارم بالردِّ عليه في كتابٍ أسماه «أضواء على مسلك التوحيد الدرزيّ»، وقدّم له معالي الأستاذ كمال جنبلاط والسيّد بايازيد (؟)، طبعة صادر سنة ١٩٦٦. وكتابُ «طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها» للدكتور محمّد كامل حسين، سنة ١٩٦٢؛ وكتابُ «مذاهب الإسلاميّين»، الجزء الثاني، للدكتور عبد الرحمن بدوي، المطبوع في دار العلم للملايّين بيروت سنة ١٩٧٣...

١٠) مراجع أجنبيّة:

أمّا الكَتَبَةُ الغربيّون الذين عـالجوا موضوعَ الدرزيّة فقليلون. على رأسـهم البارون Sylvestre de Sacy في مؤلَّفِه الكبـير المسمّى: Exposé de la Religion des Druzes المطبـوع سنة ١٨٣٨. يعـالج الكتـابُ معظمَ الـعقـائد الدرزيّة معـالجةً موضوعيّـة موسّعة. في الجـزء الأوّل منه ثَبْتٌ لرسائلِ الحكمـة ولتاريـخ الحاكم بأمـر الله، وفي الجـزء الثـاني عرضٌ مـوسّع للعقيدة مع ترجمةٍ لنصوصٍ عديدة. لقد بقيَ الكاتبُ أكثرَ من أربعين سنة يبحثُ ويدرس ويترقّبُ المزيدَ من المخطوطاتِ الدرزيّة ليزيد في فهم ألغاز الحكمة وأسرارها، ولكنْ دون جـدوى، فجاء كتابُه مقتـصرًا على مقدرتِه الشـخصـيّة. وهذا نقصٌ لم يسـتطِعْ تفاديه. وقـد أخذ علـيه Henri Guys جملـةَ ملاحظاتٍ في كـتابه: Théogonie des Druzes المطبوع سنة ١٨٦٣... ومع هذا يبقى الكتابُ مرجعًا رئيسًا للباحثِين.

أمّا Henri Guys في كتاب: La Nation druze, son histoire, sa religion, ses mœurs et son état politique, المطبـوع سنة ١٨٦٣ فـهـو أيضًـا من المراجع الهامّة لفـهم الدرزيّة، ولكنّه مختَصـر، ولا يعتمدُ كثـيراً على النصوص. وهو يتـضمَّن نظرةً شـاملةً وسـريعةً في تاريخ الدروز والحـاكم، وفي العادات الدرزيّة، وحالتِهم السياسيّة والإجتماعيّة...

وما يوجَـد في «الموسوعـة البريطانيّة»، المجلّد الـثامن، تحت إسم «الدروز»، وفي «الموسوعة الإسلامـيّة»، المجلّد الأوّل، وغيرها من المراجع الأجنبيّة التي ترى لها ثبتًا في مراجع الكتـاب ومصـادره، فلا جديد فيها. وقد يكون سِلْفِسْتِرْ دِي سَاسِي مَرجَعَها ومعتمدها.

١١) هذا الكتاب:

أمّا هذا الكتــاب الذي لم نوفّر له مَــرجعًا إلاّ اعــتمدْنا عليــه بأمانة، فهو يطمح بأن يعالج حقــيقةَ الدروز بِمَحَبّةٍ؛ وقد لا تغرينا الحقــيقةُ أكثرَ ممّا نحن مُلزَمون بمحبّةِ أصحابهــا. في يقيننا أنّ اللّه سيحاسبنا، لا على محبّتِنا للحقيقة، بل على مقدارِ محبّتِنا للإنسان. إنّ حقيقةَ المحبّةِ هي التي تستهوينا ونعـمل لها، لا محبّةِ الحقيـقة. ومع هذا، لن نكونَ بعيدين عن الإثنتين. بإخلاصٍ نقول: نحبّ الإنسانَ حرّاً، واللهَ حـرّاً، والحقيقةَ حرّةً. نريد «الحكمة» حرّةً، والكشفَ عنها حرّاً، والحُكمَ علينا حرّاً.

بهذه الحرّيّة، نريد في هذا الكتاب، أن نضَع الحكمة في متناوَلِ كلِّ إنســانٍ، لأنّنا مُطالَبون، يومــاً، أمامَ اللّه بالجــوابِ على سؤاله لنــا: «ماذا صَنَعْتَ بأخيك؟» (سفر التكــوين ٤/١٠)، ولم يَسأَلِ اللّهُ قايين أبداً: ماذا صَنَعْتَ بي؟ أو بالنامــوس؟ أو بالحكمــة؟ أو بالحقــيــقة؟ أو بأيّة قــيمــةٍ أخــرى؟؟؟ فســرُّ الإنســان هو المَصُونُ لَدَينا، ولــيس أيُّ سرٍّ آخــر. وإنّنا نَســعى جُهــدَنا ليكونَ ســرُّ الإنسان غنيّــاً، لا ســرُّ الحكمةِ. وكلُّ إنســانٍ يستحقُّ الحكمة، وليست الحكمة بمستوى استحقاقها أيٍّ إنسان.

فَليَتْركْ لنا مــحبّو اللّهِ والحكمة والحقيــقة حظَّ السعي وأيّاهم إلى صيانة ســرِّ الإنسان وإغنائه؛ لأنه، لا اللّه ولا الحكمة ولا الحقيقــة يحتاج إلى صيانة أو غــنىً. فماذا يضيرُ الحكــمةَ وأصحابها إن نحن سَــعَيْنَا إلى اكتشــاف سرّها؟! وبمَ نُزعج اللّهَ إنْ نحن خدمنا الإنســانَ وأحببناه؟! ألا فليَفهَمْ أصــحابُ الحكمة أنَّ الوحيَ كان لأجل الإنســانِ، والنبؤاتِ كذلك، والحكمة أيضاً؟ والعكس لا يجوز.

يَعرِفُ الدروز سرّ اليهوديّة واليهود، وسرَّ المسيحيّة والمسيحيّين،

وسرّ الإسلام والمسلمين.. يعرفون التوراة والإنجيل والقرآن.. ويعرفون كلّ ما بوسعهم أن يعرفوه عن كلّ إنســان... أفلا يجوز لكلّ إنسان معرفةَ سرّ الحكمــة الدرزيّة؟ هل يحقّ لبني معروف أن يمنعُــونا عنهم، ويمنعُوا الحكمة عنّا؟!

هم ونحن نبـحثُ عن اللّه والحكمة والحقِّ بِلَهَفِ الظمــآنِ إلى الماء. فلا ينخدعُ أحدٌ منّا بأنّ اللّهَ أقامَه على الحكمــة قَيّماً، وعلى أبواب السماء حارِسًا! لا نظنٌّ بأنّ مفاتيحَ مغاليقِ الملكوت بيدِ واحدٍ منّا لِيُدخِلَ مَن يَشاء وَيَمْنَعَ مَن يشــاء. كلُّنا ضــارِعٌ إلى اللّه لِيَـفْتَحَ له. وليس يجــوز للمــتنعّم بضــوءِ النهــارِ أن يَرْغَبَ لغــيــره المكوثَ في الظلام. كلُّنا يســتــحق النورَ والمعرفةَ، واللّهُ يدعو الجــميعَ إليهما، بل يمنُّ على مُتَبَادِلــي الخيرِ سعادةً أوفى.

قَدَرُنَا أنّنــا عاشقــو الإنسان حــيثُ هو وعلى أيّ دينٍ كان. نَســعَدُ لسعــادته، ونَحيا لكرامــته، ونعمل لأن يكــون حرّاً. من حقِّــه علينا كلُّ ما لَدَينا. ومن حقّنا عليــه ألاّ يكونَ علينا مغلَقًا. لن نتركَ أمامــه بابًا موصَدًا، حــتى لا يبقى له عليــنا حجّــة. يكفيــنا ما على الأرضِ من ظلام، ومــا في قلوب الناس من مآسٍ، ومــا في كواليس سياســات دول الــعالم من أسرارٍ ومؤامرات وشرور. فأقلّ ما علينا أن لا نزيد الجهلَ جهلاً، والشرّ شرّاً..

أنور ياسين

الفصل الأول

تاريخ الحاكم ونشأة الدرزية

أولاً – مصادر التاريخ

ثانياً – نسبة الحاكم

ثالثاً – الحاكم تحت الوصاية: ٣٨٦–٣٩٠ هـ

رابعاً – الحاكم يستقلّ بالسلطة: ٣٩٠–٣٩٥

خامساً – غرابة الأحكام وسجلاّت الأمان: ٣٩٥–٣٩٨

سادسًا – ذروة الشذوذ: ٣٩٨–٤٠٨

سابعًا – نشأة الدرزيّة: ٤٠٨–٤١١

ثامناً – نهاية الحاكم: ٤١١ هـ



أولاً - مصادر التاريخ

إنّ عصر الحاكم بأمر الله هو «أغرب عصرٍ في تاريخ مصر الإسلاميّة، وربّما كان أغرب عصر في تاريخ الإسلام كلّه، عصر يمازجه الخفاء والروع، وتطبعه ألوان من الإغراق والتناقض، مدهشة مثيرة معاً»[1]. ومهما دقّقنا في مصادر هذا العصر لن يبرح «الرّوع» مكانه، لأنّ المؤرّخين أنفسهم، على كثرتهم، غاصوا في غموضه.

وكان أوّل المؤرّخين الذين وصل إلينا تاريخه يحيى بن سعيد الإنطاكي، وهو شاهد عيان، دوّن الأخبار والحوادث، ونظر فيها مرّات عديدة. يقول: «كنت ألّفت هذا الكتاب لمن كلّفني بتأليفه، ووقع لي بعد ذلك تواريخ لم أكن وقفت عليها عند شروعي في عمله، فغيّرته بأجمعه، وبدّلت نظمه، وألّفته تأليفاً ثانياً. ثم أيضاً، بعد انتقالي إلى مدينة أنطاكية في سنة ٤٠٥ للهجرة، تصفّحته تصفيحاً ثانياً، وتحصّل لي تواريخ أخرى، فخرّجت منها ما ألحقته به، وأضفته اليه، وغيّرت بعضه، وقرّرت الأمر على هذه النسخة»[2].

---

(١) محمد عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطميّة، ص ١٠٤.

(٢) تاريخ الانطاكي صنّفه تتبعًا لتاريخ سعيد بن بطريق الذي انتهى فيه سنة ٣٢٦ هـ. أمّا الإنطاكي فقد انتهى فيه سنة ٤٢٥ هـ. نشرهما معا الأب شيخو، طبعة الآباء اليسوعيين، سنة ١٩٠٥و ١٩٢٩.

أنهى الإنطاكي تاريخَه سنة ٤٢٥ هـ، وهو يعـرض عصر الحاكم بدقّة متناهية سنة فسنة، و«يبدي في استعراضه لحوادث العصر اعتدالاً واتّزاناً ودقّة، تجعل لروايته قـيمةً خاصة»[٣]. ويحتلّ الكلام على الحاكم قسمـاً ضافياً، من صـفحة ١٨٠ حتى ٢٣٤. أمّا التـواريخ التي نقل عنها الأنطاكي، بحسب شهادته، أمثـال سيرة المعزّ لابن زولاق، وتاريخ مصر للمسـبّحي، وخطط القضاعي، وتـاريخ ابن الطوير، وتاريخ ابن المأمون، وغيرها، فقد دثرت؛ ولكن بقي منها الكثير في تواريخ اللاحقين.

يعـادل تاريخَ الإنطاكي أهمـيّـةً «كـتابُ سِـيَـر الآباء البطاركـة» لساويرس بن المقفّـع أسقف الاشمونيّين، وفي ذيله ملحق يسـّمـى «سِيَر البيـعة المقـدسة»[٤]. وتفوق الكـلَّ أهميّة تلك الرسـائل التي كتـبهـا إمام الزمان حمزة، وفيها الشيء الكثير عن الحاكم وتصرّفاته[٥].

ونشيـر أيضاً إلى كـتاب «أخـبار الدول المنقطـعة» للوزير جـمال الدين أبي الحـسن الخـزرجي المـصـري (+٦٢٣)، وتاريخ القـفطي (+٦٤٦هـ) في «أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء، وكتاب «مـرآة الزمان في تاريخ الأعيان» لسـبط بن الجوزي (+٦٥٤)، وتاريخ أبي هلال الصابي، المنشور ضـمن كتـاب «تجارب الأمم» لابن مسكـويه، و«تاريخ الإسلام وطبـقات المشـاهيـر والإعلام» للذهبي (+٦٧٣ هـ)، وكتـاب «وفيّـات الأعـيـان» لإبن خلّكـان (+٦٨١ هـ)، و«تاريخ أبي صـالح الأرمني»، (أواخـر القـرن السـادس هـ)، و «تاريخ المسلمين» للمكين بـن العمـيـد

(٣) محمّد عنان، الحاكم بأمر الله...، ص ١٠.

(٤) مخطوط المكتبة الوطنيّة باريس، ودار الكتب المصرية، نسخة مصوّرة، رقم ٦٤٣٤ح.

(٥) أنظر: «السـجل المنهي فيـه عن الخـمر» رقم ٢، و«خـبر اليـهود والنصـارى» رقم ٣، و«كتاب فيه حقائق...»، رقم١١. وغيرها في «رسائل الحكمة».

(أواخر القرن السابع هـ)، و«مختصر تاريخ الدول» لابن العبري (+ ١٢٨٦م)، و«نهاية الأرب» للنويري (+٧٣٣ هـ)، و«صبح الأعشى» للقلقشندي (+٨٢١ هـ) ، و«كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي (+٨٤٥)، وله أيضا «كتاب اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء»، وكتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغرى بردى (+ ٨٧٤ هـ)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (+ ١٢٣٤م)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (+١٢٧١م)، و«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» لابن خلدون (+١٤٠٦)، و«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» للسيوطي (+١٥٠٥) وغيرهم...

لم نعدّد هذه المراجع الاّ لنحيل القارئ إليها ليتأكّد بنفسه من اهتمام المؤرّخين بالحاكم، ولتكون الأدلّة كافيةً على ذلك «الرّوع»، وتلك «الدهشة المثيرة»، و«الأحداث العجيبة والنوادر الشائعة، والنزعات والأهواء المروعة»[٦]، التي يقف القارئ عند قراءتها مذعوراً. وسوف يسأل نفسه، لا محالة، إنْ كان يقرأ تاريخَ شخصٍ بشريّ أم تاريخ كائن من غير طينة البشر!!!

---

(٦) محمّد عنان، الحاكم بأمر الله، ٩.

ثانياً - نسبة الحاكم

ينتسب الحاكم بأمر الله، أبو عليّ، ألمنصور بن العزيز بالله، ألخليفة والإمام الفاطمي السادس -أو الخامس بنظر الدروز- إلى البيت العلويّ، عبر الشيعة الإسماعيليّة، كما ترى:

(١) علي بن أبي طالب

(٢) ألحسن

(٣) ألحسين

(٤) علي زين العابدين

(٥) محمد الباقر

(٦) جعفر الصادق

إسمعيل

(٧) محمّد (الناطق السابع)

١. أحمد (أبو زكريّا)

٢. ألحسن (العلي)

٣. علي (المعلّ)

...

(٧) موسى الكاظم

(٨) علي الرضا

(٩) محمد الجوّاد

(١٠) علي الهادي

(١١) الحسن العسكري

(١٢) محمّد المهدي

بعض الخلفاء الفاطميّين (حتّى الظاهر)

١. عبيد الله المهدي[٧]	حكم ٢٩٧-٣٢٢هـ/ ٩٠٩-٩٣٤م
٢. ألقائم بأمر الله	حكم ٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م
٣. ألمنصور بالله	حكم ٣٣٤-٣٤١هـ/ ٩٤٥-٩٥٢م
٤. ألمعزّ لدين الله	حكم ٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م
٥. ألعزيز بالله	حكم ٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م
٦. ألحاكم بأمر الله	حكم ٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢١م
٧. ألظاهر لإعزاز دين الله	حكم ٤١١-٤٢٧هـ/ ١٠٢١-١٠٣٥

يتبيّن من هذه السلسلة ما يلي:

أً - إنّ الإمامة مستمـرّة من عليّ بن أبي طالب، مروراً بإسمعيل وأولاده، حتى الحـاكم بأمر اللّه. إلاّ أنّ التاريـخ الإسماعيـلي يختلف في عدد أئمّة الستر، بين أسمعيل وعـبيدالله المهدي، وذلك نظراً لحالة التستّر التي فُرضتْ على الأئمة اتّقاءَ خطر العباسييّن والشيعة الإثنيعشريّة.

٢ً - إنّ الدروز يأخذون بهذا التسلسل، ما عـدا عبيدالله المهدي - لعنه الله-، كمـا يقولون. فإنّه كان وصـيّا للقائم، واعتـبر نفسه حـاكماً أصيـلاً وإماماً «مـستقـرّاً»، في حين أنّه إمام «مـستودَع»، كـان عليه أن يؤدّي الحكم لصاحبه. لهذا فهو لا يُحسب في قائمة الأئمّة الحقيقيّين.

(٧) يخرج المهـدي، بنظر الدروز، من أن يكون إماماً مـستقـراً؛ بل هو إمام مستـودَع؛ لهذا فهو لا يُحسب بين الخلفاء الفاطميّين المعترَف بهم عندهم دينياً، وإن اعترفوا به تاريخياً.

٣ً – إنّ عبيدالله المهدي، واسمه سعيد الخير، ينتسب، بحسب الدروز، إلى عبيدالله بن ميمون القداح، واضع أسس الحركة القرمطيّة، التي خضّتْ كيان الإسلام. استولت على الإحساء والبحرين. وأسّست فيهما دولة قويّة نشيطة، واقتلعت الحجر الأسود من مكّة، وأخذته إلى البحرين حيث بقي فيها ٢٢ سنة، من ٣١٧ هـ حتى ٣٣٩.

٤ً – يختلف المؤرّخون في نسبة القدّاح إلى السلسلة العلويّة. وتبقى مسألة نسبته «من أعقد مسائل تاريخ الشرق وأكثرها غموضاً وإبهاماً، لتشعّب آراء الكتّاب المعاصرين من العرب على اختلافهم، لأنّهم كتبوا متأثّرين بسطوة الخلفاء من العبّاسيين أو من الفاطميين»[8].

٥ً – أمّا الدروز فيقولون بأنّ سعيد الخير هذا، أي المهدي، استقرّ بسلميّة من أعمال حمص، واستمرّ في نشر الدعوة «القدّاحيّة»، حتى عظم أمره. وحاول الخليفة العبّاسي المكتفي بالله أن يقبض عليه، وأن يخمد دعوته، ففرّ إلى المغرب، وتغلّب على المغاربة، وأسّس دولة العُبيديين (نسبةً إليه)، وتسمّت فيما بعد بالدولة الفاطميّة.

٦ً– كان في «سلميّة» آنذاك محمّد القائم بأمر اللّه ولداً صغيراً، لم يستطع بعدُ القيامَ بأعباء الإمامة الموروثة عن أبيه، فتكفّله سعيد الخير، الذي فرّ به إلى المغرب. وعندما أصبح بإمكان الإمام القيام بمهامِّه، منعه عن ذلك، وانتحل الإمامة لنفسه وحدثت بينهما معارك، استعاد فيها محمّد حقّه ، وأصبح حاكمَ الدولة الفاطميّة بلقب «القائم بأمر الله»[9].

---

(٨) ألدكتور حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميّة، ص ٦٦.

(٩) يعتبر الدروز، كما سنرى، الأئمة من القائم حتى الحاكم «مقامات ألهيّة».

ثالثاً - الحاكم تحت الوصاية

(٣٨٦-٣٩٠ هـ)

ولد الحاكم بأمر الله، أبو علي، المنصور بن العزيز بالله، يوم الخميس في ٢٣ ربيع الأوّل سنة ٣٧٥هـ، الموافق ١٣ آب سنة ٩٨٥م. وبويع بالخلافة يوم توفيّ أبوه ببلبيس، عندما خرج لحرب القرامطة، وذلك يوم الخميس في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦هـ؛ وكان عمره يومذاك إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر. وكان له أخت وحيدة تدعى «ست الملك»، تكَبره بنحو خمسة عشر عاما، «قويّة العزم بصيرة بالأمور»[١٠].

تولّى الوصايّة عليه، أوّلَ الأمر، ألحسنُ بن عمّار، زعيم كتامة، أقوى القبائل المغربيّة. وراح ابن عمّار يغدق الأموال والأعطيّة على الكتاميّين، ويقطع الأرزاق عن الأتراك والمشارقة، كما راح يولي على شؤون الدولة ووظائفها رجالاً من كتامة وزعماء من المغاربة، ويضطهد الأتراك، ويقتل منهم من يقف بوجه حكمه، حتى «استولى الكتاميّون على الدولة استيلاء تامّاً»[١١].

---

(١٠) أنظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٦١، ألنجوم الزاهرة ٤ / ١٩٥.

(١١) تاريخ الإنطاكي، ص ١٨١.

إلاّ أنّ المشـارقـة، بعـد سنة ضـيق، استـقـووا على الكتـامـيّين، وقاتلوهم، وانتصروا عليهم، ونهبوا دار ابن عمّار ودُوْرَ جماعته. وخاف ابن عمّار على نفسه واستخفى مدّة خارج المدينـة. فولّى الحاكم الأمورَ إلى برجوان الخادم، زعيم الأتراك والمشارقة، فقبض برجوان على زمام الحكم، واستـأثر بكل السلطة، واضطهد المغـاربة، وعوّل على كـاتبه أبي العلاء فـهد بن ابراهيم النصـراني في النيابة عنه، واسـتبدّ بكل أمر في الدولة زهاء عامين ونصف.

في عـهد وصـاية برجوان ثار رجل خـارجي في صُور يُعـرف بـ «علاّقـة»، وجَمَع إليه الأحـداثَ والرعاع، وضرب السكّة باسـمه، ونقش عليهـا: «عزٌّ بعـد فاقـة للأمير عـلاّقة»، واسـتنجد بباسـيل ملك الروم، وضمن له تـسليم البلد إليه إنْ نصـره؛ فاستـجاب باسـيل، وسيّـر إليه بنجـدة في البحـر... وثار بالرملة، في نفس الوقت، زعـيمُـها المفـرّج بن دغفل الجرّاح، فسيّر برجوان إليه جيشَه وأخضع ثورته، ثمّ أكمل طريقه إلى صور، فـحاصر الفاطمـيّون صُور برّاً وبحراً، ونشـبت بين الفريقين معـاركُ، هزم فيها عـلاّقة، وأُسِر، وأرسِل الى القاهرة، فـأُعدم، وصلب، ومثّل بجثّته[١٢].

وجرت أيضاً مـعارك بين الروم والفاطميين في أنطاكيّة وضـمّها برجوان الى حكمه.. وبعـد عودته منها بأربعة أيّام عـاد الروم واستولوا على أنطاكيـة وحمص وبعلبك، حتى وصلوا إلى أبواب الشـام، ورجعوا على طريق السـاحل وأحرقوا عـرقا، ونزلوا على طرابـلس وطرسوس.. ولكنّ برجوان قرّر إقامة الهدنة بينه وبينهم، فكانت عشر سنين.

---

(١٢) ألأنطاكي ١٨١–١٨٢، إبن الأثير ٩/ ٤١، إبن خلدون ٤/ ٥٧.

رابعاً - الحاكم يستقل بالسلطة

(٣٩٠-٣٩٥)

ذات يوم، شعر الحاكم أنّ سلطته أصبحت، مع برجوان، مسلوبة. فاستدعاه إلى حديقة داره، ودبّر قتله، فكان القاتل رَيدان الصقلبي حاملَ المظلّة. وكان ذلك في ١٦ ربيع الثاني سنة ٣٩٠/نيسان سنة ١٠٠٠م. ثم أقبل الحاكم بنفسه على الجثّة، وطعنها برمحه[١٣]. وانتقلت السلطة كاملة إليه، وبدأ بتعيين معاونيه، فأقرّ كاتبه فهد بن إبراهيم النصراني، ولقّبه بالرئيس، ونصب معه الحسين بن جوهر[١٤]، ولقّبه بقائد القوّاد، وقدّم إليه عبد العزيز بن محمّد بن النعمان[١٥] الذي أصبح قاضي القضاة في مصر كلّها.

بعد ستة أشهر من مقتل برجوان، قتل الحاكم ابنَ عمّار، وكان ذلك في ١٤ شوال/تشرين الأوّل، بعد أن حماه سابقًا من نقمة الأتراك الذين نفّذوا قتلَه، وحملوا رأسه إلى الحاكم[١٦].

---

(١٣) المقريزي،الخطط ٢/١-٥، إتّعاظ، ورقة ٥٤، نهاية الأرب ،٥٢.

(١٤) كان جوهر الصقلبي أشهر قوّاد المعزّ، وهو الذي فتح مصر وبنى القاهرة.

(١٥) عائلة «النعمان» تسلّمت رئاسة القضاة مدة طويلة في الدولة الفاطميّة.

(١٦) خطط المقريزي ٣/٥٨، اتعاظ الحنفاء ٥٦أ.

يعترف حمزة نفسه في «رسالة السيرة المستقيمة» بهذا القتل، فيقول: *«فأمر مولانا سبحانه بقتلهم، فقُتلوا قتْلَ الكلاب. ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب... ثم أمَر بقتل ملوك كتامة وجبابرتها بلا خوف من نسلهم وأصحابهم»*. ثم يعلّق حمزة: *«إنّ هذا القتل لا يتجرّأ أحدٌ من ملوك الأرض على فعله»*. وأيضاً: *«وأمّا أمرُ ملوك الأرض فما يستجرىء أحد منهم على مثل ذلك»*[١٧].

أ – شغف الحاكم بالليل:

واصل الحاكم، طوال أربع سنين (٣٩٠-٣٩٤) النزول إلى مصر متنكّراً. وكان شغفه بالليل من أظهر خواص هذه المرحلة. فكان يعقد مجالسه ليلاً، ويواصل الركوب كلّ ليلة، وينفق شطراً من الليل في جوب الشوارع والأزقّة، مع نفرٍ يسير من خواصّه. وكان يُصدر الأوامر بتعليق المصابيح ليلاً على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحالّ المختلفة في جميع طرقات القاهرة والفسطاط. «فصارت الشوارع والأسواق في الليل بمنزلة النهار».

ويؤكّد حمزة هذه الحالة، فيقول: وكان الحاكم *«يمشي أنصاف الليالي في أوساط ذراريهم بلا سيفٍ ولا سكّين...»*[١٨].

وكان يأمر «بكنس الشوارع والأزقّة وأمام أبواب الدُورِ في كل مكان. فكانت المدينة تبدو في هذه الفترات بالليل كأنّها شعلة مضيئة... وكان يزور كلّ ليلة حيّاً معيّناً، ويشقّ طائفة من الشوارع والدروب، ويقيم الحسبة بنفسه أحياناً، ويستطلع أحوال الشعب وأخبارَه. وكان يركب إلى موضع موضع، وإلى شارع شارع، وإلى زقاق زقاق.

(١٧) رسائل الحكمة ١٢/١٢٦. وكلّ ما هو بخطٍّ ملتوٍ هو من هذه الرسائل.
(١٨) المرجع نفسه.

وأصبحت جميع الأعمال والمعاملات تجري بالليل، وتزدهر مواطن السّمر، وتختلط حياة الجدّ بحياة اللّهو والقصف... وتغصّ بصنوف اللّهو والمرح، وتنفق الأموال الوفيرة في المآكل والمشارب والسماع... وظهرت النساء في المجتمعات بكثرة، واشتدّ تيّار المجون والغواية»[١٩].

وتنقل بعض الروايات انّ الحاكم كان أحياناً يلهو، أثناء طوافه برؤية بعض المناظر المثيرة: «كان الرعايا والرعاع يجتمعون في الأسواق بين يدي الحاكم، فيتصارعون ويتدافعون ويتلاكمون. فاقتضى ذلك وقوع حرب شديد بين أحداث مصر وأحداث القاهرة. وقد حملوا السلاح وأعدّوا آلات الحرب واقتتلوا قتالاً شديدا. وقُتل من الفريقين جماعة كثيرة، وانهزم أهل مصر، وتبعهم أهل القاهرة، وأخذوا ثياب النظّارة، ونهبوا القرافة والمعاقر»[٢٠].

ويؤكّد حمزة هذه الروايات بقوله: ان الحاكم كان يأمر «*الركابيّة باللّعب بالعصي والمقارع... وبالصراع وبالكشف عن الفروج والأحاليل*»، ويأمرهم أن «*يحرقوا فروج بعضهم بعضا بالنار*»، ويقول للواحد منهم: «*أورني قَمَرَك*، يعني *أكشف عن أساسك، وهو موضع يخرج منه القذر... فاذا كشف عن أساسه وأخرج قبله... نجا*»[٢١].

ولكن، لمّا خرج الناس في ذلك عن الحدّ، وبالغوا في اللّهو والإسراف والزينة والمجون، منع الحاكمُ النساءَ من الخروج ليلاً، وعوقب المخالفات بشدّة. ثم منع الرجال من ارتياد الحوانيت والمقاهي، وأبطلتْ بعد ذلك جميع الأعمال والمعاملات ليلاً. وعاد الظلام يخيّم على

---

(١٩) المقريزي، خطط مصر ٣/١٧٦، إتّعاظ الحنفاء، ورقة ٥٦ب...

(٢٠) تاريخ الانطاكي، ص ١٨٥.

(٢١) رسالة «كتاب فيه حقائق ما يظهر... »، رقم ١١ ص١٠٨–١٠٩.

القاهرة بالليل. وشغف الحاكم بالليل وظلماته، حتى لبث مدى حين يؤثر الجلوس في الظلام[٢٢]. و«خلت الطرقات من المارّة وأقفرت الشوارع والميادين بالليل، وغدت القاهرة كالمدينة المحصورة»[٢٣].

٢ - كنائس النصارى

في هذه المرحلة، وعلى حدّ قول الأنطاكي، قبَضَ الحاكم على كتّاب الدواوين من النصارى واعتُقلوا. ثم أُطلقوا بعد أسبوع، بشفاعة طبيبه أبي الفتح سهل بن مقشّر النصراني... وكان النصارى قد شرعوا في تجديد كنيسة قديمة مندرسة بظاهر مصر في الموضع المعروف براشدة، فثار قوم من المسلمين فهدموها وأنشأ الحاكم مكانها مسجداً عظيماً. وهدموا أيضا كنيستين كانتا في جواره... وبناهما مسجدين آخرين... وكان للنصارى حارة بالقاهرة يسكنون بها، فأُخرجوا منها، وهدم ما كان لهم فيها من المنازل مع كنيستين كانتا بها. وعملت جميع الحارة مسجداً واحدا، وسمّاه الأزهر...

ونهى الحاكم عن بيع النبيذ، وأن لا يظهر شيء منه، وكسر جميع ما كان للخمّارين وأصحاب المواخير... وحظّر على النساء كشف وجوههنّ وراء الجنائز، ومنع من البكاء والعويل، وخروج النوائح بالطبل والزّمر على الميت»[٢٤].

(٢٢) مرآة الزمان ٣/ ٤٠١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٧٦.

(٢٣) أنظر النجوم الزاهرة ٤/ ١٧٦: «و أقام الحاكم سنين يجلس في الشمع ليلا ونهارا. ثم عنّ له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدّة».

(٢٤) تاريخ الإنطاكي ١٨٥-١٨٦.

٣ً - القتل بالجملة

يعترف حمزة أنّه ما من *«قبيلة إلاّ وقد قُتل ساداتهم، والرعيّة كلّها أعداؤه في الدين»*، ويقول: *«قد قتل جبابرة الأرض وملوكها... وهذه الأفعال ليس هو فعل أحد من البشر»*(٢٥).

لقد افتتح الحاكم عهده بقتل برجوان وابن عمّار، كما رأينا. وفي أواخر سنة ٣٩١ قتل مؤدّبه أبا التميم سعيد بن سعد الفارقي فيما كان يسامره في مجلسه. وفي المحرم من ٣٩٢ قتل ابن أبي نجدة متولّي الحسبة بعد أن اعتقله وقطع يده ولسانه ثم ضرب عنقه. وفي المحرم ٣٩٣ قتل أبا علي الحسن بن عسلوج وأحرقه، وكان متوليّا شؤون المال. وفي جمادى الأوّل من العام نفسه قتل وزيره فهد بن إبراهيم النصراني الذي تولّى الرئاسة بعد برجوان. وبعد مدّة قتل أخاه أبا غالب وأحرقه بالنار. وأقام مكانه أبا الحسن بن عمر العدّاس، وبعد أشهر قتله وأحرقه بالنار. وقبل ذلك في شهر رجب قتل أبا طاهر بن النحوي متولّي أعمال الشام. وفي أواخر ذي الحجة قتل ريدان صاحب المظلّة.

وفي سنة ٣٩٤ قتل أكثر الأعيان ورجال الدولة. وقد ذكر المقريزي سرداً طويلاً ممّن قتلهم، فكان منهم: ألعسكري منجّمه، وأبو عليّ عسلوج الديباجي، وعلي بن المندوفي الشاعر الأعمى، وإسمعيل بن سوار، وابن أبي خريطة، وابن المغازني المنجّم، وسهل بن كلس أخو يعقوب الوزير، والقائد أبو عبدالله الحسين البازيار... وقتل عدّة من زعماء كتامة، كالمقداد بن جعفر، وعلي بن سليمان، وأخيه يحيى ، وخلف بن عبدالله، وابن سمود، ومحمد بن علي بن فلاح. وغيرهم... وقتل

---

(٢٥) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٨.

أيضا عددا كبيرا من الغلمان والخاصّة والجند والرعيّة.

وفي شعبان من سنة ٣٩٤ عزل الحسين بن النعمان عن منصب قاضي القضاة وداعي الدعاة، وندب مكانه عبد العزيز بن النعمان. ولم تمض أشهر حتى قتله. وعقب ذلك قتل جماعة من الأعيان والعامّة يربو عددهم على المائة، وكان بينهم عبد الأعلى بن هاشم من قرابته[٢٦].

ويؤكّد حمزة هواية القتل عند الحاكم فيعدد أسماء أمثال «*سويد والحمام*» الذين كانا من جملة «الركابيّة»، وكان قتلهما «*عبرة لمن اعتبر*»[٢٧]، وأمثال «*مفرّج بن دغفل بن الجرّاح*»، وكانت ملوك الأرض «*عاجزة عنه*»[٢٨]، وغيرهم. حتى أنّ «*قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم ممّا رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال*»[٢٩].

---

(٢٦) خطط المقريزي ٣/٣٢، ٤/٧٠، النجوم الزاهرة ٤/٢١٢.

(٢٧) كتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا جلّ ذكره من الهزل ١١/١٠٩.

(٢٨) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/١٢٧.

(٢٩) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/١٢٦.

خامساً ـ غرابة الأحكام وسجلات الأمان

(٣٩٥-٣٩٨)

اتّصفت هذه الفترة من حكم الحاكم بإصدار الأحكام الغريبة المدهشة، وبإصدار سجلاّت أمان لمن روعّهم القتل والطغيان، وبثورة أبي ركوة التي قضّت مضاجع الدولة الفاطميّة.

أ- غرابة الأحكام:

في ١٣ المحرم سنة ٣٩٥ أمر الحاكم أن يلبس النصارى واليهود الزنانير في أوساطهم والعمائم السود على رؤوسهم...

وأمر أيضاً أن يكتب على الجوامع والمساجد والحيطان والدروب لعن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم من الصحابة وسائر الخلفاء العبّاسيين. وعظم ذلك على المسلمين المنتسبين الى مذهب السنّة.

ومنع شرب الفقّاع[٣٠] وأكل البقلة الملوخيّة والبقلة المعروفة بالجرجير، وأكل الحنكليس وسائر السمك العديم القشر. وكان متى وجد أحد قد تعرّض لبيع شيء من ذلك أو لابتياعه عوقب وشهّر. وقلّ من نجا منهم من القتل... وحرم ذبح الأبقار السليمة. ولا يذبح إلاّ ما

---

(٣٠) الفقّاع: شراب يتّخذ من الشعير، شبيه بـ«البيرة».

كان ذا عاهة، أو ما لا يصلح للحرث. وقتل سائر ما في مصر من الكلاب، إلاّ كلاب الصيد، فطوردت في كل مكان حتى خلت منها جميع الطرق والدور[٣١]. وتكرّرت الحملة ضدّ الكلاب. وقيل في سبب قتلها أنّ الحاكم كان يسير في ركبه ذات يوم فاعترض مطيّته كلبٌ فوثب عليه وكاد يلقيه على الأرض. وقيل أيضاً أنّها كانت تكثر النباح بالليل وتزعجه في طوافه فأمر بتطهير الطرقات منها[٣٢]. وأمر أيضاً بقتل الخنازير...

وحرّم دخول الحمّام بلا مئزر، وهوجمت الحمّامات تباعاً، وقبض على المخالفين فأدّبوا وشهّروا. وشدّد على النخّاسين وتجّار الرقيق في المنع من بيع العبيد والإماء لأهل الذمّة. ثم أمر بعد ذلك ألاّ يدخل سوقَ الرقيق أحدٌ إلاّ أنْ يكون بائعاً أو مشترياً، وأن يفرز الجواري من الغلمان، وأن يُجعَل لكل منهم يومٌ خاصّ. وحرّم على النساء التزّين والتبرّج، كما حرّم عليهنّ مجدّداً البكاء والعويل والصياح وراء الموتى... وشدّد الحاكم في تنفيذ هذه الأوامر، وعوقب كثيرون بالجلد والإعدام[٣٣].

ولازمت هواية القتل هذه المرحلة أيضا، «فقتل جميع مَن في الحبوس، وبقيت مدّة خالية. وكان متى وقع أحد في تهمة، صغرت أم كبرت، قتله وأحرقه. واستمرّ على هذا الفعل مدّة»[٣٤].

---

(٣١) ابن خلّكان في وفيّات الأعيان ٢/١٦٦، خطط مصر للمقريزي ٤/٦٩-٧٠، تاريخ الإنطاكي، ص ١٨٧.

(٣٢) مخطوط «سيرة البيعة المقدّسة».

(٣٣) إتّعاظ الحنفاء، ورقة ١٥٩أ.

(٣٤) تاريخ الإنطاكي، ص ١٨٧.

٢ ـ سجلات الأمان:

يروى لنا المسبّحي، صديق الحاكم ومؤرخه، أنّ الحاكم أمر في سنة ٣٩٥ بعمل شونة كبيرة[٣٥]. فارتاع الناس، وظنّ كلُّ مَن له صلة بخدمة الحاكم من رجال القصر أنّها أُعدّت لأعدامه؛ وسرت في ذلك إشاعات مخيفة، فاجتمع سائر الكتّاب وأصحاب الدواوين والمتنفّذين من المسلمين والنصارى، في أحد ميادين القاهرة، وما زالوا يقبّلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر، فوقفوا على بابه يضجّون ويتضرّعون ويسألون العفو عنهم، حتى دخلوا القصر ورفعوا إليه، عن يد قائد القوّاد الحسين بن جوهر، رقعة[٣٦] يلتمسون فيها العفو والأمان...

فأجابهم الحاكم على لسان الحسين إلى ما طلبوا، وأُمروا بالإنصراف، وبالمجيء باكراً لتلقّي سجل العفو. وفي اليوم التالي صدر سجلٌ كتبت منه نسخة للمسلمين، وأُخرى للنصارى، وثالثة لليهود، بالأمان والعفو عنهم[٣٧]... ثم اشتدّ الذعر بالغلمان والخاصّة على اختلاف طوائفهم، فضجّوا واستغاثوا وطلبوا العفو والأمان، فأجيبوا إلى ما طلبوا.. وتبعهم بالاستغاثة التجّار وأرباب المهن والحرف...

وتوالت الأمانات لمختلف الطوائف. فصدر أمان للغلمان الأتراك، وصبيان الخاصّة؛ وصبيان الدار، وأصحاب الإقطاعات والمرتزقة والغلمان الحاكمية. وصدر أمان لخَدَم القصر، بعدما اجتمعوا وهرعوا إلى قبر العزيز وضجّوا بالبكاء والاستغاثة... وكتبت عدّة أمانات للديلم

---

(٣٥) ألشونة: مقلبة لامتحان الناس وتأديبهم بأشدّ ما يكون.

(٣٦) الرقعة جمعها رقاع تعني كتابا أو رسالة ترفع الى مقام عال.

(٣٧) اتّعاظ الحنفاء للمقريزي، مخطوط، ورقة ٥٩ ب.

والغلمان والنقباء والروم المرتزقة، وصدرت أمانات لسكّان الأحياء المختلفة ولسائر الطوائف. وقرئت هذه الأمانات ووزّعت على أهلها.

٣ ـ قصّة الخمرة:

في هذه المرحلة تراجع الحاكم عن منع بيع الفقّاع والملوخيّة وأكل الحنكليس وسائر الأسماك التي بلا قشر، وجميع ما كان نهى عنه سابقاً...

وتراجع عن سبّ الخلفاء... وأغضى عن شرب النبيذ، وكان طبيبه أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم بن أنسطاس أشار إليه بشربه. واستدعى الحاكم جماعة من المغنّين وأصحاب الملاهي إلى مجلسه وشرب على غنائهم وخلع العذار معهم وأحسن إليهم. ورجع الحال بالناس الى ما كانوا عليه في السالف.

وبعد مدّة مات أبو يعقوب الطبيب، فرجع الحاكم ومنع شرب النبيذ أشدّ منع، وتشدّد فيه، حتى أنّه منع بيع الزبيب والعسل ومن حملهما. وأحرق منهما، وغرّق في النيل شيئا كثيراً للتجّار بمال عظيم، وكسرت الظروف (الأواني) التي يوعى فيها النبيذ، ومنع من عملها[٣٨].

وهكذا استمرّ المنع حيناً والسماح حيناً آخر إلى درجة من الشذوذ لم نعرف لها مثيلاً في تاريخ البشر.

(٣٨) تاريخ الإنطاكي، ص ١٩٢.

سادساً - ذروة الشذوذ

(٣٩٨-٤٠٨)

مرحلة مثيرة، مليئة بالأحداث المروعة وتصرّفات الحاكم الغريبة، من قتل وحرق ومنع ومراسيم ومغامرات، وحتّى من زهد وانقطاع إلى اللّه...

أ - قصّة قائد القوّاد وقاضي القضاة وأولادهما:

في شعبان سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٩م عزل الحاكم قائد القوّاد الحسين بن جوهر، وعيّن مكانه صالح بن عليّ الروذباري. ولم تمض أسابيع حتى أمره، وصهرَه عبد العزيز بن النعمان، قاضي القضاة، بلزوم دارهما. ثم عفا عنهما... وبعد أشهر صدر الأمر بالقبض عليهما. فاضطربت القاهرة، وأغلقت الأسواق. فأفرج عنهما، وفرّا خارج المدينة. فصدر أمر بالعفو عنهما. وتوالت عليهما كتب الحاكم بالأمان والعودة. وبعد أن استوثقا من الخليفة بالعفو رجعا ودخلا القاهرة في موكب حافل، ومثلا أمام الحاكم، وقرئ سجل أمانهما علناً...

وفي ذات يوم استبقيا بالقصر «لأمر تريده الحضرة»، فجلسا وانصرف الناس. وفجأة قام فقتلهما، وذلك في ١٢ جمادى الآخرة سنة

٤٠١ هـ. ثم عاد الحاكم بعد ذلك واستدعى أولاد القتيلَين، ووعدهم بالجميل، وخلع عليهم... لكنّهم فرّوا إلى الشام واستغاثوا بحاكم أنطاكيّة البيزنطي فسيّر الحاكم إلى والي الشام بوجوب القبض عليهم، فأُخذوا بالحيلة، وقُتلوا، وأُرسلت رؤوسهم إلى القاهرة، سنة ٤٠٣[٣٩].

٢ً - قصص الحاكم مع النصارى

في ليلة عيد الشعانين من سنة ٣٩٨، منع الحاكمُ النصارى من تزيين كنائسهم، وقبض على جماعة منهم بسبب ذلك. وفي رجَب من العام نفسه، صدر سجل بمصادرة الأوقاف وأملاك الكنائس وضمّها إلى الديوان السلطاني. وأحرقت صلبان كثيرة على أبواب الجوامع وفي دار الشرطة[٤٠].

وعاقب الحاكم النصارى، وعلّق جماعة منهم بأيديهم، وأخذ جميع ما كان لهم، ولبثوا أيّاماً معلّقين في برد الشتاء وحرّ الصيف، إلى أن مات عدّة منهم تحت العذاب، ثم أسلم نفر. ثمّ أُطلقوا وعفي عن باقيهم.

وفي سنة ٣٩٩ أمر الحاكم أن يتميّز النصارى في الحمامات من المسلمين بصليبٍ يعلّقونه في رقابهم، وأن يتميّز اليهود بجلجل مكان الصليب. فلبثوا بذلك مدّة ثم زال. وأمر بهدم الكنائس وسلب محتوياتها وقلع آثارها. وأمر بهدم كنيسة القمامة (أي القيامة)، وجاء في الأمر ما يلي: «خرج أمرُ الإمامة إيصال بهدم القمامة. فاجعل سماءها أرضاً، وطولها عرضاً»[٤١]. ثم حرّم ضرب النواقيس، وأمر بنزع الصلبان

(٣٩) الخطط ٣/ ٢٣ و ٢٤، اتعاظ ٦٢ب -٦٤ب، الإنطاكي ص ١٩٩.

(٤٠) الخطط ٤/ ٤١٨، اتعاظ ٦٢أ.

الظاهرة في أبراج الكنائس، وان يمحي النصارى الصليب عن أيديهم وسواعدهم.

وفي سنة ٤٠٠ أمر بهدم دير القصير في الجبل المقطّم مقرّ البطريركية، ونهبِ جميع ما فيه، وفتحِ المقابر، ونبشِ من كان فيها، وأخذِ توابيتها وطَرْح أعضائِهم... ثم عاد وأمر بالكفّ عن فتح القبور، وترك التعرّض للموتى... ثم عاد وأرسل إلى دمياط بهدم كنيسة مرت مريم... وقتل أرسانيوس البطريرك سرّاً عشيّة ٢٢ ذي القعدة سنة ٤٠٠[٤٢].

وأمر في المحرم سنة ٤٠١ أن تؤخذ الذمّة من النصارى واليهود بتغيير الزنانير الملوّنة التي يلبسونها، والاقتصار على لبس الزنانير والعمائم السود. وفي رمضان جدّد التحذير من عمل النبيذ ومن شربه سرّاً وجهراً. وكسر ما عند الناس منه من الجِرار والظروف. وحذّر من استبقاء شيء منه، والتعرّض لعمله والعمل به، وتواعد فيه بشديد العقاب. وكُسر في الطرقات شيءٌ كثير منه. وأحرقت آلات الموسيقى، وأغلقت الملاهي، وحظّر على النصارى تقديم النبيذ في قرابينهم، وصاروا يقرّبون عوضاً عن الخمر ماء قد نقع فيه زبيب أو عود الكرم...

وفي سنة ٤٠٢ أمر بنفي سائر المغنّين وأصحاب الملاهي، فاجتمعوا واستغاثوا إليه وسألوه عفوه. ومنع النساء من الإستحمام في الحمّامات العامّة ومنع ركوبهنّ مع الرجال وخروجهنّ إلى مواضع الفرجة[٤٣].

---

(٤١) مخطوط «سير البيعة المقدسة»، أنظر الإنطاكي ص ١٩٦.

(٤٢) مخطوط سير البيعة المقدسة، الإنطاكي ص ٢٠٢.

(٤٣) الخطط ٤/٧٢، اتّعاظ ٦٣آ، ٦٥ آ،ب، إبن خلّكان ٢/١٦٦.

وفي سنة ٤٠٣ أجبر النصارى أن يعلّقوا في أعناقهم صلباناً من خشب وألاّ يركبوا الخيل، ولا يستخدموا مسلماً... واستبدل في دواوينه النصارى بالمسلمين.. وكثرت الشناعات السيّئة فيهم والأراجيف المفزعة، فاجتمع الأساقفة والكهنة والكتّاب والعمّال والأطباء النصارى، وتوجّهوا إلى قصره في ١٢ ربيع الآخر، وكشفوا عن رؤوسهم من باب القاهرة، ومشوا حفاة باكين مستغيثين إليه، يسألونه العفو والصفح، ولم يزالوا في طريقهم يقبّلون التراب إلى أن وصلوا إلى قصره وهم على تلك الحال... فردّ عليم ردّاً جميلاً... وأخذوا يعلّلون أنفسهم بمنشور يقرأ عليهم لطمأنينتهم، ولكن، لما كان يوم الأحد في ١٥ الشهر، جاءهم أمرٌ بتعظيم الصلبان في أعناقهم، وأن يجعل طولها ذراع وعرضها ذراع..

ونودي إلى اليهود أن يعلّقوا في رقابهم أيضاً أكر خشب من خمسة أرطال إشارة إلى رأس العجل الذي عبدوه سالفاً... فأسلم كثير منهم. ومن لم يسلم أمر بقطع أعضائه وأباح للعبيد ماله وعياله... ولم تزل الطرقات أيّاماً عدّة لم يُرَ فيها يهودي ولا نصراني... وهدّم كل ما تبقّى من كنائس، وأخرج عظام الموتى، ووقد بها الحمّامات، وأحرقت الكتب المقدّسة وحرّم على المكارية المسلمين أن يحملوا على دوابّهم ذمّياً، كما حظّر على الملاّحين المسلمين أن يحملوا في سفنهم ذمّياً... ورسم بأن يحملوا في أعناقهم الأجراس عند دخولهم الحمّامات تمييزاً لهم من المسلمين.. فأسلم من أسلم وهجر منهم إلى بلاد الروم الكثير(٤٤).

وانتهى إلى الحاكم أنّ جماعة من النصارى يتسلّلون الى بلاد

---

(٤٤) الإنطاكي ١٩٥-٢٠٢، اتّعاظ الحنفاء ٦٥-٦٦، الخطط ٤/ ٧١-٧٣... نهاية الأرب ٢٦/٥٦... النجوم الزاهرة ٤/١٧٧-١٧٨... وغيرها.

الروم ويبذلون لأصحاب المراكز والطرقات مالاً حتى يطلقوهم، فأذن لجماعة منهم بسجلّ قرئ بالتوجه إلى بلد الروم بأهلهم وأموالهم وما تحويه أيديهم والتصرّف في ذلك على حسب اختيارهم آمنين مطمئنّين، إحساناً إليهم ورفقاً بهم...»(٤٥).

٣- شهوة القتل:

في هذه المرحلة من التاريخ تزايد الحاكم في القتل لسائر من في دولته، وبذل في رقابهم السيف، وأفرط في ذلك، فاختلّتْ بلاده، وفني رؤساء رجاله، «ولم يكن بقي من رؤساء دولته من له ذكر ونباهة. وكان أمراً فظيعاً لم يُشاهد مثله، ولا جرى في السالف مثله»(٤٦). وأيقن الجميع بالهلكة... ولكن لمّا علم بتلك المخاوف كتب لكل طائفة أماناً...

أمّا في العام ٤٠٠ فقد وقعت مقتلة عظيمة بين الغلمان والخدم، وقُتل جماعة من العلماء السنّيين، وقتل أسامة بن محمد اللغوي، والحسين بن سليمان الإنطاكي النحوي، وقتل رجاء بن أبي الحسين لأنه صلّى صلاة التراويح في رمضان، وقتل الرواة وأصحاب الأخبارعن آخرهم.

وفي عام ٤٠١ عزل الكافي منصور بن عبدون عن النظر في أمورالدولة، وقتله بعد مدّة يسيرة من عزله. وردّ الأمور إلى أحمد بن القصوري في ٤ من شهر المحرّم وقتله بعد خمسة أيام. ونصب مكانه زرعة بن عيسى بن نسطورس النصراني الذي استمرّ في منصبه عامين ثم مرض وتوفي. وكان من الرجال القلائل الذين عصمهم الموت من

---

(٤٥) أنظر تاريخ الإنطاكي ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٤٦) تاريخ الإنطاكي ١٩٤-١٩٧.

بطش الحاكم. ويقول المقريزي: «إنّ الحاكم تأسّف على موته من غير قتْل، وقال: ما أسفتُ على شيء قط أسفي على خلاص ابن نسطورس من سيفي. وكنت أودّ لو ضربت عنقه»[٤٧].

ويذكر التاريخ قصةً دمويّةً مروعة للحاكم مع خادمه غين. كان غين من الخَدَم السُود الذين يُؤثرهم الحاكم بعطفه وثقته، فعيّنه في ربيع الأوّل سنة ٤٠٢ رئيساً للشرطة والحسبة بمصر والقاهرة والجزيرة والنظر في جميع الأموال والأحوال. وعهد إليه بتنفيذ المراسيم الدينيّة والاجتماعيّة مثل مطاردة المسكرات ومنع بيع العسل والفقّاع والملوخيّة، ومنع الملاهي واجتماع الناس في المآتم والسير خلف الجنائز وغيرها... وقرّبه إليه وأحبّه حتى أنّه لمّا مرض ركب الحاكم لعيادته، وسيّر إليه خمسة آلاف دينار، وخسمة وعشرين فرساً...

غير أنّ هذه المظاهر البرّاقة لم تَحُل دون نكبته. وكان الحاكم قد سخط عليه وأمر بقطع يده الثانية، فقطعتْ وحملتْ إلى الحاكم في طبق، وبعث إليه الأطباء للعناية به، ووصله بمالٍ وتحفٍ كثيرة، ولم تمضِ أيّام حتى أمر بقطع لسانه. فقطع. وحُمل إلى الحاكم. ومات غين بعد قليل من جراحه، وكان ذلك في سنة ٤٠٤.

وشملت النقمة أبا القاسم الجرجاني كاتبَ غين، فقد أمر الحاكم بقطع يديه، وأبقاه على حياته، فعاش أقطع اليدين[٤٨].

وفي ربيع الآخر سنة ٤٠٥/ ١٠١٤ قتل قاضي القضاة مالك بن سعيد وذلك عندما كان راكباً مع الحاكم ليلاً كعادته، وفي ركبه عدد من

---

(٤٧) اتّعاظ الحنفاء للمقريزي،ورقة ٦٥ب – ٦٦آ.

(٤٨) اتّعاظ ٦٧ أب، أنظر النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢٣.

الناس. ولم يمض شهر على مقتله حتى قتل الحاكم وزيره الحسن بن طاهر الوزّان، وذلك عندما كان راكباً في موكبه، ولمّا انتهى إلى حارة كتامة خارج القاهرة أمر به فضربتْ عنقه. وفي نفس الوقت قتل عبد الرحيم بن أبي السيّد الكاتب، متولّي ديوان النفقات، وأخاه الحسين متولّي السفارة والوساطة؛ ولم يمض على تعيينهما أكثر من شهرين. ثم تسلّم الوساطة أبو العباس بن الفرات، ثم قتل لأيام قلائل من تعيينه(٤٩).

وأحياناً كان القتل يبدو، في نظر الحاكم، ضرباً من ضروب اللّهو والرياضة. فقد نقل المقريزي عن الحاكم أنّه قتل ذات يوم ركابيّاً بحربة في يده على باب جامع عمرو، وتولّى شقّ بطنه بيده. ونقل إلينا أيضاً انّه كان يقف عادة عند حانوت ابن الأزرق ويحادث صاحبه ويبدي عطفه عليه. وفي ذات يوم أوقفه بين أثنين من الركابيّة ورماه برمح، ثم أضجعه واستدعى سكيّناً فذبحه بيده، ثم استدعى ساطوراً فقذف به رأسه وجسده، ثمّ استدعى ماءً فغسل يده، ثم أمر بعد ذلك بغسْله ودفنه، وأن تعمل له جنازة حافلة، وصلّى عليه قاضي القضاة(٥٠).

وعرض للحاكم يوماً دمّل وتألّم منه، وحضر بعض عوام الأطباء والجرّاحين يتولّى علاجه، ثم قتله، وقتل معه غيره ممّن كان يخدمه في الوقت من الأطبّاء.

وفي أحيان أخرى كان الحاكم يطرب لمناظر المغامرات المميتة. فيروي المقريزي أنّه رسم لجماعة من الأحداث أن يتبارزوا في القفز من موضع عالٍ بالقصر، فمات منهم ثلاثون إنساناً... ودفع لمن نجا منهم

---

(٤٩) المقريزي، مخطوط اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٦٦أ، ٦٨ب، ٦٩أ.

(٥٠) المرجع نفسه، ص ٧٠-٧١أ.

مالاً[٥١]. ويروي أيضاً: «إنّ القائد فضل بن صالح دخل يوماً على الحاكم بالقصر، فرآه بين يديه صبي مليح ابتاعه بمائة دينار، وقد ذبحه بسكّين في يده، واستخرج أحشاءه وأخذ يقطّعها، فارتدّ الفضل إلى منزله مذعوراً. ولم تمض ساعة حتى أنفذ اليه من يقتله»[٥٢].

وفي الرواية أيضاً أنّ الحاكم لقي ذات مساء عشرة من الناس سألوه الإحسان، فأمر أن ينقسموا إلى فريقين يتقاتلان حتى يغلب أحدهما فيُنعم عليه. فتقاتلوا حتى فني منهم تسعة، وبقي واحد، فألقى إليه الدنانير. فلمّا انحنى ليأخذها عاجله بالقتل[٥٣].

وهكذا استمرّ الحاكم بالفتك بالزعماء ورجال الدولة من الوزراء والكتّاب والموقّعين والعلماء ورجال القصر من الأساتذة والخَدَم ومَن إليهم من الحشم حتى أباد معظمهم. هذا عدا مَن قتل مِن التجّار والصنّاع والكافّة، خلال هذه الأعوام الرهيبة وهم ألوف عديدة[٥٤]. وتقدّر الرواية المعاصرة ضحايا الحاكم بثمانية عشر ألف شخص، من مختلف الطبقات[٥٥].

٤ – الحجر على النساء:

في هذه الحقبة من تاريخ الحاكم صدر أمر بأن يَلزَمَ النساء منازلهنّ. فمنع من خروج الحرائر منهنّ والإماء من الشباب والعجائز

---

(٥١) اتّعاظ الحنفاء للمقريزي، ورقة ٥٩ب.

(٥٢) مخطوط «سير البيعة المقدسة»، اتّعاظ الحنفاء للمقريزي ٦٠

(٥٣) مخطوط «سير البيعة المقدّسة»، أنظر الخطط واتّعاظ الحنفاء.

(٥٤) نهاية الأرب ٢٦ / ٥٢,٥٣، تاريخ الإنطاكي، ص ٢٠١.

(٥٥) المخطوط الكنسي: «سيرالبيعة المقدسة».

إلى الطريق والظهور بوجه من الوجوه. وحذّر عليهنّ في ذلك أشد تحذيراً. وإذا دعت الضرورة إلى حضور غاسلة أو قابلة لمن تموت أو لمن تلد أو غيرها ممّن تسافر وتضطرّ الخروج من منزلها استؤذن في ذلك برقعة ترفع إليه، فيوقّع على ظهرها بخطّه إلى متولّي الشرطة فيندب مَن يثق به إلى أن تخرج المرأة المستطلعة من موضعها إلى حيث مقصدها.

وأصدر أمراً للأساكفة بمنعهم من عمل أخفافٍ للنساء. وحاول النساء التظلّم من هذا القرار، وذهب الكثيرات منهنّ إلى القصر متظلّمات، فلم يفزنَ بطائل. وعوقب كثيرات بالضرب والحبس والموت.

في عام ٤٠٥ شدّد عليهنّ أكثر فأكثر. فمُنِعْنَ من التطلّع من النوافذ والطيقان. وأمر الباعة أن يحملوا السلع والأطعمة ويبيعونها لهنّ في المنازل، وأن يحمل الباعة أداةً، كالمغرفة، لها ساق طويل يُمَدّ إلى المرأة وهي من وراء الباب، وفيه ما تشتريه، فتتناوله وتضع مكانه الثمن. ولا يسمح مطلقًا أن تبدو من وراء الباب[٥٦].

وقد كان من قبل ذلك أخرج من قصره جماعةً من حظاياه وأمّهات أولاده مع كثرة شغفه بالجماع، وغرّق بعضهنّ في صناديق اتّخذها لهنّ وسمّرت عليهنّ وثقّلت بالحجارة وألقيت في النيل. وأخذت السيّدة «ستّ الملك»، أخت الحاكم، أمّ وَلدِه عليّ (الظاهر) خوفاً عليهما منه. وبقيا في قصرها بعيدَين عنه إلى حين «فقْدِه».

وعانى النساء هذه الشدّة سبعة أعوام حتى وفاة الحاكم. وزاد في صرامتها الشدّةُ في تنفيذها وروعة العقابات التي سنّت لمخالفيها.

---

(٥٦) أنظر: الإنطاكي، ص ٢٠٨، ابن خلّكان ٢/ ١٦٧، الخطط ٣/ ٧٣، اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٦٥ و ٦٧ب و ٦٨أ، ابن الأثير، ٩/ ١٠٩...

٥ – زهد الحاكم وتصوّفه:

في هذه الفترة لم ينقطع الحاكم عن مواصلة الركوب ليلاً ونهاراً. واقتصر في ركوبه على نفرٍ يسير من خاصّته. وكان يقصد جبل المقطّم وصحراء الجبّ، ويختلي للعبادة... وربّى شعره إلى أن طال ونزل على أكتافه، وامتنع من تقصيصه ومن تقليم أظافره. وغيّر الثياب الصوف البيضاء بثياب سوداء، وكذلك العمامة. وصار يلبس الكسوة الواحدة المدّة الطويلة إلى أن تتلبّد بالعرق والغبار والوسخ. «وقد يرتدي أحيانا جبّة مرقّعة من سائر الألوان»(٥٧).

وزادت أظافيره فشبّهت مخاليب العقاب، وطال شعره كالأسد. وقيل أيضاً أنه أضرب عن دخول الحمّام مبالغة في الخشونة والتقشّف(٥٨)

٦ ـ زهد وفحش معاً:

وقيل أيضاً أنّه «كان يلبس جبّة الصوف ويركب على حمار أشهب، يسمّى القمَر، ويطوف في أسواق مصر (أي الفسطاط المعروف الآن بمصر القديمة) والقاهرة، ويباشر حسبة البلد. وكان معه عبد أسود طويل عريض يمشي في ركابه، يقال له «مسعود»، يفعل به الفاحشة العظمى، وهي اللّواط، فيفعل به على دكّانه، والناس ينظرون إليه حتى يفرغ من ذلك والحاكم واقف على رأسه»(٥٩).

---

(٥٧) «سير البيعة المقدسة»، الإنطاكي ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٨.

(٥٨) الإنطاكي ١٩٢، ٢٠٧، مرآة الزمان ٤٠١، النجوم الزاهرة ٤/١٧٦.

(٥٩) أبن أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١/٥٣، مطبعة بولاق ١٣١١ هـ.

وفي إحـدى جـولاته في شـوارع القـاهرة ليـلاً «عنّ له رأيٌ من السخف ينافر مـا تظاهر به من الزهد، وهو أن يقصد أحد أسـواق مصر في الليل، ويتقدّم إليه شيخٌ خليع يُعرف بالرجّـاج من السفساف، فيقول له الحاكم: «أرني قَـمَرَك»، فـيكشف عن فَقْحَـتِه. ويرسم الحـاكم لبعض ركابـيته مـن السودان أن يُبـرِزَ إحْلِيلَه ويأتيه بمشـهدٍ منه ومن الجـمع الحـاضـر... فـيصـرخ الشـيخ من الألم ويـطلب من الحـاكم الرفقَ به، فيضحك الحاكم من ضجيجه، ويطرب له. ولبث على هذا الحال مدّة»[٦٠].

واعتلّ الحاكـم وضعف عن الركوب فاتّخـذ له محفّة يجلس فـيها ويستلقي عليـها، ويحملهـا أربعة من الركابيّـة الذين اصطنعهم، ويدور الليل والنهار. فلمّا تماثل من مرضه وتراجعت قوّته، عاد...»[٦١]

٧ - شهادة حمزة:

هذه التصـرّفات الغريبة لم تغب عن حـمزة، بل عرفهـا، ودوّنها، واعترف بها. لكنّه يرى لها تعليلاً وتأويلاً توحيديّا إلهيّاً بعيدَ المعنى.

فهو يقرّ بغرابتها، فيقول: «*يشاهدون منه (من الحاكم) ما لا يجوز أن يكون من أفعال أحد من البشر، ولا سمع به في التواريخ والسير*»، ويردد اعترافه بغرابتها مرّات عديدة[٦٢]. وهو يرى فيـها «*حكمة بالغة*»[٦٣]، ويلوم الناس لأنّهم «*لم يعرفـوا بأنّ أفعال مولانا جلّ ذكـره كلّها حكمة بالغة، جِـدًا كان أم هزلاً*»[٦٤]؛ و«*لو نظروا إلى أفعال مولانا جلّ ذكره بالعين الحقيقيّة وتدبّروا إشارته بالنور الشعشعاني، لبانتْ لهم*

---

(٦٠) تاريخ الإنطاكي، ص ٢١٧.

(٦١) تاريخ الإنطاكي، ص ٢١٧.

(٦٢) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩...

(٦٣) كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل ١١/ ٩٨.

(٦٤) المرجع نفسه.

الألوهيّة والقدرة الأزليّة... وعلموا الحقيقة المحض في جِدّه وهزله»[٦٥].

ويعترف أيضاً بكلّ ما جاء في التواريخ من أخبار الحاكم، فيقول: «*كان المولى جلّت قدرته يخرج أنصاف الليالي إلى صحراء الجب، وليس معه غير الركابيّة.. وكان المولى جلّ ذكره يركب كلّ يوم وليلة، ويخرج العتمةَ من القاهرة، ويدخل صحراء الجب ناحيةَ الجبل... ومن رسوم مولانا جلّ ذكره الركوب في الهاجرة والمسير في الرمضاء وفي الشتاء...*»[٦٦].

ثمّ يعترف بمرض الحاكم وعلّته وينكره في الوقت نفسه[٦٧]، كما يقرّ «*بتربية الحاكم شعرَه ولباس الصوف وركوب الحمار بسروج غير محلات، لا ذهب ولا فضّة*»[٦٨]، ويعترف بأنّ الناس كانوا يرونه في «*وقوفه في الصوفيّة واستماعه لأغانيهم والنظر إلى رقصهم*»، وأنّه كان يراه ينظر «*إلى لعب الركابيّة بالعصي والمقارع*»، ويقصّ علينا «*ما ذكره الركابيّة من ذكر الفروج والأحاليل*... وقوله: *أرني قَمَرك*»[٦٩]. واعترف بهاء الدين أيضاً بأنّ الحاكم، قبل غيبته، «*تظاهر بلباس السواد سبع سنين، وتربيته الشعر سبع سنين، وسجن النساء سبع سنين، وركوب الأتان سبع سنين*»[٧٠].

هذه كلها غرابات دوّنها حمزة «*لتعتبروا وتفتكروا... وهي فعل قادر على الأشياء كلّها، وخالقها، العالم بما خفي. ما هو شيء يستعظم للمولى سبحانه*»[٧١].

---

(٦٥) المرجع نفسه ١١/٩٨-٩٩.
(٦٦) رسالة ١٢/١٢٧.
(٦٧) المرجع نفسه ١٢/١٢٨.
(٦٨) كتاب فيه حقائق...١١/٩٩-١٠١...
(٦٩) المرجع نفسه ١١/١٠٩.
(٧٠) رسالة الجزء الأوّل من سبعة أجزء ٤١/٣١٩.
(٧١) السيرة المستقيمة ١٢/١٢٨.

سابعاً - نشأة الدرزيّة

(٤٠٨-٤١١)

في أوائل سنة ٤٠٨/١٠١٧، ظهر في القاهرة ثلاثة رجال أعاجم، وتبعهم آخرون، عرفوا شخصيّة الحاكم، وطموحاته، واضطراباته المرضيّة؛ وشعروا عنده ميلاً عميقاً إلى اعتبار نفسه فوق البشر، ورأوا فيه دعوى آبائه وأجداده إلى الألوهة، «وهو أنّهم آلهة، حلّوا على الأرض في أشباح بشريّة، ومن العليّ لهم نور لاهوتيّ حالّ فيهم، ويظهر في كل عصر وزمان في صورة شخص من الأشخاص البشريّة، وأنّ الدنيا وملوكها كلاً عليهم، وأنّهم بين العالم لا يستأهلهم»[٧٢].

واعتبروا تصرّفاته الشاذّة و«شدّة سطوته وتسرّعه إلى سفك الدماء، وأنّه لا يبقى على مَن صغر ذنبُه وقلّ فضلاً عمّن عظم جرمه وجلّ»[٧٣]، ورأوا أحكامه المدهشة والمتناقضة، مثل «إقامة العدل وإسقاط المكوس والرسوم الجائرة والهبات والعطايا الجزيلة»[٧٤] من جهة، ومن أخرى تسرّعه بسفك الدماء ولعنه الصحابة ونبشه لقبورهم وتهديم الكنائس وحجره على النساء... أدلّة على كونه من غير أصناف البشر.

---

(٧٢) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢٠.

(٧٣) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٧٤) المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

ولمس هؤلاء الدّعاة أنّ كثيرين من عامّة الناس «انخدعوا له، وانحرفوا إلى متابعته، وتنافسوا في موالاته، ونسبوا كل قبيحة يأتيها من القتل والسخف وغيرها من الأعمال الذميمة إلى أجمل وجوهها، وتأوّلوا فيه ضروباً من جنس التأويل، واحتجّوا بأنّ جميع ما فعله أسرار خفيّة وأغراض غامضة، لم يجعل للبشر الوقوف عليها، ولا الوصول الى معرفة أسبابها»(٧٥).

هذه المشاهدات الغريبة حدتْ بهؤلاء الرجال إلى استغلال الأمر على أحسن ما يمكن، فاتّفقوا جميعاً، وهم: حمزة بن علي بن أحمد الزَّوزني المعروف باللّباد، وحسن بن حيدرة الفَرغاني المعروف بالأخرم، ومحمّد بن إسمعيل الدَّرَزي المعروف بنشتكين، على الدعوة إلى ألوهيّة الحاكم... ولم ينكر الحاكم دعواهم، و«استجاب كثير من الرعاع»(٧٦) إليهم، وأُوهم الحاكم أنّ كثيراً من أهل مصر يعتقدون فيه اعتقادهم(٧٧).

وكان الدَّرزي، على ما يبدو، أسبق الدّعاة إلى نشر الدعوة الجديدة، حتى انتسبتْ إليه، وتسمّت باسمه(٧٨). و«تزايد أمر الدرزيّة إلى أن لعنوا آدم ونوح وجميع الأنبياء ومحمّداً وعليّاً، وتغوَّطوا في المساجد، ولطّخوا القبلة بالقذر، وَبَالوا على مصاحف القرآن»(٧٩). وكان الحاكم قد قطع الصلاة والخطبة في الجوامع، وعطّل الحجّ إلى مكّة، وقطع عن الكعبة كسوتها... ممّا أثار حفيظة المسلمين الذين «عملوا أشعاراً يكفّرونه

---

(٧٥) تاريخ الانطاكي، ص ٢٢٢.

(٧٦) المرجع نفسه، ص ٢٢٣.

(٧٧) سيأتي الكلام على هؤلاء الدعاة بالتفصيل.

(٧٨) يختلف المؤرخون فيمن من هؤلاء الدعاة كان أوّل من بدأ بالدعوة.

(٧٩) تاريخ الإنطاكي، ص ٢٢٤.

فيها. وترنّموا بأغاني تتضمّن شتيمة له، وألفاظاً قبيحة يشيرون بها إليه... فازداد غضباً عليهم»[٨٠].

وراح في شهر ذي القعدة سنة ٤١٠ يفرّق على العبيد السودان من العسكرية سلاحاً، وأوعز إليهم بالنزول إلى مصر، وأن يتعمّدوا حرقها وسبيَ حريم أهلها وأولادهم ونهب أموالهم، فبدأوا في طرح النار في طرف مصر، ونهبوا، واعتدوا على أهراء القمح والحوانيت، وأسروا خلقاً من النسوان وافترسوهنّ. وهرب جماعة منهنّ إلى الجامع تحرّماً به، فلم يحمِهم. ونهبوا مواضع كثيرة من مصر، وأحرقت النار شطراً كبيراً من البلد، ولم يتجاسر المصريون على إطفائها، خوفاً من أن يجري عليهم ما هو أشدّ وأعظم.

وانتهى إلى الحاكم عظم الحادثة من الحريق والنهب والأسر، فأمر «عادي» الخادم الصقلبي بالنزول إلى مصر في جماعة من الجند ليسكّن الفتنة، فنزل وشاهد أمراً فظيعاً وحالة قبيحة، فعاد إلى الحاكم، وشرح له قبح النازلة وعظم الحادثة، وقال له في جملة كلامه: لو انّ باسيل ملك الروم دخل مصر لما استجاز أن يفعل بها مثل هذا. فنقم عليه الحاكم وقتله. فاستغاث المصريون إليه في العفو والتقدمّ بإطفاء النار لئلا تهلكهم[٨١]؛ فلم يلقوا عنده أذناً صاغية؛ ولم تخمد نار الفتنة.

وراح الحاكم، لكي يخفّف عنه وعن دعاته سخط المسلمين، يتقرّب من النصارى، فأمر ببناء ما تهدّم من الكنائس والأديرة، وكتب إليهم الأمان تلو الأمان. وفي السنة التالية «لقيه أنبا سلمون، رئيس دير

---

(٨٠) تاريخ الإنطاكي، ص ٢٢٥.

(٨١) المرجع نفسه، ص ٢٢٥-٢٢٨.

طورسينا، وشكا إليه سوءَ حالة الرهبان وما هم عليه من الضرّ والفاقة، وتوسّل إليه في إطلاق الأوقاف... فأجابه إلى ذلك... ثم استأذنه بتجديد عمارة دير القصير، وعودة الرهبان إليه، واجتماع النصارى فيه، للصلاة، فأذن له بذلك، وخصّص ما يجب له من نفقات من بيت المال، وكتب الحاكم بذلك للأنبا سجلاً»[٨٢]... وتبعه سجلات. جاء في أحدها:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله ووليّه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين، إبن الإمام العزيز باللّه أمير المؤمنين، لجماعة النصارى بمصر، عندما أنهوا إليه الخوف الذي لحقهم والجزع الذي هالهم فأقلقهم... فأنتم جميعاً آمنون بأمان الله عزّ وجلّ وأمان نبيّه محمّد خاتم النبيين وسيّد المرسلين صلّى اللّه عليه وسلّم وعلى آله الطاهرين، وأمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام اللّه عليه، وأمان الأئمة من آباء أمير المؤمنين سلام اللّه عليهم. هذا على نفوسكم ودمائكم وأولادكم وأموالكم وأحوالكم وأملاككم وما تحويه أيديكم أماناً صريحاً ثابتاً وعقدًا صحيحاً باقياً، فثقوا به، واسكنوا إليه»[٨٣].

إلاّ أنّ لجوءَ الحاكم إلى استعطاف النصارى زاد الطينَ بلّة فازداد المسلمون غيظاً وسخطاً، ولاحقوه حيثما رحل، ولاحقوا دعاته، وشنّعوا عليه ميله إلى النصارى، ومشاركته رهبانهم بلبس الصوف، وسخائه عليهم ببذل المال من بيت مال الدولة، وتردّده الكثير إلى دير القصير. ولكثرة ميله إليهم «كان، في كثير من الأيام، في نفوذه إلى البرّيّة، يقصد دير القصير، ويشاهد عمارته، ويستحثّ الصنّاع على الفراغ منه، وأطلق له دنانير تُصرف في النفقة عليه. ودفع أيضاً إلى الرهبان المقيمين فيه

---

(٨٢) تاريخ الإنطاكي، ص ٢٢٨.

(٨٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

دنانير. ورسم لهم مساعدة البنّائين لتروج عمارته. وكان يعدل أيضاً إلى ديارات جدّدها اليعـاقبة في ناحية القرافـة. وإذا أراد الدخول إلى الجبل والطلوع إلى دير القصـير، أو غيـره من الأديرة، تتأخر الركـابيّة عنه... ويمضـي وحده»[٨٤]. إلى أن اختفى.

(٨٤) تاريخ الإنطاكي، ص٣٣٣.

ثامناً - نهاية الحاكم

(١٠١٧/٤١١)

«كان مصرع الحاكم بأمر اللّه، أو بالحري، كان اختفاؤه، من أعجب مآسي التاريخ وأشدّها غموضاً... وكان اختفاء الحاكم، كحياته، لغزاً مدهشاً، بل كان ذروة الخفاء والرّوع. وما زالت قصّة هذا الإختفاء وظروفه، وحقيقة عوامله، مثار الريب والجدل»[٨٥]. على هذا الخفاء، تضاربت آراء المؤرّخين والرواة، واختلفوا أشدّ اختلاف:

أ - مؤامرة سياسيّة:

فمنهم من يعتقد بأنّ الحاكم ذهب ضحيّة مؤامرة سياسيّة، و«لكن من دبّر هذه المؤامرة؟ ومن قام بتنفيذها؟ وكيف نفّذت؟ وأين ذهبت جثّة الحاكم؟! هذه أمور يحيط بها الخفاء والريب»[٨٦].

وحجّة هذا الرأي أنّ «ستّ الملك»، أخت الحاكم، التي كانت تخشى أن تضطرم الثورة فتدكّ «عرش الحاكم، ومستقبل الأسرة كلّها، وينتهي عصر المجد والسؤدد في غمر الدماء والشقاء والذلّة، وكان الحاكم من

(٨٥) محمّد عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ص ٢١١.
(٨٦) المرجع نفسه، ص ٢١٢.

جانبه يحقد على ستّ الملك... وكان يشدّد عليها الحجر والمراقبة، وينعي عليها سوءَ مسلكها وفضائحها الغراميّة، ويتّهمها بتناوب العشّاق عليها، وأنّه هدّدها بإنفاذ القوابل إليها لاستبرائها، فكانت لذلك تخشى بطشه وفتكه»[٨٧].

أمّا من نفّذ الجريمة فتقول بعض الروايات بأنّ ستّ الملك اختارت سيفَ الدولة الحسين بن دوّاس زعيمَ كتامة أشدَّ الناقمين على تصرّفات الحاكم، وفاوضتْه بالأمر، فلبّى نداءها، وتعهّد بالتنفيذ. وعهد ابنُ دَوّاس بالتنفيذ إلى عَبدَين من أخلص عبيده، وزوّدتْهما ستّ الملك بسكّينَين ماضيَين، ووهبتْهما مالاً وخيلاً.. وقصد العبدان صحراء الجبّ، عند جبل المقطّم، حيث كان الحاكم، بحسب عادته، يقصد الخلوة فيه.

وفي ليلة الإثنين ٢٧ شوّال سنة ٤١١، أي: ١٣/٢/١٠٢١م، انقضّ العبدان عليه، وطرحاه أرضاً، وقتلاه، وقطّعا ذراعيه، وشقّا جوفَه، واستخرجا أمعاءَه، وحملا أشلاءه إلى ابن دوّاس... فرافقهما ابنُ دوّاس إلى ستّ الملك وسلّمها الجثّة... ودعتْ، حالاً، كبيرَ الوزراء «خطير الملك أبا الحسين عمّار بن محمّد»، وأمرتْه بالكتمان والطاعة، وباستدعاء وليّ العهد «عبد الرحيم ابن الياس»[٨٨] من الشام، الذي دبّرتْ له، هو الآخر، مهلكةً في طريقه، لكي لا يكون على الخلافة إلاّ علي ابن الحاكم. فتمّت البيعة فعلاً لأبي الحسن علي، وأُعلِن خليفة مكان أبيه باسم «علي الظاهر». وذلك في اليوم العاشر من شهر ذي الحجّة ، أي بعد أحد وأربعين يوماً من اختفاء الحاكم. وكان عمر «الظاهر»سبع عشرة سنة.

---

(٨٧) إبن خلدون ٤/٦١، اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٦٩ب، عنان ص ٢١٣.

(٨٨) وهو ابن عمّ الحاكم. كان قد عيّنه الحاكم وليّا للعهد سنة ٤٠٤ هـ. يلعنه الدروز.

واستدعتْ «ستّ الملك» ابنَ دوّاسْ، وكان يعتقد أنّه غدا أعظم رجل في الدولة، ولـكنّه لم يحظ المسكـين إلاّ بقطع رأسـه. وكـذلـك كـان حظّ العبدَين، والوزير «خطير الملك»، وكلّ مَن علم بـسرّ الجريمة. وخلا الجوّ لها ولابـن أخيهـا الخليفـة الظاهر[٨٩]، الذي أقام الأرض وأقـعدها على الدروز. وهم يلعنـونه إلى الأبد، وينكرون عليـه انتـسـابَه إلى الحـاكم، ويدعونه بـ «الدجّال الأعظم،» و«دجّال الدجاجلة»...

٢ - ثار شخصي:

ومن الرواة مَن يجهد في تبـرئة «ستّ الملك»، ونفي الجريمة عنها. فالمقريزي، أعظم مؤرّخي مصر الإسلاميّة، وعنه أخذنا كثيراً، بالرغم من أنّه ينسب التهـمة إليها في اتّعـاظ الحنفاء[٩٠]، يعود فينفي الاتّهـام. فهو ينقل عن المسـبّحي، مـؤرّخ الدولة الفاطمـيّة، ووزير الحـاكم وصديـقه، ويقول: «في المحرّم سنة ٤١٥/ ١٠٢٤، قُـبض على رجلٍ من بني حسين، ثار بالصعـيد الأعلى، فـأقرّ بأنّه قتل الحـاكم بأمر اللّه في جـملة أربعة أنفس تفرّقوا في البلاد. وأظهـر قطعة من جلدة رأس الحاكم، وقطعة من الفوطة التي كـانت عليه! فقـيل له: لِمَ قتلتَه؟ فـقال: غيـرة للّه وللإسلام. فقيل له: كيف قـتلتَه؟ فأخرج سكّيناً ضرب بها فؤادَه فـقتَلَ نفسَه، وهو يقول: هكذا قتلتُـه.. وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحـاكم، لا ما تحكيه المشارقة في كتبهم من أنّ أخته قتلته»[٩١].

---

(٨٩) أنظر: النجـوم الزاهرة ٤/ ١٨٥، عـيـون المعـارف للقـضـاعي ١٨١-٢، الذهبي في وفيّات سنة ٤١١،ص ٢٢، مرآة الزمان ٤٠٥-٤٠٨، ابن خلّكان ٢/١٦٧، ابن الأثير ٨/ ١٠٨، اتعاظ الحنفاء ٦٩ب-٧٠أ، أخبار الدول المنقطعة ٢٥٨، نهاية الأرب ٢٦/٥٨...

(٩٠) اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٦٩بو ٧٠أ.

(٩١) خطط مصر للمقريزي، ج٤ ص ٧٤.

٣ - رواية الاختفاء المقصود:

ومن الرواة من يأخذ بفكرة اختفاء الحاكم عمداً. وهو رأي كتاب «سِيَر البيعة المقدسة»، المخطوط الكنسي في ترجمة «الأنبا زخاريا»، البطريرك القبطي المعاصر للحاكم. تقول الرواية: «إنّ الحاكم خرج إلى الجبل ذات ليلة، وسار في الجبل، ومعه ركابي واحد، إلى أن بلغ "حلوان". ثم نزل عن حماره، وأمر الركابي أن يُعَرْقِبَه، ففعل. ثم أمره بالانصراف إلى القصر، وتركه بمفرده. فعاد الركابي كما أُمر. فلمّا لم يعد إلى القصر في اليوم التالي، سأل رجالُ القصر هذا الركابي عن سيّده، فأجابهم بأنّه تركه في "حلوان"، وعاد وحده نزولاً على رغبته. فمضوا في طلبه، فوجدوا الحمار معرقباً، وبحثوا عن الحاكم في كلّ موضع فلم يجدوه، ولم يقفوا له على خبر أو أثر»[٩٢].

٤ - ترهّب الحاكم:

ومن الرواة أيضاً من يقول: «إنّ كثيراً من الناس اعتقدوا، حين اختفاء الحاكم، بأنّه لجأ إلى مكانٍ بالصحراء، واعتنق النصرانيّة. ثمّ ترهّب، وقضى أيّامه هناك». ويضيف «ابن العبري»، صاحب هذه الرواية، بأنّه، حينما كان بدمشق، سمع بعضَ كتّاب الأقباط يقولون: إنّ الحاكم، حينما اشتدّ في مطاردته النصارى، ظهر له المسيح، كما ظهر لبولس الرسول، فآمن به، وتوارى سرّاً في الصحراء حتى توفّي»[٩٣].

---

(٩٢) أنظر أيضاً : تاريخ الكنائس المنسوب الى أبي صالح الأرمني، ص ٥٢ب.

(٩٣) تاريخ ابن العبري السرياني؛ انظر «سلفستر دو ساسي «الجزء الأول ص ٤١٧ من كتابه «عرض ديانة الدروز» (بالفرنسيّة).

هـ – الدرزيّة و«غيبة الحاكم»:

يقول حمزة بـ «غـيبة» الحاكم، وبفقده، واخـتفائه، وبأنّه لم يمت ولم يُقتل، بل أراد امتحان دعاته والمنتمين إلى دعـوته، فارتفع عنهم إلى السماء، وسيعود يوماً ليملأ الأرضَ عدلاً، ويدين البشر كافّة[٩٤].

ولكن، هل يكون حمزة وأعـوانه من الدعاة، هم الذين دبّروا فكرة الغـيبة؟ ويـكونون، بالتالي، هم الذين قـتلوه! أو اشتـركوا في قـتله؟ أو أقنعوا الحـاكم بأن يختفي؟ أو أجـبروه على ذلك؟ بحجّـةِ أن يتمكّنوا من تقويةِ دعوته ومن التدليل على ألوهيّته؟

أسئلة تخطر على البال. وقد لا تكون بعيدة كلَّ الـبعد عن الحقيقة، وعن جرأة حـمزة وأصـحابه، الذين كـانوا أهلاً لكل اجتـراء، وهم الذين اجتـرأوا على تأليهـه، وعلى سفك الـدماء البريـئة، وعلى سبّ الأنبـياء، وعلى نبش قبور الأولياء، وعلى نقض دعائم الأديان كافّةً.

مهما تكن الأسباب فإنّ اعـتمادَنا، في تحليل العقيدة الدرزيّة، على حمزة وتعاليمه هو الذي يهمّنا ونأخذ به. وقد لا تفيدنا النظرة التاريخيّة الخالصة شيئاً كبيراً في اكتشاف للدروز من عقائد وتعاليم.

---

(٩٤) لنا عودة الى هذه العقيدة في كلامنا على اليوم الأخير عند الدروز.

الفصل الثاني

ألوهية الحاكم

أولاً - نزعة التأليه في التاريخ

ثانياً - معجزات الحاكم الإلهيّة

ثالثاً - التوحيد



أولاً - نزعة التأليه في التاريخ

«مـا كان في العـالم من حـماقـة فـذاك ما اخـتـاره اللّه ليخـزي الحكماء... إنّها حكمة لم يعرفـها أحد من رؤساء هذه الدنيا»[١]. وقد ورد في الكتاب: «سأبيد حكمة الحكماء وأزيل ذكاء الأذكياء»[٢].

هذا الكلام ليس لحـمـزة بن علـي مؤسّـس الدين الدرزي، بل هو للقـديس بولس، رائد الفـكر المسـيحي. فـحـمـزة، أمـام جنون الحـاكم، كالقديس بولس، أمام المسيح الإله المصلوب. مثله، يأخذ على الناس الذين «لم يعرفـوا بأنّ أفعال مولانا، جلّ ذكـره، كلّها حكمة بالغـة، جِدًا كان أم هزلاً. يُخرج حكمـتَه ويُظهرها بـعد حين... ولو نظروا إلى أفعـال مولانا، جُلّت قدرتـه، بالعين الحقيـقيّـة، وتدبّروا إشاراتِه بالنور الشـعشـعاني، لبانت لهم الألوهيّة والقدرة الأزليّة»[٣].

فدعوة حـمزة إلى تأليه الحـاكم لم تكن أمراً مستـحدَثاً في تاريخ البشريّة، ولا في تاريخ الإسلام. ولم يكن حـمزة ليتجرّأ على إطلاق هذه الدّعوة لو لم يكن له في العصور الخالية مثيل.

---

(١) الرسالة الأولى الى أهل قورنتس١ / ٢٥،٢٧،٢، ٨/٢.

(٢) سفر المزامير ٣٣ / ١٠، ١ قورنتس ١ /١٩.

(٣) كتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا جلّ ذكره من الهزل،١١ /٩٨-٩٩.

١. ظاهرة التأليه هذه عاشتها مصر الفرعونيّة، قبل حمزة بآلاف السنين، ورأت في ملوكها «ظلّ اللّه على الأرض»، فبنتْ لهم الصروحَ الضخمة والمقابر الفخمة. وكرّمهم الناس، وسجدوا لهم، وعبدوهم. واستمرّت هذه الظاهرة قروناً مديدة. واعتقد المصريّون «أنّ الإله المحلّي يظهر لعباده في شكل واضح جليّ. فكما أنّ روح الإنسان تأوي جسده الظاهر، كذلك يتّخذ الإله له مأوى خاصًا يكون فيه مظهرًا له... وادّعى الفراعنة أنّهم خلفاء الآلهة على الأرض، وزعموا أنّهم تقمّصوا أرواحهم»[٤]... وتسمّى أحد الملوك باسم أخناتون الذي «ادّعى الألوهة»[٥].. وفي عهد الإغريق، أصبح الأبطال والحكماء في مصر من زمرة الآلهة. فكان لهم قبورٌ يحجّ إليها العابدون، ويقدّسونها[٦].

٢. وكانت النزعة التأليهيّة نفسها في بلاد فارس شديدةَ المراس. بل أصبحتِ أبّان العهد الساساني (٢٢٤-٦٥١م) على أشدّها. «ولقد لقيتْ نظريّة الحقّ المَلَكي المقدس قَبولاً عند الخلفاء الفاطميين، وأصبح الإمام في نظر الناس ظلَّ الله في الأرض، كما أصبح شخصاً مقدّساً. وقد استمرّت فكرة تقديس الخلفاء الفاطميين رائجةً في مصر»[٧].

ولكن، قبل الفاطميين، ومنذ بدء الأسلام، قام من يقول بتقديس

---

(٤) ذيل «الملل والنحل» للشهرستاني، تأليف محمّد سيّد كيلاني، دار المعارف بمصر ١٩٢٢م، ص ٣-٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦و٨.

(٦) أنظر عبّاس محمود العقاد، الله، دار المعارف بمصر ١٩٦٤، ص ٦٥-٧٤.
E. Drioton, La Religion Egyptienne, in Les Religions de l'Orient-Antique, Lib. Fayard 1957, p.9-53.

(٧) الدكتور حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدول الفاطمية، ص ٢٦٦.

«عليّ بن أبي طالب» وتأليـهه، وباعتـباره أعظم مقـاماً من النبي محـمّد، وبالقول بأنّ فيه جزءاً إلهيّا انتقل من صلبه إلى أولاده فأحفاده...

٣. فكان أوّل من دعا إلى ذلك «عبد الله بن سبأ» الذي قال في عليّ «إنّه لم يمت في الحقيقة، وانّما شـبّه للناس، وإنّه سيرجع من السحاب». وقـال في مـوته: «لو جـئتـمـونا بدمـاغـه في مـائة صـرّة لعلمنا أنّه لا يموت»[٨]. وغلا ابن سـبأ وأصحـابه في الكلام فقالـوا يوماً لعليّ: «أنت هو»، أي أنت اللّه. فغـضب علي، وأمر بإحـراقهم. فجـعلوا يقولون، وهم يُلقَون في النار: «الآن صحّ عندنا أنّه اللّه، لأنّه لا يعذّب بالنار إلاّ اللّه». ثم أمر علي بنفي ابن سبأ إلى المدائن حيث واصل دعوته، وهو يقول: إن علي سـوف «يجيء في السـحـاب، وأنّ الرعد صـوته والبـرق سـوطه، وأنّه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلاً بعد أن ملئتْ جوراً»[٩].

٤. وقامت أيضاً فرقة الجناحيّة وزعـمت «أنّ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حيّ، وهو مـهديّ هذه الأمّـة، وأنّه يملأ الأرض عدلاً وقـسطاً، وأنّه لا يموت حتى يجيء ما بين مشرق الشـمس ومغربها، ويقود الخيل بنواصـيها، وتـتّفق عليـه الأمّة، ويدين بدينه أهلُ الملل. وقـالوا بأنّ روح القدس انتقلتْ من النبي إلى علي إلى الحسن فالحسين ثم إلى محمّد»[١٠]. وعبداللـه بن محمّد هذا، بحـسبما جاء في البـغدادي، «زعم أنّه ربّ، وأنّ العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب»[١١].

---

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة ١٣١٣هـ ج٣ ٧٣.

(٩) الشهرستاني، المعلل والنحل، جـ ١١.

(١٠) الشهر ستاني، الملل والنحل، ٢/ ٣٧-٣٩.

(١١) البغدادي، كتاب الفرق بين الفرق، ص ١٥.

٥. ثم كانت فرقة الخطابية، المسمّاة بالمخمّسة «لأنّهم زعموا أنّ اللّه هو محمّد، وأنّه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة: ظهر في صورة محمّد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين... وزعموا أنّ محمّد أوّل شخص ظهر، وأوّل ناطق[١٢]، ولم يزل بين خلقه موجوداً بذاته، يتكوّن في أيّ صورة شاء... وإنّما أظهر نفسه بالإنسانيّة لكي يكون لخلقه به أنسٌ، ولا يستوحشوا ربّهم... وزعموا أنّ محمّداً كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى... وأنّه كان يُظهر نفسه لخلقه في كلّ الأدوار والدهور»[١٣].

٦. ثم ظهرت فرقة الكَيسانيّة فزعم أصحابها «أنّ محمد بن الحنفية (إبن علي بن أبي طالب) حيّ لم يمت، وأنّه في جبل رضوى، وعنده عينٌ من الماء وعينٌ من العسل، يأخذ منها رزقه. عن يمينه أسد، وعن يساره نمر، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه. وهو المهديّ» المنتظر[١٤].

٧. ولمّا قامت الدولة الفاطميّة الإسماعيليّة شاعت فكرة تقديس الأئمّة وعصمتِهم وتأليهِهم بين الناس. فخاطب أحدُ شعراء المغاربة الخليفة عبيدالله المهدي بهذه الأبيات:

حلَّ برقادةَ المسيحُ   حلّ بها آدمٌ ونوحُ،
حلّ بها أحمدُ المصفّى   حلّ بها الكبشُ والذبيحُ

---

(١٢) ألناطق هو كل نبي جاء أو «نطق» بشريعة

(١٣) ألقمّي، المقالات والفرق، ص ٥٦–٥٩.

(١٤) ألبغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٤٧.

حلَّ بها اللّهُ ذو المعالي   وكلُّ شيءٍ سواه ريحُ[١٥].

وغـلا ابن هانئ الأندلسي في مديـح الخليفـة المعزّ، ونسب إليـه صفات لا تُقال إلاّ على اللّه، وأنشد في «حضرته» هذه الأبيات:

هو علّة الدنيا ومَن خُلِقَتْ لـه   ولعلّةٍ ما كانت الأشيـــــاءُ...

لا تسألنّ عن الزمان فإنّـــه   في راحَتَيكَ يدور حيث تشاءُ

ندعوه منتقماً عزيزاً قـــادراً   غفّارَ موبقةِ الذنوب صفوحاً.

ما شئتَ، لا ما شاءتِ الأقدارُ،   فاحكمْ، فأنتَ الواحدُ القهّـــارُ.

فقد شـهدت له بالمعجزات كما   شـــهدت لله بالتوحيد والأزل[١٦].

ونظرة الناس التـأليهـيّة هذه لخلـفائهم جـعلتهم يعـتقـدون في أنفســهم أنّهم كذلك، أعلى من ســائر البشر، وأنّهم لـم يختصّــوا ببعض الحقوق الإلهيّة فحسب، بل بصفات اللّه أيضاً. من ذلك ما كان يدّعيه المعزّ لنفسه، وقد ظهر في عباراته: «إنّا كلمات اللّه الأزليّات، وأسماؤه التامّات، وأنواره الشعشعانيّات، وأعلامه النـيّرات، ومصابيحه النافذات. لا يخرج منّا أمر، ولا يخلو منّا عصر»[١٧].

ووصلت هذه الظاهرة التأليـهيّة إلى الحاكم بأمـر الله إلى أشدّها فقد أمعن في ادّعائه الألوهة، وأمعن الدّعاة في الدعوة إليها.

---

(١٥) ديوان ابن هانئ، ص ٩٦.

(١٦) ديوان ابن هانئ، ص ٧ – ١١، ٣٤– ٣٦، ٩٦، ١٦٤.

(١٧) رسالة المعزّ الى الحسن الاعصم القرمطي يعلمه بمقامه الجليل...

ثانياً - معجزات الحاكم الإلهية

يقول الدروز إنّ الحـاكم بأمر اللّه مـرّ بمرحلتين: مرحلة الإمـامة ومرحلة التـجرّد. كـانت الأولى منذ «وجوده» سنة ٣٧٥ هـ حـتى نهاية السنة ٤٠٧ هـ. وكـانت الثانيـة من سنة ٤٠٨ حـتى سنة ٤١١، ما عـدا سنة ٤٠٩ التي غاب فـيها، وتوقّفت الدعوة، لذلك فـهي تخرج من تاريخ الموحّدين. تسـمّى مرحلة الإمـامة «دور السـتـر»، ومرحلة التـجرّد «دور الكشف». وفي الدّورين حدثت له معجزات تدلّ على ألوهيّته:

في دور الإمامـة كان «الإمام الحاكم» إنسـاناً كاملاً «يتجلّى فـيه الروح الإلهي، يرى ويتـكلّم ويلمس، وله ظلّ. إنّمـا إرادتُه نافـذة وأمـره مطاع. هو، شكلاً، كالخلق، وعالٍ، معنىً، عن الخلق..»[١٨].

أمّا في دور التجرّد فقد «ظهر» الحـاكم إلهاً بصورةٍ ناسوتيّة، غير ملمـوسة ولا مـحـسوسـة. لا يأكل ولا يشرب، ولا تـأخذه سنة. يُظهـر معجزاته لـلخلق. لا يُعَرف ولا يُوصَف. يبرز للعيان متى شـاء، ويختفي متى شاء. لا ظلّ له ولا كيفيّة مرئية. إنّه إله حقّاً.

---

(١٨) توفيق سليـمان، أضواء على تاريخ مذهب الدروز، ص ٩-١٠. كـلام سليمان هذا لا يصدر عادةً عن أيٍّ درزي، بسبب التقيّة والتستر في أمور الدين.

«أمّا معجزات الحاكم تعالى، في دور الإمامة، فهي أكثر من أن تُحصى. فمن جملة معجزاته الدالّة على ألوهيّته وقدرته ما ذكره في السيرة المستقيمة[١٩]، من قهر الملوك، وقتل الجبابرة، وظهوره وحدَه بين الأعداء أنصاف الليالي بلا سيف ولا سكّين، ويمشي في أوساط ذراريهم وأولادهم، ويعرّفهم بحقيقته، فيضطربون جميعاً لهيبته، ويذلّون ويخافون سطوته، ويخضعون لعزّته وقدرته وظهوره أيضاً إلى الأماكن الخطرة، وليس معه غير الركابيّة والمؤذّنين. هذا، والملوك والأعداء مجتمعة حول القاهرة لأجل ملاحقته ومحاربته، ويخرج إلى بين الأعداء في مَحَفَّةٍ تحملها أربعةٌ من الأضداد المشركين، وتَشُقّ به في أوساط المارقين الناكثين والمنافقين، وما من العساكر قبيلةٌ إلاّ وقد قتّل ساداتهم، والرعيّة كلّهم أعداؤه في الدين. وأعجب من هذا، أنّ المَحَفّة تمشي وحدَها بلا حاملٍ يَحملها وريحٍ يسوقها، بل يكون سيرُها بنفسِها وقتَ الهاجرة العظمى»[٢٠].

«ومن معجزاته الدالّة على تنزيهه، لمّا كان يظهر في الحرّ الشديد وقت الرمضاء والهاجرة العظمى، وتسودّ وجوه العساكر التي معه، وتتغيّر هيئاتُهم وصفاتهم ممّا يكابدونه من التعب الشديد والحرّ العظيم، وهو سبحانه على حالته التي خَرج بها من الحرم المقدّس الذي هو القصر، ولم تؤثّر الشمس فيه»[٢١].

---

(١٩) رسالة السيرة المستقيمة من «رسائل الحكمة»، رقم ١٢ ص ١١١–١٢٩

(٢٠) مختصر البيان في مجرى الزمان، مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس رقم ١٤٤١، ورقة ١٦٥أ–ب.

(٢١) المرجع نفسه، ورقة ٦٥ب–٦٦أ.

«ومن معجزاته الدّالّة على تنزيهه كونه يُوري الخلائق ناسوتَه صورةً بشريّة، لا تأكل ولا تشرب ولا تلمس، ولا ظلّ لها في الشمس، ولا خيالا في الماء، ولا مثيلا في المرآة؛ ومع هذا يرونه الخلائق في دور الإمامة هيئةً بشريّة وصورة إنسانيّة ظاهرة بالنطق والخطاب...

«وكان إذا ظهر وهو راكب الأتان في الشمس، لا يرون للراكب ظلاً. ولمّا كان يسير في الرمضاء، فلا يسودّ له وجه، ولا تؤثّر الشمس فيه، كما تفعل في وجوه العساكر التي في خدمته. ولمّا يسير في الشتاء عند نزول المطر الشديد فتتغرّق العساكر وأثوابهم ببلِّ الأمطار وهو سبحانه يرجع على حالته التي خرج بها من الحرم المقدس، ولم يلحقه شيء من ذلك.

«وكان إذا ظهر في وقت الريح الهبوب والغبار العظيم فتسودّ وجوه العساكر وتدمع أعينُهم ويصيبهم ذلك الغبار، وهو سبحانه لم يلحقه شيء من ذلك.

«وكان إذا مرّ وهو راكب الأتان عند الحوض الملاصق لبستان المختص»[٢٢] فيشرب الأتان من ذلك الحوض فيرون العالَمُ خيالَ الأتان في الماء، ولا يرون للراكب خيالاً.

«وكان إذا مرّ أيضا قبال مرآةٍ صقيلة منصوبة في مكان، فيرون الناسُ خيالَ الأتان في المرآة، ولا يرون للراكب خيالاً.

«وكان رُفِعتْ إليه الرقاع التي هي أوراق جسمانيّة، فيتناولها

---

(٢٢)«بستان المختصّ» مكان فيه اليوم جامع المقسّي وهو يطلّ على الخليج الناصري (أنظر المقريزي، الخطط ٣/١٩٦ – ٢٠٢).

بيديه في ظاهر الأمـر ويقرأها بألفـاظ جسمـانيّة تسمـعها الحـاضرون ويشاهدون ذلك ويرون ظلَ الرقعة ولا يرون ظلاً ليديه.

«فجميع هذه معجزات دالّة على تنزيهه عن البشريّة»[٢٣].

وبهذا الأسلوب يكمّل صاحب «مختصر البيان في مجرى الزمان» ذكر معجـزات الحاكم في «دور الستر»، فيظهر علْمَ الحـاكم للغيب عندما كان بعض الناس يعـملون ما قد نهى عنه خـفية، «ويعتـقدون أنّه لا يعلم بذلك، فيطلبهم الحاكم تعالى ويعرّفهم أفعالهم ويعاقبهم»[٢٤].

«ومن جـملة مـا كان يأمـر به هو أنّه تعـالـى أمـر عند ذكـره في الضـمائر بالتـرجّل من ظهـور الدواب. وبرز الأمـر العالي بان مَن ذكـرَ الحاكمَ فـي ضميـره وهو راكب، فليتـرجّل. فالمُشكُّ فـيه يُغـالِط في ذلك فيطلبُـه الحاكمُ جلّت قـدرته ويعاقـبه ويقول له: أنت ذكـرتني في المكان الفلاني، وما ترجّلتَ.

«واشـتهـر ذلك عند الخـاصّ والعام بأنّه يعلم المـغيـبات ويظهـر المعجزات»[٢٥].

لم يكن يذهب عـن خاطر الحـاكم مـا يجـول في ذهن أصـحـاب دعوته، ولم يكن هـو ليمنعهم عـمّا يجول في خـاطرهم. فالتـاريخ العامّ يثبت، بدوره، ما جال في الخاطِرَين. فـقصّ علينا المؤرّخون جملة أحداث تشير إلى ادّعاء الحاكم الألوهة ومعرفته الغيب.

---

(٢٣) «مختصر البيان في مجري الزمان»، مخطوط، ورقة ٦٦أ–٦٧أ.

(٢٤) المرجع نفسه، ص ٦٧أ.

(٢٥) المرجع نفسه، ٦٧أ – ب.

يخبرنا ابن زولاق (+٣٨٧)[٢٦] أنّ الحاكم «نادى في الناس ألاّ يغلق أحدٌ بابَه ولا حانوته... وأصبح الناس يستغيثون، فأحضر صنمًا كان عنده، يسمّى أبا الهول، فكان كل من أضاع شيئًا يجلس بين يديه، ويقول : يا أبا الهول! ضاع كذا وكذا، فيقول له شخص داخل الصنم: ما ضاع منك أخذه فلانٌ ووضعَه في المكان الذي يقول عليه الصنم، فيحضر لصاحبه، ثم ما زال على ذلك حتى قرّر جميع ما ضاع لأربابه. ثمّ صلب اللصوص وعادت الناس في أمان ينامون في بيوتهم وأبوابهم مفتوحة وحوانيتهم كذلك، لم يسرق لهم شيء، حتى إذا وقع من أحد درهم يبقى في مكانه لا يجسر أن يأخذه أحد، حتى يأتي إليه صاحبه فيأخذه، ثم ينادي: رحم الله من اعتبر بغيره».

وذكر ابن زولاق أيضاً حكاية أخرى يقول: «إنّه وقع من شخص كيس فيه ألف دينار عند باب جامع إبن طولون، واستمرّ في مكانه أسبوعاً كاملاً لم يجسر أحد على أخذه، حتى مرّ به صاحبه، وأقام الدليل على ملكه له»[٢٧].

وفي المخطوط نفسه: إنّ الحاكم اتّخذ لنفسه جواسيسَ من النساء يندسِسْنَ في دور بعض الناس مخصوصين، وكان من واجبهنّ أن يكشِفْنَ ما يحدث فيها، ثم يقدِّمنَ تقاريرَهنّ عن ذلك إليه في اليوم التالي. فإذا ما أصبح الخليفةُ استدعى هؤلاء الناس للمثول بحضرته، فيخبرهم

---

(٢٦) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٨١٧: فضائل مصر، ورقة ٥٣أ وما يليها. يلاحظ أنّ المخطوط منسوب لابن زولاق، لان ابن زولاق توفّي قبل هذه الحادثة، أو ان جزءاً منه يكمّله مؤرّخ آخر مجهول...

(٢٧) المرجع نفسه، ورقة ٥٤ب.

بتفصيل كل ما حدث في دُورهم. ولم ينسَ أيضا أن يتّخذ جواسيسَ آخرين، مهمّتهم أن يقدّموا له تقارير بكل ما يَحدث في الطرقات. وكان نتيجة هذا وذاك أن أصبح بعض الناس يعتقدون أنّه يعلم الغيب»[٢٨].

أمّا معجزات الحاكم في «دور الكشف» فلا تُحصى؛ وهذه، طبعاً، من اختصاص أصحاب الدّعوة، لأنّهم وحدهم استطاعوا النفوذ إليها والإيمان بها. وهي براهين ساطعة على ألوهيّة الحاكم وقدرته العظيمة.

يخبرنا صاحب «مختصر البيان»، نقلاً عن «رسالة الغاية والنصيحة» لقائم الزمان حمزة بن علي[٢٩] فيقول: «ومن البراهين الدّالة على قدرته تعالى، لمّا كانت العساكر مجتمعة للمحاربة، وهم زائد عشرين ألف رجل، حائطة بمسجد ريدان[٣٠]، وهم في آخر يوم في التاسعة وأربعمائة للهجرة، فبينما هم في أشدّ قتال، عند غروب الشمس، فإذا بالحاكم تعالى قد تجلّى بالوحدانيّة وكشفَ لهم ذاتهَ على شرائف القصر المشرف على مسجد ريدان، فلمّا شاهدوه العساكر المذكورة، صعقوا جميعًا لهيبته، ووقعوا إلى الأرض مغشيّا عليهم. فهذه معجزة عظيمة.

و«من البراهين الدالّة على وحدانيته كونه في زمان التجريد، يوري ذاتَه للناظر الموحِّدِ كهيئة صُورتِه، وإذا نظر إلى ناسوت الباري سبحانه، فَيُرِه صورَة نفسِه لا غير وهيئةَ ذاتِه، كما يَنظر في المرآة، كما قال[٣١]: وإنّما ينظر الناظر إلى صورة نفسه إذا توهّم أنّه ينظر إلى المشار

---

(٢٨) المرجع نفسه، ورقة ٥٦ب. أنظر أيضا مخطوط بودليان ٣٧٠.

(٢٩) أنظر «رسائل الحكمة» رقم ١٠، ص ٨٣-٩٦.

(٣٠) مسجد خارج القاهرة، أخذه حمزة قاعدة لنشر الدعوة.

(٣١) القول لقائم الزمان حمزة.

إليه كالناظر إلى جوهر حديد المرآة، كلّما جدّد النظر إليه لم يجد إلاّ صورة نفسه، ويرجع بصره خاسئاً حسيراً إليه»[٣٢].

«ومن عجائب القدرة الربّانيّة أنّه إذا كانوا جماعة من الموحّدين ينظرون إليه في ساعة واحدة، وهم رجال ونساء وشيوخ وشباب، فكلٌّ منهم يرى نظير صورته لا غير، ولم ينظر نظير صورة غيره، وكلّ منهم يعرف الآخر بما رأى. وهذا النظر للموحّدين خاصّة، لا لغيرهم. وأمّا المشركين فيردّوه بشرًا على حالة الإمامة. والنظر إلى الصورة الناسوتيّة بهيئة المرآة، تبعا لليقين والإيمان»[٣٣]...

يبدو أنّ الحاكم نفسه كان معدّاً لأن يتقبّل مثل هذه الترجمات الروحيّة لتصرّفاته المادّيّة، بدليل ما ذكره المؤرّخون المعاصرون له. لكنّ «رسائل الحكمة» لا تكتفي بهذا وحسب، بل راحت تطلق عليه أوصافاً وأسماء لا تجوز إلاّ على اللّه. وهي تزخر بالكلام عليها. ففي «ميثاق وليّ الزمان» الذي يكتبه الدرزيّ على نفسه إقرار صريح ودليل واضح. يقول الدرزي:

«توكّلتُ على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزّه عن الأزواج والعدد». ويختم بقوله: «مَن أقرّ أن ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلاّ مولانا الحاكم، جلّ ذكره، كان من الموحّدين الفائزين»[٣٤].

---

(٣٢) مخطوط «مختصر البيان في مجرى الزمان»، ورقة ٦٧أ-٦٨ب. فيه شهادات وافية من رسائل الحكمة، وهو يعتمد عليها في وضع براهينه على ألوهيّة الحاكم.

(٣٣) «مختصر البيان...»، ورقة ٦٨ب-٦٩ أ.

(٣٤) ميثاق وليّ الزمان، ٥/٤٧-٤٨.

ثالثاً - التوحيد

إذا كان إلهُ أفلاطون هو «الخـير المطلق»، وإلهُ أرسطو هو«الكائن» الذي عنه تصدر الكائنات جـميعها، وإله المسـيحيّة هو «إله مـحبّة»، وإله الإسـلام هو «اللّه أحـد، أللّه الصـّمـد، لم يلد ولم يولد، ولم يـكن له كفـؤاً أحد»، فانّ إله الدروز هو «الواحد» الذي تعيّنت شـخصيّته، وتحدّدت في «تجلّيه» في أشخاص عبر التاريخ.

تقول الحكمة: «بالتوحيد عُرِفتْ جـميع الأشياء، لا بالاشياء يعرف التوحـيد»[٣٥]، «بمعرفـة تجريد التوحـيد يتمّ الرشد والتـأييد»[٣٦]، «علم الحقيـقة هو توحيد مـولانا جل ذكره»[٣٧]، «إنّ التوحيـد هبة من الواحد للموحّدين»[٣٨]... هذه هي القواعد التي أقامها أصحاب الرسائل، نقلاً عن الحاكم الذي، علـى حدّ قول حـمزة، «أقام قـواعد توحيـده التي هي تمام البناء في وقتنا هذا بمشيئته»[٣٩].

---

(٣٥) ألرسالة الشافية لنفوس الموحدين ٥٨/ ٤٥٩، إيضاح التوحيد ٧٤/ ٦٥٦.

(٣٦) إيضاح التوحيد ٧٤/ ٦٥٦.

(٣٧) ميثاق النساء ٨/ ٧٠.

(٣٨) الشافية لنفوس الموحدين ٥٨/ ٤٥٩.

(٣٩) ألسيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٣.

وفي شرف التوحيد قال بهاء الدين: «أمّا بعد فإنّ التوحيد للمولى جلّت آلاؤه أعظم المطلوبات، وأنفس المدّخرات، وأشرف المكتسبات، لأنه ثمرة ما سلف في العصور الخالية من المتعبّدات، وميزان القسط الذي به قامت الأرض والسموات. فبصحّة التوحيد تصل الأنفس الطاهرة إلى الثواب الأبدي والكمال الأخير. وبالقصور عنه تُخَلَّد الأنفس الخبيثة في العقاب والخزي وبئس المصير.

«فالتوحيد للمولى جلّت آلاؤه أوّل المفترضات، وحقيقيّة الديانات كما قال مَن أشار إلى توحيده (أي حمزة)، ونزّهه عن صفات خلقه وعبيده: أوّل الديانة باللّه معرفته، وكمال معرفته نظام توحيده، ونظام توحيده نفي صفات المخلوقين عنه»[٤٠].

لهذا سميّ أتباع حمزة «موحّدين»، ودينهم «دين التوحيد»، ودعوتهم «دعوة التوحيد»، وهم «أهل التوحيد»[٤١]. بهذا «التوحيد» يتميّزون عن سائر الديانات وأهلها. ولهذا سارعوا، في دور الكشف، إلى الدخول فيه والإقرار به. وقد أعلن حمزة، عند ظهوره، نهاية الشرائع كلّها، وإبطال الأنبياء والأوصياء جميعهم، لأنّ نور التوحيد قد بان. قال: «والآن (في دور الكشف) فقد بلغ الباطل نهايتَه، وآن خمودُه، وتبطيلُ دعائمه، وكسرُ عموده. ويكون التوحيد ظاهراً أبداً على جميع الأديان، وعبادة مولانا جلّ ذكره في السرّ والإعلان»[٤٢].

---

(٤٠) ألشافية لنفوس الموحدين ٥٨/٤٥٣ – ٤٥٤.

(٤١) «الموحدون» أنظر: ٦/ ٦٠ ، ٦١. ٥/٤٨، ٩/٧٥، ٥٨/٤٦، ٦٩/ ٥٩٤، الخ... «دعوة التوحيد» أنظر: ١٠/٨٦، ٤٦/ ٣٥٠، ٤٧/ ٣٥٤، ٧٣/ ٦٤٠، ٧٤/٦٥٦، ٦٦٠، ألخ...
«أهل التوحيد» أنظر: ٦/ ٦١، ١٢/ ١١٤، الخ...

(٤٢) البلاغ والنهاية، ٩/ ٧٤

أركان الإسلام لا معنى لها إنْ لم تُفِدْ حقيقة التوحيد وتُشِير إليه: فـ «الصلاة التي هي لازمة في خمسة أوقات... هي صلة قلوبكم بتوحيد مولانا»[٤٣]، و«الزكاة، في الحقيقة، توحيد مولانا جل ذكره وتزكية قلوبكم وتطهيرها»[٤٤]، و« الصوم هو، بالحقيقة، صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا جل ذكره»[٤٥]، و«البيت (أي الحجّ الى مكة. والبيت هو الكعبة) هو توحيد مولانا جل ذكره... والموحّدون أولياء مولانا جل ذكره، سكنت أرواحُهم فيه. وربُّ البيت هو مولانا جلّ ذكره في كل عصر وزمان»[٤٦]، و«الجهاد الحقيقي هو الطلبة والجهد في توحيد مولانا جل ذكره ومعرفته»[٤٧]...

وتعاليم القرآن والحقائق الإسلاميّة لا معنى لها إنْ لم تدلّ على التوحيد: فـ «البرّ هو توحيد مولانا جل ذكره»[٤٨]، و«العرش علم التوحيد لمولانا»[٤٩]، و «دار السلام»[٥٠] تعني توحيد الإمام: السلام هو الإمام، وداره توحيد مولانا»[٥١]، و«جنّة التعليم[٥٢] تعني دعوة التوحيد، اذ كان

---

(٤٣) ألنقض الخفي ٦/٥٦، أنظر كتاب فيه حقائق ١١/٩٩-١٠٠.

(٤٤) ألنقض الخفي ٦/٥٧.

(٤٥) ألنقض الخفي ٦/٥٨.

(٤٦) ألنقض الخفي ٦/٦٠-٦١.

(٤٧) ألنقص الخفي ٦/٦١.

(٤٨) ألنقض الخفي ٦/٥٧. في آية: " ولن تنالوا البرّ أ(ي التوحيد) حتى تُنفقوا ما تُحبّون" (سورة آل عمران ٣/٩٢).

(٤٩) ميثاق النساء ٨/٧٠.

(٥٠) سورة يونس ١٠/٢٥.

(٥١) ألبلاغ والنهاية ٩/٧٩.

(٥٢) سورة الواقعة ٥٦/٨٨.

توحيد مولانا جلّ ذكره هو النعيم السرمد»[٥٣]. «أمّا مَن كان من المكذّبين بالتوحيد، الضالّين عن حقائق الدين فنزل من حميم» يعني دعوة الظاهر، و" تصلية الجحيم "[٥٤] يعني انجحام قلبه بالكفر والشرك»[٥٥].

هذا التوحيد يقوم على «نفي التشبيه عنه (عن المولى) من جميع المعاني والجهات. (وهذا لا يكون) إلاّ بنفي البنوّة والأبوّة، ونفي الأزواج والأولاد والأمّهات، التي ظهر بها في دور الستر... تعالى عن التشبيه والتحديد وجميع الصفات. فحقائق التوحيد والتنزيه والتأليه هو الذي تفرّد به المولى إله الأرض والسموات»[٥٦].

من «التوحيد» أيضاً ألاّ يكون للحاكم أيّة نسبة إلى أحد من البشر: لا أب له، ولا أبن، ولا عمّ، ولا خال: «الحذر الحذر أن يقول واحد منكم بأنّ مولانا جلّ ذكره إبن العزيز، أو أبو عليّ، لأن مولانا سبحانه هو هو في كلّ عصر وزمان، يظهر في صورة بشريّة وصفة مرئيّة، كيف يشاء وحيث يشاء... وأمّا مَن قال واعتقد بأنّ مولانا جل ذكره سلّم قدرته ونقل عظمته إلى الأمير علي (الظاهر)، وأشار إليه بالمعنوية فقد أشرك بمولانا سبحانه غيره... فمن كان منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه ويستقيل منه ويستغفر المولى جلّ ذكره ويقدّس اسمه»[٥٧].

---

(٥٣) ألغاية والنصيحة ١٠/٨٦.

(٥٤) سورة الواقعة ٥٦/٩٣.

(٥٥) ألغاية والنصيحة ١٠/٨٦-٨٧.

(٥٦) إيضاح التوحيد ٧٤/٦٥٦.

(٥٧) ألبلاغ والنهاية ٩/٧٧-٧٨، أنظر أيضا: رسالة الى وليّ العهد ٢٦/٢٢٣-٢٢٤، والى «خمّار بن جيش» ٢٧/٢٢٥-٢٢٦، ورسالة الى بني ابي حمار ٤٤/٣٤٠.

والتـوحيـد يعني أيضـاً أن ليس للحاكم صـفـات بشريّة مـادّيّة، كالأكل والشرب والتعب والنوم، أو أن يكون له حاجـات جسديّة، كالبول والغائط والعرق وغير ذلك: «لا يقـدر أحد منهم يقول بأنه شرب ماء، ولا أكل طعاماً، ولا رآه أحـدٌ عند بولٍ ولا غائط. حاشاه وسـبحانه من ذلك... ولا أحدٌ يقول إنّه شاهده يفعل شيئاً ممّا ذكرناه من تعبٍ أو أكل أو شربٍ، حاشـاه سبحـانه من ذلك وتعالى»[٥٨]. و «حاشاه من الوقـوف والسير والجلوس والنوم واليقظة»[٥٩].

والتوحيد يعني أيضـاً أنّ الحاكم لا يدخل في نطاق المخلوقين، نبيّاً كان أم وصيّاً أم أيّ شخصٍ مخلوق آخر. فهو قد «تنزّه عن جميع النطقاء (الأنبياء) والأسس (الأوصيـاء) والأئمة الهاديين»[٦٠]. و«كل ما يقال فيه من الأسمـاء، مثل الإمـام، وصاحب الزمـان، وأمير المؤمـنين، ومولانا... كلّها لعبيده، وهوأعلى وأجلّ ممّا يقاس أو يحدّ أو يوصف»[٦١].

والتوحيد يعني أنْ ليس لمولانا ضدّ أو شـبه أو ند أو نظير أو كفؤ أو غيـر ذلك. يقول حمـزة: «إيّاكم أن تظنّوا بأنّ الضدّية لمولانا سبـحانه لأنه بلا شبه ولا ندّ ولا نظيـر. والضد لا يكون إلاّ للشكل والمثل. ومولانا ليس له شـبه في الجـسمـانيّين، ولا ضـد في الجرمـانيّين، ولا كفـؤ في الروحانيّين، ولا نظير في النفسانيّين، ولا مقام له في النورانيّين»[٦٢].

---

(٥٨) السيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٨.

(٥٩) كتاب فيه حقائق ١١/ ١٠٥.

(٦٠) الغاية والنصيحة ١٠/ ٢٨٣، وأيضا: كشف الحقائق ١٣/ ١٣٠.

(٦١) النقض الخفي ٦/ ٦٢، ٦٣.

(٦٢) البلاغ والنهاية ٩/ ٧٥.

وفي ذروة التوحيد أن يتنزّه الحاكم عن الصفات والأسماء والأوهام والخواطر وجميع صفات المخلوقين، فهو «يُجلّ عن وصف الواصفين وإدراك الأنام»[٦٣]، و«لا يدخل في الخواطر والأوهام»[٦٤]، «ولا تقدر على وصفه اللّغات، ولا يدخل تحت الأسماء والصفات»[٦٥]، وهو «يتعالى عن مقالات السفل»[٦٦]، و«أعلى وأجلّ ممّا يقاس أو يحدّ أو يوصف»[٦٧]، وهو «جلّ ذكره أعظم من أن يوصف أو يدرك»[٦٨].

ولكن إن أطلقنا على الحاكم بعض الصفات والكمالات فإنّ ذلك ممّا جرت عليه ألسنة الناس واعتادوه. يقول حمزة: «نقول: أمير المؤمنين جلّ ذكره من حيث جرت الرسوم والتراتيب على ألسنة الخاصّ والعام. ولو قلنا غير هذا لم يعرفوا لمن المعنى والمراد، فتعمى قلوبهم عنه، وهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو العليّ العظيم»[٦٩].

ولا يقلّ بهاء الدين المقتنى في التركيز على توحيد اللّه عن حمزة. فرسائله تزخر بالإشارة إلى هذه الصفة الأساسيّة[٧٠].

---

(٦٣) ٧/٦٤,١١/٩٧، ١٢/١١١، ١٤/١٤٦، ١٧/١٨٥...ألخ.

(٦٤) ٦/٤٩، ٧/٦٤، ١١/٩٧، ١٢/١١١، ١٣/١٣٠، ٢١/٢٠٨ ألخ.

(٦٥) ٦/٦٢، ٩/٧٧، ١٣/١٤١، ١٤/١٤٧... الخ

(٦٦) ٩/٧٣...

(٦٧) ٦/٦٢...

(٦٨) ١٤/١٥٣...

(٦٩) ألنقض الخفي ٦/٦٣.

(٧٠) أقرأ في الرسائل: تقليد سكين ٤٦/٣٤٩-٣٥٠؛ الجميهيريّة ٥٠/٣٦٦، التعنيف والتهجين ٥١/٣٧٧، ألقسطنطينية ٥٣/٣٨٢-٣٨٣، ألتعقّب والإفتقاد ٥٥/٤١٨ وما يلي، الإيقاظ ٥٦/٤٣٥، الموسومة بالحقائق ٥٧/٤٤٢-٤٤٣، رسالة العرب ٥٩/ ٤٦٤، رسالة اليمن ٦٠/٤٦٩، رسالة الهند ٦١/ ٤٧٤، التقريع والبيان ٦٢/٤٨٠،

إلاّ أن مفهوم التوحيد عند الدروز يقوم على «نفي التشبيه» و«نفي التعطيل» معاً. لقد كان المعتزلة أشدّ مَن نفى الصفات عن اللّه، ولكنّهم، بنظر الدروز، أخطأوا في اعتبارها نفس الذات الإلهيّة. بهذا منعوا عن الإنسان إمكانيّة معرفة اللّه؛ لأنّ «الصفات»، باعتبارها عين الذات، جعل تعطيلُها اللهَ بعيداً كلّ البعد، و «أيّ عدل يقتضي أن يكون(الله) فوق سبع سموات على كرسيّ فوق السماء السابعة... وقد كلّفنا مع هذا عبادته ومعرفته؟!»[71]. لأجل هذا قرّر حمزة إثبات التوحيد بقوله:

«لا أقول بأنّ (الله) له مكان معروف، فيكون محصوراً فيه وتخلو بقيّة الأمكنة منه، ولا يخلو منه مكان فيكون عاجز القدرة... ولا أقول إنّه شيء فيقع به الهلاك. ولا أقول إنّه لا شيء فيكون معدوماً مفقوداً. ولا هو على شيء فيكون محمولاً عليه. ولا هو في شيء فيكون محاطاً به. ولا متعلّق بشيء فيكون قد التجأ إليه...

«بل أقول، ضرورةً لا حقيقة، بأنّه سبحانه باري كلّ شيء ومكوّن كلّ شيء ومصوّرهم من نوره»[72]، أي أنّ ضرورة معرفته أجبرتْ حمزة على «قول» بعض الصفات، لكنّ الحقيقة تقضي بأن نقول بأنّ الله «منزّه عن جميع الأسماء والصفات والأجناس واللغات والأشياء كلّها»[73]. هذا هو مفهوم «التوحيد»: تنزيه لا تعطيل.

السفر الى السادة ٦٨/ ٥٣٩، التحذير والتنبيه ٣٣/ ٢٤٢، الزناد ٣٧/ ٢٧١، الرشد والهداية ٣٩/ ٢٨٢... المناجاة ٢٩/ ٢٢٩... الدعاء المستجاب ٣٠/ ٢٣٤ وما يلي، التقديس دعاء السادقين ٣١/ ٢٣٨ الخ...

(٧١) من دون قائم الزمان٦٧/ ٥٢٩.

(٧٢) رسالة كشف الحقائق ١٣/ ١٤١. إقرأ مجمل هذه الصفحة وما يلي.

(٧٣) المرجع نفسه.

بهـذا تبـتـعـد الدرزيّة عن الإسـلام وسـائر الأديان الذين قـالوا بالتوحيد، ولكنّهم لم يتجرّأوا على تنزيهه لئلاّ يقعوا في التعطيل، والذين وقـعـوا في التـعـطيل لا يعـرفـون اللّه أبداً. لذلـك سـمـيّ الدروز «بني معـروف» أي الذين عرفـوا اللّه، لأن «المعرفـة -عندهم- هي لِمَـا شوهد وعوين»[٧٤].

لهذا فإنّ «توحيد البـاري تعالى لا يتمّ إلاّ بالاحتكاك الخارجي مع خلقه وخليقته»[٧٥]، يعني أنّ توحيد اللّه لا يُعرَف إلاّ بمعـرفتنا للّه متجلّياً في خليقتـه. فالتنزيه المطلق يجعل من اللّه موجوداً خـارج الوجود. الأمر الذي يؤدّي إلى محال.. فالنتيجة المنطقيّة لهذا الاعتقاد تؤدّي إلى تساوي الألوهيّة مع العدم»[٧٦].

فالدروز هم أصحاب التوحيد بامتياز، مع أنّ اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام موحّدون أيضاً. إلاّ أن الدروز يعـتبرون أنفسهم أنّهم هم الذين عـاينوا اللّهَ في مُقـامٍ بشـريٍّ معـيّن، فـعرفـوه، وحدّدوه، وتأكّـدوا من وحدانيته؛ لأنّ الذي لا يُرى، ولا يتجلّى، كـيف يمكن أن نتوحّد على تعيين شخصيّته، وإسمِه، وصفاته، ودورِه في العالم وعنايته به!!!

كـيف نتوحّـد على اللّون الأبيض، إنْ لم نجـد هذا اللّون في مكانٍ مـا؟! هكذا لا يكون اللّهُ، بالنسـبة إلينا، واحـداً، إنْ لم نجدْه في شـخص الحاكم. فبـهذه المعرفة العيـانيّة المتجلّيّة، ندخل إلى عـقيدة هي من صلب دعوة التوحيد: التجلّي الإلهي عبر الدهور.

---

(٧٤) الشافية لنفوس الموحدين ٥٨/ ٤٥٤، إيضاح التوحيد ٧٤/ ٦٥٦.

(٧٥) الشيخ الدكتور أنور فؤاد أبي خزام، في مقدمّة لكتاب النقط والدوائر، ص ٧٢.

(٧٦) المرجع نفسه، ص ٧٨؛ أنظر أيضاً كتابه: إسلام الموحدين، ص ١٥٢.

الفصل الثالث

التجلي الإلهي

أولاً – مبادئ التجلّي

ثانياً – كيفيّة التجلّي

ثالثاً – غاية التجلّي



أولاً - مبادئ التجلي

عقيدة التجلّي الإلهي في الدرزية هي، بالحقيقة، أجلّ العقائد وأشرفها. تعتمد على مبادئ لاهوتيّة وفلسفية صريحة، وروحانيّة عميقة. إنّها نقطة الدائرة في دعوة التوحيد، ومحورالعقائد جميعها. عليها ترتكز الحكمة الدرزيّة كلّها. إنّ «موضوع التجلي، على حدّ قول أحد الدروز، -وهو قول ندر ما يصدر عن قلمٍ درزي- هو موضوع يحتلّ في عقيدة التوحيد مركزاً مهمّاً، إنْ لم نقل المركز الأهم»[١].

يفتخر «بنو معروف» بلقبهم هذا، لأنّهم فازوا بمعرفة اللاهوت في صورة الناسوت. «والجهل، بالحقيقة، هو إنكار تجلّي الرّبّ في الناسوت»[٢]. «يغدو الخالق قريباً من حواسّهم الظاهرة القاصرة، ويبطل كلّ تضليل، وتنتفي عبادة العدم إلى الأبد»[٣].

على الإيمان بهذه العقيدة يقوم الدين كلّه، وعلى الإقرار بها يكون في الدنيا «موحّدون» «عارفون» فائزون بمعرفة اللّه وبالسعادة. مَن أنكرها أنكر على الإنسان حظَّ معرفةِ اللّه والفوزَ بالنّصر الأخير، بل مَن

---

(١) الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢٧.

(٢) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٣٦، ورقة ٣٦ أب.

(٣) سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ١٤.

أنكرها آمن بالعدم. ونصــوص «الحكمة» في التجلّي لا تعـدّ ولا تحصى. وقد يكون أجمل أسلوبها في الكلام عليهـا. وقد لا تفهم سائر عقائدها إلاّ بالنسة اليها. ونعجب حقّا من التعتيم عليها.

تقوم عقيدة التجلّي هذه على المبادئ التالية:

١ – أنّ تجلّي اللّه في صورة الإنســان هو مبادرة إلهيّـة، باشرها اللّه بنفسه، وليس للإنسان في الكشف عنها أيٌّ فضلٍ، كما ليس من حقّه أن يقـبَلهـا أو أن يرفـضَـها، لأنّ مـا قـام به اللّه ودعـا إليـه لا يحقّ لأيٍّ الاعتراض عليه. وفي ذلك تصرّح الحكمة: «والذي أظهر المولى جلّ اسمه نفسَه منه (أي من الحـجاب الذي هو الإنسان) كيف يشـاء، بلا اعتراض عليه... وبه (أي بهذا الحجاب) دعا الخلق بنفسِه الى نفسِه، وباشرَ العبيدَ بالصورِ المرئيّةِ ومخاطبةِ البشريّة»[٤].

٢ – إنّ العـالَم الروحـاني يستـحـيل الإيمانُ به إنْ لم يدلّ عليـه العالَمُ المحـسوس. أيّة حقـيقة يدركهـا الإنسان إنْ لم يجد لهـا في عالمه الحـسي دلالة عليهـا؟ «فمـا لا يصحّ (أي لا يعـرف بالحواس)، مـوهوم معدوم»[٥]. و«إنّما تصحّ الأشيـاء (الروحانيّة) بحقيقـتها إذا ظهرت»[٦]. معنى ذلك أنّ اللّه، لكي يُعرف، خلق لنا دليلاً علـيه من عالمنا الحسّي. وقد ظهر لنا هو بنفسهِ لتراه عيوننا وتلمسه أيدينا.

٣ – إذا كان اللّـه عادلاً فيـقضي عليـه عدلُه أن يعـرّفنا بذاته لكي يكلّفنا بعبادته. ولـئن كان باستطاعة اللّه أن يبعثَ لنا برسلٍ وأنبـياء فإنّ

---

(٤) رسالة الردّ على النصيري١٥/١٧٣.

(٥) من دون قائم الزمان ٦٧/٥٢٦.

(٦) المرجع نفسه، ٦٧/٥٢٧.

لهؤلا مـواقف بشريّة قـد تحجـبه عنّا. فخـير مـعرفة للّه أن يتـجلّى هو بنفسه: «والخلق مجتمعون أنّ الباري جلّت قدرته عادل. (ولكن) أيّ عدل يقتـضي أن يكون العـالَم الروحاني، كـما يزعمـون، جواهر بسـيطة، لا محدودة ولا مدروكـة، ثم يكلّف العباد معرفتَـها؟! وما في وسع أحد من العالم أن يـفهم أو يتعلّم إلاّ مـن صورةٍ حسّـيّة ناطقـة مميّزة»[٧]. ثمّ إنّ البـشـــر «لم يكن لهم وصــول أن يعـلمـوا المعـقـولات عـلى مـا هي إلاّ بالمحســوسات. لقد أوجـبت الحكمة أن يظهر (اللّه) لهم صـورةً من حيث هم. فأنست الصورة (الإلهيّة) لصورهم من حيث الجنسيّة»[٨].

٤ – ومن العـدل أيضاً أ ن يتـرك اللّهُ عـرشه وسـمـاءه السابعـة ويتقرّب من عبيـده ليكون بوسعه تكليفهم بمعرفتِه، لأنّ العـبيدَ يَعجزون عن معـرفة ما خَلْفَ الجـدارِ القريبِ منهم فكيفَ حـالُهم مع مَن هو وراء السماء السـابعة. «فنعوذ بالمولى أن يكون احـتجب عنّا، ثم كلّفنا مع ذلك عبـادته ومـعرفـته. بل قـد ظهر تعـالى بهذه الصـورة الناسوتيّـة التي تشاكلنا. هذا من حيث المجانسة والمقابلة. فهذا نفس العدل»[٩].

٥ – إنّ الإيمان بتجلّي اللّه يتيح للإنسان مجالَ طاعته لأوامر اللّه، إذ «كيف تجوز الطاعة لمن لم يَظهرْ إلى العالم فَـيُعْرَف ويُعَيَّن عليهِ باسمه ونعته، فَـيُوصَف، وتَخرقُ أسمـاعَ العوالمِ أوامرُه ونواهيه، وينـتشر في الآفاق مذهبُه، ويُفصَحُ به للعـوالم، ويقيم به الحجّةَ على الأمم. فعند ذلك تقوم حـجّتُه على الأمم، إذا عُـرِفَتْ أوامرُه وزواجرُه، وشـاعت في العَرَبِ

---

(٧) المرجع نفسه، ٦٧/ ٥٢٧.

(٨) رسالة بني ابي حمار ٤٤/ ٣٤٠.

(٩) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٢٩.

والعَجَمِ... فبهذه الدلالات المحقّقة بالبرهان يَنفسدُ قولُ جميع الطوائفِ ممّن ادَّعى طاعةَ قائمٍ أو هادٍ أو مُنتَظرٍ لم يَظهرْ إلى العالَم ويثبّتْ علِمَه ودعوتَه فيهم بواضحِ البيان، وتقومُ حجّتُه باشهارِ دعوتِه بأمره ونهيه على جميع أهل النحل والأديان»[١٠].

٩- ثمّ إنّ اللّه، إذا لم يظهر لعباده، تسقط عنهم الحجّة ويُعذَرون في توقّفهم عن طلب الحق: «إن كان (الله) معدوماً (أي غير ظاهر للعيان) فقد سقطتِ الحجّةُ عن الخلق، وكان الكلّ معذورين في توقّفهم عن طلب الحقّ»[١١]. لذلك فهو «ليس بمعدوم، (وذلك) لتقوم الحجّة بوجوده (بظهوره) على كافّة بريّته»[١٢]. ثمّ إنّ غيرَ الظاهر للعيان شأنه شأن المعدوم، و«المعدوم تقع في أخباره الزيادةُ والنقصان، والموجودُ (الظاهر) أنت تشاهدُه بالعقل والبرهان بالعيان، وتقف على تبطيل العدم، وتَنفي عن مولانا جلّ ذكره جميعَ الأباطيل والتّهم»[١٣]. لهذا فـ «العاقل اللبيب لا يطلب العدم ويترك الموجود»[١٤].

٧- إذا كان العالَم يشكّون بوجود اللّه فسببه واضح «لأنّهم يعبدون مَن لا يسمع ولا يَضرّ ولا يَنفع. ولا يَدرون هل عبادتهم (هي) مرادُه، أو أراد منهم شيئاً ممّا أجازته عقولُهم ولم توعِه لعلّتِها أفهامُهم. وهذا نفسُ الشكّ»[١٥]. فالذين يشكّون باللّه ويكفرون به، هم الذين لم

---

(١٠) رسالة السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٥.
(١١) الشافية لنفوس الموحدين ٥٨/ ٤٥٥.
(١٢) ألقسطنطينية ٥٣/ ٣٨٦.
(١٣) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٨٩.
(١٤) المرجع نفسه.
(١٥) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٢٨-٥٢٩.

يروه لِيَعْرفوه، ولم يَسمَعوه لينالوا الحـقيقة، ولم يُشاهدوه لينتفعوا من وجوده، ولم يشعـروا برحمته ليطمئنّوا إليـه: «أنَسَ بك الموقنون بعهدك، والمؤمنون بميـثـاقك وعـقـدك... فظاهرُك قـبلةُ العـارفين، وباطنُكَ سـرُّ العـابدين، عبـدوك منه (أي من مُـقامك البـشري) لمّا عـرّفـتهم بنفـسك كهم»[١٦].

٨- إنّ التـفـاضل بين الأديان يكون بالـنسـبـة إلى تجلّي اللّه أو غيابه. يكون الدين صحـيحاً بقدر ما يقترب من معرفـته اللّه. والمعرفة لا تكون صحيحـة إنْ لمْ يكشفِ اللّهُ عن ذاته بذاته، ويتجلّى للعالم. بالإيمان بالتـجلّي الإلهي يُصبح أوليـاءُ الدين «رجـالَ أعـراف وسـادات الأمم»، ويكون الثـواب والعقـاب: «إنّي أقـول: إنّ الباري، جلّت قدرته، لو كـان مـعدومـاً (أي غـير ظاهر فـي الكون) لتسـاوت الفِـرَقُ كلُّهـا في التنزيه والتـجريـد، وارتفعَ التفـاوتُ والتـفـاضلُ المؤدّيان إلى الثـوابِ العقـابِ بحقيقيّة التوحيد».

٩- يكون الدينُ صـحـيـحاً بالنـسبـة إلى «تحـرّك اللّه باتّجـاه الإنسـان، أي بمجيء اللّه إلى الإنسان مراراً وتكراراً عبر الأدوار البشـريّة، وبغـيابه أيضـاً مـراراً وتكراراً عبـر الأكوار، أي بـتعـاقب أدوار الكشف وأكوار الستر[١٧]. وفي هذا التعاقـب حكمة إلهيّة بالغة، إنْ مـن جهة اللّه، وإن من جهـة الإنسـان: فمن جهـة اللّه، يكونُ اللهُ غيرَ عـادل ان غابَ الى الأبد أو ان استمرّ ظاهرًا إلى الأبد، ومن جهة الإنسان يكون ثوابه حقيقيًا إذا ما امتُحِنَ في إيمانه بظهور اللّه وغيابه. يقول بهاء الدين:

---

(١٦) المناجاة مناجاة وليّ الحق ٢٩/٢٣٢.

(١٧) يكون "الكشف" في الأدوار و"الستر" في الأكوار.

«ان العالَمَ كلَّه ما اختلفوا في أنّ البـاري قادر. فأين قدرته لو غاب الدهرَ كلَّه لا يَظهـر؟ أليس يكون قد عَـجزَ عن الظهـور؟ وأيضاً فلو ظـهر الدهرَ كلّه ثم لم يَـغِبْ لَعَـجزَ عن الغـيـبـة! ولو ظهـر في كل الظهـورات بصورةٍ واحـدةٍ وعلى حالةٍ واحدة لكان ذلك عجـزاً. فأيّ إله لمن يدّعي أنّ له إلهاً غائـبًا عاجزاً عن الظهور. ولـيس من صفة القادر العـجز. فالمولى غاب وظهـر بظهورات مخـتلفات الصور، لأنّـه ظهرَ في حدّ الطفـوليّة ثم الكمال. ثم إنهّ اعتلّ جسمــه في ظاهر الأمر لئلا يكون عاجزاً عن ذلك[18]. فمن هذه الجهة صحّ أنّ العجز من القادر قدرة.

و«أيضا فلو غاب ولم يَظهر لما تحـقّق المعبود، ولا صحّ ما أشارت إليـه الحدود[19]. ولو ظهـر ثم لم يغبْ لكانت العـبـادة جـبراً وقـسـراً، ولتـساوى في ذلك أهل الأرض حـتى لم يخـتلف فيـه اثنان، ولكان ذلك عجزاً منه، في الخلقة، إذا كان العاَلمُ كلُّهم علماءَ ليس فيهم جاهلٌ، وكلّهم موحِّدون ليس فيهم مشرك، ولكان العالَمُ مُجبرًا لا مثاب ولا معاقَب، لأنّ المجبَر لا مثاب ولا معاقب. وهذا نفس العجز إذ لم يقدر على إظهار العالِم والجـاهل، والناقـص والفـاضل، والشـيء وضـدّه لتكمـل القـدرة، وتتمّ الحكمـة، ويتـحـقّق المعـبـود، وتظهـر جـمـيع الحـدود، أهل التـوفـيق والتسديد»[20].

فمن أجل امـتحـان الإنسان واخـتباره، واسـتحـقاقـه الثواب أو العـقاب ظهـر اللّه ثم غاب، ثم ظـهر ثم غـاب، حتى ظهـوره الأخيـر بـ

(١٨) الكلام هنا عن الحاكم بأمر الله الذي انتابه مرض عضال أقعده...

(١٩) «الحدود» من الدعاة الخمسة الذين أظهروا دين التوحيد...

(٢٠) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٢٩–٥٣٠.

«الحاكم»: «ظَهَرَ لِخَلْقِه كـخلقهِ، امتحاناًوامتنانًا واختبـارًا. فكان امتحانُه لأوليائه واختبارُه لهم هدايَتهم إلى معرفتِه وتوحيده»[٢١].

١٠أ – إنّ التجلّي الإلهي ضرورةٌ ماسّة للإنسان، وذلك لكي يكون له، بظهور الله فيه، مثالٌ يتمـثّله، وهدايةٌ يَهتدي بها، وقدوةٌ له في حياتِه وعمـله. فلولا التجلّي لما عَـرفَ الإنسانُ عن الله شـيئـاً، تماماً كـالذي لم يسمعْ فكيف يمكنه الكلام؟ أو كـالذي يريد عملا ولم يرَ أحداً يَعـملُه قبلَه ليقتديَ به! فالإنسان لا يسـتطيع إحداثَ شيءٍ من ذاتِه إنْ لم يتمثّلْ أمَامَه مَنْ يَعملُ مِثْلَه. تقول الحكمة:

«قد صحّ عند كل ذي عقل ومعرفة بالحقيقة وفضل، إنّ المولود لو كان أبواه أخرسان (كـذا) لا ينطقان، ثم لم يسمع من غيرهمـا كلاماً كان أخرس لا ينطق. وإذا كان أبواه ناطقَين كان ناطقاً. فاذا اطّردنا المعلول في العلّة لا بدّ من معلٍّ لجمـيع الأشياء لا يتجاوز حـدّه والصورة لا تقبل إلاّ من صورة. فصـحّ أنّ المبدع جلّ ذكره ظهر في القدم بهذه الصورة المرئيّة للمقـابلة والمجانسـة... والدليل على ذلك أن ليس على وجـه الأرض أحدٌ يُحدِثُ صنعةً من ذاته إلاّ أن يكون قد سبق إليهـا غيرُه أو إلى ما يجانسـها ويشـاكلها»[٢٢].

١١أ – بقي مبدأ هام وهو ضرورة وجود «دليل» على هذا التجلّي. و«حمزة هو هذا الدليل. هو «الواسطة» إلى الله، و «الوسـيلة». هو «حجّة الكشف» والبرهان عليه. إنّ الإنسان، وحـده، لا يستطيع معرفة اللاّهوت في صـورة الناسوت، إن لم يُكشَف له ذلك. وخـير كـاشف أو دليل على

(٢١) رسالة الزناد ٣٦/ ٢٧١.

(٢٢) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٣١.

ذلك هو «العـقل الكلّي» ، «علّة العلّل»، وأصل كلِّ المـوجودات. هذا العـقل، هو الآخر، تجلّى في جميع التجلّيات الإلهـيّة، في أشخاص معيّنين. وكان حمزة هو العقل في دور الحاكم. تقول الحكمة:

«وأدلّ دليل على إمامـة قائم الزمـان (حمزة) أنّه أتى بضـد العالم (أي على غـير ما هو مـتعـارف عليه) لأنّ جـميع النطقـاء والأسس (أي الأنبيـاء والأئمّة)، وأصـحاب الأدوار والأكـوار أشاروا إلى عـدمٍ موهوم وأبعدوه عن حواس العالَم. وإنّ قائم الـزمان دعا إلى موجود ظاهر، وإلهٍ في جميع الأمور قادرٍ قاهر»[٢٣].

وتقول أيضـاً في ضرورة الدليل: «إنّ قائم الحـق، المهدي المنتظر، قـد قـام في أشـرف المقامـات، وأوجب الحـجّـة على العـوالم بظهـوره بالبـراهين والدلالات... وأقام عـلى الأمم حجـجَه وبـيّناتِه، ونشر دعـوةَ التوحيد في الآفاق... لئلا يقـولوا: ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير... ثم غاب، سلام اللّه على ذكره، بعد إيجابِ الحجّة على العوالِم... إثباتاً لحججه على العوالم، وتميـيزاً للطائع المظلوم من المرتدّ الشـاكّ الظالم، وإقامـةً للقسط والحقّ والعدل في يوم المعاد والقضاء الفصل»[٢٤].

***

- بوسعـك أن تجهل أشيـاء كثـيرة عن الدرزيّة، ولكنّك لـن تعرف شيئاً إنْ لم تعرف عقيـدة التجلّي الإلهيّ وبُعدها في أعماق الدين. إنّ إلهًا لم يظهر لا يُوجد. ومَن لا يوجد فهو بحكم العدم.

---

(٢٣) المرجع نفسه، ص٥٣١.

(٢٤) السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٦-٥٤٧، أنظر ٢٩/ ٢٢٩... الخ.

ثانياً - كيفية التجلي

يبقى السؤال الأهمّ: كيف تجلّى اللّه في العالم، وأين تجلّى؟ في الإنسان أم في أيٍّ موجودٍ آخر؟ وبتعبير درزيّ: مَن هو «المُقام» الذي استحقَّ أن يكون للّه «حجاباً»؟ «ألمُقام» يعني: «صورةَ الناسوت.. الذي نراه ونشاهده»[٢٥]، و «الحجاب» أيضا هو النّاسوت[٢٦]، و «المحجوب» هو اللاّهوت...

أوّلُ ما تُثبتُ «رسائلُ الحكمة» أنَّ اللّه اختارَ صورةَ الإنسان «مُقامًا» للاهوته، لا كما تقول سائر الأديان، بأنّه ظهر في شجرة أو في جبل، أو في حيوانٍ، أو في حجر. قال حمزة بن علي:

«أظهر(الله) لنا حجابَه الذي هو محتجِبٌ فيه، ومُقامَه الذي يَنطقُ منه، ليُعْبَد ظاهراً، رحمةً منه لهم، ورأفةً عليهم. والعبادةُ في كلّ عصر وزمان لذلك المقامِ الذي نراه ونشاهده، ونسمعُ كلامَه ونخاطبُه. فان قال قائل: كيف يجوز أن نسمعَ كلامَ الباري سبحانه من بَشرٍ، أو نرى حقيقيَّتَه في الصورِ؟ قلنا له ، بتوفيق مولانا جلّ ذكره وتأييده:

---

(٢٥) كتاب الدرر المضيّة ... (قاموس) ص ٦٠٩، يستشهد بـ ١٤٢/١٣.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٢٠-٢١.

«أنتم جميع المسلمين واليهود والنصارى تعتقدون بأنّ اللّه عزّ وجلّ خاطب موسى ابنَ عمران من شجرةٍ يابسة، وخاطبه من جبلٍ جامد أصمّ، وسمّيتموه كليمَ اللّهِ لِما كان يسمعُ من الشجرة والجبل. ولم ينكرْ بعضُكم على بعض. وأنتم تقولون بأنّ مولانا جلّ ذكره مَلِكٌ من ملوك الأرض، ومَن وُلِي على عددِ رجالٍ كان له عقلُ الكلِّ. ومولانا جلّ ذكره يَملكُ أربابَ ألوفٍ كثيرة ما لا يُحصى ولا تُقاس فضيلتُه بفضيلةِ شجرةٍ أو حجرٍ. وهو أحق بأن يَنطقَ الباري سبحانَه على لسانِه، ويُظهرَ للعالمين قدرتَه منه، ويَحتجبَ عنهم فيه. فإذا سمعنا كلامَ مولانا جلّ ذكره، قلنا: قال الباري سبحانه كذا كذا. لا كما كان موسى يسمع من الشجرة هفيفًا، فيقول: سمعت من اللّه كذا وكذا.

«وهذه حجّة عقليّة لا يقدر أحدكم يُنكرها.

«وقد اجتمع في القول بأنّ لمولانا جلّ ذكره عقولَ الأمّة، وأنّ الشجرة والحجر لا تَفهم وتعقل عن اللّه. ومن يَفهم ويعقل عن اللّه أحقُ بكلام اللّه وفعلِه ممّن لا يَعقلُ عنه. وان كانتِ الشجرةُ حجابَه فالذي يَعقل ويَفهم أحقّ أن يكونَ حجابَ اللّه ممّن لا يَعقلُ ولا يَفهمُ. وكيف يجوز للباري سبحانه أن يَحتجبَ في شجرةٍ ويُخاطبَ كليمَه منها، ثمّ تُحرقُ الشجرةُ ويتلاشا (كذا) حجابُه. سبحان الإله المعبود»[٢٧].

ويؤكّد بهاء الدين، قولَ حمزة، فيقول: إنّ «المُقام» الإلهي هو الإنسان لا غيرُه: «إنّ ابنَ آدم غرضُ الباري مِن جميعِ المخلوقات لأنّ جميعَ العالمَ العلوي والسفلي له ومِن أجله. فلمّا صحّ عند ذوي العلم

---

(٢٧) كشف الحقائق ١٣/١٥٣–١٥٤، أنظر أيضا: ١٤/ ١٥٤.

والمعرفةِ والفهمِ أنّ ابنَ آدم أفضلُ الأشياء كلِّها وَجَبَ أن يَحتجبَ الباري جلّت قدرته في أجلِّ الأشياء، لأنّ ضدَّ أجلِّ الأشياء أقلُّ الأشياء، وضدَّ العالِمِ الجاهلُ. فنعوذُ بالمولى من سوء اعتقادِ مَن يَعتقدُ أنّه في الأمواتِ الجهّالِ التي لا تُبصر ولا تسمَع ولا تَضُرّ ولا تَنفع»[٢٨].

إنّ ظهور اللّه في صورة الناسوت لم يُفقِرِ اللّهَ في شيء، لأنّه، مع ظهوره، يبقى باطناً محجوبًا. وبكونه إلهًا لا تستطيعُ الصورةُ الإنسانيّة حصرَه. وعلى قربِهِ من الإنسانِ وظهورِه فيه يَبقى بعيدًا متعالياً. ورغم ظهوره يستطيعُ الغيبةَ آنَ يشاء. يقول حمزة:

«ألذي لم يزل باطناً في ظهوره، ظاهراً فيما بطن، يقوم بناسوته في كلِّ عصر وزمن، وليس بمحصور في الناسوت فيغيب عنه علمُ الملكوت، لكنّه يتجلّى ويتدانى ولا يتدلّى. ظهوره من غير زوال ولا تنقّل، وغيبته من غير حركة ولا تقلقل، بل ظهوره بالشيءِ إقباله عليه، وغيبته به توفيةٌ منه إليه»[٢٩].

ثم إنّ الصورة الناسوتيّة التي تجلّى فيها اللّه، لا يمكنها أن تكون هي اللّه بكماله، لأنّ اللّه سبق وظهر في عدّة صور بشرية عبر الأدوار. ولكنّنا لا نستطيع القول بأنّ اللّه هو غير هذه الصورة لئلا يكون الإنسان مخدوعاً بتظاهر إلهيٍّ غير حقيقي. يقول التميمي[٣٠]:

«لا نقول: إنّ هذه الصورة المرئيّة (في مقام الحاكم) هي هو فنجعله محصوراً محدوداً... بل نقول: إنّ هو (اللّه) هي (الصورة)

(٢٨) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٢٩.

(٢٩) المناجاة مناجاة وليّ الحق ٢٩/ ٢٣٠.

(٣٠) إسمعيل التميمي، أحد الحدود الخمسة، وأحد مؤلّفي رسائل الحكمة..

استتاراً وتقرّباً وتأنيساً بغير حد ولا شبه ولا مثل... هذه الصورة الظاهرة تراها بعين الطبيعة فتظنّها صورةً كصورتك. فإذا دنوت منها بعين العلم لم تجدها صورة، ووجدتَ اللهَّ عندها. كذلك لاهوت مولانا هو الأزلي الأبدي الذي لا يُحَدّ ولا يُوَصف.

«وأيضا مثل هذه الصورة الظاهرة، إذا رأيتها كمثل الناظر في جوهر المرآة، فهو يرى نظير صورته بغير لمسٍ ولا إدراكِ كيفيّة، ولا تحديدِ ماهيّة. فإذا أردتَ تلّمسَها لمستَ صورَتك. وإذا غيّرتَ ما بصورتك تغيّرتْ في عينك، وذلك إذا كان نظرُك سالِماً من القذى والرّمد. وإن كان به عارِضُ أذّيةٍ لم تَنظر تحقيقَ صورتك. كذلك ناظر هذه الصورة المرئيّة بمقدار علمه وتحقيقه يكون نظره لها»[٣١].

ويوضح حمزة كيفيّة ظهور اللّه وكيفيّة معرفتنا به بقوله: كما أنّنا لا ندرك العقل اللطيف الروحاني، بل ما يظهر من العقل، هكذا فإنّنا لا ندرك حقيقة اللّه، بل ما يظهر من اللّه في صورة الناسوت. يقول:

«نضرب لكم مثلا...فمثله كمثل شخص ناطق جسماني، وله روح لطيف متعلّق بذلك الجسد الكثيف، وله عقل يدبّر الأشياء بذلك العقل وهو يعلم أين منتهى عقله. والناس لا يعلمون بعقله ولا بموضعه، ولا حقيقيّته، ولا يدركون من عقله الاّ بمقدار ما يظهر من عقله... ولا يقدر أحد يقول إنّ العقل يظهر بلا جسم لأنّ الروح لا تدركه إلاّ بالجسم»[٣٢].

هذه الصورة الإنسانيّة التي كانت «مقاماً» لله في دورنا هذا، حلّت

(٣١) كتاب تقسيم العلوم ...٣٦/٢٥٨-٢٥٩.
(٣٢) البلاغ والنهاية ٩/ ٨٠.

أو «ظهرت» في «الحاكم». فهو «ناسوت الحجاب الذي احتجبَ (الله) عنّا فيه، والمقام الذي ينطق منه، وهو ما نراه من صورةٍ بشريّة»[٣٣]، وهو «المُظهِرُ ناسوتَه للعالَمِ المُسمَّى مُقامُه بالحاكم»[٣٤]، أو هو «الصورة المرئيّة الظاهرة لخَلقه بالبشريّة، المعروف عند العالَم بالحاكم»[٣٥].

***

إنّ أسلوب «الحكمة» في الكلام على التجلّي لا نجد له مثيلاً في اللّغة العربيّة. وننقل بعضه للدلالة على أهمّيّته وجدارة أهل التوحيد بسبرغوره. فوضوحُ الرؤيةِ فَرَضَ على أصحابِها وضوحَ التعبير. ووضوحُ التعبير دلَّ على معرفةٍ صحيحة بأبعاد ه اللاّهوتيّة.

تقول الحكمة: إنّ اللّه «ظهر لِخَلقِه بِخلقِه من حيثُ خلقه»[٣٦]، و«هو المولى جلّ ذكره الذي ظهر لخلقه بِخلقه، ظاهرًا مكشوفاً لعبيدِه العارفين به»[٣٧]، وهو «المتجلّي لِخلقِه بِخلقه من حيثُ خَلَقه»[٣٨]، و«المتجلّي لِخلقِه كخَلقِه من حيث خَلقه»[٣٩]، «واحتجب بما خَلَقَه مِن خَلْقِه»[٤٠]...

وبأسلوب آخر تعبّر «الحكمة» عن ظهور اللّه في البشر حيث هم،

(٣٣) رسالة سبب الأسباب ١٤/ ١٥٤.
(٣٤) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٨٥.
(٣٥) رسالة البلاغ والنهاية... ٩/ ٧٩.
(٣٦) الصبحة الكائنة ١٩/ ٢٠٣.
(٣٧) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٢٨.
(٣٨) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١/ ٢٠٩.
(٣٩) بدء التوحيد لدعوة الحق ٧/ ٦٧.
(٤٠) الرسالة الموسومة ببدء الخلق ٨٦/ ٧٥٨.

أي في مواقعهم، كما هم، في صورتهم، في صحّتهم ومرضهم، في غناهم وفقرهم، في ذلّهم وعزّهم... تقول الحكمة:

«إنّه يظهر لهم من حيث هم، كما أوجب، في صورٍ كصورهم»[٤١]. وإنّه «أوجد ذاته لهم كما حكم... فهو الظاهر لتثبيت الحجّة على الناس، وهو الباطن الذي لا يدرك بالحواس... ظهر لهم كهم ليقع الإيمان به حقّاً وصدقاً. ثمّ تأنّس إليهم، فثبّت الحجّة عليهم... أحسنَ إلى الخلق فيما فعل، إذ قام فيهم ظاهراً موجوداً»[٤٢].

إذا عجز الناس عن فهم بعض مظاهر الناسوت فكيف حالهم عندما يواجهون اللاّهوت! «مَن لم تُدركوا ناسوتَه الذي أظهره لكم من حيث أنتم، ولم تقفوا على كنه أفعاله البشريّة، فكيف تدركون لاهوته بالكلّيّة، أو تحوطون بقدرته، أو توحّدونه بحقيقة أحدانيّته؟»[٤٣].

أمّا كتاب «المصحف المنفرد بذاته» فهو يُضاهِي «رسائل الحكمة» من حيث كلامه على أهمّيّة التجلّي الإلهي. يقول داعياً الله بشكل صلاة من القلب الخاشع:

«مولاي الحاكم! سبحانك في تجلّيك هذا! ظهرتَ لنا، فرأيناك بأعيننا، وبقلوبنا، وبأفكارنا، وتوجهّنا إليك، فخاطبناك، واطمأنّتْ بك حالاتنا»[٤٤].

---

(٤١) ألموسومة بالإسرائيليّة ٧٢/ ٦٢٥-٦٢٦، أنظر: ٥٣/ ٣٨٦.
(٤٢) ألمناجاة مناجاة وليّ الحقّ ٢٩/ ٢٢.
(٤٣) رسالة البلاغ والنهاية...٩/ ٧٥.
(٤٤) مصحف المنفرد بذاته، المنسوب لقائم الزمان، مخطوط، ص ١١٧.

«مولاي سبحانك! لك الحمد على آلائك أن تسمّيتَ بأسمائنا، وظهرت بأشباحنا، وأفعالِنا، ثم تجرّدتَ عن جميع صفاتنا، ودعوتَنا إلى الحقيقة والمعرفة والوجود والتنزيه»[٤٥].

«إلهي! سبحانك! أنت الحاكم، الفرد، المتجلّي أمامنا، ألظاهر لأعيننا وبصائرنا، أنت الذي نراك رؤيتنا أنفسنا»[٤٦].

«تبارك الذي أدركه الواصلون في تجلّياته من حيث هم، لا من حيث هو... سبحان مَن فنيت ذواتُ محبّيه في مشاهدةِ ذاته، فتجلّتِ الذاتُ في كلّ شيء، ثم تجلّتِ الأشياءُ على ذاتها»[٤٧].

«لكي لا يكون للناس على اللّه حجّة، ظهر لهم فيما بينهم»[٤٨]، فاتّخذ «ذاك الجمال الأزلي لنفسِه في كلِّ مُقام إسماً خاصّاً وهيكلاً مخصوصاً»[٤٩]، «فصار ظهورُ الخالق صورةً إنسانيّة ليؤنَسَ بها... ولهذا... تجلّى ربّك للذين آمنوا، فرأوه في أنفسهم، وخاطبوه في ألسنتهم وقلوبهم، وجالسوه، وكنّا لمجلسِهم شاهدين، واحتجب عن أعين الذين كفروا»[٥٠].

---

(٤٥) المرجع نفسه، ص ١٢٣.
(٤٦) المرجع نفسه، ص ١٢٠.
(٤٧) المرجع نفسه، ص ٢٠٧ – ٢٠٩.
(٤٨) المرجع نفسه، ص١٣.
(٤٩) المرجع نفسه، ص ١٨.
(٥٠) المرجع نفسه، ص ٦٩ – ٧٠.

ثالثاً - غاية التجلي

ألغاية من ظهـور الله في صورة الإنسان مزدوجـة: ألأولى تقوم على ضرورة معرفة الله، اذ لو بقي الله بعيداً في سمائه السابعة لما عرفه إنسان؛ والثانيـة تقوم على رحمة الله بالإنســان ومحبّتـه له... والغايتان مبادرة إلهـيّة، لا فضل للإنسان بهـا. وكلتاهما لخلاصـه وسعادته، في حال قـبوله لهـا. وقد تكون الأولى ضرورة إلهـيّة لا مناصّ منهـا، تماما كضرورة ظهور العلم من العالم ليُـعرف بعلمه، وإلاّ كان بمنزلة الجاهل. يقول الموحّدون:

«لمّا كان الباري[٥١] سبحانه موجوداً في محلّ وجوده السابق، بلا بداية ولا مكان، معنى لاهوتيّاً بغير صفة ولا زمان، وتوحيداً صمديّاً[٥٢]، وعلماً مـحيطاً بغير نسـيان، وقدساً ملكوتيّـاً بغير نقصــان، موجوداً من واحد، مـعبوداً قـبل كلّ عابد... موجـوداً في ذاته قبل وجـود الواجدين، منزِّهاً ذاته بذاته قـبل تنزيه المنزِّهين، معـبوداً في ذاته بـذاته قبل عـبادة العابدين، موحِّدا في ذاته بذاته قبل توحيد الموحِّدين. فلمّا لم يكن سواه.. فاقـتضت إرادته الفعّـالة وحكمته التامـة إظهار المخلوقات والموصـوفات والمصنوعات لتكون برهاناً على توحيده، ويستدلّ بها على وجوده..

(٥١) «الباري» هو إسم الله عندما خلق آدم. وقد كان له أسـماء عديدة قبل آدم. نعرف منها فقط «العليّ الأعلى».

(٥٢) «التوحيد الصمدي» هو غير المعروف، لأنّ الله لم يظهر بعدُ ليُعرف.

«فلمّا كان من صفات الموجِد إظهارُ الموجودات، ومن صفات الصانع إظهارُ المصنوعات، ومن صفات القادر إظهارُ القدرة، ومن صفات العالِم إظهارُ العلم، ومن صفات الحكيم إظهارُ الحكمة. وكل موجودٍ لا يُظهِرُ موجوداتِه فهو مجهول، وصانعٍ لا يُظهِرُ مصنوعاتِه فهو مُهمَل، ومن لم يقدر على إظهار قدرته فهو عاجز، وعالِمٍ لا يُظهِرُ علمَه فهو جاهل، وحكيمٍ لا يُظهِرُ حكمتَه فهو سفيه، وكان الباري سبحانَه هو القديم والصانع الجدير والقادر القدير والعالم الخبير والحكيم البصير»(٥٣).

لقد اقتضت حكمة اللّه من الله، إذاً، أن يَظهر ويتجلّى لكي يُعرف على حقيقته، ويوحِّده الموحِّدون، ويعبده العابدون؛ ولكي يعرّف العالم ذاتَه بذاتِه. فكما «أنّ الروح لا تُدرَك إلاّ بالجسم، كذلك مولانا جل ذكره، بظاهر ناسوته، عرّفَنا بلاهوته، ومن حيثُ نحن ومن صُوَرِنا خاطَبنا، وإلاّ فما عرفناه، ولا أدركْنَاه. فأظهرَ لنا صُوْرَته المرئيّة ومقامه البشريّة»(٥٤).

ولو افترضنا أنّ الله لم يَظهر بالصورة الإنسانيّة، وأراد للإنسان أن يعرِفه كما هو بلاهوته، لاستحالَ ذلك على الإنسان، إذ ليس بمقدورِ وعاءٍ صغيرٍ أن يَسَعَ أكبرَ منه، وليس بمقدورِ المخلوقِ أن يرتفعَ إلى مستوى الخالق، إن لم يمنّ عليه الخالق بما يناسب طبعَه.

قالت الحكمة: «فبتقدير أحكامه امتنّ على خلقه بوجود صورته من جنس صُوَرِهم، فخاطبتْهُمُ الصورةُ بالمألوف من أسمائهم، فأنستِ

---

(٥٣) مختصر البيان في مجرى الزمان ورقة ٣ب –٤ب..

(٥٤) رسالة البلاغ والنهاية... ٩/ ٨٠.

العقـولُ إلى ظاهر صورتِه، واسـتدرجَهم إلـى معرفـته، بلطيف حكمـته امتناناً منه على خلقـه. فبخفائه لـعظيمِ قدرتِه ثبتت الصنعةُ واسـتقرّت. ولو انكشف لها معرفةُ مبدِعها من غير تأنيسٍ ولا تدريجٍ لَصَعقت لقدرته وخرّت. فسبحانَ مولانا الحاكم»[٥٥].

بهذا أَوجـبتِ الحكمةُ الإلهيّـة أن يتسمّى بأسـماء البشر، ويتّـخذَ صورتَهم، ويعملَ أعمالهم، ويتبنّى عجزَهم ومَرَضَهم وضعفَهم وفقرَهم. تقول الحكمة: «فلمّا كانتِ العبيدُ عاجزين عن النظرِ إلى توحيدِ باريهم إلاّ من حيثُ هم، وفي صُوَرِهم البشريّةِ، أوجـبت الحكمةُ والعدل أن يتسمّى بأسمائِهم حتى يدركونَ بعضَ حقائقه»[٥٦].

ثم يوجز «الأميـر السيّد» إمكانيّةَ مـعرفة اللّه الناجمـة من ظهوره الإلهي في الصورة البـشريّة بأربعة، فيـقول: «والشواهد على المشـافهة بهذه الأربعة: ألهيئة، والأسماء، والمخاطبة، والأفعال»[٥٧]. وهو يعني بذلك أنّ الله اتّخذ هيـئةَ الإنسـان، واسمَه، وخـاطبَه بكلام مسـموع مفـهوم، والتزم فعْلَ أفعاله؛ بهذه الأربعة استطاع الإنسان معرفةَ اللاهوت.

***

أمّا الغـاية الثانية فـهي رحمة اللّه بالإنسـان. فلولا ظهور اللّه في صورة البـشر لما شعر الإنسـان قط بمحبّة اللّه له وبرأفتـه به. «فكما أنّ تجلّيه أعظـم الرحمة، فـإنكاره وجحده أعـظم السخط»[٥٨]. فلأجل هذه

(٥٥) رسالة الغيبة ٣٥/ ٢٥١.
(٥٦) ألسيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٣.
(٥٧) ألأمير السيِّد التنوخي، تفسير رسالةكشف الحقائق، ص ٦٦٦.
(٥٨) مخطوط «تفسير رسالة كشف الحقائق» للأمير السيِّد، ص ٦٦٣.

الرحـمة الشـاملة «أظهـر (الله) لنا حـجابه (بـصورة الحـاكم) الذي هو محتـجب فيه، ومُقامَه الـذي ينطق منه، ليُعبد موجـوداً ظاهراً، رحمة منه لهم، ورأفةً عليهم»[٥٩].

هذه الرحمة الحاصلة من التجلّي هي أيضاً مـبادرة إلهيّة، مجّانيّة، لا فضل للإنسان فيها، ولا استـحقاق؛ بل أفاضـها اللّه عليه دون أن يكون له عليه أي حقّ. لقد أسبغ (الله) عليكم نعمته بغيـر استحقاق تستحقّونه عنده، ولا واجب لكم عليـه، بل أنعم عليكم بلطفه، وقـرّبكم منه برحمـته، وباشركم في الصورة البـشريّة، والمشافهة لكم بالوعـيّة، لعلّكم تدركون بعض ناسوته الإنسيّة»[٦٠].

ثم تسـتفـيض «الحكمـة» في أشكال رحـمة الله بتـجليـه الإلهيّ، وبتقـرّبه من الإنسان. فهي لطفٌ لا حـدود له، ورفقٌ بالبشـر، وطمأنينةٌ لقلوبهم، وإنسٌ لعـقـولهم، وشفـقةٌ بـهم بالغة، واسـتـدراجٌ لهم لتقـبله أفهامهم... بهذا يصبح في طاقتهم مقابلة اللاّهوت.

تقول «الحكمة»: «تقرّب إلينا بِنَا، وآنس عقولَنا بصُوَرِنا، وظهر لنا بجميعِ أفعالِنا، لتقبلَه أفهامُنا»[٦١]. وتقول أيضـاً: «أظهر لنا الناسوت رِفقًا بِنا، واطمأنيَّـة لقلوبِنا، لأنْ ليسَ في طاقتنا مـقابلةُ اللاّهوت».[٦٢] وتقول أيضاً: «سـبحاَن مَن أظهـرَ حكمتَه، فـأعجز بريّتَه، الـظاهرُ لنا بِصُوَرِنا، تـأنيسًا لنا، واطمأنيّةً لعقولنا، فخاطَبَنا بِنَا، حكمةً بالغةً، وآيةً معجزةً»[٦٣].

---

(٥٩) رسالة كشف الحقائق ١٣/ ١٤١-١٤٢.

(٦٠) رسالة البلاغ والنهاية... ٩/ ٧٥.

(٦١) كتاب فيه تقسيم العلوم...٣٦/ ٢٥٨.

(٦٢) رسالة النساء الكبيرة ١٨/ ١٩٦.

(٦٣) المرجع نفسه، ص ١٩٥.

وتقول أيضاً: «أظهرَ لنا ناسوتَ صُوْرَتِه تأنيسًا للصُوَرِ، فحَارَ فيها الفكرُ حينَ أفكر»[٦٤]. وأيضاً: «أظـهرَ لَنا فِـينا... أنسيّـةً لعقولـنا، وشفقـةً منه علينا»[٦٥]. وبالنتيجة، إنَّ الله هو «الظاهر لتأنيس الصّوَرِ»[٦٦].

***

لقد أطلنا في نقل نصوصٍ عديـدة عن التجلّي الإلهي، وذاك لأهميّة الموضوع، وللتـأكيد على عقـيدة هي أساس الديانة الدرزيّة. وقـد وعاها الموحّدون، وتكلّموا علـيها. وبحثوا فـيها، وأقرّوا بأهمّيـتها. وبالرغم من الحـيطة المضـروبة على الـدرزية وعـقـائدها، نرى الدروز المعـاصـرين يكتبـون عنها بصـراحة ووضـوح، فـقـال «سامـي أبو شقرا» مـثلاً: «إنّ الخـالق الحقّ يتـجلّى لعـبـاده، تذكـرة وتأنـيسـاً، من دور لدور»[٦٧]. ويستـهشد بـ «رسائل الحكمـة»، وهو من النوادر في الأبحاث الدرزيّة ، فيـقول: «قالت الرسـائل: "ثمرة الكمـال مشاهدة البـاري"، وتقول: "لا حجّة لكم على اللّه لأنّه عـرّفكم ذاته"، ثم تعيد: "لقد ظهـر لهم كهم ليقع الإيمان به حـقّاً وصدقـاً"، وأيضاً: "إنّ اللّه لا يحـتجب عن خلقـه، ولكن حجبته عنهم أعمالهم"[٦٨].

ولكنّ مبدأ «التقيّة» والحذر يعود بـأبي شقرا إلى الاحتراز ليفسّر هذا التـجلّي تفـسيـراً روحـيّاً. فـاللّه، بنظره، يُري الإنسـان «ذاته رؤيةً

(٦٤) رسالة الغيبة ٣٥/ ٢٥٠.
(٦٥) رسالة الانصناء ٢٤/ ٢١٩.
(٦٦) رسالة الغيبة ٣٥/ ٢٥٠.
(٦٧) مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ١١، أنظر ص ١٥.
(٦٨) المرجع نفسه، ص ١٥.

روحيـة لا مادّيّة»[٦٩]. وينكر، بالتـالي، على تجلّي الله أيَّ نوعٍ من أنواع التجـسّد المادّي، فيقـول: «إنّ الله لم يتلبّسْ جَسَدًا مـادّيًا، ولا أثيريّاً، ولا ظلاًّ لجسد، إنّما كل كنهه»[٧٠]...

وكذلك هو الأمر عند السـيّد كمال جنبلاط، فـهو يقول بـ «بطلان الحلول والتجـسّد»، ويفسّـر: «امّا الحلول أو التـجسّد، فـلا يمكن للأحد السرمدي القائم الثابت أن يحلّ أو أن يتجسّد في المتنوّع الذي من طبيعته وإبداعه التبدّل والتغيّر والزوال. هذا من منطق المحال»؛ ولكنّه يعود ليقول بـ «التنزّل والتجلّـي»، ويفسّر ذلك بالنسـبة إلى الإنسان لا بالنسـبة إلى الله، ويقول: «يحـصل ذلك (التجلّي) عندما المتحـقّق الحكيم يتخلّص من تلك الآدميّة، فتفيض عليه الصفات الربّانيّة وتتجلّى فيه الأنوار الألـهيّة»... وهذا لا يكـون «إلاّ عندمـــا تمـوت هذه النفس الأنـانيّـــة الفـــرديّة في الإنســان»[٧١]. ثم يدعم نظريـتـه بما اسـتطاع من نصـوص صـوفـيّـة للمتصوّفين المسلمين دون ذكر نصّ واحد من «الحكمة»[٧٢].

ويخـتلط علينا الكـلام عند الدكـتور سـامي مكارم، فـهـو يقـول ويعترف بأنّ «مـوضوع التجلّي، هو موضــوع يحتلّ في عقيدة التـوحيد مركزاً مهمّاً إنْ لم نقل المركز الأهمّ». ويأخذ على السـفير النجار معالجته له «في صفحتين» فقط، في حين أنّه يحتاج «الى كثير من التقصّي العلمي والتعمّق في الـبحث». ويحيلنا الدكتور إلى أقـوال صوفيّة لا حـصر لها،

---

(٦٩) المرجع نفسه، ص١٥.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ١٦.

(٧١) مقدمة كمال جنبلاط على كتاب أضواء على مسلك التوحيد، ص ٣٣.

(٧٢) المرجع نفسه، انظر ٣٣ – ٣٦...

دون ذكر نصّ واحدٍ من «الحكمة»[٧٣]. ثم يأخذ على السفير قوله «بتأليه الأشخاص أو بالتجسّد»، ويردّ عليه بنصوص «المسالك الصوفية العرفانيّة القديمة والحديثة»[٧٤].

ولكأنّ «فؤاد الأطرش» يردّ على الدكتور مكارم في قوله: «وقضيّة الألوهيّة هذه كقضية الإسراء والمعراج، لا يجدي بحثها أو أنكارها... فالمنكرون لها كالمؤمنين بها، كلاهما صادق»[٧٥]. وهو ردّ ذكي، فيه الكثير من الدهاء، وخاصّة عندما ينبهّنا بقوله: «نكرّر تأكيدنا أنّ ما نبحثه في موضوع الألوهية (أي: ألوهيّة الحاكم، وهو عنوان الفصل) هو بحث عام لا يمثّل رأي المذهب، كما أنّنا غير مكلّفين لإجراء مثل هذا البحث»[٧٦]. ولكي يبرّر بحثه يسأل: «سؤال أخير في هذا الموضوع: هل يوجد في هذا العصر إله متجسّد على الأرض؟ نجيب " نعم يوجد»[٧٧].

وهكذا وبهذا الأسلوب يعالج الدروز عقيدتهم الأساسيّة. وهي معالجة تعرجُ بين قول الحقيقة علانيةً وقولها بمواربة وتستّر. وفي كلّ حال تبقى كلمة الفصل لـ «رسائل الحكمة»، وقد استفضنا في نقلها.

---

(٧٣) أضواء على مسلك التوحيد... ص ١٢٧، ١٢٨، حتى ص ١٣٥.

(٧٤) المرجع نفسه، ص ١٠٥ و ١٠٦.

(٧٥) الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص ٢٢١.

(٧٦) المرجع نفسه، ص ٢٢٧، ملاحظة ١ في ص ٢٢٦.

(٧٧) المرجع نفسه، ص ٢٣٠.

الفصل الرابع

سفر التكوين الدرزي وأدواره

أولاً – دور العليّ الأعلى

ثانياً – دور الباري

ثالثاً – أدوار الإعداد للكشف الحاكمي



أولا - دور العلي الأعلى

«كان الباري ولم يكن معه أحد، بلا بداية ولا مكان، معنىً لاهوتيّاً، بغير صفة، ولا زمان... موجوداً في ذاته، قبل وجود الواجدين، منزّهاً ذاته بذاته... معبوداً في ذاته...موحّداً في ذاته بذاته»[١]. لم يكن له إسم ليعرف به، ولم يكن له أيّ ظهور في الكون ليتعيّن فيه. لقد كان بحكم المجهول، لأنّ «كل موجود لا يظهر موجوداته فهو مجهول، وصانع لا يظهر مصنوعاته فهو مهمل.»[٢].

لهذا «دلنّا مذهب التوحيد دلالة صريحة صحيحة على أنّ التجلّي كان اثنين وسبعين دوراً. ظهر اللّه فيها لخلقه بصورتهم لإبطال حجّتهم، بقولهم: إنّنا لا نعبد إلهاً لم نره قط. وهذه الأدوار نعرف عشرة منها، بعضها بالمكان والزمان، وبعضها بالمكان دون الزمان. أمّا الباقي من الأدوار فلا نعرف عنه شيئا»[٣]. وهكذا فـ «الكشفات جميعها، من العليّ إلى الحاكم إثنين وسبعين لا غير»[٤].

---

(١) مختصر البيان في مجرى الزمان، مخطوط رقم ١٤٤١، ورقة ٣ب-١٤أ.
(٢) المرجع نفسه، ورقة ١٤أ.
(٣) توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، ص ٥٣-٥٤.
(٤) مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس، رقم ١٤٣٦، ورقة ١٧أ.

كـان أوّل ظهور إلهيّ في الكون بـاسم «العليّ الأعلى»،وهو أطول أدوار الدنيا، وقـاعدة الأدوار جميـعها، «تجلّى حـيث هي القدس»[٥]. عن هذا الدور الغارق في الماضي السحيق لا نعرف شـيئاً سـوى أنّ «العقل الكلّي» كـان إسم الموجـود الأوّل الذي يعود إليـه فـضل الكشف الإلهي. وكـان إسم الفرقـة الناجـية «الموحّـدين»، واسم الضـدّ «ابليس»، واسم الميثاق «الجنّة»[٦].

وقد أشارت «الحكمة» إلى هذا الدّور عابراً. فـقال حمزة: «إعلموا ، أيّدكم المولى بطاعـته أنّ آدم الصفـا الكلّيّ فهو ذو مـعة[٧]، وقد خدم في دعوة التوحيـد والعبادة لمولانا العليّ الخبير، في الأعصـار الماضية، قبل هذا الدور (أي: الدور البـشـري) الذي لُقّب فـيـه بآدم»[٨]. ومع هذا الوضـوح، ينكر «دو ساسي» وجود هذا الدور[٩].

واستـمرّ دور العليّ مدة ٣٤٣ مليـون سنة، على حدّ قول حـمزة: «... من وقت إبداعـه العقـل الكلّي إلى حين ظهور آدم الـصفـا وسجـود الملائكة له، وهو تمام سبـعين دوراً، بين كل دور ودور سبعون أسـبوعاً، بين كل أسبوع وأسبوع سبعون عاماً؛ والعام ألف سنة ممّا تعدّون»[١٠].

ومع ظهـور اللـه في «العلي الأعلى» ظهـرت «حـدوده» وسـائر العوالم كافّة. وهي التالية:

---

(٥) توفيق سليمان، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٦) كتاب الدرر المضيّة واللمع النورانيّة... فصل «ع» باب «ل»...

(٧) «ذو معة» أي الذي وعى الله وعرفه مشاهدةً، وكان «معه» منذ البدء.

(٨) السيرة المستقيمة ١٢/١١٣.

(٩) انظركتاب «سلفستر دو ساسي» المذكور (بالفرنسية)، ج١ص ١٩

(١٠) السيرة المستقيمة ١٢/ ١٣٤، كشف الحقائق ١٣/ ١٥١.

أ – ألعقل الكلّي:

«وُجد» العقل على الشكل الآتي: «لمّا كان الباري منفرداً بذاته، غنيّاً عن مخلوقاته، منزَّهاً عن صفات مصنوعاته، جعل للموجودات جميعها علّة وسبباً، يتنزّه به الباري من مباشرة الإبداع بذاته المقدسة. هذه العلّة هو العقل الكلّي»[١١].

«جعله الباري غايةَ المبدعات، وعلّة الكائنات، ومدبّر جميع المخلوقات. فهو قابل الوحي، ووسيلة الرحمة، ومُجري النعمة، وينبوع الحكمة.. به انتظم الكون، وظهرت مراتب العلل، وكملت منازل الخلقة. وهو مكوِّن الأكوان، وإمام الأئمة، ومسيح الأزمان»[١٢].

ظهر «العقل الكليّ، صلوات الله عليه، من نور الباري سبحانه. فكان جوهراً كاملاً، ونوراً صافياً، فعّالاً فيما دونه من العلل والمعلولات، مفعولاً بتأييد العالّ سبحانه، قابلاً في جوهره كل شيء بالقوّة، متحرّكاً لطلب المادّة والزيادة، مخصوصاً في جوهره بالأسماء النورانيّة، كالارادة، والعلّة، والعقل، والسابق، والأمر، وذو معة، والإبداع، والرّوح، والهادي، والوحي، والوسيلة»[١٣].

والعقل منعوت في ذاته «بالكمال، والقوّة، والفعل، والعلم، والإطّلاع، والتمييز، والإحاطة، والحفظ، والذكر، والنورانيّة، والشعشعانيّة، واللطافة، والصفاء، والضياء، والإشراق، والشفاف،

---

(١١) مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٤ ب. أنظر أيضا: «النقط والدوائر»، ص ٣-١٣، والنجار، «إمامة العقل في مذهب الموحّدين»...

(١٢) مختصر البيان ... ورقة ٥أ.

(١٣) المرجع نفسه، ورقة ٥ أو ب.

والنبوّة، والهداية، والإفادة، والزيادة، والطاعة، والثبات، والحياة، والحركة، والبقاء، والأزليّة، والدوام، والزمان، والمكان، والحلول، والإنتقال، بداية بلا نهاية، ودوام لا تدركه الغاية»[١٤].

لقد خصّه الباري «بالأسماء الرفيعة: كالإمام، والناطق، والرسول، والهادي، والداعي، والديّان، والبرهان، والدالّ، والدليل، والحجّة، والنبي، والوليّ، والحق، والسدق، والشاهد، والمجازي، والمثيب، والمعاقب، ومن شاكل ذلك... وخصّه أيضاً بالأمثال البديعة: كالشمس، والبحر، والجبل، والسماء، والعلم والصراط، والكتاب، والفنيق[١٥]، والرئبال، واليعسوب، والقلم[١٦]، والقاف[١٧]، والألف بالابتداء، والألف بالإنتهاء، وما شاكل ذلك»[١٨].

***

دعا العقلُ، في دور العليّ، إلى التوحيد، فاستجاب له قومٌ يقال لهم «البِنّ»، لأنّهم «بانوا عن المشركين»[١٩]، والمشركون هؤلاء هم «الجِنّ الذين كانوا يعبدون العدم»[٢٠]، أي اللّهَ قبل تجلّيه في مخلوقاته.

هذا العقل كان «علّة العلل» و «سبب الأسباب»، في حين أنّ العليّ الأعلى هو «معلّ علّة العلل» و«مسبّب سبب الأسباب». بالعقل كوّنت

---

(١٤) مختصر البيان... ورقة ٥ب.
(١٥) الفنيق «ظاهره فحل الجمال المكرّم، وحقيقيته إمام الزمان» (الدرر).
(١٦) من القرآن: «إقرأ وربّك الإكرام، الذي علّم بالقلم» (صورة القلم ٤).
(١٧) سورة «ق» في القرآن رقم ٥٠ آية ١
(١٨) مختصر البيان ... ورقة ٢٤ أ.
(١٩) السيرة المستقيمة ١٢/ ١١٤.
(٢٠) المرجع نفسه، ١٢/١١٣.

جميع الكائنـات، فكان به تكوينهم، لقوله: «إنّما أمره، اذا أراد شـيئاً، أن يقـول له: كـن. فـيكون»[٢١]، وهـو «أصل نقطـة البـيكار»[٢٢]، «مـدروك محـسوس، يأكل ويـشرب»[٢٣]، عكس «العليّ» الذي لا يدرَك. وهو غـاية الموجـودات، قـال له الـعليّ: «لا دخلَ أحـدٌ جنّتي، أي مـيـثـاقي، إلاّ بك وبمحبـتك، ولا احتـرق بناري، يعني ظاهر الشرائع النامـوسيّـة، أحدٌ إلاّ بتخلّفـهم عنك ونفاقهم عليك. من أطاعك فـقد أطاعني، ومن عصاك فـقد عصاني»[٢٤].

***

عن العقل الأوّل يقول الشيخ بهجت غيث:

«أنّ العقل هو رأس سائر المبدعـات والمصوّرات والمثالات التي هي دونه. وهو ممسك بهـا ومـدبّرها... يحيط بكـلّ دائرة الوجود.. والمبـدع يفـيض على العقل جـميـع الخيـرات.. وهو أشرف الموجـودات وألطفهـا وأعلاها منزلة. وهو مـرتبها ومنـظمها تحت أفق الأزلي تبـارك وتعالى، والآخـذ عنه بغيـر وسـيط، والواهب جـميع مـا دونه الشـرف والحيـاة والنور. وهو التـرجمـان الأعظم. والحـاجب الأقرب إلى الحقّ سـبحـانه وتعالى»[٢٥].

«ألعـقل هو الأمـر. وهو الروح الأمين. والروح القـدس. وهو روح

---

(٢١) كشف الحقائق، ١٣/١٣٢، مستشهدة بسورة يس ٣٦/٨٢.

(٢٢) كشف الحقائق، ١٣،١٣٢، انظر كتاب «النقط والدوائر».

(٢٣) كشف الحقائق، ١٣/١٣٢.

(٢٤) المرجع نفسه. انظر ص ١٣٢ - ١٣٣، ١٤٠، ٣٩/٢٨٢ ألخ...

(٢٥) سماحة الشيخ بهجت غيث، في معارج الروح، ص ٤٢.

الحق. وهو خبز الحياة. وهو الطريق. وهو الابن الذي أرسله الأب باسمه ليهب الحياة الأبديّة. وهو الذي قال لليهود والفرّيسيّين: لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. أنتم لا تعرفوني ولا تعرفون أبي.. وهو، بالحقيقة، دائرة الكون والتكوين. بها وإليها تعود. وهو بحر البحور. ونور الفرقان والزبور والطور والكتاب المسطور والبيت المعمور والنافخ في الصور. وآية الكرسي في سائر الدهور. وهو السعادة القصوى.. وهو سدرة المنتهى وسدرة العرفان وجنّة المأوى والنور الذي جاء إلى العالم بالحق الذي يحرّر مَن عرفه[٢٦]..

«هو علّة العلل الموجودات، الذي تنزّه به معلُّه، وأحصى فيه جميع ما هو كائن وما سيكون وكيف يكون. فوّض إليه أمره. وأطلعه على مكنون سرّه. فلا شيء يخرج عنه ولا شيء يُدرك إلاّ به.

«وكلّ العلوم والمعارف والحقايق والدقايق والرقايق الفائضة عن أمر كن لا تدرك إلاّ بالعقل. وكلّ الخلق والكون والتكوين مضاف إليه. والرسل والرسالات والمرسلين الأوّلين والآخرين والملك والملكوت والملائكة العلويّة والسفليّة هو مصدر وحيهم وأمدادهم . ومن هنا أصبح علّة كلّ شيء لأنّه سابق السوابق. وهو الابن البكر الحق...»[٢٧].

٢- الضدّ :

كان جوهر العقل قابلا للطاعة والمعصيّة قبولاً متساويًا: شاهدَ العقلُ وجودَ العليّ، وأوراه العليُّ ذاتَه المقدّسة، وتقرّب إليه بالأنسيّة،

---

(٢٦) المرجع نفسه، ص ١١١.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ١١٢.

وقال له: «أقبِل»، فـأقبلَ على توحيد العليِّ إقبـالاً كلّياً، ثم قال له: «أدبِر»، أي تولَّ عن جميع مَن يُشرك بي غيري ويعـبد سواي، فَعَلِمَ العقلُ بوجودِ قومٍ عصاةٍ يُشركون بالعلي ويَعبِدون سِواه»(٢٨).

ثم تحرّك جوهرُ العقل نحو مبدِعه فتولّد من تلك الحركة الحرارة، وهي الطاعة؛ ولمّا سكن في توحيد مبدِعه واسـتقرّ باطمأنّيّةِ اليقين، فتولّد من ذلك السكونِ برودةٌ، وهي المعصـية. وعندما سكن العـقلُ مطمئنّا إلى ذاته، ونظر إلى نفسـه بعين الفـردانيّـة والعظمـة، ورأى ذاته بلا نظيـر يشاكله، ولا ضـدٌ يقاومُه، ولا ندٌّ يُعـادِلُه... تولّدَ من هذه النظرةِإلى الذاتِ الضِدُّ اللّعينُ.

لقد وُجِـدَ الضدُّ، إذاً، من «إعجابِ» العـقل بنفسه، وظهر منه بـغير مُرَادِه، كرهًا منه. وفي ذلك بيـان قدرة العليّ الذي يَخْلُقُ من النور المحضِ ظلمةً محضةً. إلاّ أن العليّ أَمَرَ الضـدَّ بطاعةِ العقلِ، فأبَى وخاصَم ونازع وتكبّرَ، وطـلب الرئاسةَ على العـقلِ... وعَلِم العقلُ أنّهـا محنةٌ ابتـلاه بها العليّ، أي اخـتبَـره بهـا لمّا نظرَ إلى ذاته وأُعجبَ بنـفسـه فأقّـر عند ذلك بالعـجز والضعـف، واستغـفرَ من العليّ عن ذنـبه، وتضرّعَ إلـى مولانا العليّ الأعلى لِيُوجدَ له مُعينًا» على الضدِّ المُخالِف. فَخَلَقَ له «النفسَ».

٣– النفس:

جعل العليّ للعقلِ، إذاً، «مُعِيْنًا على الضدِّ، لِمَا أظهرَه في سؤالِه من حُسْنِ التـوكّلِ السادقِ، والتضرّعِ الـصحيح، والشوقِ الشـديدِ، والإقرار بالعجز، والاستغفارِ عن الذّنب... وهكـذا صار الضدُّ سَبباً لخلقه «المُعين»

---

(٢٨) أنظر مختصر البيان... ورقة ٨ أ–١٢ب.

الذي هو «النفسُ الكليّة». وكان وجودُ النفس، إذاً، من بين نورِ العقلِ وظلمة الضدّ، لأنَّ العقلَ والضدَّ سَبَقَاه في الإبداع. معنى ذلك: أنّ العليّ حرّكَ جوهَرَي النورِ والظلمة حتى لقّح بعضُها ببعض، فظهر منها جوهرٌ ثالثٌ، هو النفس.

ولكنّ الغالبَ في النفس نورُ العقل، لأنّ العقلَ طلبَه؛ فكان انجذابُه إلى العقل أكثر؛ لذلك أُفيضَ عليه من نور العقل الجزءُ الكبير، ومن ظلمةِ الضدّ النزرُ اليسير. وأمرَ العليُّ سبحانه النفسَ بطاعةِ العقلِ، وعرّفه أنّه الواسطة الكلّيّة، والوسيلة إلى الرحمةِ الأزليّة، والمنفردَ بالدرجة العليّة، فأقبلَ النفسُ على طاعةِ العقلِ، وجعله العقلُ «خليفَتَه»، و «ذا مصّته»، لأنّه امتصّ العلم منه، و«تالياً» لخدمته، سامعاً له، مطيعاً لأمره[٢٩]..

٤ – الأساس:

لمّا قام العقلُ خَلَفَ الضدّ وقامَ النفس قدّامَه، راغ الضدُّ عنهما يمينًا وشمالاً، واحتاجَ عليهما مُعينًا له، فوُجِدَ «المعينُ المُؤالِف»، أي «الأساس»، وهو الضدّ الآخر للنفس. و«سُمّي مؤالِف، لأنّه يُؤالِفُ الضدَّ على جميع مفاسده»[٣٠]. وبذلك أصبحتْ «حالةُ الازدواجِ في كلِّ شيء ما بين نور وظلمة، وطاعة ومعصية، وطائعٍ وعاصي، ومعينٍ على الطاعة ومعين على المعصية، وهدايةٍ وضلال، ونقصٍ وكمال، ودعوةٍ توحيديّة ودعوة تلحيديّة، ونفوسٍ باقية وأجساد فانية، وفرائض توحيديّة ودعائم تكليفيّة، ودورِ كشفٍ ودورِ ستر...»[٣١].

---

(٢٩) أنظر مختصر البيان... ورقة ١٠ أ وما يلي.

(٣٠) مختصر البيان ... ورقة ١٠ب.

(٣١) المرجع نفسه، ورقة ١٥ أو ب.

هذا الازدواج هو التعليل المنطقي الممكن لوجود الخير والشرّ في العالم، بحسب العقيدة الدرزيّة.

٥ – ألكلمة:

واحتاج النفسُ، كما احتاج قَبلَه العقلُ، إلى مُعينٍ على الأساسِ. فكان «الكلمةُ». وهذا معنى قول الحكمةِ: «احتاجَ العقلُ إلى مُعين يكون له على يمينه (أي يمين الضدّ)، واحتاجَ النفسُ إلى معين يكون له على شماله (أي شمال الضدّ)، لينحصرَ الضدُّ بينهم»[٣٢]، فظهر الكلمةُ الأزليّة. والغالب فيه نورُ العقلِ والنفسِ أكثرُ من ظلمة الضدِّ والأساس. وكان الكلمةُ، بسبب كثرة نوره، طائعاً للعقل والنفس، وقابلاً أوامرهُما وممتثلاً لأمر العليّ الأعلى[٣٣].

٦ – ألسابق:

ثم انفعل جوهر الكلمة بالحركات التأييديّة المتّصلة إليه من العلل الروحانيّة السابقين له في الإبداع، أعني العقل والضدّ والنفس والأساس، فظهر من «الكلمة» جوهرُ «السابق» قابلاً أيضاً للخير والشرّ قبولا متساويًا. وفيه من النور الجزء الكبير، ومن الظلمة النزر اليسير، فشاهد وجودَ العليّ أيضاً، وعرفَه وأطاعَه، واهتدى بهداية مَن فوقَهُ، وهم العقل والنفس والكلمة، وأطاعهم كما أمره باريه[٣٤].

---

(٣٢) المرجع نفسه، ورقة ١٤ب، كشف الحقائق ١٣/ ١٣٥–١٣٦.

(٣٣) مختصر البيان... ورقة ١٧–١٨ أ.

(٣٤) المرجع نفسه، ورقة ١٨ أ.

٧-ألتالي:

ثم انفعل جوهر السابق بحركات العلل الروحانية التي فوقَه، المتحرّكة بتأييد العليّ، فظهر من جوهره الشريف جوهرُ «التالي» الذي هو العلّة الأخيرة. فكان أيضاً عنده قبول الخير والشرّ قبولاً متساوياً ... وبذا ثبت عدلُ اللّه في خلقِه. وفي «التالي» الجزء الكبير من النور والنزر اليسير من الظلمة، لموجب الاختصاص الرّباني[٣٥].

***

هذه الجواهر السبعة هم «أرواح مجرّدة، قبل حلولهم في الأجسام البشريّة. ولم يكن من جميع الكائنات موجود إلاّ هذه الجواهرالخمسة، وجوهرا الضدّ والأساس»[٣٦]. وهي جميعها علّة جميع الكائنات: خمسة منها هي علّة كلّ خير، واثنان سبب كلّ شرّ وفساد في الدنيا. وليس للعليّ الأعلى، بعد أن أوجدها، أيّة مداخلة في الكون. لقد فوّض إلى العقل كلّ شيء، وتعاون العقلُ مع سائر «الحدود» فكان منهم عالمان: عالم الخصّيصة، وعالم المساواة.

أمّا عالم الخصّيصة فهم حروف السدق[٣٧] وحروف الكذب[٣٨]. والغالب في حروف السدق من نور العقل على قدر درجاتهم الأعلى بالأعلى. وأما حروف الكذب ففيهم من ظلمة الضدّ الجزء الكبير. حروف

---

(٣٥) المرجع نفسه، ورقة ١٨ أ-ب.

(٣٦) المرجع نفسه، ورقة ١٨ ب، وما يلي.

(٣٧) السدق تكتب بالسين، وكذلك كل مشتقّاتها، وذلك حتى يناسب مجموع حروفها، في حساب الجمّل، ١٦٤ حدّا، لأنّ: س=٦٠، د=٤، ق=١٠٠.

(٣٨) الكذب في حساب الجمّل مجموعه ٢٦، لأن: ك=٢٠، د=٤، ب =٢. إثنان منهم يرمزان إلى الناطق وأساسه، أي إلى محمّد وعلي، والباقون أولادهما في الشرّ.

السدق موجودون في أشخاص كاملة، يرشدون الخلائق إلى معرفة الخالق، ويعرّفونهم الحلال والحرام، ويحذّرونهم من الخطايا والآثام، ويفيضون عليهم العلوم والمعارف الروحانيّة والجسمانيّة، ويأخذون عليهم العهود، ويجرون فيهم الأمر والنهي، ويبسطون لهم الوعد والوعيد. والمطلوب من الخلق معرفة السبعين حدًّا من أذرع السلسلة[٣٩].

أمّا حروف الكذب الأربعة والعشرون فهم يقومون بالمضادة، ويزيّنون للخلق الزخرف والمحال، ويسقونهم من عين الضلال، ويشيرون إلى العدم[٤٠]. ولكن ليس لحروف الكذب شريعة ظاهرة[٤١]، ولا دعوة قائمة في دَور العليّ هذا[٤٢].

أمّا عالم المساواة فهي النفوس الناطقة جميعها، وهي درجتان: درجة الذكوريّة، ودرجة الأنوثيّة. برزت جميعها من جوهر «التالي». وهي أرواح مجرّدة بغير أجسام ولا زمان ولا مكان ولا صفة جسمانيّة ولا عيان. بل هي صورة روحانيّة معدودة الكمّيّة، محدودة بجهاتها، مستقرّة في أماكنها، غارقة في بحر عظمة اللاهوت. ولمّا حلّت النفوس الناطقة بالأبدان، بفعل عوامل طبيعيّة وكواكبية، مدّهم العليّ بالخيرات والبركات، وسرعة التعليم للنطق باللغات، ومعرفة أصناف البلاغات، واكتساب الصناعات، ودرك الحسابات»[٤٣].

---

(٣٩) من سورة الحاقة ٦٩/٣٢ «ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا»، انظر تفسيرها ومعناها في رسالة كشف الحقائق ١٣/١٣٧-١٣٨...

(٤٠) «العدم» هو نكران الله أو عدم الإيمان به «ظاهرا» و«متجلّيا»...

(٤١) ألشريعة الظاهرة لم تبتدئ إلاّ في الدور التالي لهذا الدور.

(٤٢) أنظر: مختصر البيان...ورقة ٢٠أ-ب، ٢٤ ب- ٢٥ب.

(٤٣) المرجع نفسه، ورقة ٢٠ ب - ٢٣ب...

لقد استمرّ دور العليّ الأعلى في الصورة الناسوتيّة مدّة طويلةً جدّا، لأنّ الخلائق كانت في ضعفٍ بالغ، ممّا احتاجت فيه إلى طول مدّة التجلّي ليتبيّن الخيّر من الشرّير، والطائع من العاصي، والثابت من المرتدّ.

وكانت الخلائق في دورالعليّ معروفة باسم: الطِمّ والرِمّ والحِنّ والجِنّ، وكان فيهم شرائعُ غيرَ مدوّنة في كتاب، واستمرّت مدّتُهم، كما قلنا، ٣٤٣ مليون سنة. وفي آخر شريعة الجنّ، حيث كان «أهل الحقّ» الموحّدون ساكنين مستورين، ظهرت مقامات إلهيّة عديدة، لا نعرف أسماءها. وفي آخر المطاف ظهر «مقام الباري». وظهرت معه جميعُ الحدود، وأظهروا معهم دعوةَ التوحيد من جديد. وعاد الأمر كما بدا.

***

ولكن، يبدو لنا أنّ هناك، في الكتب الدرزيّة، نقصاً وتناقضاً، فيما يخصّ المرحلة الممتدّة بين دور العليّ ودور الباري، وقد وَعَدَنا حمزة في كشفها دون أن يحقّق وَعْدَه، وذلك عندما قال في «كشف الحقائق»: «وسنذكر لكم، في غير هذا الكتاب، أسماء مولانا سبحانه التي سَمّي بها ناسوتَه، وتظاهرَ به للعالم من وقت إبداعه العقلَ الكليّ إلى حين ظهور آدم الصفا (في دور الباري)»[٤٤].

لهذا سيكون دور الباري هو الدور الواحد والستّون، فيكون، إذاً، أدوار عديدة في المدة الطويلة بين دور العليّ ودور الباري.

---

(٤٤) كشف الحقائق ١٣/ ١٣٤.

ثانيا - دور الباري

ظهر «الباري» أو «البار» في آخر شريعة «الجنّ». وكان «أهلُ الحق» ساكنين في تأويل شريعة الجنّ. وظهر، لظهوره، العقل في «آدم الصفا الكلّي» أو «شَطْنِيْل» الذي دعا إلى التوحيد في شريعة الجنّ، فاستجاب له قومٌ هم «البِنّ»، أي الذين «بانوا عن المشركين»[٤٥].

لقد ظهر الباري في هَجَر[٤٦]، من قول أحد الموحِّدين لأخيه: «أهجُر إبليسَ وحزبَه. فيقول: قد هجرتُه. فبذلك تُسمَّى مدينةُ صُرْنَة (في بلاد اليمن) هَجَرًا»[٤٧]. والبارّ لَفْظٌ فارسيٌّ من «بارْخُدَايْ» ومعناه «الإله الأعظم، أو إله الآلهة»[٤٨].

وكان أصل ولادة «آدم الصفا» ببلاد الهند، بمدينةٍ يقال لها أَدْمِينْيَة. خرج من بلده إلى أن وصل إلى بلاد اليمن إلى مدينة صِرْنَة، ومعناها المعجزة[٤٩]؛ حيث ظهر البارّ. ومن صِرنة أَطْلَقَ «شطنيلُ» الدعاةَ

---

(٤٥) السيرة المستقيمة ١٢/ ١١٤.

(٤٦) توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، ص ٥٤.

(٤٧) السيرة المستقيمة ١٢/ ١١٥.

(٤٨) المرجع نفسه، ١٢/ ١١٨.

(٤٩) المرجع نفسه، ١٢/ ١١٤.

الإثني عشر، وبشّرَ بالتوحيد، فلُقِّبَ بأبي البشر، «لأنّ البشرَ هم الموحِّدون، لأنّهم بُشِّروا بآدم، وقَبِلوا منه التوحيد»(٥٠).

وينكر حمزة أن يكون آدم الصفا وُلِد من التراب، على ما يقول اليهود والمسلمون، أو أن يكون «بلا أب ولا أمّ»، أو يكون إسمه من «أدم الأرض، أي وجه الأرض»، أو «لأنّه مغبّر اللون»(٥١)... بل إنّ الباري خلقه من أجلّ الأشياء وأعزّها...

ثم ظهر «الضدّ» الذي هو إبليس باسم «حَارَت بن تَرْماح»، وكان أصله من مدينة أصبهان، وهو ساكن في المعجزة. «ولم يكن في ذلك الوقت إِمامٌ ظاهرٌ إلاّ شطنيل. وقد أمر مولانا البارّ الملائكةَ، وهم الدعاة، بأن يسجِدوا لشطنيل، أي يُطيعوه. فأطاعَ جميعُهم، غيرُ حارت، فإنّه أبى واستكبر، ونظر إلى شطنيل وقال: «أنا خيرٌ منه، أي أعلى منه منزلةً. فأُخرِجَ من الجنّة، أي من الدعوة، وأُسقِطَ من جملة الحدود»(٥٢).

ثم ظهر «النفسُ» بصورة «أخنوخ»، أو آدم الثاني، وهو حجّة آدم الصفا. ولقّب بـ «حوّا»، لأنّها احتوت على جميع المؤمنين. وقيل إنّها أمّ البشر، لأنها منصوبة لرضاعتهم بالعلم الحقيقي وتربيتِهم وترقيتهم من درجة إلى درجة إلى أن يبلغوا حدّ البلاغ»(٥٣).

ثم ظهر «الكلمة» بصورة» شرخ»، أو آدم الثالث، أو «آدم الناسي

---

(٥٠) السيرة المستقيمة ١٢/ ١١٥.
(٥١) المرجع نفسه، ١٢/ ١١٣.
(٥٢) المرجع نفسه، ١٢/ ١١٤.
(٥٣) المرجع نفسه، ١٢/ ١١٥.

الذي قيل أنّه نسي ربّه ولم يجد له عزما»[٥٤]. ظهر بمدينة سَرَّمَنَا . ولمّا التقى به شطنيل، وأخذ عليه العهد، قال له: «أريد أن أجعلك أساساً لحدودي». فقال له شرخ: «إن شِئتَ أنت شِئتُ أنا. فسمّاه شيتًا».

ثم بثّ آدم الكليّ دعاتَه وحججَه الإثني عشر في جميع البلاد، وكان منهم رجل يدعى «صَرْصَر» راح يبشّر بالتوحيد في الإحساء، وأخذ العهد على خلقٍ كثير. وكان منهم القرامطة... إلاّ أنّ هؤلاء بدّلوا في الدين وارتدّوا وأضاعوا التوحيد.. ولا بدّ يوماً من رجوعهم إلى ما كانوا عليه «حتى لا يبقى بالحَرَمَينِ مشركٌ ولا كافر ولا منافق»[٥٥].

واستمرّ التوحيد مكشوفاً في دور الباري مدّة طويلة، إلى أن غاب مقام الباري، وغاب لغيبته صفيّه شطنيل، وتخلّف بعده أخنوخ، وقام شرخ بالدعوة الروحانيّة يدعو إلى توحيد الباري، ودام الموحّدون على حالهم، ودام باب الدعوة مفتوحاً حوالي ألف سنة، حتى تغيّرت أحوالهم، ومالوا إلى المشركين، فغضب عليهم الباري، وأظهر لهم الشرائع الناموسيّة التكليفيّة، الواحدة بعد الأخرى، كما يلي:

أ - شريعة آدم:

لم يكن لآدم "العزم"، كما يقول القرآن عنه، ليُقيمَ شريعةً تكليفيّة. لهذا استمرّ "أهل الحقّ"، أي "الموحِّدون" مستورين في شريعة مَن سبقهم من "الجن" في الدور السابق.

---

(٥٤) سورة طه ٢٠/ ١١٥.

(٥٥) المرجع نفسه ١٢/ ١١٦.

٢- شريعة نوح:

هو نوح بن لَمْك. كان أوّل مـن قام بشريعـة، ونهى عن طاعة آدم، وأشار إلى العدم، وإلى نفسه. وكان أسَـاسُهُ «سام» وأثنا عشر حجّة بين يديه. فدخَلَ أهلُ الحقّ (الموحّدون) قاطبةً في شـريعته. وكانت قوّتُهم في معرفةِ التوحيدِ ضعيفةً جدّا بمثابةِ قوّة الولدِ وهو مكمن في الأب(٥٦).

٣- شريعة إبرهيم:

هو إبرهيـم بن آزر، وأسـاسُـه إسـمَـعيل. دخـلَ أهلُ الحقِّ في شريعـته، ثم في شريعة أسـاسه التأويليّـة، وصارت قوّتهم في معـرفة التوحيـد بمثابة العَلَقَة من الجنين. وظهر في أيّامـه من الصالحين أسحق ويعقوب ويوسف وغيرهم من حروف السدق(٥٧).

٤- شريعة موسى:

هو موسى بن عمران، وأسـاسه هارون، ثم يشوع بن نون. دخل أهلُ الحقّ في شـريعتهم، وصـارت قوّتُهم في مـعرفـة التوحـيد كمـبلغ المُضْغَة من خَلقِ الإنسان. وظهر في زمانهم من الأنبياء الصالحين آشعيا وإرميا وحزقـيال ومخائيل ودانيال وداوود وسليمان وأمليـخا وشُعيب وأيوب... ومن الحكماء الفاضلين فوثاغورس وأفلاطون وأرسطاطاليس، وغيرهم(٥٨).

---

(٥٦) أنظر: ١٢/ ١٢٠، ٣٦/ ٢٦٣، مختصر البيان... ورقة ٤٢-٤٣.

(٥٧) المرجع نفسه

(٥٨) أنظر: ١٢/ ١٢٠، ٣٦/ ٢٦٣، مختصر البيان، ورقة ٤٤أ.

٥- شريعة عيسى:

عيسى بن يوسف، أساسه شمعون الصفا، وحججه الحواريون الإثناعشر. انتقل أهلُ الحقّ إلى شريعتهما، وكانت قوّتهم في معرفة التوحيد كمبلغ العَظْمِ من خَلْقِ الإنسان. ظهر في زمانهم أنبياء صالحون أمثال «السيّد المسيح» الذي هو «يسوع»[٥٩]، وأصحاب الأناجيل الأربعة: يحنّا ومتّا ومرقص ولوقا، سلام الله عليهم. هؤلاء كانوا يُفيضون الوحي إلى عيسى، ويُودِعون الحقائق التوحيديّة في شريعته[٦٠].

٦- شريعة محمّد بن عبدالله:

هو النبي محمّد، وأساسُه علي بن أبي طالب. قام محمّد بشريعة الإسلام. ودخل أهلُ الحقّ في شريعته». ولمّا قام علي بن أبي طالب بالتأويل دخل أهلُ الحقّ في تأويله، واستمروا عنده حتى انقضت مدّة سبعة أئمّةٍ بعدَه، وهم من ذرّيته: ألحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق وإسمعيل[٦١].

وكانت شريعتا محمّد وعليّ أقوى الشرائع، لأنّ محمّدًا ظهر بسيفِه، ونسخ جميع الشرائع بشريعته، وهدم بنيانَهم ببنيتِه، وبدّلَ دعواتِهم بدعوتِه، وسبى الناس ذراريهم وأولادَهم، وأباعَهم في الأسواق والشوارع[٦٢].

---

(٥٩) منذ الآن يجب ان نلحظ الفرق والتمييز بين عيسى ويسوع...

(٦٠) أنظر: ١٢/ ١١، ٣٦/ ٢٦٣، مختصر البيان، ورقة ٤٤ أوب.

(٦١) هؤلاء الأئمة، مع علي بن ابي طالب، يؤلّفون الأئمة الإسماعيلية.

(٦٢) انظر: ١٢/ ١٢١، ٣٦/ ٢٦٤، مختصر البيان، ٤٤ب-٤٦ب.

٧- شريعة محمّد بن إسمعيل:

هو محمّد بن إسمعيل بن جعفر الصادق. ختم الشرائع وأتمّها، أي لا يكون بعد شريعته شريعة تكليفيّة. ولكنّه لم يكن له «العزم» ليكونَ له كتابٌ. ولقوّة شريعةِ النبي محمّد وعظم تكاليفها استغرقتْ شريعةَ محمّد بن إسمعيل، وأخفتْ كتبَها، حتى لم تُعرفْ عندنا. ولقوّة شريعةِ علي بن أبي طالب التأويليّة الباطنة استغرقتْ أيضاً تأويلَ أساسِ محمّد بن إسمعيل. لذلك بقي أهلُ الحقّ مستورين في شريعة النبي محمّد وشريعة أساسه علي. وكان مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد كمبلغ العَظْم إذا كُسِيَ لحمًا وصار صورةً مخطّطَةً مشخَّصَةً بلا روح من الإنسان الحيّ الناطق(٦٣).

* * *

يكتمل بذلك عدد النطقاء، أو الأنبياء السبعة، على حدّ قول «الحكمة»: «وكل شيء إذا بلغ سبعة انتهى ووجب تغييرُه وحدوثُ غيرِه»(٦٤).

وهكذا ينتهي دور الباري. ولنا عودة إلى شريعة الإسلام، في شقّيها، التنزيل والتأويل، التي أغرقت «التوحيد» في ظلام دامس؛ وذلك في فصول تابعة، لأنّها كانت عليه شرّاً.

---

(٦٣) انظر ١٢/١٢٢، ٣٦/٢٦٤، مختصر البيان، ورقة ٤٦ب – ٤٨أ.

(٦٤) الجزء الأول من سبعة أجزاء ٤١/٣١٨.

ثالثاً - أدوار الإعداد للكشف الحاكمي

يقول الدروز: «والأئمّة، بين إسمعيل وعبيد اللّه المهدي، مؤسّس الأسرة الفاطميّة، ثلاثة. لا يحسن تسميتهم، "عملاً بالاعتقاد الذي يوجب أن لا يُكشف ما أمرَ اللّهُ بستره" .. واستغلّ أعداء الفاطميّين هذه السرّيّة، فحشروا أسماء عديدة، وزعموا أنّها من الأئمّة»[٦٥].

ومع هذا، وبالرّغم من سرّيّة الدعوة، نعرف من المقامات ما يلي:

١ - دور أبي زكريّا:

لمّا قرب الفرج وهجم زمان الكشف الأخير (في دور الحاكم) أوجبت الحكمة ظهورَ مُقام أبي زكريّا وهو الإمام أحمد بن محمّد بن إسمعيل، وفي صورته البشريّة[٦٦]، أي أنّ أبا زكريا هو نفسه أحمد الملقّب بـ «أحمد الرّضى» الذي اضطهده المأمون الخليفة العباسي، وفتك بعامّة أسرته، حتى اضطرّ إلى النزوح عن الأهواز، حيث كان متخفّياً تحت أسماء عديدة وأزياء مختلفة، واستقرّ في تدمر سنة ١٩٣هـ.

---

(٦٥) الدكتورة نجلاء أبو عزّ الدين، الدروز في التاريخ، ص ٣٩.. والدكتورة نفسها تقع في خطإ تسمية الخلفاء، فتحسب، عكس ما يقوله الدروز، عبيد اللّه المهدي من جملة الخلفاء الفاطميّين، فيما الدروز يلعنونه لأنّه حارب الإمام الحقيقي الذي هو القائم.

(٦٦) تقسيم العلوم، ٢٦٦/٣٦، من رسائل الحكمة.

وبعد اشتداد الاضطهاد، ترك أبو زكريّا تدمر الى سَلَمِيَّة ما بين حمص وحماه. في أيّامه ظهر إخوان الصفاء برسائلهم السرّيّة، وبدعوتهم الباطنيّة، وهم عند الدروز «رعيل من أهل التوحيد الأوَل، الذين كانوا يشرحون شرحاً يستمدّونه من الإمام أحمد»(٦٧). وكان حجّته في الدين عبدالله بن أحمد بن ميمون القدّاح(٦٨).

ظهر العقل الكليّ في دور أبي زكريّا بصورة «قارون»، وكان عجمياً. وظهر النفس بصورة «أبي سعيد الملطي». أمّا سائر الحدود فلا نعلم عنها شيئاً، نظراً لتخفّيهم وكثرة الإضطهادات عليهم. ولذلك لم يكن لأبي زكريّا مُلك في الدنيا. إلاّ أنّه يذكر له من المعجزات أنّه سُجن يوماً وقُيّد بسلاسل حديديّة وأُقفِلَ عليه. ولمّا جاء السجّان في الغد لم يجدْه، ورأى الحبسَ على هيئتِه لم تَتغيّر، وَوجَد القيدَ مقفولاً لم يُفْتَح(٦٩).

٢- دور العليّ:

هو الحسين بن أحمد بن محمّد بن إسمعيل، كُنِّيَ بالحسين الوفيّ ولقّب بـ «العليّ»، وهو غير إسم المقام الأوّل الذي رأيناه باسم «العليّ الأعلى». لم يبق لشيعة الحسين من القوّة ما يمكّنها من المقاومة الفعلية، فعمد الحسين إلى تنظيمات سرّيّة أتقن إدارتها إتقاناً يعادل شدّةَ الضغط عليه. اتّخذ من العلم سلاحاً(٧٠)، وامتهن التجارة، وأثرى منها ثراءً كبيراً بالإضافة إلى وارداته من المؤمنين بدعوته(٧١).

---

(٦٧) سليم أبو اسمعيل، الدروز، وجودهم ومذهبهم وتوطّنهم...١/ ١١٩.
(٦٨) أمين طليع، أصل الموحدين، ص٤٤-٤٥.
(٦٩) مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٤٨ب-٥٠ أ، ٥١ب.
(٧٠) سليم أبو اسمعيل، المرجع السابق، ص ١/ ١٣٦.
(٧١) أمين طليع، أصل الموحدين، ص ٤٧.

اتّخذ عبدَالله القدّاحَ مستودَعًا له، وأقامَه حجةً ظاهرةً لدعوته. أمّا معجزاتُه فكانت «كثيرةً. ولم يصل إلينا منها شيء»[٧٢]. يقول فيه التميمي: «لمّا أنشئتِ السماءُ الرابعة، وهو قيام عبدالله بن أحمد، وهو من ولد ميمون القدّاح، ظهر المولى سبحانه بصورة أسماها عليّا»[٧٣].

٣- دور المعلّ:

هو علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسمعيل. جال بعض الظلام عنه عندما راحت الدولة العبّاسيّة تنشغل بإخماد الفتن والثورات، من ثورة الزنج الذين احتلّوا البصرة، إلى حرب أحمد بن طولون الذي احتلّ الشام... كان علي كثيرَ الحيطة شديدَ الحذَر لا يستقرّ في مكان. وكان يَظهر بمظهر التّجار، يجوبُ صحاري تدمر والمشرق.

من معجزاته أنّه «كان يسافر وحدَه بألفِ جَمَلٍ مُحَمَّلَةً من البضائع والأموال وليس معه سوى غلامٍ واحد... وكان إذا قصدتِ اللّصوصُ تَسْرِقُ شيئاً فيأتون إلى جانب البضائع فيجدونَ المعلّ حاضرًا في ذلك المكان، ثم يأتون إلى جانبٍ آخر فيجدونهَ حاضراً. وكلّما حاولوا أخذَ شيء فيجدُوا المعلَّ حاضراً عنده. فلم يقدِروا أن يأخذوا شيئاً»[٧٤].

تَرَكَ المعلُّ طفلاً اسمُه محمّد، عُرِفَ فيما بعد باسم «القائم بأمر الله»، وكَفَلَه «سعيدُ الخير» الذي عُرف فيما بعد باسم «عبيد الله المهدي». وسلّم المعلُّ أموالَه لسعيدٍ لينفقَ منها على القائم.

---

(٧٢) مختصر البيان، ورقة ٥٢ب.

(٧٣) كتاب فيه تقسيم العلوم ٣٦/٢٦٦ من رسائل الحكمة.

(٧٤) مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٥٢ أ وب.

٤ – دور القائم بأمر اللّه:

يقول حمـزة: «وَتَسمّى مولانا جلّ ذكره بالقـائم لأنّه أوّلُ ما ظَهر للعالم بالمُلكِ والبشريّة[٧٥] في أيّام النُطقاء الناموسيّة الشِّركيّة.، فقام على العـالمين بالقـوّةِ والقـدرة، وأقـام للمـوحّـدين قـسطَه أي عـدلَه في هذا الموضـوع. وأقـام قـواعدَ تـوحيـده التي هي تمـامُ البناء في وقـتنا هذا بمشيئته»[٧٦].

تسلّم القائم ابنُ المعلّ الحكمَ عن عبـيد الله المهدي–لعنه الله– وفي رأسه تدور أحلام الزحـف على مصر كأوّل عمل يـدشّنُ به عهدَه. إلاّ أنّ ثورةَ الأدارسـةِ كادت تقـضـي على الدولة الفاطمـيّة. فـعزم القـائم على إخمادها والانقضاضِ عليها، وحـوّل أنظارَه عن مصر إلى المغرب، فأخمد ثورتَها. وقـام «أبو يزيد الخارجي» بثورةٍ أخرى حـتى أصبحَ على أبواب «المهديّة» عـاصمة الدولة. فاسـتنجدَ القائمُ بزعيم صنهـاجة «زيري ابنُ مناد» حتى قضى عليه. وقام «الروم» من جـهتهم بحملاتٍ على «جَنَوا» و «سردِينيا» فأرسلَ إليهم القائمُ جيوشَه. واستمرّت الحروبُ بين الدولتين طوال عهده. وهكذا زالت أحلام الإستيلاء على مصر[٧٧].

٥ – دور المنصور باللّه:

بدأ حكمـه في مواجـهـة الخوارج الذين طوّقـوا عـاصمـةَ الدولة الفاطمـيّة. وكان زعيمُـهم هو نفسُه «أبو يزيد بن كَيـداد الخارجي» الذي

---

(٧٥) أي أنّ القائم كان أوّل مَن تسلّم الحكم الفاطمي، بنظر الدروز، لا عبيد اللّه المهدي.

(٧٦) السيرة المستقيمة ١٢/١٢٣.

(٧٧) انظر: القـائم بأمر الله، للدكـتور عـارف تامـر، في «الموسوعـة التاريخـية للخلفـاء الفاطميين»، دار الجيل بيروت سنة ١٤٠٠/١٩٨٠.

اتّخذ القيروان قاعدةً لثورته. واستمرّ حكمه في معالجة ما أساءَ إليه هؤلاء الثوّار، حتى قضى عليهم في معركة «سَوْسَة» التي تُعتَبر من المعارك الخالدة في التاريخ. و«أمر ببناء مدينة المنصورة تخليدًا لذكرى هذا الانتصار»[٧٨].

٩- دور المعزّ لدين الله:

بدأ حكمُه بالقضاء التامّ على كل الثورات الدّاخلية، فقضى على دولة الأدارسة قضاءً كاملاً، وحطّم نفوذَ الأمويّين في الأندلس، ودانتْ له جميعُ قبائل البربر، وأخضع ثوّارَ الخوارج، وشنَّ على الروم حروباً طاحنة، وتوسّع في إيطاليا والمغرب عامّة... ثم راح، بمعاونة القائد الفاتح جَوْهَرِ الصقلي، يفكر بغزو مصر.

في سنة ٣٥٨/٩٦٩، سار جوهر إلى مصر، فخضعت له الإسنكدرية، وزحف على الفسطاط (أي مصر القديمة) واستولى على مناحيها، حيث وضع أسسَ مدينة القاهرة. وزال عنها سلطان العبّاسيّين وعملائهم الإخشيديّين. وخرج المعزّ من المنصوريّة، ودخل القاهرة، وسكن القصر الذي بناه له جوهر، وأصبحت القاهرةُ، من ذلك الحين، عاصمةَ الدولة الفاطميّة.

ثم رأى جوهرُ ضرورةَ فتحِ الشام باعتبارها خطَّ الدفاع الأوّل عن مصر.[٧٩]. ثمّ إنّ الاستيلاءَ على بلاد الشام لـه أهمّيّةٌ في القضاء على

---

(٧٨) أمين طليع، أصل الموحدين، ص ٥٩. أنظر كتاب «المنصور بالله»، للدكتور عارف تامر، رقم ٣ في «الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين»، دار الجيل بيروت سنة ١٩٨٠.

(٧٩) «وبذلك يكون قد سبق محمّد علي الذي كان يرى أنّ خطَّ الدفاع عن مصر يجب أن يكون في سوريا، لا في مصر نفسها»، أنظر: تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن

القرامطة الذين بدأوا ينـاوئون الفاطميّين، وفي القـضاء على الروم الذين يشكّلون خطرًا مداهماً عليهم، وفي ضبط نفوذ العباسيّين ومطامعهم في العالم الإسلامي. وكان لجوهر ما أراد، حـتّى امتدّتِ الدولةُ الفاطمية أيّامَ المعزّ من المحيط الأطلسي غرباً حـتى الخليج العربي شرقاً. ولم يبق لحكم العباسيّين سوى بغداد. وقَضَى المعزّ قبل تحقيق أحلامه كلّها.

٧- دور العزيز باللّه:

تفـاقم في أيّـامـه خطرُ أفـتكين التـركي الذي خـرج على الدولة العبّـاسيّة واسـتقلّ بالشام وسـاعده القرامطة، فـرماهم العـزيز بالقائد جوهر، فلم يستطع جوهر القضاء عليهم، فأنجده العزيز الذي قام بنفسه بهـذه المهمّـة. ولم يقضِ عليهـم إلاّ بعد جـهد طويل، عندمـا أسر أفـتكين واقتاده إلى القاهرة حيث أكرمه وأحسن معاملته.

من مآثر العـزيز باللّه أنّه كان شـغوفًـا بالعلم، قريباً مـن العلماء، فاسـتقـدم أبا الفـرج يعقـوب بن كلس، وجعله أوّل وزرائه، وكـان ذائعَ الصيت فـي شـهرته العلـميّة. ثمّ ولّى الوزارةَ أيـضاً عيـسى بن نسطور النصـراني، ومنشّا اليـهودي. وكـان طبـيبـه نصرانيٌ يُدعى أبو الفـتح منصور بن مقشّر المصري، وكانت له منزلة سامية في الدولة.

قضى العـزيز ببلبيس وتسلّـم الحكمَ بعدَه إبنُه الحاكـم بأمر اللّه، كما مرّ معنا.

***

يعـتبر الدروز أنّ هـذه الأدوار كانت استـعداداً مـباشـراً للكشف

إبراهيم حسن، ص ١٥١.

الحاكمي، إذ بها انكشف التوحيد ظاهراً معروفاً. ولكنّ وقت فتح أبوابه للدخول فيه لم يحنْ بعد، ولا حتى في الأيام الأولى للحاكم.

ويعتبرون أيضاً، على حدّ قول حمزة بأنّ «الحاكم... وهو المعزّ وهو العزيز وهو الحاكم جل ذكره، يظهر لنا في أيّ صورة شاء، كيف يشاء»[٨٠]، وكما يقول التميمي بأنّه «... وكلّهم واحد»[٨١].

ويقولون بأنّه «لمّا قام مولانا الحاكم جلّ ذكره بصورة التوحيد، انكشف المكنون... فصار كشف المكنون هو توحيد مولانا جلّ ذكره.. فانكشف في وقتنا هذا، وزال كل مستور، وزهق المغرور»[٨٢].

ويؤمنون بأنَّ مَن عَرف دورَ الحاكم استغنَى عن الأدوار السابقة، لأنَّ دورَ الحاكم هو أُعظمُها وأشرفُها وأكملُها. في ذلك يقول التميمي: «ولا لكم أنْ ترَغبوا إلى ذكرِ ما تَقدّمَ لأنّكم في غِنى عنه بالوجود. وظهورُ الحاكم بين أيديكم ظاهرًا مكشوفاً، وحجّتُه ظاهرةٌ مرئيةٌ قد أغنى ذوي العقول بها عن البحثِ فيما تَقَدَّم»[٨٣]؛ لأنّ الحاكمَ هو «الحاكم على جميعِ النطقاء والشرائع، المنفردِ عن جميعِ المخلوقاتِ والبدائع»[٨٤].

يعترف الدروز المعاصرون بمراحل الكشف هذه، فيقول الدكتور الشيخ أنور فؤاد أبي خزام، في تحقيقه لكتاب النقط والدوائر: «إنّ تاريخ الإنسانيّة، بنظر الموحّدين الدروز، هو تاريخٌ لدعواتٍ متعاقبة، تبدأ

---

(٨٠) رسالة ١٢/١٢٢-١٢٣.

(٨١) رسالة ٣٦/٢٦٩.

(٨٢) رسالة ٣٦/٢٦٩.

(٨٣) رسالة ٣٦/٢٦٧.

(٨٤) رسالة ١١/١٠٤.

وتنتهي، ويتناوب عليها النطقاء. ويُلاحظ أنّه، بعد كلّ ستة دعوات "عدم" –على حدّ تعبير الشيخ تقي الدين– تأتي مرحلة أخيرة تسمّى الكشف. والكشف يعني، بنظره، إماطة اللّثام عن الحقيقة»(٨٥).

***

إنّ ظهور الله في مُقام الحاكم هو آخر ظهور له في عصرنا البشري هذا. وكذلك ظهور الحدود الروحانيّة في صورهم البشريّة: حمزة، وإسمعيل، والقرشي، والسامري، وبهاء الدين المقتنى.

بعدهم، لن يكون كشفٌ آخر. فحمزة هو نفسه سيأتي، آخر الأيّام، ويتقدّم الحاكم، ويعدّ لمجيئه الأخير، ليكشف كلّ مستور، ويوطّد حكم الموحّدين إلى الأبد.

إلاّ أنّ ما كان من إغلاق باب الدعوة قديماً بسبب القهر والاضطهاد، قد بدا، في عصرنا هذا، على وشك الإعلان والكشف. ويعدّ الدروز، اليوم، لهذا الكشف، بما يصدر عن مشيخة العقل من بشارات تنبئ عن حدث ما سيكون، في بداية الألف الثالث. فمجلّة الضحى، وما فيها من مقالات جريئة، وكتب سماحة القائمقام شيخ العقل، بهجت غيث، وما يقوم به "قسم البحوث الروحيّة في الضحى"، وما تنبّأ عن كشفه المعلّم كمال جنبلاط، ودعوات الشيخ نجيب العسراوي في بلاد الاغتراب، والظروف السياسيّة الرّاهنة التي تلعب فيها إسائيل دوراً أساسياً في المنطقة... كلّها إشارات لإعلانٍ جديد مفاجئ...

---

(٨٥) أبو خزام، في تقديم كتاب النقط والدوائر، ص ٧٩–٨٠.

الفصل الخامس

حدود دعوة التوحيد وخونتها

أولاً - معنى الحدود ومعرفتهم

ثانياً - العقل - حمزة بن علي

ثالثاً - النفس - إسمعيل التميمي

رابعاً - الكلمة - محمّد بن وهب القرشي

خامساً - السابق - أبو الخير سلامة السامري

سادساً - التالي - بهاء الدين المقتنى

سابعاً - خونة الدعوة.



أولاً - معنى الحدود ومعرفتهم

حدود دعـوة التوحيـد خمسـة. كانوا منذ البـدء، وظهروا مع كل ظهور إلهيّ بصُوَرٍ جسمانيّة بشـريّة. عرفنا بعضَـهم وجهلْنا آخرين، لكنّ جميعَهم تشخّصوا في كل دور من أدوار الكشف.

«ألحدود» لفظة قرآنيّـة : " تلك حدودُ اللّه، ومَن يُطعِ اللّهَ وَرَسُولَه يُدخِلْه جَنّات "[١]؛ و " تلك حدودُ اللّه فَلا تَتَعَدَّوها " [٢]؛ و " مَن يتعدَّ حدودَ اللّه فأولئك هُمُ الظالمون "[٣]؛ و " تلك حدودُ اللّه يبيّنُهَـا لقومٍ يعلمون " [٤]؛ و " مَن يتعـدَّ حدودَ اللّه فـقد ظلمَ نفـسَه "[٥]؛ و " مَن يعصِ اللّه ورسولَه ويتعدَّ حدودَه يُدخلْه نارًا خالدًا فيها "[٦]..

و «الحدود»، في المفهوم التوحيدي، هم غاية الوجود «وقد تناهتْ فيهم الكمـالاتُ من سائر الوجوه»[٧]، وهم القّيمون على كـشفِ التوحيد

---

(١) سورة النساء ٤/ ١٣.
(٢) سورة البقرة ٢/ ٢٢٩.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) سورة البقرة٢/ ٢٣٠
(٥) سورة الطلاق ٦٥/ ١ بها تستشهد رسالة الشمعة ٣٨/ ٢٧٩.
(٦) سورة النساء ٤/ ١٤، أنظر: ٢/ ١٨٧، ٩/ ٩٧، ٨٥/ ٤ ألخ..
(٧) كتاب الدرر المضيّة واللمع النورانيّة، باب «د»، فصل «ح»...

في مختلف أدوار الكشف، وهم «وزراء» اللّه في خَلقه؛ و «الوسائط» بينه وبين العباد[٨]. «هم وسائط اللّه، وسفراؤه، وأبواب رحمته، وينابيع حكمته، ومفاتيح نعمته»[٩]. هم «سادات الأمم، الدّعاة إلى التوحيد، المحقّين، والسفرة الموقنين»[١٠]، و «رجال الأعراف الأطهار»[١١]، و «شهداء الدين»[١٢]، و «آيات التوحيد»[١٣]، «وقواعده»[١٤].

هؤلاء الحدود وُجِدُوا كما يلي: «أبدَع (مولانا) من نوره الشعشعاني الكاملِ العقلَ الكلّي، وأبدعَ من نورِ العقلِ النّفسَ الحقيقي، وأبدعَ من نور النفس الكلمةَ، وأبدعَ من نور الكلمةِ السابقَ، وأبدع من نور السابقِ التالي، وأبدع من نور التالي الأرضَ وما عليها، والأفلاكَ الدائراتِ، والبروجَ الإثني عشر، والطبائعَ الأربعة، والهيولى الذي هو الطبع الخامس...»[١٥].

وهؤلاء الحدود «مُشَخَّصون في وقتنا هذا في حضرة مولانا الحاكم»[١٦] كما يلي: ألعقلُ مُشَخّصٌ بحمزة بن علي، والنفسُ مُشَخَّصٌ بإسمعيل التميمي، والكلمة مشخّص بمحمّد بن وهب القرشي، والسابق أو الجناح الأيمن مشخّصٌ بأبي الخير سلامه السامري، والتالي أو

(٨) منشور في ذكر إقالة سعد ١٠٤/٨١٢ وغيرها.
(٩) مخطوط ١٤٣٨ في معنى الجوارح السبعة، ورقة ٩٩ب.
(١٠) رسالة السفر الى السادة ٦٨ /٥٣٨.
(١١) الإسرائيلية ٧٢/٦٦٣، انظر مقدمة هذا البحث، في معنى "بني معروف".
(١٢) رسالة الهند ٦١/٤٧٧.
(١٣) أنظر: ٣١/٢٣٩، ٥٠/٣٦٩، ٣٨/٢٧٧، ٤٢/٣٢٠ ألخ.
(١٤) رسالة التنبيه والتأنيب... ٤٢/٣٢٠.
(١٥) رسالة سبب الأسباب ١٤/١٤٦.
(١٦) المرجع نفسه ١٤/١٥٩.

الجناح الأيسر مشخّصٌ بعلي بن أحمد السَّموقي المعروف ببهاء الدين المقتنى السموقي.

هؤلاء الحدود يؤلّفون «شمعة التوحيد»[١٧]: إنّ «النار الذي يتعلق بالشمعة لطيف وكثيف. فاللّطيف فيه لسان النار العالي الأحمر الذي تعتريه زرقة، يُخْفَى مرّة ويَظهر مرّة، وذلك دليل على قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد. والنار الذي يُوقد الشمع دليل على حجّته إسمعيل بن محمّد بن حامد. والشّمع دليل على الكلمة محمّد بن وهب. والقطن دليل على السابق سلامه بن عبد الوهّاب. والطَّست الذي هو الحسكة دليل على التالي علي بن أحمد السموقي»[١٨].

هؤلاء الحدود كَشفوا عن التوحيد، ودعوا الناس للدخول فيه، ثم أَغلقوا، بعدمدّة، بابَه. تارةً نرى في «رسائل الحكمة» ذكراً لأربعة حدود، فلا يكون حمزة بينهم، لأنّه هو علّتهم خارجٌ عنهم، وطوراً هم خمسة فيكون حمزة من جملتهم. فلا عبرة في ذلك.

***

كلّ درزيّ موحِّد عليه واجبُ معرفتِهم بأسمائِهم ومراتبِهم ومنازِلهم وألقابهم وأدوارِهم، وإلاّ لا يكون من الموحِّدين السادقين: «مَن عرف هؤلاء الحدود، روحانياً وجسمانياً، وَعرف درجَة كلِّ واحدٍ منهم بَانَ له توحيدُ مولانا القائم الحاكم بذاته»[١٩].

---

(١٧) أنظر الرسالة الموسومة بالشمعة ٣٨/ ٢٧٨، ٢٨١ مرّتين و ٢٧٧.

(١٨) المرجع نفسه، ٣٨/ ٢٧٨.

(١٩) الكتاب المعروف بالنقض الخفيّ ٦/ ٥٩.

«فعليكم معاشر المستجيبين الموحِّدين لمولانا جلّ ذكره بمعرفة مولانا وحده... ثم معرفة حدوده»[٢٠]. و «على سائر الموحّدات أن يعلَمْنَ أنّ أوّلَ المفترَضات عليهنّ معرفةُ مولانا.. ثم معرفةُ قائم الزمان.. ثم معرفةُ الحدود الروحانيّين بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم»[٢١].

مَن لا يعرف هذه الحدود لا يكون من الموحِّدين. ومن خالفهم فقد ظلَم نفسه وخرج من جملة الموحِّدين. قالت الحكمة: «مَن عُدِمَ معرفةُ هذه الخمسة حدود لم يَعرفِ التوحيد في وقتنا هذا. وكان توحيدُه دَعوى . فليعلمِ الموحّدون ذلك ويعتقدوه، ولا يعبدوا المولى بلا معرفة. فقد قال: " وتلك حدود الله، ومَن تعدّ حدودَ اللّه فقد ظلم نفسه " »[٢٢].

فمعرفة الحدود، إذاً، ضرورةٌ واجبةٌ للموحِّد ، ولا يفوز بالخلاص إن جهلهم، لأنّ الحدودَ هم وسيلةُ الخلاص.

وبعد أن تكلّمنا على هذه الحدود، في دور العليّ الأعلى، في حالتهم الروحانيّة، قبل ظهورهم في الصور البشريّة، نستعرضهم الآن في شخصيّاتهم البشريّة، كما هم في دور الحاكم. وهم: حمزة بن أحمد، وإسمعيل التميمي، ومحمّد بن وهب القرشي، وأبو الخير سلامة السامري، وبهاء الدين المقتنى السموقي.

---

(٢٠) ألكتاب المعروف بالنقض الخفي ٦/٦٣.

(٢١) ميثاق النساء ٨/٧٢.

(٢٢) رسالة الشمعة ٣٨/٢٧٩ وهي تستشهد بسورة الطلاق ٦٥/١؛ أنظر أيضاً: رسالة البلاغ والنهاية، ٩/٧٦-٧٧.

ثانيا - العقل - حمزة بن علي

أ. حمزة هو العقل الكلّيّ

إنّ العقل الكلّي الذي تشخّص في أدوار الكشف بأشخاصٍ عديدة، مختلفة الصور والأسماء، ظهر، في دور الحاكم، باسم حمزة بن علي بن أحمد الزوزني الخرساني الفاطمي. وهو القائل عن نفسه: «ثم رجعنا، في وقتنا هذا، على يد آدم زمانكم، حمزة بن علي بن أحمد الصفاء: "كما بدأنا أوّلَ خلقٍ نُعيده"[٢٣]. إنّ مولانا جلّ ذكره (هو) الفاعل ذلك، وهو القادر القهّار»[٢٤].

ويعترف حمزة بأنّه كان منذ الدهور ، وأنّه هو العقل الكلّي، وهو آدم الصفا، وأنّه هو الذي دعا الناس إلى التوحيد «في سبعين عصر، ما منها عصر إلاّ ويُظهرني مولانا جلّ ذكره فيكم، بصورةٍ أخرى، وإسمٍ آخر، ولغةٍ أخرى . أعرِفُكم ولا تعرفوني، ولا تعرفوا أنفسكم»[٢٥].

وفي المعنى نفسه يقول: «إصطفاني (المولى) وأبدَعَني من نوره

---

(٢٣) سورة الأنبياء ٢١/١١٧.
(٢٤) السيرة المستقيمة ١٢/١١٧.
(٢٥) ألغاية والنصيحة ١٠/٩٤.

الشعشعاني مِن قَبل أن يكونَ مكان، ولا إمكان، ولا أنس، ولا جانّ وهو (المولى)، مِن قَبلِ أن يَخلقَ آدمَ العاصي وآدمَ الناسي بسبعين دوراً، بين كل دور ودور سبعون أسبوعاً، وبين كل أسبوع وأسبوع سبعون عاماً؛ والعام ألف سنة ممّا تعدّون. وما منها عصر إلاّ وقد دعوتُ العالمين إلى توحيد مولانا بصوَرٍ مختلفة ولغاتٍ مختلفة»[٢٦].

ويبدو أنّ حمزة كان آخر ظهورات العقل في العالم: لقد «قام بالتوحيد آخِرُ قائمٍ... إليه انتهتْ أدوارُ الإمامة... والقائم، عليه السلام، لا يقومُ بعدَه غيرُه، لأنّه تمامُ الأدوار ونهايتُها... وَعَرَفَ العالَمُ أنْ لا خَلَفَ له»[٢٧].

٢. صفات حمزة

لحمزة صفات العقل جميعُها، بل حمزة هو العقل. ولكنَّ العقلَ، في ظهوره بحمزة، اتّخذ لغةَ أهل زمانِه «بحسب طاقةِ العالَمِ، وما يتّسعُ في خواطرهم، وتستطيعُ عليه ألسنتُهم»[٢٨]. ونقتصر، هنا، على ما يطلقه حمزة على نفسه من صفات:

«ألحمدُ لمن أبدعني من نوره، وأيّدني بروح قدسه، وخصّني بعلمِه، وفوّضَ إليّ أمرَهُ، وأطلَعَني على مكنون سرّه.

«فأنا أصلُ مبدعاته، وصاحبُ سرّه وأمانته، المخصوصُ بعلمه وبركاته.

---

(٢٦) رسالة سبب الأسباب ١٤/ ١٥١، انظر ١٣/ ١٣٤.

(٢٧) الموسومة بإيضاح التوحيد ٧٤/ ٦٧٠-٦٧١.

(٢٨) رسالة سبب الأسباب ١٤/ ١٥٩.

«أنا صِراطُه المستقيم، وبأمرِه حكيمٌ عليم.

«أنا الطور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور.

«أنا صاحب البعث والنشور.

«أنا النّافخ بإِذن المولى سبحانَه في الصُّوْر.

«أنا إمام المتقّين والعِلمُ المبين ولسانُ المؤمنين وسندُ الموحّدين.

«أنا صاحبُ الراجفة، وعلى يدي تكون النِعَم المترادفة.

«أنا ناسِخُ الشرائع، ومُهلِكُ أهلِ الشركِ والبدائع.

«أنا مُهدِمُ القبلتين، وَمُبيدُ الشريعَتين، ومُدحِضُ الشَهادَتين.

«أنا مسيحُ الأمم، ومنّي إِفاضةُ النِعَم، وعلى يدي يَحلّ بأهلِ الشرِك النِقم.

«أنا النارُ الموقَدة، التي تطّلعُ على الأفئدة.

«أنا مُمِدُّ الحدود، والدّالُ على توحيد المعبود، ومُفني أهل الشِرك والجحود.

«أنا مُجرِّد سيفِ التوحيد، ومهلِكُ كلِّ جبّارٍ عنيد.

«أنا قائمُ الزمان، وصاحبُ البرهان، والهادي إلى طاعة الرحمن»[٢٩].

---

(٢٩) رسالة التحذير والتنبيه ٣٣/٢٤٢–٢٤٣. أنظر الرسائل التالية: ١٧/ ١٩١ وما يلي، ٢٢/ ٢١٤، ٣٢/ ٢٤٠، ٣٤/ ٢٤٧– ٢٤٨، ٣٦/ ٢٥٩، ٥٣/ ٣٨٣؛ ٧/ ٦٨، ٩/ ٧٦، ١١/ ٩٧، ١٣/ ١٣٢، ١٤/ ١٥٧، رسالة ١٤ بكاملها، ١٠/ ٨٥، ١٢/ ١٢١، ١١/ ١٠٧، ٢٥/ ٢٢١، ٢٢/ ٢١٦، ١٣/ ١٣٣، ٥٨/ ٤٥٧، ١٨,١٩٦، ١٠/ ٩١، ١١/ ١٠٠، الخ. أنظر

ثمّ إنّ «جميع ما في القرآن والصحف وما نزّله (المولى) على قلبي من البيان ومن الأسماء الرفيعة فهو يقع على عبده الإمام»[٣٠].

وباختصار، إنّ «الأسماء الواقعة على مولاي قائم الزمان: ألأوّل منها: علّةُ العلل[٣١]، والثاني: السابق الحقيقي[٣٢]، والثالث: ألأمر، والرّابع: ذو مَعَة[٣٣]. والخامس: الإرادة. ألعقل الكلي روحاني؛ واسمه جسماني: حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدّة سلطانه»[٣٤].

٣. دور حمزة

صفات حمزة تدلّ على دوره في دعوة التوحيد:

من خصائصه وحده كتابة «الحكمة»، وانْ كَتَبَ سِوَاهُ بعضًا منها فبتكليفٍ منه. وَمَن كَتَبَ رسالةً ما، عليه أن يقفَ على إرادته ومعرفته كما أنّ كلَ مَن يقرأ شيئًا منها عليه أن يكون قد انتدبه لذلك. ومن خالف هذه الشريعة يُعتبر هو ومن يَسمعه من العصاة. يقول:

«وليس لأحدٍ من الحدود أن يؤلّفَ كتاباً، ولا يقرأ على من استجاب، إلاّ بأمرِ منَ نُدِبَ لهدايتهم، ونُصِبَ لإمامتهم. فإنْ قرأ عليهم

أيضاً كتاب النقط والدوائر، وكتاب مختصر البيان في مجرى الزمان، وغيرهما...

(٣٠) رسالة سبب الأسباب ١٤/ ١٥٩، وأيضا ٢٢/ ٢١٤.

(٣١) على أنّ اللّه هو «معلّ علّة العلل»، و«مسبّب سبب الأسباب».

(٣٢) على أنّ السابق يُطلق على الحدّ الرابع من الحدود.

(٣٣) «سمّي ذو معة لأنه وعا توحيد مولانا بلا واسطة» (١٠/ ٩٢)، ولأنّه «هو الذي وحّد المولى بالحقيقة لأنه ذو معة وقلبه معالمولى لا يفارقه، وهو الدالّ على التوحيد المحض، ومنه القصد وإليه» (٣٨/ ٢٧٨).

(٣٤) ذكر معرفة الإمام... ٣٢/ ٢٤٠.

كتابًا بغـير أمرٍ فقد عصى القارئُ والمـستمعون جميـعًا، لأنّ الإمام ينطق بتأييدِ مـولانا جلّ ذكره روحانيّاً بلا واسطة. والدعاة يـتكلّمون من علمِه تعليماً مشافهة، فاذا عملوا شيئاً بغير أمرٍ كان بالرأي والقياس»[٣٥].

ويعترف إسـمعيل التمـيمي بأنّه لم يستطع كتـابة شيء لولا أمر صريح من قائم الزمان حمزة: «أمرَني مولاي قائمُ الزمان، والنورُ التمام، عليه من معبـوده أفضل التحيّة والسلام، بتصنـيفِ هذا الكتاب، فرجعتُ إلى روحي لأنظرَ مبلغَ فهمِها ومجهود طاقتها، فوجدتُها عن ذلك عاجزةً، فلم يمكنّي مخالفته، فعلمتُ علمًا يقينًا أنّه لم يأمرْني بتصنيفِ هذا الكتاب إلاّ وموادّه تَطرقُني، وبعلـمِه يَهديني، إذ كـانتْ من المولى جلّ ذكره الموادُّ إليه متصلةٌ، وهي عن سائر الناس أجمـعين منعَزِلةٌ. فتيقّنتُ أنّ القوّة منه إليّ واصلة اذ كنتُ منه أمتّص[٣٦]، والذكر لي منه مختصّ. فحسستُ عند حلول أمره بقـوّةٍ لم أعهدْها قـديمًا من عمري كلّه. فـألّفتُ هذا الكتابَ بما أيّدني به تلقيناً، وفي الصحف روحانيّاً. فمـا كان فيه من صوابٍ وجزالةِ خطابٍ فهو منه وراجع إلـيهِ، وما كان فيه من خـطأ وزلل فهو منّي وإليّ منسوب»[٣٧].

وكـذلك ما كـتبـه بهاء الدين المقـتنى من رسـائل في مجـموعـة الحكمـة، ويوازي ثلثي الـرسـائل، هو من «بركـات قـائم الزمـان ووليّ الفضل والإحسان»[٣٨].

---

(٣٥) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٩٢.

(٣٦) لهذا يلقّب اسمعيل بـ «ذي مصّة» لأنّه امتصّ العلم من الإمام.

(٣٧) تقسيم العلوم ٣٦/ ٢٥٩ – ٢٦٠، انظر: رسالة الشمعة ٣٨/ ٢٨١.

(٣٨) رسائل: ٦٤/ ٤٩٧، ٦٧/ ٥٢٦، ٤١/ ٣١٠ وغيرها.

٤. حمزة كاتب رسائل

أمّا الرسائل التي وضعها حمزة في مجموعة «رسائل الحكمة» فهي من رقم ٥ حتى ٣٥ من الجزء الأوّل والثاني ورسالة ٤٤ من الجزء الثالث. ومن المشكوك فيه أن تكون رسالة ٣٣ من تأليفه، وذلك لإطلاقه فيها لفظة «مولاي» على نفسه؛ غير أنّه من الجائز أن تكون هذه اللفظة وحدَها مقحمة في النّص.

وهناك رسائل لحمزة لا توجد في هذه المجموعة، منها ما يشير إليها بذاته مثل «كتاب المنفرد بذاته» الذي تذكره الرسالة ١٧ مرّتين[٣٩]، وكتابٍ في الزواج بعنوان: «الشريعة الروحانيّة في علم اللّطيف والبسيط والكثيف» المذكور في الرسالة ١٥.

ومنها ما نراه مذكوراً في مخطوط مكتبة فيينّا رقم ١٥٧٧ فهرست فلوجيل تحت عنوان «الرسالة الموسومة بالدّرّ المكنون في حقائق الهزل عن المَلِك المَصون مولانا الحاكم»، ورقة ٨ب، و«الرسالة الموسومة بالدامغة الزهرية في الردّ على النصيري وآله النصيرية»، ورقة ٤٢ب.

٥. حمزة ناسخ الشرائع والأديان

ومن مهمّات حمزة الرئيسيّة ومميّزات دعوته: نَسْخُ جميع الشرائع والنواميس. وربّما جاء حمزة وظهر في هذا الدور من الكشف لأجل هذه الغاية، وذلك لكي يُرجع التوحيدَ إلى أصوله وصفاته، ذلك التوحيد الذي كان منذ البدء، قبل مجيء النّبيّين والنواميس. وقد عَرَّفتِ

---

(٣٩) وهو مخطوط بعنوان «مصحف المنفرد بذاته» ٢٧٠ص.

الحكمةُ بحمزة بأنّه «مسيحُ الأزمان، محلِّلُ معاقدَ المِلَلِ، وناسخُ الأديان، وقاتلُ الإبليس والشيطان، ومهلِكُ العجلِ والشيصبان[٤٠]، المنتقمُ من أهل الكفر والطغيان، وماحقٌ لأهل الخلاف والعصيان»[٤١]. و «جعله المولى بفيضِ حكمتِه لِشَرْعِ نواميس الأبالسة (النطقاء) قاطعًا محلِّلاً، ولزخرفِهم الملبوسِ على الإمم ناقِضًا مفلِّلا»[٤٢].

ولم تغب عن خاطر حمزة مهمّتُه هذه، فهو يعرّف عن نفسه باستمرار: «أنا مُهدِم القبلتَين[٤٣]، ومُبيدُ الشريعتَين[٤٤] ومُدحِضُ الشهادَتين»[٤٥].

٩. حمزة والدّعاة:

«وُجدَ» حمزة، كما يقول الدروز، عَصْرَ الخميس في ٢٣ ربيع الأوّل سنة ٣٧٥ هـ الموافق ١٣ آب سنة ٩٨٥م، في التاريخ عينِه الذي «وُجِد» فيه الحاكم. أصلُه من زَوْزَن في بلاد فارس، جاء مصر سنة ٤٠٥ هـ. واتّفق مع بعض الأصحاب على العمل في إعلان دعوة التوحيد في بدء السنة الثامنة بعد الأربعمائة للهجرة.

---

(٤٠) ألشيصبان من أسماء الشيطان الرجيم (لسان العرب / شصب) وهو، عند الدروز، لقب «الأساس» علي بن أبي طالب (الدرر ص ٣٣/شصب)؛ راجع كتابنا «العجل والشيصبان»، سلسلة الأديان السرّيّة، رقم (٤)؛ سنة ١٩٨٥.

(٤١) رسالة التعقب والإفتقاد ٥٥/٤١٧، انظر ٤٨/٣٥٨ الخ...

(٤٢) رسالة اليمن ٦٠/٤٦٩، انظر ٦١/٤٧٧ الخ...

(٤٣) «القبلتين» يعني: مكة وبيت المقدس.

(٤٤) «الشريعتين «هما شريعة محمّد والتنزيل، وشريعة عليّ والتأويل.

(٤٥) «الشهادتين» أي: "أشهد أن لا إله إلاّ الله"، ثم "محمّد رسول الله". أنظر رسالة ٣٣/٢٤٣، ٣٤/٢٤٨ الخ...

وكـان من هؤلاء الدّعـاة: أبو الخـيـر سـلامـة بن عـبـد الوّهاب السامري، وأبو عـبد الله محمّد بن وهب القرشـي، وأبو إبرهيم إسـمعيل بن محمّد التميمي[٤٦]. هؤلاء، كما يقول الدروز، هيّأوا أجواء الدعوة، كلّ منهم استـمرّ في دعوته سبع سنـين، حتى «نودي بحمزة بن علي إمـاما للموحّدين. وكان عمره آنذاك نحو ثلاث وثلاثين سنة»[٤٧]. «واتّخذ الدعاة مسـجدَ رَيْدَان، خارجَ أسـوار القاهرة، مركـزًا لهم يجتـمعون فـيه»[٤٨]، «وسُمّي هذا المسجد بدار الهجرة الجامعة»[٤٩]، لأنّ جميعَ الدعاة هاجروا إليه بانتظار إعلان الدّعوة.

وأقـام حمـزة دُورًا للقضـاء خاصّـةً بالموحّـدين. وحظي بتأييـد الحاكم المطلق، وفي ذلك يقول الأنطاكي: «وكان أصحابُ الهادي (حمزة) يَلقون الحاكم في كلّ يوم في القرافة (مـوضـع في القاهرة) للسلام عليه، وهو مع ذلك يعتني بالهـادي ويسأله عن عدد ما حصل فـي بيته من أهل دعوته ويظهر منـه المشورة بالكثرة»[٥٠]. وكثر عـدد المستجيـبين للدّعوة حتى بلغ «ستة عشر ألفا»[٥١].

«ومِن الذين اسـتجـابوا دعـوة التـوحيـد عـدد من كبـراء الدولة والأعيان، كالشريف فخر الدولة أبي يعلا حمزة بن أبي العباس الحسيني

---

(٤٦) سيأتي الكلام عليهم في الفصول اللاحقة...
(٤٧) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٠.
(٤٨) المرجع نفسه.
(٤٩) المرجع نفسه.
(٥٠) تاريخ الإنطاكي، ص ٢٢٤.
(٥١) تاريخ الموحدين الدروز، ص ٦١ مستشهدا بتاريخ الإنطاكي ص ٢٢٤.

نقيب الطالبين (أي: المنتسبين إلى علي بن أبي طالب) في بلاد الشام[٥٢]، وأمراء آل تنّوخ: أبي الفضائل عبد الخالق بن محمّد، وأبي الحسن يوسف بن مصبح، وأبي إسحق إبرهيم بن عبدالله الذين كانَ أسلافهم من دعاة النذز[٥٣]. وإلى أبي إسحق إبرهيم بن عبدالله، الذي كان أميراً بالبيرة[٥٤] في ناحية الغرب من جبل لبنان، ينتسب الأمير ناهض الدولة أبو العشائر بحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين جدّ الأمراء البحتريّين من آل تنّوخ أمراء بيروت والغرب في جبل لبنان[٥٥].

«ومن الأعيان الذين استجابوا إلى دعوة التوحيد أيضاً يمكننا أن نسمّي الأمير أبا الفوارس معضاد بن يوسف الفوارسي، من أعيان ناحية الغرب كذلك، وزمّاخ بن مفرّج بن دغفل بن جرّاح الطائي، وأخاه جابراً، وهما من أمراء الرملة، والأمير عزّ الدولة أبا العلى رافِع بن أبي الليل بن عليان الذي أصبح فيما بعد أمير بني كلب، والشيخ أبا الخبر سلامة بن جندل من أعيان بني جندل التميمي في وادي التيم، وسلاطين الإحساء من القرامطة الملقبين بالسادة: أبا الفضل الطاهر، وأبا العباس، والعبّاس، وأبا الفضل العمران، وأبا إسحق المعلي، وأبا الفتح الفرج، بالإضافة إلى راجبال بن سومر الذي تسلّم أمور دعوة التوحيد في الهند»[٥٦].

---

(٥٢) عمدة العارفين، ٣/ ١٢٢، راجع كذلك ابن القلانسي، ص ٨٣.

(٥٣) عمدة العارفين، ٣/ ١٣٩-١٤٢.

(٥٤) صالح بن يحي، تاريخ بيروت، تحقيق لويس شيخو، ص ٤٧.

(٥٥) المرجع نفسه، ص٤٣.

(٥٦) عمدة العارفين، ٣/ ١١٨... أنظر تاريخ الموحدين... ص ٦٢.

٧. حمزة والدَّرَزي

وكان من الدعاة أيضاً محمّد بن إسمعيل الدَّرَزِي الملقّب بنَشْتَكين، وحسن بن حيدرة الفرغاني المسمّى بالأَخْرَم، وعليّ بن أحمد الحبّال، والعجمي، والأحول، وخطلخ ماجان، ومُعَانِد، وأبو منصور البرذعي[٥٧]، وغيرهم... هؤلاء أصحاب التعاليم الفاسدة وأصحاب «الطوارق والبوائق»[٥٨]، خاطبهم حمزة بقوله: «وما منكم أحد إلاّ وقد نصحتُه بحسب الهداية إلى دعوته. فمنكم من استجاب ونكث... وكتبنا عليهم الميثاق، وأباعوا الديانة في الأسواق، ومالوا إلى الشهوات والأعواق»[٥٩].

هؤلاء جميعهم عملوا، بالاتّفاق مع حمزة، على إعداد الدعاة، وتهيئة الأجواء لإعلان الدعوة، وكتابة الحكمة بخطوطها العريضة، وتنظيم الإجتماعات، وتسيير أمور المبشّرين، وتوزيع الأدوار، والحصول على تأييد الحاكم...

وتوالت إجتماعاتهم في جامع رَيدان المحصّن منذ سنة ٤٠٥ هـ، وأقرّوا الوقت الملائم لإعلان الدّعوة. إلاّ أنّ الدّرزي، الذي كُلِّفَ بملازمة البَلاط ونشْرِ الدعوة بين الموظّفين، حازَ برضى الحاكم الذي قرّبه منه «وفوّض الأمورَ إليه. وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أنّ الوزراء والقوّاد والعلماء كانوا يقفون على بابه، ولا ينقضي لهم شغل إلاّ على يده، وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطعونه»[٦٠].

---

(٥٧) رسالة الصبحة الكائنة ١٩/٢٠٣.

(٥٨) المرجع نفسه، ١٩/٢٠٢.

(٥٩) المرجع نفسه ١٩/٢٠٣.

(٦٠)أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٨٤.

واستغلّ الدّرزي موقعَه في القصر، وتسلّطَه على بيت المال. و«غرّه ما كان يضربه من زغل الدنانير والدراهم»[٦١]، كما يقول عنه حمزة؛ واستقلّ بكتابة الرِّقاع إلى بعض دعاة الإسماعيلين، فكتب إلى ختكين داعي دعاة الإسماعيليّة يطلب إليه الإنضواء تحت لوائه، كما كتب إلى وليّ عهد المسلمين عبد الرحيم بن الياس الذي كان يمثّل عقيدة الحاكم التوحيديّة، وكتب إلى متولّي الغلمان الأتراك... وإلى غيرهم[٦٢]، يدعوهم إلى دعوته.

وظنّ نفسه، والناس تنقاد إليه، أنّه أولى بالإمامة من حمزة، وأنّه يستطيع إعلان الدعوة قبل أوانها، فباشرها فعلاً، وأعلنها سنة ٤٠٧ هـ، أي سنةً قبل الموعد المحدّد. وكان الخلافُ الكبير يقع بينه وبين حمزة. فكتب إليه حمزة يحذّره: «إنْ كنتَ تدّعي الإيمان فأقرّ لي بالإمامة، كما أقررتَ في الأوّل... حتّى تصحّ عبادةُ مولانا... فإذا فعلتَ هذا مالتْ قلوبُ العالَم إلينا، وارتفعتْ ألسنتهم عنّا»[٦٣].

إلاّ أنّ الدَّرزي مضى في غيِّه وغطرسته ومعاندته، و «أظهر الضدّيّة»، وأصبح، بنظر حمزة والدروز من بعده، «الضدّ»؛ بل هو «الضدّ» بالمطلق. لقد كان في الأوّل «طائعاً لباريه، إلاّ أنّه أظهر المنافسة. وطلب اللّعينُ الرئاسة... وأظهر الضدّيّة، وجادل باريه»[٦٤]. كما أصبح غطريساً متكبِّراً متبختراً متعسّفاً مدّعياً حاسداً عاصياً. يقول فيه حمزة:

---

(٦١) رسالة الغاية والنصيحة ١٠/٩٣.

(٦٢) تاريخ الانطاكي، ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٦٣) رسالة الرضى والتسليم ١٦/١٨٢.

(٦٤) الكتاب المعروف بالنقض الخفي٦/ ٥٠–٥١.

«وغطريس هو نـشـتكين الدّرزي الذي تغطرس علـى الكشف بلا علم ولا يقين. وهو الضـدّ الذي سمعـتم بأنّه يظهر مـن تحت ثوب الإمام ويدّعي منزلتَـه ويكون له خوارٌ جـولةٌ بلا دولة، ثم تنطفي ناره. وكـذلك الدّرزي كان من جملة المستجيـبين حتى تغطرس وتجبّر وخرج من تحت ثوب الإمام وادّعى منزلتَه حسداً له وإعـجاباً بروحه. وقال قولَ إبليس... وقال: أنا سيّدُ الهاديين، يعني أنا خيرٌ من إمامي الهادي... وأبى أن يسجدَ لمن نصبَه المولى جلّ ذكره وقلّده واختارَه وجعلَه خليفَته في دينه، وأمينَه على سـرّه وهاديًا إلى توحيـده وعبـادته. فـتغطرس على الدين... طلبـا للرئاسة»[٦٥].

والدّرزي، بنظـر حـمـزة والدروز، هـو «العـجل»، والعــجل هو «الضـدّ». يقول حـمزة: «والعـجل هو ضـدّ وليّ الزمان الذي هو القـائم بجميع الحدود... وسُمّي الضدّ عـجلاً لأنّه ناقص العقل، عجول في أمره، له خوار. وهو يتشبّه بقائم الزمان بلا حقيقيّة ولا برهان»[٦٦].

وبذلك ، أصبح كلُّ ضدٍّ يسمّى «عجلاً». فـجميع الأنبياء «عجول»، والساعون وراءهم هم أيـضاً «عجول»، لأنّهم جمـيعهم أضداد التـوحيد. وقد يكون النّبي «محـمّد» العجلَ الأكبر لأنّ شريعتَـه كانت أظلم الشرائع على الدرزيّة[٦٧].

والدّرزي هو أيضاً «الخنزيـر» الذي هو «الضدّ الروحاني المشـبّه روحه بمولانا جلّ ذكـره. وقد دعـوتُه ورضـي بذلك وأقرّ لي بالعـبوديّة

(٦٥) رسالة الغاية والنصيحة ١٠/ ٩٢-٩٣.

(٦٦) رسالة البلاغ والنهاية ٩/ ٧٥. انظر رسالة ٤١/ ٣١١.

(٦٧) سترى ذلك بتوسّع في فصل «الدرزيّة والإسلام».

ضرورةً لا ديانة»[٦٨]، أي أجبر على ذلك لمنفعة مادّيّة دون أن يكون مؤمناً.

والدّرزي لم يحصل على أيّة رسالة من رسائل الدّعوة التي وضعها حمزة. وقد طلب منه ذلك دون جدوى. قال : «قد سألني مراراً بكثرة أن أدفع إليه شيئاً من كتب التوحيد ممّا ألّفتُه، فلم أفعلْ ذلك، ممّا تفرّستُ فيه من العاقبة الرديّة...فنظرتُ فيه بنور مولانا جلّ ذكره وتأييدِه، ولم أفعلْ أسلّمُه شيئاً ممّا طَلَبه، فتردّى بالكبرياء، وقال: "أنا خيرٌ منه وأعلى" . ولم يعلم بأنّ الغالبَ مَن أعانه المولى جلّ ذكره»[٦٩].

ثم راح الدّرزي يدعو البرذعي إليه، ويحوّله عن حمزة فأعطاه دنانيرَ كثيرة، «وأوعده بالمركوب والخُلَع، فمضى إلى عنده، وفتّح له أبوابَ البلايا والكفر»[٧٠]، ولذلك يتّهمهُما حمزةُ بأنّهما «نطقا بغير معرفة ولا علم. وعملا لغير وجه مولانا جلّ ذكره. وأعليا البناء بغير أساس. وما أصاب أحدٌ منهما ما أصابه إلاّ باستحقاقٍ وعدلٍ من المولى سبحانه على يدي»[٧١].

ولعدم حصول الدّرزي شيئاً من تعاليم الحكمة، كتب إليه حمزة يحذّره من تعاليمٍ يقوم بها على هواه، وقال له: إن «الذي تطلبه أنت من الكشف ليسَ لك عليه قدرة، ولا بفعله طاقة، لأنّ له روحاً وجسماً، وما بيدك شيء منهما، لأنّ الروح هو العلم الحقيقي، وأنت صِفْرٌ منها، ما

---

(٦٨) رسالة الرضى والتسليم ١٦/ ١٧٨.

(٦٩) رسالة الرضى والتسليم ١٦/ ١٨١.

(٧٠) المرجع نفسه، ١٦/ ١٨١.

(٧١) المرجع نفسه، مستشهدا بسورة ص ٣٨/ ٧٦.

تعرف ما طَحاها. وقد أظهرتُ أنا من العلم الحقيقي المكنونِ ما تعجز أنتَ عنه وجميعُ العالمين»[٧٢]. ثم يتهّمه بأنّه كان «أوّلَ مَن عمل برأيه، وقاس العلم بهوائه... فأُسقط من مرتبته وأُخرج من دعوته ومنزلته»[٧٣].

بسبب ذلك «عمل الدرزي في نقل رئاسة الدعوة إليه»[٧٤]، فكتب إليه حمزة تحذيراً آخر يقول له فيه بأنّ الإمامة «لا تنقسم في شخصَين في وقتٍ واحد، إذ كانت الإمامة نوراً كلّياً شعشعانيّاً، لا يتجزّأ ولا يدنّسه ندّ ولا يغيّره ضدّ...»[٧٥].

وهكذا، كما «ظهر» العقل الكلّي في حمزة بن علي، «ظهر» الضدُّ الذي هو إبليس، في «الدّرزي». وهي محنة ابتلاه المولى بها. وكما ظهر الضدُّ من إعجاب العقل بنفسه، كذلك ظهر الدرزي «من تحت ثوب الإمام»[٧٦]. وكما كان لإبليس معاونون يعملون في تضليلِ الموحِّدين، كان للدرزي أيضا دعاة أفسدوا التوحيد وعلّموا بحسب أهوائهم.

وبسبب الاختلاف بين حمزة والدّرزي وجماعتهما، عُلِّقَتْ دعوةُ التوحيد سنةً كاملةً، وهي التاسعة بعد الأربعمائة. فغابَ الحاكم، وغاب الإمام حمزة، وغاب جميعُ الدعاة الحقيقيّين، وانقطع النصّ[٧٧]، وظهرت البدع، وكثر نشاط الأضداد، ونكثَ بعضُ الدعاة، وتراجَع «المرتدّون» الخونة... وكانت سنة الغيبة هذه سنةَ امتحانٍ عسيرٍعلى الموحّدين.

(٧٢) رسالة الرضى والتسليم ١٦/ ١٨٢.

(٧٣) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٩٢.

(٧٤) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٤.

(٧٥) رسالة الصبحة الكائنة ١٩/ ٢٠٣.

(٧٦) رسالة الغاية والنصيحة ١٠/ ٩٢.

(٧٧) لذلك لا نرى رسالة واحدة في مجموع الحكمة من سنة ٤٠٩ هـ.

٨. غيبة التاسعة

محنة عسيرة أصابت الدعوة في مهدها ومن كل صوب، من الداخل ومن الخارج. لقد انقسم الدعاة بعضهم عن بعض، فكان الدّرزي والبرذعي والأخرم وأبو جعفر الضرير ومُعانِد وغيرهم، من جهة؛ وكان حمزة والحدودُ الأربعة وسواهم من جهة ثانية. وكان أهل جميع الأديان من سنّة وشيعة ونصارى ويهود على الدعوة عواناً. وكاد الجميع يقضي عليها... ولكنّ حمزة تدبّر الأمر وتفادى الكارثة، فأعلن التستر سنة كاملة.

في هذه السنة ٤٠٩هـ، هدأ نشاط الدّعاة، وغابوا عن مسرح الأحداث. وراحوا يعيدون النظر في تنظيم صفوفهم، ويعدّون الدعاة والمعاونين، ويكتبون رسائل جديدة، ويختلون بالحاكم ليتداركوا الأمور الصعبة والأحوال المستعصية.

«غير أنّ تعليق الدّعوة لم يُثنِ الدّرزي عن نشاطه. بل شجّعه اعتكافُ الحاكم واعتزالُ حمزة على المضي في دعواه واستجلاب مَن يستطيع استجلابَه إليه... وهكذا فلا تكاد سنة ٤٠٩ هـ أن تشرف على الإنتهاء حتى تكون نقمة أهل القاهرة على الدّرزي قد بلغت مبلغاً جعلتهم، في ٢٨ ذي الحجة ٨/٤٠٩ أيّار ١٠١٩، يتصدّون للدّرزي ويُلحِقون به هزيمةً ذهب ضحيتَها نحو أربعين قتيلاً من أتباعه[٧٨]».

«ويبدو أنّ الدّرزي، في محاولة منه أخيرة لرأب الصدع بينه وبين القاهريين وإنجاء دعوته من فشل نهائي، سعى إلى مفاوضة أهل

---

(٧٨) في هذا إشارة الى «الصبحة الكائنة» ١٩/ ٢٠٤.

القاهرة، وأقنعهم بالتصدّي لحمزة بن علي الذي كان معتكفاً مع بعض من الموحِّدين في مسجد رَيدان المحصّن الواقع خارج أسوار القاهرة.

«وهكذا نجح الدّرزي بتحويل النقمة على حمزة بن علي. وقد انضمّ الدّرزي اليهم، ليزحف – فيما قال– ما ينيف على العشرين ألفاً لقتال إمام الموحّدين. وتقول مصادر التوحيد[٧٩] إنّه لم يكن مع حمزة بن علي في حصنه ذاك إلاّ نفر قليل لا يتجاوز الإثني عشر، منهم خمسة لا يصلحون للقتال نظراً لكبر السنّ أو صغره. أمّا السبعة الآخرون فهم: إسمعيل بن محمّد التميمي، ومحمد بن وهب القرشي، وسلامة بن عبد الوهاب السامري، والمقتنى بهاء الدين عليّ بن أحمد الطائي، وأيّوب بن علي، ورفاعه بن عبد الوارث، ومحسن بن علي. وقد استطاع حمزة بن علي ومَن معه أن يصمدوا أمام المهاجمين خلف تحصينات المسجد. وعند المغرب، وكانوا قد بلغوا أشدّ درجات الضيق، أطلّ الحاكم عن شرفة قصره المشرف على المسجد. فلمّا رأت الجموع الخليفةَ كفّوا عن القتال وتراجعوا ورفع عن حمزة بن علي الحصار ليعود بعودة الحاكم ونصرته له الى سابق عهده.

«وفي صباح تلك الليلة، أي في الأوّل من محرّم سنة ٤١٠ هـ/ ١٠/٥/١٠١٩م قتل الدرزي بأفعاله[٨٠]، واستقام الوضع مجدّداً واستؤنفت الدّعوة. فعاد الدّعاة إلى سابق نشاطهم يدعون في مختلف الأمصار»[٨١].

---

(٧٩) في هذا إشارة الى الرسالة ١٩/٢٠٥، ١٠/٩٤، ١٦/١٧٩.

(٨٠) من الأرجح أن يكون الحاكم أرسلَ الدرزي إلى وادي التيم ليواظب على الدعوة.

(٨١) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٤–٦٥، وهو يستشهد بالرسالتين ١٠ و ١٩ وبيوسف العقيلي في خبايا الجواهر، ص ٧٣٠... وهو أمر نادر.

٩. نهاية الدّرزي

في رأي بعض الدروز أنّ الدّرزي قُتل سنة ٤١٠هـ[٨٢]. وهم يعتمدون بذلك على ما جاء في تاريخ الإنطاكي[٨٣] وفي الرسالة ١٩. إلاّ أنّ رأياً آخر يرجّح إبعادَه إلى بلاد الشام، وهو رأيُ مؤرّخين غير دروز. وقد يكون هذا الرأي أكثر صوابا وقرباً من الواقع، للأسباب التاليّة:

إنّ الذين يقولون بقتله يعتمدون على الرسالة ١٩ المؤرّخة في شهر شعبان من السنة الثانية لحمزة، أي سنة ٤١٠. ولكنّ هذه الرسالة لا تذكر صراحةً بأنّ الدّرزي قُتل مع سائر القتلى؛ ثم إنّها لم تُوَّجَهْ إليه شخصيًا، بل إلى أصحابه، فهي تبتدئ كما يلي: «رسالة من هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا سبحانه، إلى أصحاب نشتكين المعتقلين»[٨٤]، وليس إلى نشتكين بالذات.

ولكنّها أيضاً تشير إلى كثيرين هربوا من المعركة مع أهل القاهرة بقولها: «وهَرَب مَن هرب»[٨٥]. وهو ما يشير إليه شمس الدين أبا المظفر بن قزأوغلي في تاريخه «مرآة الزمان» حيث يدلّ صراحةً على هربه إلى بلاد الشام بعد ثورة الناس عليه.

يقول: «فثار الناس عليه، وقصدوا قتلَه، فهرب منهم. وأنكر الحاكم أمرَه خوفاً من الرعيّة. وبعثَ إليه في السرِّ مالاً، وقال: أُخرج إلى

---

(٨٢) أنظر: تاريخ الموحدين الدروز السياسي، ص٦٤، وعبدالله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص١٦٧...

(٨٣) تاريخ الإنطاكي ص ٢٢٢-٢٢٣ حيث يقول إنّ تركيًا قتله...

(٨٤) رسالة «الصحبة الكائنة» ١٩/ ٢٠٢.

(٨٥) المرجع نفسه ١٩/ ٢٠٤.

الشام، وانشر الدعوة في الجبال، فإنّ أهلَها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة، غربيّ دمشق، من أعمال بانياس. فقرأ الكتاب على أهله (أي على أهل وادي التيم)، واستمالهم إلى الحاكم، وأعطاهم المال. وقرّر الدّرزي في نفوسهم التناسخ، وأباح لهم شربَ الخمر والزنا، وأخْذَ مالِ مَن خالفهم في عقائدهم وإباحةَ دمِه. وأقام عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى»[٨٦].

وهكذا «لمّا انقضت التاسعة تجلّى الباري سبحانه بالوحدانيّة، وكشف توحيده في أوّل السنة العاشرة، واستمرّ الكشف إلى قرب آخر السنة الحادية عشر، وعادت الدعوة التوحيدية كما بدأت في السنة الثامنة (بعد الأربع مائة هجريّة) من تجلّي المعبود، وظهور الحدود، وكشف التوحيد، ودحض التلحيد، ونشر الدعوة، وفيض الحكمة، وتصنيف الرسائل، وكتابة المواثيق، ونسخ الشرائع، ورفع التكاليف»[٨٧].

١٠. الغيبة الأخيرة

في نهاية الحادية عشرة بعد الأربعمائة من الهجرة، غاب حمزة بن علي غيبته الأخيرة. وسلّم مقاليدَ الدعوة إلى المقتنى بهاء الدين علي بن أحمد الطائي. وكانت غيبة حمزة هذه إثر غيبة الحاكم في ٢٧ شوال سنة ٤١١/١٣ شباط ١٠٢١. ثم غاب معهما جميع الحدود، ما عدا بهاء الدين المقتنى الذي وقع عبء الدعوة عليه. وفي ذلك قالت الحكمة: «لمّا ثبتت حجّة الحق على كل الأمم، وتجلّى (الحق) للبشر من حيث تخييل

---

(٨٦) ألنجوم الزاهرة، ج ٤ ص١٨٤.

(٨٧) مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٧٢ب وما يلي .

النظر، احتجب بنوره عن خلقه، فلم يقتف له أثر، واستتر لغيبته وليّه الهادي النذير (حمزة)، وغاب لغيبته صفيّه البشير (إسمعيل)»[٨٨].

ولكن، أين كان موضع الغيبة هذه؟ إنّه أمر مجهول لدينا. ولكنّ حمزة ما زال موجوداً، يراسل الدعاة سرّا، ويوجّه نشاطهم من مكان اختفائه.«وفي اعتقاد الموحدين أنّ غيبة حمزة هذه كانت امتحاناً لهم ولإخلاصهم لدعوة التوحيد»[٨٩]. وعنها قالت الحكمة: «إنّ غيبتي عنكم غيبة امتحان لكم ولجميع أهل الأديان. فمن وفى منكم بما وثق عليه ولم ينكص على عقبيه فسأوتيه أجراً عظيماً، وأنيله مقاماً كريماً»[٩٠].

وبعد غيبة الحاكم بشهرَين أرسل حمزة «رسالة الغيبة» رقم ٣٥ من رسائل الحكمة، على يد أبي يعلا الى الموحِّدين في بلاد الشام. وكانت الأخيرةَ من يده.

غير أنّ الدكتورة أبو عزّ الدين تقول عن نهاية الحاكم: «إنّ المخطوطات المكتشفة حديثاً تظهر أنّ الحاكم توجّه إلى الشرق، إلى سجستان شرقي بلاد فارس على حدود الهند. وهناك التحق به حمزة فيما بعد. من سجستان أرسل حمزة إلى بهاء الدين، في سنة ٤٣٩ / ١٠٤٧ تأمّلات صوفيّة أملاها الحاكم، جُمعت في "سجلّ سرائر الأول والآخر"[٩١].

(٨٨) الموسومة بأحد وسبعين سؤالا ٦٣٦/٧٣ – ٦٣٧.

(٨٩) تاريخ الموحدين الدروز في المشرق العربي، ص ٦٥.

(٩٠) الإعذار والإنذار ٢٤٨/٣٤، أنظر: ٦/ ٦٩٠، ٤٩٨/٦٤؛ ٥٤٦/٦٨–٥٤٧؛ ١٦/٧٤.

(٩١) الدكتورة نجلاء أبو عزّ الدين، الدروز في التاريخ، ص ١٣٤.

ثالثًا - النفس - إسمعيل التميمي

هو أبو إبرهيم إسمعيل بن محمّد بن حامد التميمي، ألحدّ الثاني من حدود التوحيد الخمسة. وهو بمقام «النفس الكلّيّة» التي تشخّصت فيه في دور الحاكم. كتب إليه حمزة يقلّده مرتبته التوحيديّة ومنزلتَه الدينية. جاء في الكتاب:

«مِن عبدِ مولانا (حمزة)... إلى أخيه وتاليه، وذي مصّة علمه، وثانيه، آدم الجزئي، الذي اجتباه (اختاره) بعلمه، وهداه بحلمه، وغذّاه بسلمه، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، هرمس الهرامسة، أخي، وصُهري، أبو إبرهيم إسمعيل بن محمّد التميمي، الداعي...

«إنّي نظرتُ إليك فجعلتُك خليفتي على سائر الدّعاة والمأذونين والنقباء والمكاسرين وجميع الموحّدين بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الأرض وأقاليمها.

«وأسميتُك بصفوة المستجيبين، وكهفِ الموحِّدين، وذي مصّةِ علمِ الأوّلين والآخِرين. وجعلتُ لك الأمر والنهي على سائر الحدود، تُولي مَن شئتَ، وتعزل مَن شئت. فما رأيتَ من صلاح وعملتَه فهو أمري. وما نهيتَ عنه فهو نهيي. ومَن خالفك خالفني، ومَن أطاعك أطاعني»[٩٢].

---

(٩٢) سجلّ المجتبَى، ٢٠/٢٠٦-٢٠٧.

وفي أمكنة كثيرة من مجموعة «رسائل الحكمة»، يُعتبر إسمعيل في المرتبة الثانية بعد حمزة: «فأوّلهم وأعظمهم فعلاً ذو معة (حمزة)، وبعده ذو مصّة»[٩٣]، أي إسمعيل الذي «امتصّ علمَه من قائم الزمان»[٩٤]. ويكنّى بـ «المشيئة» وبـ «الحجّة الصفيّة الرضيّة» وبـ «صفوة المستجيبين، وكهف الموحِّدين»، وبـ «الشيخ المجتبى»[٩٥].

وفي الرسائل القليلة التي وضعها إسمعيل يُضفي على نفسه الألقاب والصفات والمهمامّ التي يضفيها عليه حمزة[٩٦]. ونسبته إلى حمزة كنسبة الزناد إلى الحجر، «ولو مكث الزناد طول الدهر ملقى بلا قادحٍ ولا حجرٍ يحرّكه، لما ظهر من الزناد نار. وإنّما ظهور النار من الزناد بالقادح والحجر. كذلك النفس»[٩٧]. فالنار كامنة في الزناد وفي الحجر، ولولا القادح لما كانت. و«الزناد والحجر زوج مزدوج، ذكر وانثى.. والنار متولّد من بينهما...»[٩٨].

ثم يصف درجتَه من حمزة كما يلي: «أوجدَني (قائمُ الزمان) منه لقوّة إبداعه ومادّته. وجعلني تاليه وحجّتَه وزوجتَه وقابلَ صورتِه ومودِعَ سرّه وحكمتِه. وأفاضَ عليّ نورَه وبركتَه. وأوجد مني حدودَ دعوته... فأنا النفس. ومنزلتي من إمام الهدى بمنزلة القمر من الشمس. فاسمعوا أيّها الموحّدون نصّ الحكمة تسعدوا»[٩٩].

---

(٩٣) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/١٩١.

(٩٤) كتاب فيه تقسيم العلوم ٣٦/٢٥٨.

(٩٥) تقليد المقتنى ٢٢/٢١٦، انظر ذكر معرفة الإمام ٣٢/٢٤٠.

(٩٦) أنظر ٣٩/٢٨٢، ٣٢/٢٤٠، ٢١/٢٠٩ الخ...

(٩٧) رسالة الزناد ٣٧/٢٧٤.

(٩٨) المرجع نفسه ٣٧/٢٧٥.

(٩٩) الموسومة بالرشد والهداية ٣٩/٢٨٣.

وضع إسمعيل في مجموعة الحكمة خمسَ رسائل، من رقم ٣٦ إلى ٤٠ في الجزء الثاني. والرقم ٤٠ «شعر النفس» وهي قصيدة بعثها الى أهل جبل السمّاق يبثّ فيها عقيدة التوحيد.

غاب إسمعيل مع غيبة حمزة، واختفى عن مسرح الأحداث بسبب الاضطهاد. «له في الدعوة «اثنعشر حجة في الجزائر. وسبعة دعاة للأقاليم السبعة»[١٠٠].

لم يعط شيئاً جديداً فيما كتب سوى أنّه شرح نظريّة حمزة وقرّبها للأفهام بكثرة استعاراته وأمثاله. يقول الدروز بأنّه بدأ يعدّ العدّة قبل كشف الدعوة بسبع سنين، فهيّأ بذلك لمجيء حمزة وتسلّمه الإمامة الحقيقيّة.

يقول الدكتور صالح زهر الدين عن إسمعيل: «عند تعرّض الدروز (عقّالاً وجهّالاً) إلى أيّ مصيبة أو ضائقة، سرعان ما تسمع أصواتهم تستنجد منادية: "يا بو ابراهيم"، كدليل على الإيمان من ناحية وشهرة سيفه القاطع من ناحية أخرى لإنقاذهم من المأزق الخطر الذي أصابهم»[١٠١].

---

(١٠٠) الموسومة بكشف الحقائق ١٣/ ١٣٧.

(١٠١) تاريخ المسلمين الموحّدين الدروز، مراجعة وتقديم سماحة الشيخ مرسل نصر، رئيس محكمة الاستئناف الدرزيّة العليا، بيروت، ١٩٩١؛ ص ٣٨. أبو إبراهيم مؤسس فرقة حربيّة سمّيت باسمه، وقد عاود الدروز تأسيسها أثناء "حرب الجبل" سنة ١٩٨٣. وكانت مهمّتها القضاء على كلّ عدوٍّ لهم.

رابعاً - الكلمة - محمد بن وهب القرشي

هو «الكلمة، الشيخ الرّضى، سفير القدرة، فخر الموحّدين، وبشير المؤمنين، وعماد المستجيبين، وكلمتهم العليا روحاني، واسمه جسماني: أبو عبد الله محمّد بن وهب القرشي الداعي»[١٠٢].

هو ثالث الحدود الروحانيّة التوحيديّة. هو «الكلمة» في دور العليّ الأعلى، و«شرخ» و «آدم الناسي» في دور الباري. لا أحد يعلوه في الدعوة غير إسمعيل التميمي[١٠٣]. تقع عليه مهمّة ملاطفة الموحّدين، وحثّهم على الخدمة، وتلقّي الأخبار من النقباء، ورفعها إلى حمزة[١٠٤].

يبدو أنّ منزلته الدينيّة هذه كانت لواحد قبله، توفّاه اللّه، وكان يلقّب بـ «الشيخ المرتضى، قدّس المولى روحه»[١٠٥]. تسلّم منه القرشي مرتبته وعلومه وكتبه التوحيديّة. وهو الذي واراه التراب واهتمّ بدفنته[١٠٦]. لا نعرف عنه أنّه كتب شيئاً من رسائل الحكمة أو من سائر

---

(١٠٢) أنظر: ٣٢/ ٢٤٠، ٢٢/ ٢١٦، ٢١/ ٢٠٨ مرّتين.

(١٠٣) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١/ ٢٠٩.

(١٠٤) المرجع نفسه.

(١٠٥) المرجع نفسه.

(١٠٦) المرجع نفسه.

الكتب التوحيدية. له «أثناعشر حجّة وسبعة دعاة للأقاليم السبعة، لأنّ للكلمة نظير ما للنفس»[١٠٧].

من توصيات قائم الزمان إلى القرشي: «إجمع شمل الموحّدين. وكنْ لهم في نَفَاسِهم وأعراسِهم وجَنائِزهم على السنّة التي رسمت لهم... ومن رأيتَ من جميع الحدود والدعاة والمأذونين والنقباء قَصَّرَ عن الخدمة وبانَ لك منه زلّةٌ فابدِلْهُ بغيره... أوصِهم بحفظِ بعضهم بعضاً. ولا يمشي أحدٌ منهم إلاّ ومعه شيءٌ من السلاح وأقلّه سِكّين...

«مَنْ حُبِسَ على جَنِيّة أو خطيّة وسُومحَ بها فَامْضِ به إلى بيتِكَ واضربْه بالعصيّ ضربًا وجيعًا حتى لا يعودَ إلى خطأٍ لا يليقُ بالموحّدين، وذلك في بيتك موضعًا لا تكون فيه الأضداد...

«إحذر أن تتجاوز ما رسمتُ لك... قلِ الحقَّ ولا تستحي منّي ولا تَفْزَعْ... لا تتقدّم من الحضرةِ (الحاكم) إلاّ بعدَ أن تدعوك. ولا تتكلّم بحرفٍ واحدٍ إلاّ بعد أن تسألكَ عنه... لا تُخْفِ عنّي جميع ما أنتَ فيه... قلِ الحقَّ ولا تخشَ إلاّ ذنبَك»[١٠٨].

هذه الوصايا الأخيرة تدلّ على ضعفِ شخصيّةِ القرشي أمام قائم الزمان، وخاصّة عندما ينبّهه بمِثلِ قوله: «لا تلجّ في السؤال، ولا ترفع صوتك، ولا تحرّك يدك، ولا تشير بعينك، ولا ترفع رأسك عند الكلام»[١٠٩].

---

(١٠٧) الموسومة بكشف الحقائق ١٣/ ١٣٧.

(١٠٨) تقليد الرضى وسفير القدرة٢١/ ٢١٠ – ٢١١.

(١٠٩) المرجع نفسه، ص ٢١١.

خامسا - السابق-أبو الخير سلامة السامري

هو «الجناح الأيمن، الشـيخ المصطفى، نظام المستـجيـبين، وعزّ الموحّدين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الخير سلامه بن عبد الوهّاب السامري الدّاعي»[١١٠].

ليس في مجموعة «الحكمة» تقليد خاصّ به، كما لسائر الحدود؛ لكنّنا نعرف عنه شـيئاً من «تقليـد المقتنى». لم يُذكـر كثيرًا لأنّ المهـمة الموكولة إليه كانت سرّيّة: «القوّة للسابق مستورة مكتومة»[١١١].

ومع هذا قد يكون قائم الزمان حمزة أرسل إليه تقليداً خاصّاً ثمّ ضاع، بدليل ما أشار إليه في «تقليد المـقتنى»، عندما قال للمقتنى: «ولا يكون أخذُك على المستجيبين خارجاً عمّا في تقليد أخيك المصطفى»[١١٢]. والمصطفى هو السامري نفسه. للسامـري «اثناعشر حجّة لا غير»[١١٣]. وليس له أيّة رسالة في مجموعة «الحكمة».

---

(١١٠) ذكر معرفة الإمام ٣٢/ ٢٤١.

(١١١) تقليد المقتنى ٢٢/ ٢١٥.

(١١٢) المرجع نفسه، ص ٢١٧.

(١١٣) الموسومة بكشف الحقائق ١٣/ ١٣٧.

سادساً - التالي - بهاء الدين المقتنى

هو «الجناح الأيسر، الشيخ المقتنى، بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسند الموحّدين، الناصح لكافّة الخلق أجمعين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الحسين علي بن أحمد الطائي السموقي الداعي»[١١٤]. المعروف بـ «الضيف»[١١٥].

بهاء الدين هذا هو بالفعل «لسان المؤمنين وسند الموحّدين». وقد يكون حمزة اختاره لأجل كونه «صاحب القول المبجّل». لقد كان، بحسب ما ورد في «تقليد المقتنى»، كاتباً بليغاً، ينمّق الكلام، ويُحكم التأليف. وكان حمزة يُسرّ «عند سماع لفظه ومعجز تنميقه، وإحكام تأليفه». واعتبر ذلك من إنعام المولى عليه. وعرفه أيضاً «بالذكاء والفطنة شخصاً حليماً. فأشرقت زهرة ألفاظه في سماء عقله وفكره وخاطره. وفاح نسيم زهرة عقيدته الصحيحة، فاستحقّ علوّ المنزلة ورفيع الدرجة»[١١٦].

---

(١١٤) ذكر معرفة الامام ٣٢/ ٢٤١

(١١٥) انظر: ٢٢/ ٢١٣ و ٢١٤.

(١١٦) تقليد المقتنى ٢٢/ ٢١٤-٢١٥.

وبسبب معرفة حمزة به المتأخرة عن معرفة سائر الحدود جعله في آخر المراتب. ولكنّه كلّفه بالمهامّ الصعبة، وبإكمال الدعوة التوحيديّة وإعلانها، ووضع رسائل في الحكمة. فالفعل هو، في الحقيقة، له: و«الفعل للتالي بأفعال صحيحة معلومة»[١١٧]. وقد يكون بهاء الدين، بسبب ذلك، أعظم من كل مَن شغل مرتبته هذه في الأدوار الماضية، فـ «تالينا يقوم بها (بدعوة التوحيد) أعلى من كلِّ حدٍّ قام»[١١٨].

في الأدوار السابقة كان«النفس» يقوم مقام «الإمام» عند غيبته، أمّا في هذا الدور فالكلّ غاب ما عدا «التالي»: «وتخلّف بعدهم مولاي بهاء الدين... وسبب خلفة المقتنى في هذا العصر الأخير لأنّ ما بعده شرائع ولا بقي إلاّ الجزاء والقيامة. وأمّا الخلفة بعد غيبة الإمام فهي لحجّته النفس الكليّة في جميع الأدوار. وهذا العصر الأخير تخلّف (أي خَلِف) المقتنى سلام الله عليه، وتمّم الدعوة، وكمّل هداية الخلائق، وخلّص بقيّة الموحّدين من دين التأويل، وتمّم قيام الحجّة على جميع الخلق»[١١٩].

ولأجل ذلك طلب حمزة من بهاء الدين ان يكتب الميثاق على المستجيبين بـ «ضبط الحلية وإحكام الشهادة»[١٢٠]. وهو أمر هامّ يتعلّق به وحدَه، ويستطيع بهاء الدين ذلك لأنّه يعرف، نظراً لسعة

---

(١١٧) تقليد المقتنى ٢٢/ ٢١٥.

(١١٨) المرجع نفسه.

(١١٩) مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ١٧٦أ–ب.

(١٢٠) تقليد المقتنى ٢٢/ ٢١٧.

معارفه، أن يبيّن هويّة كلّ موحّد ويعرّف عليه بما يميّزه بسماتِ وجهه، ويعرف كيف يحكم عليه الشهادة الحقّة.

ووضع حمزة لبهاء الدين جملة موحّدين ليكونوا في خدمته وتحت أوامره، فكان منهم «حسن بن هبة الرّفّاء، نقيب النقباء، ليكون هو وأصحابه فيما يعرض لك في المدينة (القاهرة) من المهمّات»[١٢١]. وحسن هذا كان وسيطاً بين حمزة ومحمّد بن وهب القرشي. وعليه الآن أن يكون وسيطاً بين بهاء الدين وحمزة مع أصحابه المبثوثين في القاهرة. وحسن هذا «تدفع إليه كتبكم. فإنّها واصلة على يده»[١٢٢].

وعيّن حمزة لبهاء الدين «ثلاثة حدود يتمسّكون به، أوّلهم الجدّ أيوب بن علي، وثانيهم الفَتْح رفاعة بن عبد الوارث، وثالثهم الخَيَال محسن بن علي»[١٢٠]. و «الجَدّ لأنه جَدَّ في طلب العلم من الإمام»، و «الفَتح لأنه يَفتحُ بابَ العهد والميثاق على المستجيبين»، و «الخيال لأنّه يلوّح بعلمه ومكاسرته مثل الخيال، اذ كان التلويح بالكلام بغير كشف ولا تبيان»[١٢١]. وأهميّة هؤلاء تأتي من كونهم، مع الحدود الخمسة، يؤلّفون «شمعة التوحيد»[١٢٢]. وهذا ما يشير، مرّة أخرى، إلى أهميّة بهاء الدين ودوره الفعّال في الدعوة.

---

(١٢١) تقليد المقتنى ٢٢/٢١٧.

(١٢٢) مكاتبة الى اهل الكدية البيضاء ٢٣/٢١٨.

(١٢٠) الموسومة برسالة الشمعة ٣٨/٢٨١.

(١٢١) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/١٨٨.

(١٢٢) الموسومة برسالة الشمعة ٣٨/٢٨١.

وَعَرَفَ إسمعيلُ التميمي أيضاً أهميَّة بهاء الدين هذه، فاعتبر أنّ التوحيد لا يقوم فعلاً إلاّ به وعليه، تماماً كـ "الحسكة" التي تحمل الشمعة. «اذا اتّفق النار (العقل والنفس) والشمع (الكلمة) والقطن (السابق) قال: إنّي استعملت شمعة تبقى منفردة، تريد مَن يحملها. فإذا لم يكن لها حسكة تحملها بقيتْ ناقصة الآلة»(١٢٣). فبهاء الدين هو «آلة» التوحيد.

هذا ما نعرفه من حمزة والتميمي عن بهاء الدين. ولكنّنا نستطيع توضيح صورة المقتنى من الرسائل التي كتبها بنفسه وبعث بها إلى كافّة أنحاء الأرض. وفي معتقد الموحّدين «ما غاب مولاي بهاء الدين حتى قامت الحجّة على جميع الخلق. ولو تأخّر من الخلق شخصٌ واحد لم تبلغه الدعوة لبقي له حجّة على اللّه ورسله... لهذا بالحجّة تقطّعت معاذير الأنام»(١٢٤).

لقد كتب بهاء الدين أربعة أجزاء على ستة من «رسائل الحكمة»، أي من رسالة ٤١ حتى ١١١ الأخيرة، ما عدا رقم ٤٤ التي يظنّ بأنّها لحمزة. وبلّغ دعوة التوحيد أقاصي الأرض. فكتب إلى الملوك والرؤساء وجميع البلدان، فراسل قسطنطين الثامن أمبراطور بيزنطية، وراجبال زعيم الهند، وسادات العرب، واليمن، وجبل السمّاق، ووادي التيم، وحلب، وراسل المسيحيّين، واليهود، وأهل السنّة ، والشيعة، وأهل التوحيد، والفلاسفة، وردّ على المنجّمين، وراسل شيوخ الموحّدين

---

(١٢٣) الموسومة برسالة الشمعة ٣٨/٢٧٨.

(١٢٤) مختصر البيان في مجرى الزمان ، ورقة ٧٦ب – ١٧٧أ.

الأطهـار، أمثـال آل عـبدالله، وآل تراب، وآل سـليمـان. وقلّد شـيوخـاً كثيرين، وكتب رسائل توبيخ للمرتدّين الخونة. إلخ...

لقد وقع عـبء الدعوة، بعد غـيبـة الحدود، على المقتـنى. وكانت الفـترة التي تسلّم فـيهـا مهـامّه صـعبـةً جدّا، هي فـترة مـحنة وبلاء واضطهاد وتشريد وقـتل... حتى عجز في النهاية من إكـمال الرسالة. فأغلق أبواب الدّعوة إلى الأبـد. وكان ذلك سنة ٤٣٥ هـ/١٠٤٣م. وقد كتب في ذلك رسـالته الأخيرة المسمّـاة «منشور الغيبة» رقم ١١١ حيث يوصي الموحّدين بهـذا الكلام: «مَن وقعت به منكم مـحنة، وطلب منكم سبّ هذا العبد (أي المقتنى نفسه) فتبرّأوا منه (أي من المقتنى) وسبّوه. وإنْ طُلب منكم لعنتـه فالـعنوه. هذا عند الإضرار (أي عند الضـرورة). والله العالم بما تظهروه وتكتموه»[١٢٥].

***

لكن، لنعد قليلا الى الوراء. قـلنا ان الدعوة ظهرت سنة ٤٠٨هـ، واسـتـتـرت سنة ٤٠٩، وعـادت سنتي ٤١٠، ٤١١، وفي أواخـر هذه السنة غاب الحاكم وسائر الحدود، «وبويع لأبي الحسن علي بالخلافة، ولقّب بالظاهر لإعـزاز دين الله[١٢٦]. ومـا أن اعتـلى الخليفـةُ الجـديد العرشَ حتى بادر إلى اضطهاد الموحّدين»[١٢٧].

وكان السـبب، بنظر الدروز، أنّ «الموحّدين لم يعتـرفوا بالظاهر

---

(١٢٥) منشور الغيبة ١١١/٨٤٢.

(١٢٦) تاريخ الإنطاكي، ص ٢٣٥.

(١٢٧) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٦.

إماماً لهم. فالإمامة الفاطميّة، بحسب معتقدهم، انتهت بالحاكم[١٢٨] الذي سلّمها في الأوّل من محرّم سنة ٤٠٨ هـ إلى حمزة بن علي، ولقّبه بإمام الزمان. إذاً، كان الموحّدون في نظر الخليفة الظاهر، خارجين عن طاعته لا يعترفون بإ مامته، ولا يدينون له بالولاء. لذلك كان لا بدّ له من استئصالهم بالسيف على حدّ تعبيره[١٢٩].

«فلما اعتلى الظاهرُ عرشَ الخلافة الفاطميّة، وكان قد مضى على اختفاء الحاكم نيّفٌ وأربعون يوماً، عدّ كل يمين من الأربعين يميناً، التي قيل أنّه أخذها على نفسه بألاّ يصيب الموحّدين بسوء، قبالة يوم واحد، حسب المصادر التوحيديّة التي تضيف أنّ ذلك كان بمشورة أحد أخصام الموحّدين وهو صالح بن مرداس والي حلب[١٣٠]. وهكذا أخذ الظاهرُ يسوم الموحّدين شتّى أنواع الاضطهاد والتعذيب والتنكيل. وقد هدر دماءهم في مختلف أنحاء مملكته. ودامتْ فترة الاضطهاد هذه نحو ست سنوات ونيّف»[١٣١].

لقد استمرّت المحنة من غيبة الحاكم سنة ٤١١ هـ حتى سنة ٤١٧. واستمرّت دعوة التوحيد معلّقةً طوال هذه المدّة، إلى أن تسلّم المقتنى كتاباً من قائم الزمان حمزة يأمره فيه باستئنافها. وقد لبّى

---

(١٢٨) انظر: سامي مكارم، الحاكم بأمر الله... مقال في «الأبحاث» ج٢٣.

(١٢٩) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٧.

(١٣٠) انظر يوسف العقيلي، خبايا الجواهر، ص ٧٣٨ – ٧٣٨.

(١٣١) مختصر البيان في مجرى الزمان، ١٧٧أ، عمدة العارفين ١٩٣/٣. وانظر «تاريخ الموحدين الدروز السياسي...»، ص ٦٧.

المقتنى أمرَ حمزة وعادتِ الدّعوة إلى سابق عهدها من النشاط[١٣٢]. وكانت أوّل رسالة كتبها بهاء الدين «الجزء الأوّل من السبعة أجزاء»، وفيها يبشّر بقرب الفرج: «والفرج بمشيّته قريب. وقد مضا من المحنة أكثرُها، وبقي أيسرُها. فابشروا معاشرَ الإخوان الموحّدين، وبشّروا إخوانكم، واحذروا من القنط والضجر، واصبروا، فإنّ العاقبة لمن صبر.»[١٣٣]. وكان أمل المقتنى بانتهاء المحنة يعتمد على قاعدة درزيّة شهيرة، وهي أنّ «كلّ شيء، إذا بلغ سبعةً، انتهى ووجب تغييره وحدوثُ غيره»[١٣٤].

وهكذا استمرّت رسائل بهاء الدين تتوالى من سنة ٤١٧ حتى سنة ٤٣٥هـ. وهي تتصف بالشموليّة والعمق ومتانة الأسلوب وغنى المفردات وكثرة الالغاز وصعوبة الرموزات ونفاذ المنطق... قاعدتها تعاليم حمزة، فهي تشرحها وتفسّرها وتغنيها بالصور والأمثال. وتشير إلى معرفة صاحبها بشتى الأديان والعلوم والصناعات. فهو يعرف المسيحيّة وتقاليدها وتعاليمها وأعيادها، حتى حسبه «دو ساسي» مسيحياً مرتدّاً[١٣٥]، ويلمّ بقواعد الطبّ وأنواع الأدوية والأمراض[١٣٦]، ويدرك طرق التجارة وآلات الزراعة وما إليها[١٣٧].

---

(١٣٢) عمدة العارفين ٣/١٠٥، والمرجع السابق، ص ٦٩.
(١٣٣) رسالة الوصايا السبع(؟) ٤١/ ٣١٩.
(١٣٤) المرجع نفسه، ٤١/٣١٨.
(١٣٥) أنظر كتاب «دو ساسي»، بالفرنسية، الجزء الأول، ص ٤٨٩.
(١٣٦) الرسائل: ٧٩/٧٢٦، ٨٧/٨٦٢، ١٠١/ ٨٠٠، ١٠٢/٨٠٣ – ٨٠٧، ١٠٥/٨١٥..
(١٣٧) الرسائل: ٩٢/ ٧٧٥–٧٧٧، ٩٣/٧٧٨، ٩٤/ ٧٨٠–٧٨٤، ٩٥/ ٧٨٥–٧٨٦، ١٠٠ ٧٩٦–٧٩٨، والرسائل الأخيرة.

ولا يقلّ بهاء الدين جرأةً عن حـمزة في نقض الشرائع والأديان والمذاهب كلّها. ولم يتورّع عن كشف عـوار الأنبياء والرسل والأوصياء جميعهم. فهو القـائل: «فوحَقِّ السيّد... لأهتكنَّ عوارَ نواميس الأديان... ولأهدمنَّ قواعـدَ النِحَل الشركيّـة البدعيّة، ولأفـسـخنَّ المقالات المفـرّعة للشكّ والشرك في أصـول الأديان بعد الأذان (أي الاستـئذان) في ذلك من قائم العصر مسيح الأزمان»(١٣٨).

ألوان الحدود

جاء في تاريخ المسلمين الموحدين الدروز ما يلي:

كان اللّون الأخضر شعاراً لحمزة بن علي
واللّون الأحمر شعاراً لاسمعيل التميمي
واللّون الأصفر شعاراً لمحمّد بن وهب القرشي
واللّون الأزرق لأبي الخير سلامة السامري
واللّون الأبيض شعاراً لبهاء الدين المقتنى(١٣٩).

---

(١٣٨) الموسومة بالمسيحية وأمّ القلائد النسكيّة... ٥٤/٤١٦.

(١٣٩) أنظر الدكتور زهر الدين، ص ٣٨-٤٠.

سابعا - خونة الدعوة

بالرغم من يقظة بهاء الدين وحيطته دخل الدّعوةَ أناسٌ «لم يكونوا بمستوى الرسالة التي أنيطت بهم. فقد لعبت في بعضهم الأطماع الشخصيّة، كما أنّ بعضهم الآخر لم يتسنَّ لهم فهمُ الدّعوة على حقيقتها. وقد اضطُرّ المقتنى إلى العمل على القضاء على هؤلاء المرتدّين»[١٤٠]، كما عبّر عن ألمه وأسفه وكثرة الدموع التي همرتْ من عينيه بسببهم: «فباللهِ، لقد آلَم قلبي ذلك، وفاضت عينايَ بواكفِ الدموع الرُّسَّلِ، أسَفًا على ما بساحتِهم من الخرص أجرى اليه، ومن الغلط والتحريف ما لم أطّلع عليه»[١٤١].

ويبدو أنّ المرتدّين كانوا على التوحيد أكثرَ شرّاً من سائر أهل الأديان؛ وهو القائل: «ونحن من أهلنا على شفا جرفِ المصائب والمهالك»[١٤٢]. والمسلمون أنفسهم كانوا أرحمَ بالموحّدين من هؤلاء الخونة: «فالنواصب (أهل السنّة) بنا ألطفُ وأرحم، والمؤمنون لنا منهم

---

(١٤٠) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٩.

(١٤١) منشور الى المحل الأزهر الشريف ١٠٦/ ٨٢٠.

(١٤٢) الرسالة الواصلة الى الجبل الأنور ١٠٩/ ٨٣٣.

أغشٌّ وأظلم. ونحن بين أهل الخِلاف (المسلمين) آمنون مطمئنّون، وبين المدّعين الإيمانَ وَجِلون خائِفون»[١٤٣].

وإذا كان «غيارُ النواصب علاّقتين من الرّصاص في أُذُنَي كلٍّ واحدٍ منهم، وزنُهما عشرون درهماً... وإذا كان غيار أهل التأويل علاّقتين من الحديد في أذُنَيّ كلٍّ واحدٍ منهم، وزنهما ثلاثون درهماً» فـ «غيار المرتّدين يكون علاّقتين من الزجاج الأسود في أُذُنَي كلٍّ واحدٍ منهم، وزنُهما أربعون درهماً. وهم المنافقون»[١٤٤].

وأخطر المرتدّين في وقت حمزة، **محمّد بن إسمعيل الدّرزي** الملقّب بـ «بحرامي النهار»[١٤٥]، لأنّه حاول أخذَ الإمامة من قائم الزمان في أيّامِه، والدّروز له لاعنون. ومنه متبرّئون[١٤٦]. لقد مرّ ذكره.

ويأتي بعدَه **أبو منصور البرذعي** الملقّب بـ «فرعون»، لأنّ «فرعون، لمّا أبطأ الناطق (موسى) قال: "أنا ربّكم الأعلى"، يعني إمامكم الأعظم»[١٤٧]. وهو الذي حذّر منه حمزة بقوله: لم يزل أمر الدعوة جارياً حتى «احتال رجل منافق.. وعرف جميع الحدود وعلومهم، ثم رجع إلى نفاقه وكفره، وتبيّن للمستجيبين زيفه ومكره»[١٤٨].

---

(١٤٣) مكاتبة الشيخ ابي المعالي ١١٠/ ٨٣٨.

(١٤٤) رسالة البلاغ والنهاية ٩/ ٨١، الرضى والتسليم ١٦/ ١٨٢ –١٨٣.

(١٤٥) عجاج نويهض، الأمير السيّد التنوخي، ص د.

(١٤٦) الرسائل : ١٠/ ٩٣، ١٦/ ١٨٢، ٩/ ٧٥، ٤١/ ٣١١، ١٩/ ٢٠٣..

(١٤٧) ألغاية والنصيحة ١٠/ ٩٣.

(١٤٨) ألموسومة بكشف الحقائق ١٣/ ١٣٩؛ أنظر عن البرذعي: ١٦/ ١٨١، ١٩/ ٢٠٣..

أمّا **عبد الرحيم بن الياس**، الذي عيّنه الحاكم وليّاً للعهد، فقد «ظهرت أفعاله وبان للناس قبحُ باطله ومحاله»[١٤٩]، وانقلب على الحاكم، وأصبح «من ألدّ أعداء الموحّدين. وقد قَتل وسبى وأحرق من الموحّدين عدداً كبيراً»[١٥٠]. وادّعى أنّه ابن عمّ أمير المؤمنين»[١٥١]، أو أخوه[١٥٢]، وهو في الحقيقة «إبليس الابلاس، ومعدن الشرك والوسواس، ألنّغل اللّعين، والمسيح الحزين»[١٥٣]. هو «إبليس المتشبّه بالمولى سبحانه، ويزعم أنّه جنس، ويدّعي عهد المسلمين»[١٥٤]. وهو من جملة تقمّصات إبليس: فهو نفس «أبي يزيد الذي حارب جيش مولانا القائم، وهو سعيد المهدي، لعنه الله، وهو أبرهة الأشرم صاحب يوم الفيل ضد سيّدنا عين الزمان، وهو حارت بن ترمّاح الأصبهاني الذي خرج من العقل بغير مراده، وهو إبليس لعنه اللّه في كلّ كتاب. وهو أخيراً « وليّ عهد المسلمين كبيرهم وإمامهم الاعظم (أي كبير الخونة وإمامهم) لأنّه بمنزلة الناطق محمّد بن عبد الله»[١٥٥].

ومن الخونة المرتدّين الذين عملوا في تهديم دعوة التوحيد منذ

---

(١٤٩) رسالة الغيبة ٣٥/ ٢٥٧.
(١٥٠) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص٦٢ –٦٣.
(١٥١) رسالة الى ولي العهد... ٢٦/ ٢٢٣.
(١٥٢) رسالة الى خمار بن جيش السليماني٢٧/ ٢٢٥.
(١٥٣) رسالة الى خمّار بن جيش السليماني ٢٧/ ٢٢٥.
(١٥٤) الغاية والنصيحة ١٠/ ٩٢.
(١٥٥) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٩١، أنظر أيضا رسالتي ٢٦ و ٢٧ بكاملها، و ٣٥/ ٢٥٧، ٤٤/ ٣٤٢ الخ...

إعـلانها والكشف عنهـا: **عبّـاس بن شعـيب** ولي عهـد المؤمنين[١٥٦]، **وختكين الداعي**[١٥٧]، **وجعـفر الضرير**[١٥٨]، **وأحمـد بن العوام** قاضـي القضـاة[١٥٩]. هؤلاء الخمسة، مع عبـد الرحيم بن اليـاس هم «أشباح بلا أرواح. وهم كلّهم جـاحدون لقدرته (قـدرة الحاكم) كافـرون بنعمـته، مشـركون بعبادته، جـاهلون بأصول الدين»[١٦٠]، وهم موجودون في أيّامنا «لإقامة دعوة التلحيد»[١٦١].

أمّا في أيّـام بهاء الدين المقـتنى فكان عدد المرتدّين كـبيـراً. وقد كـتب لكلٍّ منهم «التـوبيخَ» تلو «التـوبيخ»، ونعـتهـم بشرّ الأوصـاف وأقبحها. وقاعدتُه في ردّه قوله: «مَن سَتَر على صَاحب بِدْعَةٍ بِدعَتَه فقد خان قائمَ الحقِّ في دَعوتِه»[١٦٢]. وقوله: «منَ باتَ مع صاحبِ بدعةٍ ليلةً واحدةً فقد ثَلَمَ من الدينِ ثُلْمَةً وهَدَمَ منهُ قاعدَةً»[١٦٣].

وكان أوّل أصـحاب البـدعة «**إبن البربريّة**» الذي أقام في سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م في سبسطاس[١٦٤] دعوةً نجح فيهـا باكتسابِ بعض

(١٥٦) أنظر رسالة ١٧/ ١٨٩–١٩١.

(١٥٧) أنظر رسالة ٩/ ٧٩ و ١٧/ ١٩٠.

(١٥٨) أنظر رسالة ١٧/ ١٩٠.

(١٥٩) انظر رسالة ٩/ ٧٩، ١٠/ ٩٤، ١٦/ ١٧٩.

(١٦٠) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٩٠.

(١٦١) المرجع نفسه ١٧/ ١٩١.

(١٦٢) توبيخ ابن البربرية. الرسالة الموسومة بالدامغة للفاسق النّجس، الفاضحة لاتباعه اهل الردّة والبلس، ٧٦/ ٦٨٩.

(١٦٣) المرجع نفسه.

(١٦٤) تقع سبـسطاس في مديريـة الغربية في مـصر، راجع ادارة التـعداد في مـصر،

الأتباع، ممّا اضطُرّ المقتنى بهاء الدين إلى الذهاب إلى الإسكندريّة حيث وجّه رسالة(١٦٥) يشهّر بها هذا المرتّد عن الدعوة. ويبدو أنّ هذه الرسالة كفته مؤونةَ إكماله الطريق إلى سبسطاس»(١٦٦).

يصف بهاء الدين إبنَ البربريّة بهذه الألفاظ: إنّه «المعتوه الشيطان.. ألنجس.. النّغل الشيطان.. أوّل من ادّعى في دور الكشف منزلة وليّ الأمر.. ألمعتوه الخائب الخيّاب.. ألمسيح الكذّاب.. ألملعون الفاسق الدهّاش.. المارق البهّات..»(١٦٧).

لابن البربريّة قصّة مشينة يرويها بهاء الدين يقول: «وسيّدُه ابنُ أبي خمار، ينزوه (يلوط به)، وأيّوب أيضاً يعلو أمَّه مريم العدوية (أي يزني بها) ويعلوه (أي يلوط به أيضا)».(١٦٨). ويورد «كتاب الدرر» القصّة نفسَها، فيقول: «وقصّته أنّ رجلاً إسمه خمار استرقّه وكان يلوط به ويزني بأمّه، وكان يأجر نفسه بفعل الفاحشة، وعاد ادّعى منزلة الإمام، ونصب له حدوداً، وهو آخر الأشقياء المدّعين في الدنيا بعد الدّجّال (علي الظاهر)، وأوّل الفراعنة الهالكين في القيامة»(١٦٩). ويعتبره الدروز «حرامي الليل»(١٧٠) لأنّه ادّعى الإمامة بعد غيبة الإمام.

قاموس جغرافي للقطر المصري (بولاق ١٨٨٩، ص ٩٣٣).

(١٦٥) تاريخ الموحدين الدروز السياسي يعيّن رقم الرسالة على غير عادته، ص ٦٩.

(١٦٦) المرجع نفسه، ص ٦٩.

(١٦٧) توبيخ ابن البربرية ٧٦/ ٦٨٧ – ٦٩٦.

(١٦٨) المرجع نفسه ٧٦/ ٦٩٥.

(١٦٩) كتاب الدرر المضيّة واللمع النورانية... لفظة «بربرية».

(١٧٠) عجاج نويهض، الأمير السيد التنوخي، ص د

أمّا **لاحق بن الشرف العبّاسي** فقد كان من ريحا قرب حلب. وكان أوّلاً داعياً في دعوة التوحيد. أرسل إليه بهاء الدين «تقليداً» لقبّه فيه بـ «الشيخ المختار، رَبِيّ الحقائق والنجم السيّار، الحميد الطرائق، أبي الفوارس الأمير، ابن الشرف لاحق»[١٧١]، وسمّاه «الشيخ الدّيّن الفاضل»[١٧٢]، الذي «أهّلْتُكَ لسيادة الدّعوة والهادية والكلمة العالية... فتولَّ ما أوليتُك من سيادة الدعوة الهادية المهدية بعزم»[١٧٣].

ولكنّ لاحق، على ما يبدو، كان قد تظاهر بالدّيانة إلى أن أشرقتْ أعمالُه القبيحة[١٧٤]، فراح يدّعي الألوهيّة، ويقول بأنّ روح اللّه حلّتْ فيه، ويعلّم الإباحة[١٧٥]. ويصفه المقتنى بـ «الطليق الخائب الناكث العاقّ، ألعاجز عن حميد الطاعة إلى العصيان والإباق، المخترص بالكذب والخلاف والشقاق، والسالك لسبيل أهل النكث والبلس والنفاق»[١٧٦]، ومثله «كمثل الأعجف الحمار المكدود في الدولاب لسَقي الثمار، أو كالبغل المستخدَم في الرّحى»[١٧٧].

لقد كان سهلاً على بهاء الدين ترويض هذا «البغل» «إذ لم يكن لهذا الدّاعي دارُ هجرة يُقيم فيها. لذا عزله من مهمّته، وطرده.

---

(١٧١) رسالة تقليد لاحق ٤٥/ ٣٤٥.

(١٧٢) المرجع نفسه.

(١٧٣) المرجع نفسه، ص ٣٤٦.

(١٧٤) كتاب الدرر المضيّة... باب «ق» فصل «ل».

(١٧٥) توبيخ لاحق ٧٦/ ٧٠٠-٧٠١.

(١٧٦) المرجع نفسه ٧٦/ ٦٩٧...

(١٧٧) المرجع نفسه ٧٦/ ٧٠٢.

أمّا الخائن **سُكَيْن** الذي كان قد «قلّده المقتنى أمورَ الدعوة في جزيرة الشام العليا منذ سنة ٤١٨ هـ /١٠٢٧[(١٧٨)]، فقد بقي في مركزه إلى سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤-١٠٣٥م حين ظهر على حقيقته، بعد أن كان قد جمع حوله كثيراً من الأتباع فقويت شوكتُه وتعاظم شأنه لبعده في وادي التيم عن مركز الدعوة في مصر»[(١٧٩)].

سُكَين هذا، إسمه مسعود، ولقبُه ابنُ الكردي، وأصلُه من بلاد حلب. جاء مصر بعد لاحق ، ودخل في الدّعوة، وكتب الميثاق، ثم جاء وادي التيم، واتّخذ له مغارةً في جبل تَنّورة، وَجَدَّ في العملِ حتى برز على أقرانه، وساد على كثيرٍ من أهل زمانه، وصبر على محنةِ الدّجال (الخليفة الظاهر). فلمّا بلغتِ المقتنى أخبارُه قلّدَه واختارَه، وسمّاه «الشيخ المرتضى، عصمة المؤمنين، وصفوة الموحِّدين .. الشيخ الخيّر الفاضل والدّيّن الراجح الكامل»[(١٨٠)]. وأثنى عليه فقام في الدّعوة نحو سبع سنين. ولم يزل كذلك إلى أن ظهر ما كان مكمنا في سريرته. وغلبت عليه الضدّيّة، وغيّر ما في نفسه فغيّر اللّه به وبأبناء جنسه»[(١٨١)].

كتب إليه بهاء الدين رسالتين شديدتي اللّهجة: الأولى إسمها «الرسالة الموسومة بالقاصعة للفرعون الدّعّي، ألفاضحة لعقيدة الكذّاب

---

(١٧٨) تقليد سكين ٤٦/ ٣٤٩-٣٥٣.

(١٧٩) تاريخ الموحدين الدروز السياسي...ص ٧٠.

(١٨٠) تقليد سكين ٤٦/ ٣٤٩-٣٥٣.

(١٨١) كتاب الدرر المضيّة واللمع النورانيّة... باب «ن» فصل «س»

المعتوه الشقيّ»، يصفه فيها بـ «الكذّاب النَّجس الموجِب البلس والنفاق، والخائب الذي أحاد الموحّدين عن الحق وسقاهم نَهلاً من السمّ الزعاق، وأهلك الجزيرة، وأهبّ فيها أرياحَ الخَبَالِ والفسادِ والإشراكِ والنِفاق... وسبَّ الإمام، وحرّف كتب الحكمة...»[١٨١].

والثانيّة إسمها «توبيخ الخائب العاجز سُكَين»، كتبها بهاء الدين بعد ان استدعاه إليه في الإسكندرية في محاولةٍ لإقناعه، ولكنّ سُكَيناً «أخذ يفعل أفعالَ الشياطين، ويحتال علينا»[١٨٢]، وكان يفرّ من موضع إلى موضع يعلّم تعاليمَ فاسدة. فاضطرّ المقتنى إلى إرسال «الداعي أبو اليقظان عمّار إلى وادي التيم لإقناع شرذمة سُكين، وأصحَبَه برسالةٍ إليهم يُعلِمُهم فيها بعزلِه سُكَينًا. فلمّا وصل الداعي عمّار إلى وادي التيم توجّه إلى قرية كوكبا[١٨٣]، مركز هؤلاء المرتدّين»... فوثبوا عليه وضربوه وقتلوه خارج بلدتهم وأخفوا جثّته تحت رجمة من الحجارة...[١٨٤].

بيد أنّ بهاء الدين عاد فأرسل السيّدة سارة ابنة أخيه، وقيل ابنة أخته[١٨٥]. ولكنّ سُكَيناً كان قد رجع إلى وادي التيم، وراح، بمعاونة «**مصعب التيمي**»، وهو خائن آخر، يجمع حوله المرتدّين والمارقين، ويوشي لدى الخليفة الظاهر على المقتنى وأتباعه الموحّدين،

---

(١٨١) الرسالة رقم ٦٤ ص ٤٩٢ – ٤٩٩.
(١٨٢) الرسالة رقم ٧٨/ ٧٠٥ – ٧١٩.
(١٨٣) عمدة العارفين للاشرفاني، ج٣ ص ١٦٢.
(١٨٤) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٧٠ – ٧١.
(١٨٥) عمدة العارفين، للاشرفاني، ج٣ ص ١٤٩، ١٥٣.

فاضطرّ المقتنى إلى الهرب وستر الدّعوة من جديد. يقول: «وأنا العبد الضعيف معذورٌ لغلبة الشياطين في السياحة والهرب إلى وليّ الزمان والإستغاثة إليه»[١٨٦].

وغير هؤلاء من المرتدّين الخونة كثير. ما كان للموحدين منهم نصيبٌ سوى التشريد والقتل والإضطهاد. وإذا اضطرّ المقتنى إلى كتابة رسالة أو إرسال مبعوث إلى مكانٍ ما فبحذر وحيطة واختصار ورموز. وهو القائل «ويجب الإقتصار بعد هذا في المكاتبة»[١٨٧]، والقائل: «ما تمكن المكاتبة بأكثر من هذا »[١٨٨].

وأخيراً، لبهاء الدين المقتنى علينا قولة حقّ: إنّه شخصيّة عالميّة أخفاها الموحّدون على غير حقّ. رجل عظيم استطاع أن ينفذ في ظروفٍ قاسية كانت تعاكسه. بنى بناءً دينيّاً فلسفيّاً رائداً. كتبَ وفي يقينه أنّ ما كتب سيعلن يوماً على الملأ. ولولا هذا ما كتب. وليت الآخذين بما كتب بهاء الدين يستعدّون يوماً لإعلان رسالة هذا الرجل العظيم.

(١٨٦) الرسالة الموسومة بتمييز الموحدين ٦٦/٥٢٣.

(١٨٧) مكاتبة رمز الى الشيخ أبي المعالي ١٠/٨١٧.

(١٨٨) مكاتبة رمز الى آل أبي تراب ١٠٨/٨٣١.

الفصل السادس

الدرزية والإسلام

- أوّلاً – عرض الموضوع
- ثانياً – بطلان الأنبياء والأديان والشرائع عامّة
- ثالثاً – بطلان شريعتَي الإسلام: الظاهر والباطن
- رابعاً – بطلان محمّد وشريعة الظاهر
- خامساً – بطلان عليّ وشريعة الباطن
- سادساً – نقض دعائم الإسلام جملة
- سابعاً – مصير مكّة وبيت الكعبة
- ثامناً – العرب «كثر فيهم الغدر» والخيانة
- تاسعاً – موقف دروز اليوم من الإسلام



اولا - عرض الموضوع

في مُعتَقدِ المسلمين «إنَّ الدين عندَ اللهِ الإسلام»[١]، «ومَنْ يبتغِ غيرَ الإسلامِ دينًا فلن يُقبلَ منه»[٢]، و «مَن يُرِدِ اللهُ أن يُهديَه يَشرح صدرَه للإسلام»[٣]، و «هو على نورٍ من ربّه»[٤]. والإسلام، هو الدّينُ التامّ الكامل الذي ارتضاه اللّه لعبادِه الصالحين: «وأتممتُ عليكم نعمتي، ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً»[٥]. وهو نعمة من اللهُ يُشكَر عليها بامتنان: «لا تَمنّوا عليّ إسلامكم، بل اللهُ يمنُ عليكم»[٦]. فالإسلام، إذاً، هو دين اللّه، ولا دين سواه يُقبلُ عنده. إنّه تمامُ الأديان، وكمالُ الشرائع، ونهايةُ الوحي، وخاتمُ النبوّات.

من أجل ذلك، إذا أرادتِ الدرزيّةُ أن تُقابَلَ بالتسامحِ وتفوزَ برضى المسلمين، عليها أن تَنسجِمَ مع الإسلامِ، وتنتسبَ إليه، وتأخذَ بفرائضه، وتُقيمَ دعائمه، وتُعلِّم تعاليمَه، وتُجاهدَ في سبيله...

---

(١) سورة آل عمران ٣/ ١٩.

(٢) سورة آل عمران ٣/ ٨٥.

(٣) سورة الأنعام ٦/ ١٢٥.

(٤) سورة الزّمر ٣٩/ ٢٢.

(٥) سورة المائدة ٥/ ٣.

(٦) سورة الحجرات ٤٩/ ١٧.

إلاّ أنّ الأمر ليس كذلك، بل عكس ذلك. والدرزيّة في الباطن غيرها في الظاهر. وما في «رسائل الحكمة» من طعن وسبٍّ وشتم بالإسلام والمسلمين يجعلنا نتساءل عن إصرار الدروز على انتمائهم إلى الإسلام. فلكأنّهم يريدون، باستمرار، ردَّ تهمة اتُّهموا بها بغير حقّ.

حاول الأمير السيّد جمالُ الدّين التنّوخي تصدير «الحكمة» بسجلاّت حاكميّة أربعة، تبرّر انتماء الدرزيّة إلى الإسلام[٧]، ولكنّها جاءت على هامش «الحكمة»، لا تفيد ردّ تهمة. هذه السجلاّت اهتمّت في اعتبار الحاكم مسلماً «بنى الجوامع وشيّدها، وعمّر المساجدَ وزخرَفها، وأقامَ الصلاة في أوقاتها، والزّكاة في حقّها وواجباتها، وأقام الحجّ والجهاد، وعمّر بيت اللّه الحرام، وأقام دعائم الإسلام..»[٨]؛ وفيها يصرّح الحاكم ويقول: «إنّ أحسنَ الأمور عائدة إلى الإسلام والمسلمين»[٩]...

والمعلوم عند الدروز أن «السجلّ هو الكتابُ المُبَاحُ المُطْلَقُ المَبذولُ لكلِّ أحدٍ... لأنّ المُقامَ أباحَه لمن يأخذُ منه. وكانتْ هذه الموعظة (في السجل المعلّق) مباحة لعموم أهل الدعوة من المسلمين، بقوله ولا يُمْنَعُ أحدٌ من نَسخِها وقِراءتِها»[١٠].

---

(٧) هذه السجلات هي: «نسخة السجل الذي وجد معلّقا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم»(١/٢٧-٣٤)، تاريخه «في شهر ذي القعدة سنة ٤١١»، و«هذا غلط - كما يقول مخطوط مختصر البيان، ورقة ٧٤ ب - لأنّ السجل المعلّق ليس هو من نصوصات الكشف، لأنه وجد معلّقا في غيبة المقام في السنة السابعة قبل التجريد». «السجل المنهي فيه عن الخمر (٢/٣٥-٣٦)، تاريخه سنة ٤٠٠. «خبر اليهود والنصارى» (٣/٣٧-٤٥). بدون تاريخ. «نسخة ما كتبه القرمطي الى مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين عند وصوله الى مصر، وجواب الحاكم» (٤/٤٦).

(٨) نسخة السجل المعلّق ١/٣٠.

(٩) ألسجل المنهي فيه عن الخمر ٢/٣٥.

(١٠) كتاب الدرر المضيّة... باب «ل» فصل «س»، ص ٥٠٦ - ٥٠٧.

ولكن غير هذه السجلات الأربعة مائة وسبع رسائل، جميعها محظور غيرُ مباح إعلانه. وعليها نعتمد في اكتشاف حقيقة الدرزيّة وموقفها الحقيقي من الإسلام والمسلمين.

وموقف الدروز من الإسلام والأديان عامّة يذكّرنا بموقفِ بولس الرسول من ناموس موسى. يقول بولس: «لا سلطةَ للناموسِ على الإنسان»[١١]، والأهواءَ الأثيمة تعملُ فيهم متذرّعةً بالناموس، والخطيئة لم تُعرَفْ إلاّ بالناموس. لذلك فالعاملون بأحكام الناموس هم ملعونون جميعُهم، لأنّ الناموسَ لا يُبَرِّئُ أحدًا عند الله. فذاك أمر واضح[١٢].

ولمّا جاء المسيح حرَّر الإنسانَ من الناموس[١٣]، وافتداه من لعنته. لقد كان الناموسُ كالمربّي الذي يزولُ دورُه عندماَ يعي الربيبُ حريَّته. لهذا جاء المسيح مولودًا في حكم الناموسِ ليفتديَ الذينَ هم في حكم الناموس. لقد حرّر المسيحُ البشرَ ليكونوا أحرارًا، وعليهم أن لا يعودوا إلى نيرِ العبوديّة، أي إلى التمسّك بأحكامِ الناموس[١٤]. والذينَ يلتمسون البِرَّ من الناموسِ قد انقطعوا عن المسيحِ وسقطوا عن النعمة. لقد صَلَب المسيحُ الناموسَ معه على الصليب[١٥].

وفيما نحن نقرأ رسائل بولس الرّسول، نرى وكأنّنا نقرأ رسائل الحكمة. لم يتمكّن حمزة من كشف دعوة التوحيد إلاّ بعد تنظيف قلوب البشر وعقولهم من أحكام الناموس، بل من جميع النواميس والشرائع

(١١) الرسالة الى الرومانيين ٧/١ و ٤ و ٦ و ٧ الخ.
(١٢) الرسالة الى الغلاطيين ٣/١٠ الخ
(١٣) الرسالة الى الرومانيين ٨/٢.
(١٤) الرسالة الى الغلاطيين ٥/١ و٤ وما يلي.
(١٥) الرسالة الى الغلاطيين ٢/١٩.

والأديان والمذاهب والمعتقدات كافّةً والبراءة منها جميعها.

ولن يكونَ الإنسانُ موحِّداً سادِقَاً إلاّ بعد إعلان براءَته «مِن جميعِ المذاهبِ والمقالاتِ والأديانِ والاعتقاداتِ كلِّها على أصنافِ اختلافاتها»[١٦]، فـ «أوّلُ الدعـوةِ التـبـرّي من زُخْـرُفِ النوامـيس»[١٧]، و «من الأبالسـة (الأنبيـاء) أصحـابِ الزخرفِ والنامـوس. وليسَ للعالَمِ نجـاةٌ إلاّ بالبراء منهم»[١٨]؛ ذلك لأنّ «النطقاءَ (أي الأنبـياء) والأُسسَ (أي الأئمّة) طَمَـسُوا معالِمَ التوحيد، وخانوا في تأديةِ أمانتِـه، فضاقتْ مسالِكُه، والتبستْ على الناس معالِمُه»[١٩].

بسبب ذلك يستحقّ التوقّفُ عند رأي الحكمةِ في الأنبياء والشرائع عـامّة، وفي النبي مـحمّـد وعليّ بنوع خـاصّ. فللحكمةِ في ذلك مـواقفُ جريئـة جداً، إلى درجة نستطيع مـعها القول: لولا هذه المواقـف الجازمة من الإسـلام لما كانت الـدرزيّة لتكون. على هذا يُركّـز الأساس، ويقـوم البنيان الدرزي كلّه.

(١٦) ميثاق ولي الزمان ٥/٤٧

(١٧) رسالة التنزيه ١٧/١٩٣.

(١٨) كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا... ١١/١٠٧.

(١٩) تفسير رسالة كشف الحقائق للأمير السيّد، ص ٢٤٥.

ثانيا - بطلان الأنبياء والأديان والشرائع عامة

للتوحيد غـايتان متكاملتان: ألواحدةُ سلبيّـة والأخرى إيجابيّة(٢٠).

أمّا السلبيّـةُ فهي، كما ورد في «مـيثاقِ وليّ الزمان»، البـراءة «من جميعِ المذاهب والمقالات والأديان والاعتـقادات كلّها على أصناف اختـلافاتها». وجـاء في شـرح هذه الكلمـات الأربع انّهـا «جَـمـعتْ جـمـيعَ الشـرائع النامـوسـيّـة والمقـالات الشركـيّـة والاعـتـقـادات الكفـرية. وليس هي مخصوصة بالشـرائع الظاهرة بل شاملة لمذاهبِ الأُسُسِ وعبادةِ الأوثان والأصنام... ولكلّ عقـيدةٍ خارجةٍ عـن مذهب التوحيـد، لأنّ هذه الأربعة المذكورةَ لم يَخرجْ عنهـا أبداً مذهبٌ فاسدٌ ولا عقـيدةٌ واهيةٌ ولا أصلٌ ولا فرعٌ... فلأجل ذلك صدَّر صاحبُ الحقّ صلّى الـله عليه... وجعلَ فريضةَ التبرّي قبلَ فريضةِ الطاعة والعبادة للحاكم تعالى، لأنّ كلَّ وَعاءٍ مليءٍ من شيءٍ لم يَسَعْ معه غيرَه حتى يَتفرّغَ منه... وكلَّ مَن لا يَنصرفُ عن سائر الأديانِ ويُدبِرُ عنها بالكلّيّـة بعقلهِ ونفسه وفـكره وحسّه إنصرافـًا كاملاً وإدبَارًا تامّاً لم يقدرْ على الإقبال بالكلّيّة على عبادة الحاكم سبحانه»(٢١).

---

(٢٠) سوف نتكلّم على الغاية الإيجابيّة في فصل «دعائم التوحيد»

(٢١) أنظر مخطوط رقم ١٤٣٦ في المكتبة الوطنية بباريس، وهو بعنوان: «ميثاق يعني حجّة ورباط على الخلق»، يفسّر «ميثاق ولي الزمان، ٢٢ أ.

ومــتى تبـرّأ المـوحّـد من هذه المـذاهب «يصحّ له الوصـــول إلى التوحيد. وكانت الشـرائع جميعُها والعقائد بأسـرها في دورالسترِ تُشيرُ إلى كشف التـوحيد.. فكانت المذاهب للتوحـيد في دور الستر كـالصدَفِ للجوهر، وكـالقشر للّب، وكالسنبلة للـحبّ. فكان العمل بالمذاهب في ذلك الوقت مقبولاً لأجل التـوحيد الكامنِ فيها، لا لأجل نفســها. فلمّا جاء أوانُ كـشفِـه ظهرَ الإمـامُ المنتظَر قـائمُ الحق المؤَيَّدُ من ربّ العـالَمين الذي هو صـاحبـه، وأظهره من صدَفِه وأخـرجَه من سُنْبُله.. واستغنَى بنـفسه عن كلّ المذاهب التي كانت أوعـيةً له، كاستـغناءِ الحبّةِ عن السنبلةِ لأنّ الحَـبَّةَ تحتاجُ إلى السنبلة في زمانِ نشوئها»[٢٢].

فدعـوة التوحيد، إذاً، هي «آخِـر الدعوات، وحدودُها آخـر الدعاة، وهي ناسِخةٌ لجميعِ المذاهبِ والانتحالاتِ»[٢٣].

ومِن هذا المنطلق يجـدُر التوقّـفُ على معـتَقـد الدروز في جمـيع الأنبياء والأوصياء والأديان والشرائع بوجهٍ عامّ.

أ- بطلان الأنبياء والأوصياء:

هؤلاء، بحسب قول حمزة، «هم معادِنُ النواميس الفانية الحَشوِيَّةِ والأعمال الفاحشةِ الدَنِيَّة»[٢٤]. هم «أهل الزخاريف الحشويّة»[٢٥]، بل هم

(٢٢) المرجع نفسه ١٢٢أ – ١٢٧أ.

(٢٣) الرسالة الموسومة بأحد وسبعين سؤال... ٧٣/ ٦٤٠.

(٢٤) كتاب فيه حقائق ما يظهر... ١١/ ١٠٢.

(٢٥) السيرة المستقيمة ١٢/ ١١٢.

حَمِـير ودَوَابّ: «الدوابُّ هم النطـقاءُ والأُسُس»[٢٦]، و«الحَمـيرُ دليلٌ على النطقاء»[٢٧].

وجميعــهم، من آدم إلى محمّد بن إسمـعيل، مروراً بنوح وإبرهيم وموسى وعيسى ومحمّـد بن عبد اللّه، وجميع الأسس من هابيل إلى ابن القدّاح، مـروراً بسام وإسـمعيل بن إبرهيم ويشــوع بن نون وشمـعون الصــفـا وعلي بن أبي طالب... لمَ يَقُـمْ بينَهم نبيٌ أو وصيًّ يَدعـو دعـوةَ التوحيد الحقـيقيّة. كلّهم مُقصرٌ مُشرِك مُلـحِد كَافِر، و «كلّهم شيءٌ واحدٌ في القــولِ والعَوَرِ، مــخـتلِفون في الصُــوَرِ»[٢٨]، و «كلّهم يشـيرون إلى توحـيدِ العَـدَم»[٢٩]، لأنَ جـميـعَهـم «النطقاء والأسس طمـسـوا معـالم التوحيد، وخـانوا في تأدية أمانته»[٣٠]، ولأنّ نفسَهم «جمـيعهم من نوح إلى محمّد بن إسمعيل هو نفسٌ واحدة وهو إبليس اللعين»[٣١].

أمّا نوح بن لَمْك فكــان «أوّلَ مَن قام بشريعــةٍ ونهى عن طاعةِ آدم، وأشـار إلى العدم وإلى نفسـهِ»[٣٢].

«ثم قامَ إبرهيم وأساسُه إسمعيل، يدعونَ الناسَ إلى عبادة العدم وتوحيدِ الصنم»[٣٣].

---

(٢٦) كتاب فيه حقائق ما يظهر... ١١/١٠٣.
(٢٧) المرجع نفسه، ١١/٩٩.
(٢٨) ألسيرة المستقيمة ١٢/١٢٢.
(٢٩) كتاب فيه تقسيم العلوم.... ٣٦/ ٢٦٣.
(٣٠) تفسير رسالة كشف الحقائق للأمير السيّد، ص ٢٤٥.
(٣١) المرجع نفسه، ص ٥٢٤ – ٥٢٥.
(٣٢) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٠، وكتاب تقسيم العلوم ٣٦/٢٦٣.
(٣٣) المراجع نفسها.

«ثم قام موسى بن عمران وأساسُه هارون، يدعون إلى عبادة مَن لا يُشَاهَد وتوحيدِ مَن لا يُعرف»[٣٤].

«ثم قام عيسى بن يوسف وأساسُه شمعون الصفا، يدعون الناس إلى عبادةِ العدم وتوحيدِه»[٣٥].

«ثم محمّد وأساسه علي بن أبي طالب، وقد «ظَهر محمّد بن عبدالله بَسَيفِه، وقام على العالمين بِعُنفه، ونسَخَ جميعَ الشرائع كافّةً بشريعته، وهدم بنيانَها ببنيتِه، وبدّلَ دَعَواتِهم بدعوتِه... وبذل فيهم السيفَ، وسبَى ذَراريهم وأولادَهم، وأباعَهم في الأسواقِ والشوارِع. ولمْ ينفعْهم ما كانوا عليه من دين آبائهم وأجدادِهم»[٣٦].

و«ظهر ناطقٌ غيرُه وهو محمّد بن إسمعيل الذي ختَم الشرائع وأتمّها. أي لا يكون بعدَها شريعةٌ تكليفيّة»[٣٧].

هكذا انتهت أدوار هؤلاء الأنبياء السبعة. وبانتهائهم «بطلت دعاويهم لأنها تمويهات على الأمم، وغير جائزة إلاّ على أشباه البقر والغنم»[٣٨]. وهو أمر صريح من الباري تعالى لقائم الزمان بأنْ يَتْرُكَ الموحِّدون كلَّ ما جاء به الأنبياءُ المتقدِّمون: «أوصيكم بما أيّدني به مولانا، وأمرَني به من إِسقاطِ ما لا يلزمُكم اعتقادُه، وَتركِ ما لا يضرُّكم افتقادُه مِن الأدوار الماضيةِ الخامِدة، والشرائع الدارسة الجامِدة. وما منهم ناطقٌ

(٣٤) المراجع نفسها.

(٣٥) المراجع نفسها.

(٣٦) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٣، تقسيم العلوم ٣٦/ ٢٦٤.

(٣٧) المراجع نفسها.

(٣٨) رسالة السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٦.

إلاّ وَقَدْ نَسَخَ شَرِيعَةَ مَنْ كَانَ قَبلَهُ مِنَ المتقدِّمين»[٣٩].

ومَن لا يرى فسادَ الأنبـياء بتكفيرِ بعضهم بعـضًا!؟ «وقد علِمَ كلُّ ذي لبٍّ أنَّ أصحابَ الشرائع قد قَطع كلٌّ منهم شريعةَ مَن تقدَّمَ قبلَه. وهو يعلم أنّ أهلَها لم يُخالفوا شـيئًا ممّا فرضَه عليهم صاحبُ شـريعتِهم وقد حلّلوا سبيَ بعضِهم بعضًا وهلاكَهم واستئصالَ شَأْفَتهم»[٤٠].

ويبدو أنّ الاختـلاف الحاصل بين الأمم سببه هؤلاء الأنبـياء: فإنّ «أصحابَ الشرائع قد أَجْبَروا أَمَمَهم عـلى الأعمالِ الجِسميّة، وقعدتْ بهم أعـمالُهم عن مَـعـالِم الأمورِ الإلهـيّـة التوحـيـديّة.. وَعَلِمَ كلُ ذي لبٍّ أنّ الاختـلافَ ليسَ للأممِ، وإنّما هو لأصـحابِ الشرائعِ، لأنّ كـلَّ واحدٍ منهم أَمَـرَ أمّتَـه بجـهادِ الأمّـة الأخرى، وقـتْلِ بعـضِـهم بعـضًـا. فكيفَ يكون الاختلاف إلاّ كذلك!»[٤١].

وبالنتيـجة، إنّ الأنبيـاءَ والأوصياء هم، كمـا تسمّيـهم «الحكمة»، «أبالسةُ الأزمان»[٤٢]، «أبالسةُ الأدوار»[٤٣]، أو أيضا «أبالسةُ الدين»[٤٤] و «العُصْـبَةُ المارِقَة الدَعِـيَّة»[٤٥] و «عصـاةُ الأمم ودجاجِلةُ الفَـتْرَةِ»[٤٦]. هم «أهلُ التلبيسِ والإبلاس»[٤٧]، و«دجاجِلةُ العُصور»[٤٨].

---

(٣٩) الرسالة الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق ٧/ ٦٤ – ٦٥.
(٤٠) الرسالة الموسومة بالإسرائيلية ٧٢/ ٦٢٥.
(٤١) رسالة التبيين والاستدراك ٧١/ ٦١٣ – ٦١٤، ٧٢/ ٦٢٥.
(٤٢) رسالة الايقاظ والبشارة ٥٦/ ٤٣٨.
(٤٣) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٢، ٥٦/ ٤٣٨.
(٤٤) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٤.
(٤٥) القاصعة للفرعون الدعيّ ٦٤/ ٤٤٩.
(٤٦) الحقائق والإنذار والتأديب لجميع الخلائق ٥٧/ ٤٤٧.
(٤٧) رسالة التبيين والإستدراك ٧١/ ٦١٤.

جاء قائم الزمـان حمزة فـ «جعَله المولى لِشَـرَعِ نواميسِ الأبالسةِ ناسِخـاً، ولِمَا لَبَّسوه عـلى الأمم بزخرفهم قاطِعًـا فاسِخـاً، ومحلِّلاً لِرُبُطِ كفرِهم الـذي عقدوه، وفاضِحـاً لمصائِدِ سِحرهم الذي نفـخوه في آذانِهم ونفَثُوه، وهادِمـاً لمباني إفْكِهِم المؤسَّسِ على الضلالاتِ، وقامِعاً بالـتوحيدِ جميعَ الآراء وأصناف المقالاتِ»[٤٩].

على الموحِّـدين أن يـتـبـرّأوا من جـمـيع الأنبـيـاء والأوصـيـاء، ويبغضـوهم ويمقتوهم لأنّ جمـيعَهم، دون استثنـاء، كذبةٌ أردياء. يقول الأمير السيّد: «أوّلُ البراءة منهم بُغضُـهم ومقْتُهم بحيثُ لا يبقى في قلبِ الموحِّد محبةٌ لأحدٍ منهم، لا قلـيل ولا كثير، ولو كان وَلَدُهُ وهو خارِجٌ عن الدين فيتبرأٌ منه. ثم البراءةُ من أفعالِهم الرديّة وأقوالِهم الكاذبة»[٥٠].

٢ – بطلان الأديان والمذاهب:

أمّا الأديان التي جـاء بها الأنبياء فجـميعُهـا باطل، وكذلك المذاهب التي تفـرّعتْ عنها. تُعَـدِّدُ رسائلُ الحـكمةِ بعـضًا منهـا وتبطِلُ دعاويهـا بقـولها: «وهذهِ الفِـرَقُ مِن الأممِ فهم النـصرانيـةُ والمُسلِميّـة واليهـوديّة والمجوسيّة... ومن المذاهب كـالنُّصَيريّة والقَطْعِية والشَمْطِيّـة والكَيْسَانِيّة والزَيدية والمُوسَوِية، وجـميعَ مَنْ لم نُسمِّـيه، فقد بَطلتْ دعـاويهم، لأنها تمويهاتٌ على الأمم وغيرُ جائزة إلاّ على أشباهِ البقرِ والغنم»[٥١].

---

(٤٨) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٢.

(٤٩) رسالة الهند ٦١/ ٤٧٧، أنظر: ٦٠/ ٤٦٩، ٦٢/ ٤٨١...

(٥٠) تفسير رسالة كشف الحقائق للأمير السيّد، مخطوط، ص ٣٤٨.

(٥١) السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٥ – ٥٤٦.

ثم تعـود الرسـائل مـرّة أخرى وتذكـرُ بعضَ هذه الأديان وتحكُمُ على تمزيقِ شرائعها وتقول: «وكلُّ شريعةٍ (بمعنى كل دين) من الشرائِع الأربعـة، البراهمـة المتعلّقين بإبـراهيم، واليهـود المنسوبين إلى مـوسى، والنصارى المعـروفين بعيسى، وأتباع محـمّد بن أبي كـبشة، ومـسوخ شريعته، يعتقدون ويُقرّون أنّ الباري جلّت قدرتُه يتجلّى في يوم القيامة لبريّته... وحـقيقتُه أنّ المولى، لعظيم قـدرته، عند ظهور أمرِه ومشيـئته، يَأْمُرُ بِتَمْزِيْقِ شَرَائِعِ الْمُتَقَدِّمين»[٥٢].

وتُعَرِّفُ «الحكمـة» على قائم الزمان حمـزة بأنّه هو «القائِمُ لِنَسْخِ الأديان»[٥٣]، وهو «مسـيحُ الأزمان مـحلِّلُ مَعَاقـدِ المِلَلِ، وناسِخُ الأديان.. ألمنتقِمُ من أهلِ الكفـرِ والطغيان، ومـاحِقٌ لأهل الخلاف والعصـيان»[٥٤]، وهو «ناسخُ الشرائع والمِلل»[٥٥]، و «ناسِخُ النِحَل والمذاهب والمقالات»[٥٦]، الذي جعلَه المولى لـ «هَدْمِ قواعدِ النِحَل الأفكيّة وفسخِها»[٥٧]...

فـجـميع الأديان، إذاً، وجـميع المِـلَل والنِحَل والمذاهب والمقـالات والفِرَق والشِّيع باطلةٌ من أسـاسِها. وعلى قائم الزمان أن يَقـضي عليها، ويَنْقُضَـها بتمامِهـا. وإنْ لم يَتمكّنْ منها في هذا الدور من التـاريخ، فإنّه سيكونُ له ذلك، بعون المولى، في نهاية الأزمان:

«اذا اشـتهـر من المشـرِق الصـارِمُ المُشَرفي، وظهـرَ مِنَ الحُـجُبِ

---

(٥٢) الموسومة بالحقائق والإنذار والتأديب ٥٧/٤٤٦.

(٥٣) الرسالة في ذكر المعاد... ٧٠/٦٠١.

(٥٤) الموسومة بالتعقب والإفتقاد... ٥٥/٤١٧.

(٥٥) الرسالة الواصلة الى الجبل الأنور ١٠٩/٨٣٦.

(٥٦) الإيقاظ والبشارة ٥٦/٤٣٦.

(٥٧) تقليد سكين ٤٦/٣٥٠.

المستورُ الخَفي، لتطهيرِ الأرض وتغيير المِلَل، وقَتْلِ أبالسة الدين ونَقلِ الدّوَل»[٥٨]، عندها تُقام «حجّةُ الوليّ على جميعِ أهلِ النحل والأديان بالدليل السادِق وحقيقية البرهان»[٥٩]. وفي اليوم الأخير «إذا تبلّجَ صبحُ الليلةِ الغرّاء، وانقشَع ظلامُها. وقُطِع رأسُ النِحَل الشركية، وقُضِبَ سنَامُها، وتَهدّمتْ أركان النواميس، وتفلّلتْ معاقدُها وانحلَّ نِظامُها... عند ذلك تهتزّ الممالكُ بأقطارِ المعمورة المبنيّة»[٦٠]، فيكون، بالقضاء عليها، خلاصُ العالم ونجاتُه.

٣- بطلان الشرائع:

ألشرائع التي جاء بها الأنبياء واحتوتْها الأديانُ وبشّرتْ بها، فاسدةٌ مِن طبعِها. هي سببُ فسادِ العالَم وضلالِهم أجمعين. لذلك عليها أن تزول: «ألشريعةُ التي هي الزخرف واللّهو واللّعب، وقد دنا هلاكها»[٦١] بظهور قائم الزمان «الإمامِ القائمِ على الأمم بالحدّ والنكير، وعلى نواميس الأبالسة بالنسخِ والتحليل والتغيير»[٦٢]. فهو «المحلِّلُ لمعاقد نواميس الأبالسة المفترعة والهادم لقواعد شرعهم المكذوبة المخترعة»[٦٣]، وهو «المؤيّد لإطفاء ما اشتعل من محروقات النواميس، والقائم لهدم ما بناه هامان وذبح إبليس، والماحق لخوار العجل

(٥٨) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٤.
(٥٩) الإيقاظ والبشارة ٥٦/ ٤٤٠.
(٦٠) المرجع نفسه ٥٦/ ٤٣٩.
(٦١) كتاب فيه حقائق ما يظهر... ١١/ ١٠٧.
(٦٢) رسالة العرب ٥٩/ ٤٦٣.
(٦٣) تقليد الأمير ذي المحامد كفيل الموحدين... ٤٨/ ٣٥٨.

والغطريس»[٦٤]. لقد جعله الباري تعالى «بالحقيقة قاطعاً لمضلاّت النواميس»[٦٥]، و «ماحِقا الشرائع في أقطار الأرض»[٦٦].

«ألشريعة هي النار المحرقة للأجساد»[٦٧]، وَمَثَلُها «مَثَل الليل المظلمِ الذي لا نور فيه، لأنّ دعواتهم، أعني أصحابَ الشرائع، إنما كانت مخالفةً لأمر الباري جلّت آلاؤه، ولتوهيمِ الناس، وإلى العدم والشِرْكِ والإبلاس»[٦٨]. «هي صَدَفٌ بلا جوهر، وجِسمٌ بلا روح، وجيفَةٌ ملقاة لا فائدةَ فيها»[٦٩]. هي كالجدار الذي يَستُر تحتَه الحقيقةَ التي هي دعوة التوحيد. وهي كالقشْر فيما دينُ التوحيد هو اللّبّ. وهي الجسم ودين التوحيد هو الروح[٧٠].

بسبب ذلك يقول الأمير السيّد «إنّ الشرائعَ كلَّها ماتتْ لمّا طَلعتْ روحُها. وروحُها هي الحكمة التوحيديّة التي كانت مدفونةً فيها»[٧١]. وهذه «الشرائع الناموسية الشركية ولّتْ وانقضى زمانُها والشريعةُ التوحيديّة أقبلتْ وأضاءَ شهابُها»[٧٢].

ألشرائع هي «النواميس المضِلَّةُ بالعدم»[٧٣]، وهي «نارُ العذاب،

---

(٦٤) الموسومة بالحقائق والإنذار والتأديب ٥٧/٤٤٣.
(٦٥) تقليد سكين ٤٦/ ٣٥٠.
(٦٦) تفسير كشف الحقائق للأمير السيد، ص ٣٢١ – ٣٢٢.
(٦٧) ألغاية والنصيحة ١٠/ ٨٥.
(٦٨) تفسير كشف الحقائق، ص ٣٤٣.
(٦٩) المرجع نفسه، ص ٩٣ – ٩٤.
(٧٠) المرجع نفسه، انظر ايضا ص ١١٢، ومخطوط ١٤٣٦ ورقة ٢٤...
(٧١) تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢٦.
(٧٢) المرجع نفسه، ص ٢١١.
(٧٣) الإيقاظ والبشارة ٥٦/ ٤٣٥ – ٤٣٦.

وهي الهاوية والجحيمُ. وهذه الأسماء معنى الشريعة التي هَوى أهلُها وغَووا ولقَوا فيها العذاب»[٧٤]، وهي «الظلم الصراح»[٧٥].

لذلك لا بدّ من الخروج منها ومن ظلمتها إلى النور والحقيقة وفسيحِ التوحيد. والخروجُ منها كخروجِ الولد من ظلمةِ بَطنِ أمِّه إلى وَسعةِ الدنيا المضاءة: «فخروج الولد من بطن أمّه وضيقِه إلى فسيحِ الدنيا وَسَعتِها رحمةٌ عظيمة، وهكذا خروجُ الإنسان من ظلمةِ الشرائع إلى ضوءِ الوجود أوسعُ الرحمات»[٧٦]. وهذا معنى قولُ الإنجيل: «إنّي أبعثُه في اليوم الأخير» يعني إخراجَه من ظلمةِ الشرائع إلى ضوءِ الوجود وفسيحِ التوحيد. وقوله أيضاً: «إنّه يبعثُ مَنْ في القبور إلى أعلى القصور»، ألقبورُ هي الشرائع، والقصور توحيدُ الخالِق الموجود.

«وفي الحقيقة، إذا خرج الانسانُ من ظلمةِ الشرائع وقَتْمَتِها وضِيقِها وفسادِها وَعَدمِها وتحديدِها وتكاليفِها إلى فسيحِ التوحيد وضيائِه الباهر وشعاعِه الزاهر فهو كالذي يخرجُ من بطن أمِّه وضيقِه إلى فسيح الدنيا»[٧٧]. «فَطُرقُ الشرائعِ أصولُها وفرُوعها مُهلِكةٌ مع الإصرار عليها»[٧٨].

ومن أجل ظلمها لا بدّ من «مباعدتِها والتبرّي منها»، فهو «من الفروض اللازمة الذي لا يَصحُّ دينٌ لِبَشَرٍ إلاّ بالتبرّي منها، لأنّها صارفة

---

(٧٤) رسالة الزناد ٣٧/٢٧٣.

(٧٥) تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢١.

(٧٦) المرجع نفسه، ص ٢٤٦.

(٧٧) المرجع نفسه.

(٧٨) المرجع نفسه، ص ٣٤٥.

لكلِّ مَن اتّبعها من مشاهدة الجلال. وأعاذَنا اللهُ منها بكَرَمه ولطفه»[٧٩]. وكلّ «من لا تتقبّحُ عندَه الشرائعُ، وينفكُّ مِن رباطِها، ويتوبُ عنها، ويؤمِنُ بالحقائقِ المدفونةِ فيها، فلا يَتَقَبَّلُ اللّهُ له إِجَابةً في دورِ الكشفِ»[٨٠]. بل لا يمكن لإنسانٍ أن يعرفَ نفسه أو يعرفَ اللّه وما في الوجود من خيرٍ إن لم يمتنعْ عن الشرائعِ كافّة[٨١].

***

هذه النصوص العامّة لهدم الأديان والشرائع هي بمثابة مقدّمة للانقضاض على شريعتَي محمّد وعلي، أي شريعتي الإسلام اللّتين هما: ألتنزيل والتأويل، أو الظاهر والباطن. ولم يسلم محمّد أو علي من غضب قائم الزمان وبهاء الدين، ثمّ من كافّة الموحّدين الذين أغلقوا باب دعوتهم التوحيديّة بسببهما، وبسبب شريعتيهما الظالمتين، وأتباعِهما المارقين. وقد يكونُ زوال الإسلام علامةً لِقُرْبِ نهاية الدهر الحاضر، وآذانًا بحكمِ الموحّدين الدائم في العالم الآتي. بهذا يتيقّن الدروز: «لقد ثبَتَ لكم أنّ الدنيا قد زالتْ، وهي جميع الشرائع والأديان والعبادات»[٨٢]. والمنتهي هم «النطقاء والأسس والشرائع»[٨٣].

---

(٧٩) تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢١.

(٨٠) المرجع نفسه، ص ٣٤٠ – ٣٤١.

(٨١) المرجع نفسه، ص ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٨٢) رسالة بني أبي حمار ٤٤/٣٤١.

(٨٣) الوصايا السبع للموحدين ٤١/٣١٨.

ثالثاً - بطلان شريعتي الإسلام: الظاهر والباطن

في الحكمة الدرزيّة «ألناس ثلاثة أجناس: فأهل الظاهر يقال لهم مسلمون، وأهل الباطن يقال لهم مؤمنون، وأهل قائم الزمان يقال لهم موحّدون»[٨٤]. وفي مكان آخر: «الإسلام باب الإيمان، والإيمان باب التوحيد، لأن التوحيد هو النهاية الذي لا شيء أعلى منه»[٨٥]. «ولمّا ظهر التوحيد زالت قدرتهما جميعاً»[٨٦]، أي قدرة الظاهر والباطن، إذ إنّ الموحّدين «يتخلّصون بتوحيد مولانا جل ذكره من حَشوِ الشريعَتين اللّتين هما الظاهر والباطن»[٨٧]. و«مَن قَبِلَ مِن هادي العالَم (حمزة) وعَبَدَ مولانا العليّ الحاكم كان من الفائزين الذين فازوا بالتوحيد، وتخلّصوا من التلحيد، الذينَ لا خوفَ عليهم من الظاهِر، ولا همَ يحزنون بِشِرْكِ الباطن»[٨٨].

وهكذا يكون الناس، في عصرنا الحاضر، على ثلاثة أجناس. أو على ثلاثة أديان:

---

(٨٤) رسالة الشمعة ٣٨/ ٢٧٩.

(٨٥) البلاغ ولنهاية ٩/ ٧٤ – ٧٥.

(٨٦) كتاب فيه حقائق ١١/ ١٠٧.

(٨٧) البلاغ والنهاية ٩/ ٧٥.

(٨٨) الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق ٧/ ٦٨، انظر أيضا: ٩/ ٨٠، ١٠/ ٩٦.

١ – أهل الظاهر، سُمّوا بذلك لأنهم يأخذون بظاهر القرآن، دون تأويل أو اجتهاد. ويُسمّون أيضًا «أهل التنزيل»، لأنّهم يؤمنون بتنزيل آيات القرآن بحسب ترتيبها وحقيقتها كما وردت. هم أيضاً «أهل السنّة»، لكنّ هذا الإسم قليل في رسائل الحكمة. وهم «النواصِب» الذين ناصبوا العِداءَ والشتمَ لعلي بن أبي طالب ولكلِّ مَن لا يؤمن إيمانهم.

٢ – أهلُ الباطن، سمّوا بذلك لأنهم يأخذون بباطن القرآن. سُمّوا «أهل التأويل»، لأنهم يؤوِّلون ويجتهدون في نقلِ معاني الآياتِ القرآنيّة من معانيها الظاهرة الى معانيها الحقيقيّة. وقليلا ما يسمّون بـ «الشيعة» كما هو المعروف عنهم، بل يغلب عليهم، في الحكمة، إسم «التأويلية». وهم، كما نعلم على فرق وشيع متعددة.

٣ – أهل التوحيد، أو الموحِّدون، أو أصحاب «المسلك الثالث»، أو «الطريقة الوسطى»، أو «أهل المعرفة» و«الأعْراف» ولكن لا نجد في الحكمة إسم «دروز».

والقرآنَ نفسَه، كما تقول الحكمة، أقرّ بوجودِ هذه الأديان الثلاثة، وذلك في قوله: "وَضَرَبَ بينهم بِسُوْرٍ، له بابٌ، باطِنُه فيهِ الرحمةُ، وظاهِرُه مِن قِبَلِهِ العَذَابُ" [٨٩]. فـ «دلَّ بأنَ الظاهرَ من قِبَلِهِ العذابُ، وأنّه وصاحبه (محمّد) عذابٌ، والباطِنُ فِيهِ الرحمةُ ولم يَقُلْ هو الرحمةُ... فدلَّ بأنَّ الباطِنَ يدلُّ على الرحمةِ، وهو القِسمُ الثالث في الدين» [٩٠].

ثمّ تصف رسائلُ الحكمة الظاهر والباطن، وتدعو إلى إسقاطهما

---

(٨٩) سورة الحديد ٥٧ / ١٣.

(٩٠) تقسيم العلوم ٣٦ / ٢٦٦١، الشمعة ٣٨ / ٢٧٩، أنظر: ٥٨ / ٤٦٠، ٦٩ / ٥٩٤، ٦٨/٧، ٩ / ٨٠، ١٠ / ٩٦ كلّها تبيّن أقسام الدين.

والتخلّصِ منهما نهائيّاً وسريعاً، فتقول عن مولانا إنّه «أسقطَ الباطنَ مثل ما أسقطَ الظاهر، إذ جعلهما في الحدِّ سَواء. فَنَظَرْنَا إلى مَنْ يُنجِّينا من الحالتين جميعًا، ويُخلِّصنا من الشريعَتين سريعًا، ويُدخلنا جنَّةَ النعيم التي هي دعوةُ القائم قائم الزمان»(٩١).

ثم تصفهما بـ «الفحشاء والمنكر»(٩٢)، و«الجور والظلم.. والعدم والتشبيه»(٩٣)، و«البَوْل والغيطُ»(٩٤)، وبأنّهما «طريقان مُضِلاّنِ فاسِدان لا حقيقةَ فيهما»(٩٥)، وهما «الكفرُ والشِرْكُ»(٩٦). وأدلُّ دليل على فسادهما تكفيرُ أصحابِهما بعضُهم بعضًا: «أهلُ الظاهر يقولون إنَّ دينَهم هو الناجي، وأهلُ الباطن يقولون إنّ دينَهم هو الناجي. والفريقان كاذِبان لا نجاةَ فيهما، بل النجاةُ في الحكمةِ الأخرى التي هي توحيدُ الحاكم جلّ جلاله»(٩٧).

وتفسِّر الحكمةُ قولَ القرآن: "وما أدراكَ ما العَقَبَة! فَكُّ رَقَبَة"، بقولها: «فَكُّ الرَقبة هو التخلّصُ من الشريعَتين الظاهر والباطن»(٩٨). وفي قول القرآن «اللهُ والرحمن» دليلان على داعي التنزيل (محمّد)، وداعي التأويل (علي)، وهما اليوم صامِتان. دليلٌ على نَسْخِ الشريعتين

---

(٩١) الوصايا للموحدين ٤١/٣١٧.

(٩٢) ألنقض الخفي ٦/٥٦، أنظر: ١١/١٠٢، ٤١/٣١٧

(٩٣) تفسير كشف الحقائق ص ٢٢٨ – ٢٢٩، ألرضى والتسليم ١٦/١٣٨.

(٩٤) ألنقض الخفي ٦/٦٠، كتاب فيه حقائق ١١/١٠٩، تفسير، ص ٢٢٥.

(٩٥) تفسير كشف الحقائق، ص ٣١٦.

(٩٦) كتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا ١١/١٠٦.

(٩٧) تفسير رسالة كشف الحقائق، ص ٢٥١.

(٩٨) كتاب فيه حقائق ١١/١٠٧، يستشهد بسورة البلد ٩٠/١٣.

وتبطيلهما»[٩٩]. وعلى الحديثِ القائل: "مُلِئَتِ الأرضُ عَدلاً وقسطًا كما مِلئَتْ جورًا وظلمًا"، تقول: «مُلِئتِ الأرضُ»، الداعي، «عدلاً وقسطاً»، التوحيدُ والعبادة، «كما مِلئتْ جوراً وظلماً»، وهو زخرف الشريعتين»[١٠٠].

وفي الحكمة ما يشير إلى أنّ كلَ تصرّفاتِ الحاكم الغريبة وأعمالِه المروعة وأحكامِه المتناقضة، وما قام به من قتلٍ وظلمٍ وسفكِ دماءٍ وعزلٍ وسجنٍ وَجِدٍّ وَهزلٍ وزهدٍ وجَماعٍ وغير ذلك، كلّها تشيرُ وتعني نقضَ الإسلام وإبطال شريعتَيه: «إنّ أفعالَ مولانا كلَّها حكمةٌ بالغةٌ، جِدًا كان أم هزلا»[١٠١]. من ذلك: «بلوغه إلى القصور، وهما قَصْران عظيمان خَرَابان، دليلٌ على بطلان الشريعتين وخرابهما»[١٠٢]. ومن ذلك أيضاً «دوارُه حولَ المسجدِ، وقُدَّامُه عَقَبَةٌ صَعْبَةٌ، دليلٌ على التخلّص من الشريعتَين الظاهر والباطن»[١٠٣]. ومنها أيضاً «قتلُه لرَجُلَين، دليلٌ على قتلِ الناطِق (محمّد) والأساسِ (عليّ) وتعطيلِ الشريعتَين: ألتنزيل والتأويل، والهَوَانِ بالطائفتين: أهلِ الكفرِ والتلحيد»[١٠٤].

وهكذا «عَلِمْنَا بأنّه علينا سلامُه ورحمتُه قد أسقَطَ الباطنَ مثلما أسقطَ الظاهر.»[١٠٥].

---

(٩٩) البلاغ والنهاية ٩/ ٧٤.
(١٠٠) الرضى والتسليم ١٦/١٧٨.
(١٠١) كتاب فيه حقائق ١١/٩٨.
(١٠٢) المرجع نفسه ١١/١٠٢.
(١٠٣) المرجع نفسه ١١/١٠٧.
(١٠٤) كتاب فيه حقائق ١١/١٠٩.
(١٠٥) النقض الخفي ٦/٥٦، أنظر: ١١/١٠٢، ٤١/٣١٧.

وتحذّر الحكمة «كلَ مَنْ ذَكَر عن نفسه أنّه موحّدٌ، وهو متمسكٌ بشيءٍ من الشَرْعِ، فقد أبطلَ وكذّبَ في قولِه، بل هو ملحِدٌ كافرٌ. ومَن كان من أهلِ الباطن تأويليّاً وذكَر عن نفسه أنّه موحّد، فقد كَذب وأبطَلَ في قوله، بل هو مشرِكٌ كافرٌ»(١٠٦)، وأيضاً «كلّ من ادّعَى التوحيدَ وهو يقول بالظاهر والباطن كان كاذِبًا في قوله»(١٠٧)، لذلك «لا يجوز استقبال قائمِ الزمان وامتثالُ مراسيمه التوحيديّة إلاّ بعدَ الطهارة الخالِصة من الشريعَتين الشركيّة والكفريّة»(١٠٨).

وبالنتيجة، بالتوحيد يتخلّص الموحّدون من «حشو الشريعتَين اللّتين هما الظاهر والباطن»(١٠٩). وعليهم باتّباع قائم الزمان الذي عَرّف عن نفسه بقوله: «أنا صاحبُ المنزلتين ومُبِيْدُ الشرِيعَتين»(١١٠).

***

هذه الأقسام الثلاثة لكلّ تديّن، أوضحها، حديثاً، الشيخ الدكتور أنور فؤاد أبي خُزام، إستاذ الفلسفات الشرقيّة في الجامعة اللبنانيّة، وأضاف إليها قسماً رابعاً هو: التلحيد. يقول:

«إنْ عقيدة **التنزيل**، بنظر الموحدين، عقيدة صحيحة، ولكنّها عقيدة ناقصة: إنّها صحيحة لأنّ اللّه يُنزّه عن الصفة؛ لكنّ المشكلة هي أنّ التنزيه المطلق والنفي التام للصفات يُرسي مفهوماً للألوهة متباعداً كلّ

---

(١٠٦) رسالة الشمعة ٣٨/ ٢٨٠.

(١٠٧) المرجع نفسه ٣٨/ ٢٨٠.

(١٠٨) تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

(١٠٩) البلاغ والنهاية ٩/ ٧٦.

(١١٠) الأعذار والإنذار ٣٤/ ٢٤٨، ٣٣/ ٢٤٣.

البعد عن حـركة الوجود الفاعلة في هذا الكون، ويجـعل من الله موجوداً خارجاً الوجود، الأمر الذي يؤدّي إلى محال من الزاوية العقليّة والمنطقيّة. أمّا في حال التسليم بأنّ الله ليس موجوداً أيضاً نتيجةً لنفي الصفات عنه بإطلاق كي يكون موجوداً خارج الوجود، فالنتيجة المنطقيّة لهذا الاعتقاد تؤدّي إلى تساوي الألوهيّة مع العدم.

يقـول الدروز: «إنّ نفي الصفـات بإطلاق لا يسمح بأيّ تـفسـير ممكن لحـقـيقـة هذه العـلاقـة (بين الخالق والمخـلوق). ومن ثمّ نقع في العدمـيّة من جـديد. على هذا الأساس، يقـرّر الموحدون أن التنزيـل بهذه الصورة قـائم على التعطيل. ويقصـدون بالتعطيل إبعاد الألوهيّـة إبعاداً تامّـاً عن كلّ الوجـود. وعلى الرغم من أن التـعطيل مـرفـوض في الفكر التوحيدي.. إلاّ أنّ فكرة الـتنزيه تبقى فكرة أساسيّة ودعامـة رئيسيّة من دعائم التـوحيد. ولمّا كـان التنزيل مقصّـراً في معرفتـه لحقيـقة الألوهة، أصبح مـوقع التنزيل آتياً في الدرجـة الثانية مـن درجات أعمـدة التديّن الأسـاسيّـة، مع كونه أوّلاً في مرحلة التدرج للوصـول إلى التدين الأعلى، ونعني به التوحيد.

بعـد التنـزيل نأتي إلى **التـأويل**. والتـأويل، هنا، لا يـعني إعطاء مـعاني تفـسيـريّة لآيات دينيّـة تتجـاوز المدلول الظاهر لهـذه الآيات... ألتأويل، بنظر الموحـدين، هو كلّ مذهبيّة، فـرديّة كانت أم جماعـيّة، تنظر إلى الألوهة بكونهـا تتـجـسّد في شـخص أو رمـز.. لذلك فـإنّ نظريّات كالحلول والتجسّد أو التشـخيص هي نظريّات تنتمي عندهم إلى التأويل. ومن هذا المـنطلق يمكـن فـهم التـأويل بكونـه يضع الألوهة فـي حكم المحسوس، ويعرف الإله بصفات محدودة.

ويعتقد الموحدون أنّ التأويل، بهذا المعنى، نظرة مغلوطة إلى حقيقة الألوهة، لأنّ اللّه منزّه عن مشابهة مخلوقاته... وإنّ إخضاع مفهوم الألوهة لنظريّة محدودة تجعل اللّه شكلاً مدركاً ومحسوساً تقود إلى التشبيه.. وكيف يصحّ التشبيه واللّه ليس كمثله شيء؟ ولذلك يعتبر التأويل أدنى منزلة من التنزيل، ويأتي في المرتبة الثالة من مراتب التديّن الأصليّة.

وبما أنّ التعطيل نظرة ناقصة إلى حقيقة الألوهة، والتشبيه نظرة باطلة إليها، فقد تساويا في عدم إمكانيّة التوصل بهما إلى معرفة اللّه على الحقيقة. ولذلك فإنّ التوحيد يتبرّأ منهما.

فالتعطيل، نفي مطلق للصفات، يقود إلى العدميّة؛ والتنزيه، إعتراف بصفات تطلق على سبيل المجاز لا الحقيقة؛ لأنّ العقل لا يستطيع بدونها أن يتمثّل معرفة باللّه تقوده إلى التوحيد الخالص.

أمّا **التلحيد** فيقع على كلّ مذهبيّة تنكر تماماً وجود اللّه، وتزعم أنّ العالم موجود بنفسه وبلا صانع..

يبقى **التوحيد**.. ودين التوحيد هو الإسلام.. وينقسم إلى ثلاثة (كذا) مراحل، أو رتب، وهي: **الظاهر، والباطن، والحقيقة.**

فأهل الظاهر هم المسلمون القانعون بظاهر الشريعة وعبادتهم عبادة ناموسيّة.. **وأهل الباطن** هم المسلمون المؤمنون الذين لم يكتفوا بالمعاني الظاهرة لآيات اللّه، بل غاصوا في معانيها، وأوّلوا نصوصها على أوجه عديدة.. أمّا **أهل الحقيقة** فهم المسلمون الموحدون الذين جمعوا الظاهر والباطن، واستبدلوا "بتعطيل" التنزيل و "تشبيه" التأويل بفكرة

" الوجود والتنزيه " للّه عزّ وجلّ.

ألتديّن التـوحيدي، إذن، يتمّ بالتمـسّك بحقائق الشـرائع التنزيليّة والتأويليّة وجمع الظاهر والباطن. وهذا يسـتوجب احترام جميع الأديان والمذاهب[111]»[112].

ثمّ يتناول هذه الأنواع من التديّن من جديد، فيقول:

«أ – التنزيل، وهو الفريق الذي يجـمع التنزيه مع العدم، فتـصبح فكرة اللّه لديه عدميّة مفقودة.

ب – التـأويل، يجـمع الوجـود والتشـبـيه، فـتـصـبح فكرة اللّه محدودة محمودة، فهي بالتالي عدميّة.

جـ – التلحـيد، أو جـمع العـدم والتشـبيـه، فـتصـبح فكرة اللّه مجحودة ومحدودة، فهي بالتالي عدميّة خالصة.

د – التوحيد يجمع الوجود مع التنزيه، وهو العبادة الكاملة»[113].

---

(١١١) يستشـهد أبو خزام بما قاله المؤرخ يوسف ابراهيم يزبـك: " وقد حان لنا أن نمزّق البرقع الذي اضطرنا إلى الـتحجب به أيّام الانحطاط والظلام، وأن نعلن رأياً صـريحاً في مذهب يحترم جميع الأديان السمـاويّة، ويأمر بالفضائل المثلى، فتتكشف عنه دون أن تمسّ تأويله الباطنـي، ما دامت الحساسـيّة الدينيّة الـسطحيّة، نعم: السطحـيّة هي المسيطرة على جمـيع الشرقيين " ؛ راجع بيجيه ده سـان بيير، الدولة الدرزيّة، ص ٨... وينسى أبو خزام مـا جاء في مـيثاق وليّ الزمـان: " أتبرّأ من جـميع الأديان والمذاهب والمعتقدات "... رسالة رقم ٥، وغيرها كثير في رسائل الحكمة.

(١١٢) في شرحه وتحقيقه لكتاب النقط والدوائر، بيروت ١٩٩٩، ص ٧٨.

(١١٣) ألمرجع نفسـه، ص ٧٩. أنظر أيضاً كـتابه: إسـلام الموحّدين... ص ١٣، و١٦، و١٧ و٦٩... ومع هذا، فـهو يأخـذ على البـاحثين تصـوّرهم «مسـلك التوحـيد وكـأنّه دين مستقلّ لا يعترف إلاّ بنفسه»، ص ٨.

هذه المواقف من "التنزيل" و"التأويل"، هو نفسه موقف الصوفيّين في الإسلام. ولذلك يكنّ الدروز لهؤلاء الصوفيّين احتراماً بالغاً، ويقتدون بهم، ويقدّسونهم، ويقولون بأنّ التصوّف «ليس فرقة من الفرق الإسلاميّة، بل هو جوهر الإسلام. وهذا الجوهر موجود في جميع الفرق. وهو مسلك اتّسم صاحبه بالتوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكّل والرضى.. هذه المميّزات مقامات من رحلة المتصوّف المعرفيّة التي توصله إلى التوحيد.. في الحقيقة، التصوّف يقوم على التوحيد. والتوحيد هو التصوّف الحقيقي.. لأنّ التوحيد هو أن أوحّد ذاتي في اللّه.. وليس اللّه موجوداً في الإنسان، بل الإنسان موجود في اللّه»(١١٤).

ويتكلّمون على أشهر المتصوّفين، أمثال ابراهيم بن أدهم، وهو من أعلام المتصوّفة الأوّلين، ورابعة العدويّة، والحلاّج، وغيرهم... ويعتبرونهم خير مَن أعدّ، من المسلمين، المرحلة التوحيديّة الخارجة من الإسلام وعن الإسلام.

ويعتبر الحلاّج خير مَن مثّل هذا الخروج والسمو والتخطّي. لقد «كانت حياة الحلاّج وما انبثق منها من إشراقات، وما ابتدعت من مناهج في التفكير والتأمّل والروحانيّات "لحظة جوهريّة في تاريخ التصوّف الإسلامي". والتصوّف، عند الحلاّج... هو ارتفاع الإسلام إلى اللّه في سَفَرٍ طويل هائل، لا تقدر عليه إلاّ عزائم المصطفين الأحرار..

ويركّز الدروز على تصوّف الحلاّج الذي يؤدّي إلى الفناء: إنّ

---

(١١٤) أبناء النور عبر العصور، بيروت ١٩٩٩، ص ١٦٨-١٦٩. وانظر عن التصوّف كلاماً رائعاً: ص ١٦٨-١٧٢.

«الفناء هو غاية الصوفيّة. والفناء، بالنسبة للحلاّج، هو دنو حقيقته من حقيقة الحقّ، حيث تُنتَفى النسب، وتفنى الأمكنة والأبعاد. وحين يستقرّ في الحقيقة، وتستقرّ الحقيقة فيه، فيصبح لطيفاً شفّافاً، وتشعُّ النورانيّة لتطغى على كل ظلمة، ويصبح في حضرة الحقّ في ظلّ مشاهدة الجمال الإلهي.

«وهذه الوحدة أدّت إلى اتّهام الحلاّج بالحلوليّة، وبأنّه ادّعى الألوهيّة، ولكن، بالحقيقة، هذه الوحدة لا تمتّ إلى الحلوليّة بصلة، لأنّ الله سبحانه ليس مادّيّاً كعالَم الخلق ليحلّ فيه حلولاً، وإنّما تتمّ هذه الوحدة عبر التجلّي، أي تجلّي الحقّ في الخلقّ تجلّياً لطيفاً...

«وهكذا كان الحلاّج شهيد التصوّف الإسلامي، شهيد العشق الإلهي، بعد أن قدّم أعظم برهان على أنّ التصوّف، في حقيقته، أعلى صورة من صور السموّ، كما هو أعلى صور الاستشهاد»[١١٥]

***

ثمّ اعتمدت الحكمة الدرزيّة على **الغنوصيّة**، أي المعرفة، «لكنّها ليست أي معرفة، بل معرفة حقيقة الوجود عَبْر تجربة روحيّة حسّيّة مباشرة.. المعرفة النابعة من إرادة المعرفة المتحرّرة من كلّ ضغط اجتماعي أو ديني.

«ولا تتحقّق المعرفة، بالنسبة للغنوصيّين، بالشرائع والطقوس، ولأنّه ما من وسيط بين الباحث عن المعرفة وضالّته، وليس هناك من قوانين، أو سلطة خارج سلطة الإنسان على نفسه.. فالمعرفة التي يمكنها

---

(١١٥) المرجع نفسه، ص ١٨٠.

أن تحرّر بعض الأشخاص قد تشكّل عقبة في وجه البعض الآخر...

«إنّ التجربة الروحيّة التي يمرّ بها الغنوصي الحقيقي مع خالقه تعطي للإله قيمة معرفيّة هائلة، لا توجد، للأسف، في ممارسات الأديان المعروفة..»(١١٦).

***

وأخيراً يقتدي الموحِّدون الدروز بالحركة "**الإسينيّة**" في اليهوديّة. فيقولون: بعدما «غرق رجال الدين اليهود وأحبارهم في لُجج الممارسات الطقوسيّة، من ذبائح وقرابين»، نشأت بينهم طائفة غنوصيّة سامية عُرف أتباعها بالأسينيين. نبذت هذه الممارسات الناموسيّة التي شرّعها نبيّهم موسى وأخوه هارون.. ونسج شعائرها التكليفيّة الكاهن عزرا. وتذكّر الأسينيّون قول النبي أشعيا عن لسان الرب: "ما فائدتي من كثرة ذبائحكم. قد شبعتُ من محرقات الكباش وشحم المسمّنات. وأصبح دم العجول والحملان لا يرضيني.. لا تعودوا تأتوني بتقدمة باطلة. إنّما البخور رجس لدي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل لا أطيقها، إنّما هي إثم واحتفال. رؤوس شهوركم وأعيادكم كرهتْها نفسي. صارت عليّ ثقلاً. قد سئمت احتمالها. وإنْ أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم، لأنّ أيديكم مملوءة من الدماء. فاغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرّ أعمالكم من أمام عيني. وكفّوا عن الإساءة". واتَّعَظوا في صلاة النبيّ داود إلى ربّه: "إنّك لا تبتغي ذبيحة، ولا ترتضي بمحرقة»(١١٧).

---

(١١٦) المرجع نفسه، ص ١١٠-١١١.

(١١٧) المرجع نفسه، ص ١١٢-١١٣، أنظر حتى ص ١١٦.

رابعا - بطلان محمد وشريعة الظاهر

كلُ شيء يَدُلّ على أنّ شريعة الظاهر قد بَطُلَتْ واضمحلّتْ، وأنّ التوحيدَ جاء بالنور والحقِ. كلُ ما في «الحكمة» يُثبتُ أنّ محمّدًا، صاحب التنزيل، لم يكن صادقاً في دعوته، وأنَّ قائم الزمان جاءَ بالسِدق والمعرفةِ. لقد انقَضى، بظهور الدعوة التوحيديّة، دورُ محمّد، ونُسختْ شريعته الفاسدة بالتمام.

أ - إنّ محمّداً، بحسب ما تصفه رسائل الحكمة، هو «الإبليسُ الأعظم... الذي نَفَثَ سُمَّ نَجَسِهِ في أنيابِ شيعَتِه»[118]، هو «الإبليسُ المعتوهُ الشيطانُ، آخرُ عُكُورَاتِ مُجَوَّرِ الفَلَكِ»[119]، هو «إبليسُ الرجيم»[120]، «إبليسُ اللعين»[121]، «الدجَّال الرجيمُ الأجذَع»[122]، «الدجالُ الخبيثُ الأعورُ الفاجِر»[123]، «دجّالُ العرب»[124]، «العجل»[125]..

---

(١١٨) رسالة اليمن ٦٠/٤٧٠، أنظر: ٥٦/٤٣٩... الخ.

(١١٩) تأديب الولد العاق ٦٣/٤٨٨. معنى ذلك انّ محمّداً هو آخر ذرّات الكون التي تتألّف منها الأجسام الفاسدة الشريرة. ومن المعروف ان آخر الذرات، في الفلسفة الذريّة اليونانيّة، أي التي تبتعد جداً عن الشكل الدائري، تؤلّف المادّة العمياء، منها جسد محمّد.

(١٢٠) أنظر: ٥٦/٤٤١، ٥٧/٤٤٥، ٥٨/٤٥٣... الخ.

(١٢١) أنظر: ٥٧/٤٤٨، ٥٨/٤٤٥... الخ.

(١٢٢) رسالة التقريع والبيان ٦٢/٤٨٠...

(١٢٣) انظر الرسائل ٥٦ حتى ٦٦ ص ٤٣٥-٥٢٥.

إنّه الإبـليس الـذي ادّعى الوحيَ مِـن اللّه ولـفَّق علـيــه «الزورَ المكذوب»[١٢٦]، ثم رجع فنقضَ الوحيَ الذي زعـم أنّه أُوحيَ إليه. «فظهـر للناس مـا كذّبـه على اللّه وزخرفَ علـيه». فـتناقـضتِ الأقوالُ (أقـواله) وصـارت هَرَجـاً الأفعالُ (أفـعاله)»[١٢٧]. «لقد عـميتْ بصـيرتُه... فـمرّةً يأمرهُم باستقبالِ المشرقِ، ومرّةً يأمرهُم بالتوجّهِ الى المغرب»[١٢٨].

وتبيّنُ الرسـائل تناقضـاتِ تعاليمِ محـمّد، وتفنّدُ أكـاذيبَ القرآنِ، وكلُّها «مبيّنٌ لقلةِ معلومِه وعجزِه، وتحقيقٌ لباطله»[١٢٩]. «فتأمّلوا لَكَنَ هذا المسـعور المفـتون»[١٣٠]، «هل أَبْيَنُ من هذا لكشفِ عُـوارِ مَنْ هو مُسـرِفٌ كذّابٌ؟»[١٣١]. ثمّ «انظروا ما مَوَّهَ به صاحبُ شريعةِ الإسلامِ ما هو، باللّهِ، أعظمُ من الشَطَنِ والتَلبيسِ وعبادةِ الاصنام»[١٣٢].

قال مـحمّـد فيـما قـال: إنّه أُسْرِيَ به في ليلةٍ واحـدة مِن مَكّةَ إلى مـسجـدِ بيتِ المقدسِ، وإنّه عُـرِّجَ به إلى السـماء السـابعة، وإنّه جـالَسَ الملائكةَ، وسمِعَ نداءَ الرب. ولم يكن له دِينٌ، ولا رَعَةٌ يزجـراه عمّا لَفَّقَ من

---

(١٢٤) رسالة التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٥.

(١٢٥) رسالة الحقائق والإنذار ٥٧/ ٤٤٣، التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٣؛ أنظر كتابنا "العجل والشيصبان"، في سلسلة "الأديان السرّيّة"، رقم (٤).

(١٢٦) رسالـة التبـيين والاستـدراك ٧١/ ٦٠٨؛ أنظر كتـابنا "النبي محـمّد في الـعقـيدة الدرزيّة"، في سلسلة "الأديان السرّيّة"، رقم (٣)، وهو تحقيق للرسالة ٧١.

(١٢٧) المرجع نفسه ٧١/ ٦٠٩.

(١٢٨) المرجع نفسه ٧١/ ٦١٠.

(١٢٩) المرجع نفسه ٧١/ ٦١٥.

(١٣٠) المرجع نفسه ٧١/ ٦١٥. «لَكِنَ»: عَيٌّ وَثِقْلَ لِسانُه.

(١٣١) المرجع نفسه ٧١/ ٦١٧.

(١٣٢) المرجع نفسه ٧١/ ٦١٨.

الزور والكذب»[١٣٣]. وَناظَره رجلٌ يهودي قـائلاً له: «يا محـمّد ارتفعْ لنا من الأرضِ ذراعًـا واحداً، ونحـن نؤمنُ بك... فأُفـحِمَ الدّعيُّ عن الجـواب والقـول. وتبـيّنَ للجـمـاعـة كذبُـه على ذي المآنة والطَّول، وعلِمُـوا أنهـا زخاريفُ ليَستجْذِبَ بها أمـوالَهم، وحِيَلٌ على الأمور الدنيوية يستحِلُّ بها حَرَمَهُم وعيالَهم»[١٣٤].

ويتجنّدُ بهاء الدين المقتنى إلى التعـريف بمحمّد، في إظهار عَوَاره، وفسـادِ تعاليـمه، فـيخـتم رسالتَـه بقوله: «لقـد عرّفتُ مثـالبَ مَن أضلَّ العوالمَ، وأشـرتُ إليه بالتـعيين. وقـد بلغَ العبدُ الناصـحُ بعضَ الغَرَضِ. فلنختم ذلك بالاعترافِ بالتقصيرِ»[١٣٥].

ولكن مـا قصّـر به بهاء الدين أكـمله الأميـرُ السيّـد جمـالُ الدين التنوخي. فهو القائل: «إنّ ممثولَـه (أي ممثول إبليس) الذي هو محمّد بن عبد الله يجمع نواميسَ النطقاء وزخرفَهم أجمعين.. لأنّ غالبَ الظنّ أنّه لم يكن ظهرَ في ناطـقٍ ولا في غيرِه، مِن مـبتدأ الدنيـا إلى زمانِ الكشفِ، لا أشدُّ عُتُوّاً، ولا أشـدُّ ناموسًا، ولا أصرمُ سَيفًـا، ولا أعظمُ قَتْلاً، ولا أقوى كَذِبًا، ولا أعظمُ رغبَةً في نسوانٍ وشهواتٍ بهيميّةٍ، ولا إباحة معاصي من شخصِ الناطقِ محمّد لَعَنَهُ اللّه»[١٣٦].

وفسادُ محمّـد ملازِم لفسادِ شريعتِه. يقول حمـزة: «محمّدٌ شرّعَ شُرُوعـات فاسدةً إبليسـيّة، يشيـرُ بها إلى العدمِ والتـعطيل، ممّا يشاكلُ

---

(١٣٣) رسالة التبيين والإستدراك ٧١/٦١٨.

(١٣٤) المرجع نفسه.

(١٣٥) المرجع نفسه، ص ٦٢٢.

(١٣٦) تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد، ص ٧٤٥.

عُنصرَه الفاسد. وأظهر تكاليف ناموسيّة شركيّة، وأباحَ محرَّمات، وحرّم محلّلات ما في بعضها الهلاك الكليّ»[١٣٧].

ثم تصف الدرزيّة شريعةَ محمّد بالزنا، وتعتبرُ صاحبَها ابنَ زنا، أو «إبليس» لأنّ إبليس مِن «أَبْ لَيْس» أي «مَن لَيْسَ لَهُ أَبٌ»، أعني ابنَ زنا. وفي ذلك إنّ «الزنا بالنساء دليلٌ على شريعتِه. فصحّ أنّ شريعته باطنُ الزنا. ومتّبعُوه أولادُ زنا حَتْمًا. وقد صحّ واتّضحَ أنّ الشرائعَ الناموسيّة مدلولٌ عليها بالزنا، وأنّ الزنا بالنساء شهوةٌ فاسدةٌ ظاهرةٌ للعيانِ. فصار المائلُ إلى الشرائعِ ولدَ زنا والمشكُّ في الحقيقة ولدَ زنا. والشرائعُ الناموسيّة الشركيّة شهوة وزنا باطني. وهو الزنا الأعظم. والزنا الحقيقي والسِفَاح الحقيقي هما عبادات العدم ومحبة الشريعة وأصحابهما والميل إليهم»[١٣٨].

وفي شريعة محمّد فروعٌ كثيرةٌ فاسدةٌ وخوارقُ كاذبةٌ، وتعاليمُ مضلّةٌ تُعمي قلوبَ مَنْ سلَكها، وتطمسُ بصائرَ مَنْ تَعَلَّقَ بها:

منها إِسْرَاءُ محمّد.. «وهذا كفرٌ وفسوقٌ، وما جَرى أبداً».

ومنها أنّ المسلمين يعتقدون أنّ محمّد ليس له ظِلٌّ في الشمسِ، وهذا الكفرُ الأكبرُ. ولم يكن هذا الأمرُ لغيرِ اللّه تعالى ابدًا.

ومنها أنّ الإنسان إذا زنا بامرأة وجاءها منه بنتٌ فيجوز له زواجُها ويحلّ ذلك ولو كان محقّقا أنّها ابنتُه.

ومنها أنّ الإنسان إذا اشترى ألفَ جارية فيحلّ له وَطءُ جميعِهنّ.

---

(١٣٧) تفسير كشف الحقائق، ٢٢٤.

(١٣٨) المرجع نفسه، ص ٥٠٦ – ٥١١، انظر رسالة ١١/١٣٦.

ومنهـا أنّ الإنسان إذا اجـتـرأ على الزنا والقـتلِ والسرقـةِ وقطعِ الطريق وجمـيع المحرّمـات حتى بلغ ثمانين سنة علـى هذه الحالة ثم تاب يوماً واحداً كان كيومِ وَلَدَته أمُّه ولاعقابَ عليه».

«وأمثالُ هذه الفروع الفاسدة كثـيرةٌ . فصارتِ الشريعةُ الظاهرة مضلّةً حتماً لَزْمًا بهذه الأسباب . وجميعُ ما تعيَّنَ كذبٌ ومحالٌ. فلعنةُ اللّهِ عَلَى مَؤسِّسِها وَمُرَكِّزِهَا وَمَنْ أعانَ عَليهَـا وَفاعِلها وقائِلها وقابِلها. أعاذنا اللّه سبحانَه وتعالى »(١٣٩).

ثمّ إنّ كلَّ مـا جاء بـه مـحـمـدٌ من خوارقَ ومـعـجزاتٍ هو كـذِبٌ وتدجيل: فشريعتُه «مشحـونةٌ بذكرِه ونبوّته المجازية بما فيها من الكذبِ الصريحِ والمعنى القبـيح، كدلالته عليه أنّه عـرَّجَ إلى السماءِ، وأنّ الماءَ نَبَعَ من بين أصابِه، وأنّ الغزالةَ سلَّمتْ عليه، وأنّ البعـيرَ قَبَّلَ يَدَيْهِ، وما شاكلَ ذلك من الكذب المعظّم»(١٤٠).

٢ – ولم يسلم **القرآن** من الكذب والتدجـيل والفسـاد. فـهو، بنظر محـمّد، «كلام اللّه، وأنّه منزل عـليه، غيـر مخلوق، ولا مجـعول، وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقـد طابق أصحابُه (أي أصحاب محمّـد هذا القول)وجميعُ هذه الأمّـة (الإسلامية) وقـد أجازوه ورضوه ولم ينكروه»(١٤١). كلّ هذا فـاسـد من أساسـه، والقـائلون به ضـالّون مضلّون، وهم، بحسب ما يناديهم بهاءُ الدين، أهلُ بَلَهٍ وتدجيلٍ:

«فيا أهلَ البلَهِ والتـدليسِ والتشبيهِ! كـيف يكونُ قولُكم في الكلامِ

---

(١٣٩) تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٨– ٧٢٩، انظر ٧١/ ٦١٨.

(١٤٠) تفسير كشف الحقائق، ص ٧٥٤ – ٧٥٥.

(١٤١) رسالة التبيين والإستدراك ٧١/ ٦٢٠.

الذي نسبتموه إلى اللّه تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه سدقاً! وقد اعتورتْه لإصلاحِ فسادِه ألْسنُ النحويّينَ واللّغويّينَ، ودخلَ عليه النقصُ والخللُ لخروجِهم به عن مباني الدّينِ. وكيف ينساغُ في عقلِ ذي لبٍّ أنَّ كلامَ اللّه تعالى يفتقُر إلى إصلاحِ المخلوقين. وهذا ممّا يبيّنُ فسادَ شرعِ المخترصين، ويوضِحُ أنّهم خالَفُوا أمرَ الباري وخرَجُوا عن سننِ التوحيدِ والدين»[١٤٢].

٣- أمّا المسلمون فهم الذين «استعبدَهم الإبليسُ الإعظمُ»[١٤٣] فيؤلِّفون بالتالي حزَبه وعُصْبَته. هم «حزبُ الدّجّال»[١٤٤]، «عصبةُ الدّجّالِ، أتباعُ الدجاجلةِ في أقطارِ الأرضِ، فوضى مُهْملُون»[١٤٥]. هم «الهَلَكَة الأغفَال.. الطُغَاة الفَسَقَة المكذّبين.. البهائمُ المهملون والسوائمُ المنكِرون... المَرَقَةُ الهَلَكَة الغافِلون... حزبُ الضلالِ آلُ البلَسِ والشّطَنِ والعقوق والإبَاقِ... الخونةُ الذين أضرموا نارَ الفِتَنِ على الموحِّدين»[١٤٦].

يخاطبهم بهاءُ الدين المُقْتَنى بقوله: «تنبّهوا يا أهلَ البَلَس والضلالِ والعَمى، وتيقّظوا يا أُولي السَغَبِ والسَفْسافِ والظَمَى. فقد أفَلَ شمسُ الدّجّالِ الأعورِ (محمّد) وَقَمرُه (علي) في المُحَاقِ، وتضاءلتْ نجومُه (خلفاؤه) عن مطالِعها بالنحوسِ والرجوعِ والاحتراقِ، وتزلزلتْ أرضُه (مكّة) بالخَسفِ، وأذِنَتْ سماؤُه (ديانته) بالهبوطِ والانشقاقِ»[١٤٧].

---

(١٤٢) رسالة التبيين والاستدراك ٧١/ ٦٢١.

(١٤٣) رسالة اليمن ٦٠/ ٤٧٦٠.

(١٤٤) رسالة تمييز الموحدين الطائعين ٦٦/ ٥١٦.

(١٤٥) رسالة اليمن ٦٠/ ٤٧٠.

(١٤٦) رسالة تمييز الموحدين الطائعين ٦٦/ ٥١١ – ٥١٥.

(١٤٧) الإيقاظ والبشارة ٥٦/ ٤٣٧ – ٤٣٨.

هم «أهل الشَطَن والـغَـفلة والسـهْـوِ.. أَجـلافُ الأمم. أهلُ النَجَسِ والكذبِ والبهتانِ.. ألعصبة الجاحدةُ المنكرِة العميّة عن الحقِّ.. أتباعٌ لِنَعَقَةِ شياطينِ الفتـرة.. أوباشُ الأمم وعُكُوراتُ هذا الخلقِ.. أهلُ النفاق والعنود والفسق.. ألعُصْـبَةُ الضالّة»[١٤٨]. يُشْبهُون، لكثـرةِ شرِّهم على الموحِدين، «المسـوخَ والذئابَ... والـثـعـابينَ الرُّقَّـطِ والأسـاود الـزُمَّطِ والأراقمَ الشُـمَّطِ»[١٤٩]. هم «أوغـادُ الأنـامُ وأولادُ الحَـرام»[١٥٠]. «ألخَـوَنَةُ الأغتَام»[١٥١]. «الأجلاف»[١٥٢]. «ألغَفلَة النوّام»[١٥٣].

هم «أمّةُ الـسوء»[١٥٤]، «أهلُ السَـفَه»[١٥٥] و«الأَدّعاء»[١٥٦]، «أهل الغـدر والنّكْث، أهلُ الردّة وأولاد الخـبثِ»[١٥٧]. «أهل النَصَـبِ والشكِّ والشركِ والانعكاسِ والظلمِ والكفرِ والإبلاسِ»[١٥٨]، «أهلُ الكذبِ والنكثِ والزور»[١٥٩]. «كَدَرُ الأمم»[١٦٠]، «عصـاةُ الأمم»[١٦١]، «أوباشُ الأمم»[١٦٢]،

---

(١٤٨) توبيخ الخائب معلا ٨٢/٧٣٨ – ٧٤٣.

(١٤٩) مثلا ضربه بعض حكماء الديانة ٤٣/٣٣٨.

(١٥٠) تقليد لاحق ٤٥/٣٤٦.

(١٥١) الحقائق والإنذار ٥٧/٤٤٩.

(١٥٢) المرجع نفسه، ٥٧/ ٤٤٤

(١٥٣) رسالة الى العرب ٥٩/ ٤٦٥.

(١٥٤) المرجع نفسه ٥٩/٤٤٦،...

(١٥٥) كتاب الى اليقظان ٦٥/ ٥٠٠–٥٠٧ بكاملها

(١٥٦) الى الجبل الأنور ١٠٩/ ٨٣٥.

(١٥٧) المرجع نفسه

(١٥٨) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٤

(١٥٩) تأديب الولد العاق ٦٣/ ٤٨٩.

(١٦٠) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٥.

(١٦١) الحقائق والإنذار ٥٧/٤٤٧.

(١٦٢) توبيخ الخائب محلا ٨٢/ ٧٣٩.

«أجلافُ الأمم»[١٦٣]، «أخبثُ الأمم»[١٦٤]. «عَبَدَةُ العجلِ والصَنَم»[١٦٥]. هم «كالبقر السائمة والغنم»[١٦٦]، «أشباه البقر والغنم»[١٦٧]. «أولاد البغايا العواهِر، وبقـيّةُ نَسْلِ أغتامِ البرابِر أهل الخلاف... أئمّةُ الجورِ الفَسَقة الفجّار، أهلُ الحَشْوِ والعَمى والصَمم والخرس، وأعوانُ الدجاجلة بالغيِّ واللّعنِ والبَلَسِ.. أصحابُ الكرّة الخاسرة.. بقيّةُ عصاة الأمم»[١٦٨]. هم، «على أولياءِ الحقِ كالنمورِ الضارية والسباعِ، أو كالأراقم المزمنة والأفاعِ»[١٦٩].

ليس للمسلمين أيّة فضيلة. كلّ ما عندهم هو من موادٍّ إبليسِ الرجيم، فهم «ما امتدّوا، بحسب مفّسري الحكمة، إلاّ من الموادّ الإبليسيّة، ولا تغذّوا إلاّ من الأغذية المبخرة السُّمِّيّة. فلأجلِ ذلك تكلّموا بألسنة خرِسَةٍ، ونظروا بأعينٍ عَميّةٍ، فَضلّوا وأضلّوا.. فما تعلّقوا من داخلهم إلاّ بالفساد، ولا نَطَقوا إلاّ به»[١٧٠].

٤ - والنتيجة هي «أنّ العقلَ بالحقِ يشهدُ ويقطعُ أنّ الأكثرَ من أمّتهِ (أي أمّة محمّد) والجمَّ الغفيرَ من رؤساء شُرْعَتهِ ليسَ لأحد منهم أمانةٌ على تأديةِ كلمةٍ واحدةٍ من العدلِ.. وأنّهم في فهمِهم للحقِ والحكمة

---

(١٦٣) المرجع نفسه، ٨٢/ ٧٣٩.

(١٦٤) رسالة العرب ٥٩/ ٤٦٥.

(١٦٥) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٥.

(١٦٦) رسالة تمييز الموحدين ٦٦/ ٥١٣.

(١٦٧) السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٦، ٥٩/ ٤٦٥.

(١٦٨) المرجع نفسه.

(١٦٩) الى أهل اليمن ٦٠/ ٤٧٠.

(١٧٠) تفسير كشف الحقائق للأمير السيد التنوخي، ص ٨٧.

أَبْلَهُ مِنَ الْحِمَارِ والبَغْلِ. فكيف يكونوا شهداءَ على الناس!»[١٧١].

ينتج أيضاً «إنّ شريعة محمّد قد تقضّتْ أيّامُها، (وكذلك) جميع النِحَلِ قد وهتْ قواها، وانحلَّ نظامُها»[١٧٢].

وينتج أيضاً إنّ إلهَ المسلمين هو عَدمٌ لأنّه لم يَظْهَرْ مَرّةً واحدةً لعباده، ولم يَأْنَسْهُم ويُعَرِّفْهم بنفسه: فـ «ما كان لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ولا يُدْرَكُ بشيءٍ من الحواسِ فأحرَى به أنْ لا يكونَ شيئاً»[١٧٣].

وأيضاً إنّ محمّداً «الناطق -لعنه الله- أصلٌ لجميعِ المعاصي وجميعِ الأخلاقِ الفاسدةِ والعلومِ الرديّةِ»[١٧٤].

وأخيراً إنّ «العِجْلَ» هو «الضدّ»، والضدّ الأعظم في أيّامنا هذه هو «محمّد». ولكنَّ جميع النطقاءَ هم أيضاً «عجول»، لأنّ نواميسَهم هي تكليفيةٌ إبليسيةٌ وُضِعَتْ لطمسِ معالمِ التوحيد. وإذا ما اتُّهِمَ الدروزُ بعبادة العجلِ فذلك لأجل أنّهم يُخْفُون أسفارَ الحكمة في مجالِسهم ضِمنَ رأسِ العجلِ الذي يُمَثِّلُ محمّداً. فكما انّ دعوةَ التوحيد مخفيةٌ في شريعةِ الإسلام، كذلك رسائلُ الحكمة مخفيةٌ في رأسِ العجل... بسبب ذلك عُرِفَ الدروزُ، خطأً وضلالاً، بعبّادِ العجل، فيما عبّادُ العجل، بنظرهم، هم المسلمون وسائرُ أصحابِ الشرائع الفاسدة...

---

(١٧١) رسالة التبيين والإستدراك ٧١/ ٦١١.

(١٧٢) رسالة القسطنطينية ٥٣/ ٣٨٩.

(١٧٣) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٣٤.

(١٧٤) تفسير كشف الحقائق، ص ٣٧ –٣٨.

خامساً - بطلان علي وشريعة الباطن

ليستْ منزلةُ عليّ بن أبي طالب أفضلَ من منزلةِ محمّد بن عبدالله. كلاهما في الشرّ والفساد سَواء. وشريعةُ الإثنين في الضلال على اتّفاق. شريعةُ عليّ هي «الشِرْكُ» بعينه، كما شريعةُ محمّد هي «الكفر» بعينه. وكلّ ما يَصدرُ عنهما من علوم هو «سُمٌّ قاتِلٌ»[١٧٥]. وقد علّم قائم الزمان في رسائله إلى النساء الموحّدات «أنّهما، محمّد وعلي، لا يجوزُ لكنَّ أن تطعنَ أحدًا منهما. وقد نهَى الدينُ عنهما. ألم تَرَيْنَ أنَّ المولى عزّ وجلّ قد ملَّكهُمَا الدنيا؟ أليس أشار لكنّ بأنّهما دَنِيَّانِ القَدْرِ؟ لأنّ الدنيا سُمّيتْ دنيا لأنّها دنيّة؟ وأنّ هذَين الشخصين يتزيّا بزيّ المولى، وقد حصلا ضِدَّين. فكيف تجوزُ عبادتُهما في وقتِنا هذا؟»[١٧٦]، وقد أمر الباري: «لا تسجدوا للشمسِ ولا للقمرِ، وهُما الناطق (محمّد) والأساس (علي)»[١٧٧].

أ - ماذا يكون إذاً من شأن علي وأتباعه وشريعته الباطنيّة بعدما كان شأنُ محمّد والمسلمين وشريعةُ الظاهر الكفرَ والفسوقَ والضلالَ! تقول الحكمة: «بالحقيقة، إنّ علياً زوجةُ إبليس اللّعين محمّدٍ بن عبد الله

---

(١٧٥) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٣٩، ورقة ٢٥ ب.

(١٧٦) رسالة النساء الكبيرة ١٨/ ٢٠٠.

(١٧٧) كتاب النقض الخفي ٦/ ٦٢.

هو أنجسُ الخلقِ بعدَ مـحمّد»[١٧٨]، وإنّ محمّدًا وعليّـاً صارا «أصلاً لدينِ التلحيـد الذي لم يرضَاه اللّهُ، ولا أمرَ به، بل أفاضـاه من تلقاء نفسَيـهما، وأضلاّ به الخلائق في أقطار الأرض»[١٧٩].

محـمّد وعلي «همـا النَحسَان العظيـمان. لمّا اقتـرنا واتّفقـا وَأُتلَفَا وامتَزَجَا، خـرجَ من بينهما جميعُ العقائد الفـاسدة والتكاليفُ والعباداتُ المحرِقةُ والطرائقُ الـرديّةُ. وجميع ما في الناس من الفـسـاداتِ والمعاصي، مِن مبتدإِ الدنيا إلـى يومِ القيامة فهو منهما ومن تأثيـرِهما ومن مادّتِهما وبحرِهمـا الآجنِ الزّعاق. فـالأسـاسُ (علي) مُـعِينُ الناطقِ (محـمّد) على جميعِ مفاسِده لَعَنَهُ اللّه»[١٨٠].

وعلِي، بالنسبـة إلى محمّد، هو «زوجتُـه وأليفُه وحليفُـه وسديقُه على المروق والفـسـوقِ والعقـوقِ، لأن النتـائجَ الإبليـسيّـةَ والنوامـيسَ الشركيّةَ من بينهما ظهرتْ، ومنهمـا خُلِقَتْ، وإليهما نُسِبَتْ. فلا محرَّمٌ في الدنيا إلاّ وَهُـما أصلُه»[١٨١]. ثمّ إنّ «كلَ علومٍ فاسـدةٍ برزتْ منهمـا. فهي فروعٌ من هذا الأصل»[١٨٢].

٢ً – وشريعـة علِي المسمّاة بـ «البـاطن» أخطرَ على الموحّدين من شريعة محـمّد، لأنّ غايتَها في تأليهِ علِي تلامِسُ عقيـدةَ أهلِ التوحيد في تأليه الحاكم. لذلك فإنّ «شريعةَ الأساس مـضلّة لمنْ تَبِعَها ومَشَى عليها، لأنّ غايتَـها ومـقصـودَها ومقـتضَاهـا ألوهيّةُ الأساسِ وألـوهيّةُ أولادهِ

(١٧٨) تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد التنوخي، ص ٧٣.
(١٧٩) المرجع نفسه، ص ٤١٢.
(١٨٠) المرجع نفسه، ص ٣٦.
(١٨١) المرجع نفسه، ص ٣٧، مخطوط رقم ١٤٣٩، ورقة ٢٥ أ.
(١٨٢) المرجع نفسه، ص ٣٨، مخطوط، ورقة ٢٥ب.

وأولادِ أولادِه... فصارتْ هذه العقيدةُ الفاسدةُ مضلّةً على كل حال»[١٨٣].

ومن ذلك ما ينقله أتباعُ علي عنه قوله: «أنا اللّهُ ربُّ العالمين». ويعلِّق على هذا القول أحدُ مفسّري الحكمة: «كَذِبَ اللّعينُ خَزاه اللهُ ... فهو أعْجَزُ العَجَزَة»[١٨٤].

وبسبب هذا الاعتقادِ الفاسد، سُمّيتْ شريعةُ عليّ بـ «الشرْك». والشرك أخطر مِنَ الكفرِ والتلحيدِ، لأنّه يعملُ في السرّ، ويَنفُذ إلى العمقِ، ويبدّلُ الحقائقَ، ويَسري خِفْيَةً «لأنّ الشرك أخفى من دَبيبِ النملةِ السوداءِ على المسحِ الأسودِ في الليلة الظلماء»[١٨٥]. فعلى الموحدين أن يتنبّهوا وان يعلموا «أنّ الشركَ خفيٌّ المدخَل، دقيقُ السترِ والمَسْبَل. وليسَ منكم أحدٌ إلاّ وهو يُشرِكُ ولا يَدري، ويَكفُر وهو يَسري، ويجحَدُ وهو يَزدري. وذلك قول القائلِ منكم بأنّ مولانا سبحانَه صاحبُ الزمان، أو إمامُ الزمان، أو قائمُ الزمان، أو وليُّ اللّه، أو خليفةُ الله، أو ما شاكلَ ذلك من قولكم: الحاكمُ بأمر اللّه، أو سلامُ اللّه عليه، أو صلواتُ اللّه عليه.. فهو الشرْكُ بعينِه»[١٨٦].

فخطرُ الشرك يكمنُ إذاً في سهولةِ الخَلطِ بين أوصافِ علي بن أبي طالب وأوصاف المولى الحاكم: لقد «صحَّ عند الموحِّد بأنّ الشركَ الذي لا يُغْفَر أبداً بأن يُشْرَكَ بينَ علي بن أبي طالب وبينَ مولانا جلّ ذكره»[١٨٧]. من أجل ذلك يجبُ الحَذَرُ والحِيطةُ. ولأجل ذلك تكون

---

(١٨٣) تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٥.

(١٨٤) المرجع نفسه، ص ٧٢.

(١٨٥) رسالة النساء الكبيرة، ١٨/ ١٩٦.

(١٨٦) رسالة البلاغ والنهاية ٩/ ٧٤.

(١٨٧) رسالة الردّ على النصيري ١٥/ ١٧٢.

الباطنيّـة التأويليةُ، لعنـةُ اللّه عليهم[١٨٨]، على الموحّدين شرّاً مـستطيراً. ولهــذا «صــار علي قُــبْلَةَ المشــرِكين في أقطـارِ الدنيـا، شــاءوا أو لم يشاءوا»[١٨٩].

٣- أمّا مآخذ الموحّدين على شريعة عليّ فكثـيرة، لأنّ فيها فروعًا كثيرةً فاسدة تضلّ وتعمي مَن سلَكها:

من جـملة ذلك مـا يُسـمّى بـزواج المتْـعَـةِ، وهو «أنّ الرجلَ يأتي الامرأةَ فـيوافـقُهـا على شــهورٍ مـعلومةٍ بِدَرَاهِمَ مـعلومةٍ، وَيجـعلُ ذلك فريضـةً عن تراضٍ منهما. فإذا تمّ ذلك الأجَلُ وقبضتْ تلك الفريضـةَ، فإنْ أرادَ أن يصرفَـها أصـرَفها، وإن أرادَ جـدَّدَ لها فـريضـةً أخـرى، وأقامتْ عندَه، أو تأتيـه إلى تمامِ تلك الفريضــة. وذلك قوله (أي قـول محـمّد في القرآن): " ولا جَنَاحَ عليكم فـيما تراضَـيتم به مِن بعدِ الفـريضةِ. إنّ اللهَ كانَ عليماً حكيمًا»[١٩٠].

«فقد نَسَخ (محـمّـد) لهذا الحكم، ونقضَ جميعَ شروطِه في أبوابِ النكاح، وآلَ أمرُ أمّــته إلى الهَرَجِ والفِـسقِ والسِفاحِ. وإذا كـان ذلك كذلك فقـد بطلتْ من قلوبِ الآباء صــحّةُ الأولاد، والتبـستْ بالحقـيقـة أنسابُ العِباد»[١٩١].

ويعلّقُ الأمـيرُ الـسيّـد بقـوله: «فهـذا زِنا صــريح. وهو ثابتٌ في

(١٨٨) تفسير كشف الحقائق، ص ٣٣٠.

(١٨٩) المرجع نفسه، ص٤١.

(١٩٠) رسالة التبيين والإستدراك ٧١/ ٦٠٩ - ٦١٠.. سورة النساء ٤-٢٤.

(١٩١) تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٦.

شريعةِ الأساس (علي) إلى الآن»[١٩٢].

«ومن جملة ذلك أيضاً في بلادِ الحجاز قومٌ حُسَينِيَّةٌ منسوبين إلى الحُسَين بن علي، فسَّاقٌ مُرَّاقٌ، فيرسِلُ هؤلاءِ الفسَقةُ نساءَهم إلى الحجاز ويُرَخِّصوا العِرْضَ في بذلِ نفوسِهنَّ لأولئكَ الفسقةِ الحسَينيّة، رجاءَ أنّهنَّ يأتيهنَّ بأولادٍ حُسَينِيّة. وهذا زنا محض. لعنَهم اللّهُ ثم لعنَهم. ما أشد فسقِهم وأشدّ ضلالِ مذهبِهم أصلاً وفرعًا.

«فصارتْ شريعةُ الأساس مضلةً بهذه الأسباب. ومَن تعلَّق بها احترقَ وذاب. وغيرُ هذه (الامور) المُعَيَّنَةِ فروعٌ كثيرةٌ فاسِدةٌ في هذه الشريعة الشركيّة»[١٩٣].

٤- أمّا أصحاب عليّ وأتباع شريعته فهم أهل الباطن والتأويل، «الواقفون مع اللّعين صاحبِ الباطن»[١٩٤]. هؤلاء كانوا على الموحِّدين أشدَّ خطراً من أهلِ الظاهر والتنزيل، لأنّهم استَسْهَلوا الدخولَ في دعوة التوحيد نظراً للتقاربِ الحاصل في العقيدة والنَسَب. يقول أحد مفسّري الحكمة: إنّه «في السنَةِ الثامنةِ دَخَلَ مع الموحّدين في الدّعوةِ خَلْقٌ كثيرٌ من أهلِ التأويل، ورافقوهم في الإقرارِ لا غير، ولم يكتُبوا عليهم مَواثِيقَ. وكانتْ إجَابتُهم رِياءً ونِفاقًا لأجلِ العزّ والجاهِ. وأيضا لمّا كانَ الموحِّدُون[١٩٥] مرافِقِيهم في الأنساب الجسمانيّة[١٩٦] فمَالُوا إلى الإقرارِ

(١٩٢) المرجع نفسه، ص ٧٢٧.

(١٩٣) تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٧.

(١٩٤) رسالة النساء الكبيرة ١٨/ ٢٠١.

(١٩٥) في الأصل: «كانوا الموحدين».

(١٩٦) أي أن الموحدين وأهل التأويل كلاهما من فروع شيعة عليّ.

تَشَبُّهًا بالموحِّدين»[١٩٧].

بسبب انتساب أهل التأويل إلى الموحدين، نتج خطرٌ عظيم. ولم توفّرْ كتبُ الحكمة الطعْنَ بهم ولَعْنَ تعاليمهم الفاسدة، فكتبَ بهاءُ الدين المقتنى رسالةً بعنوان «ذكرُ الردّ على أهل التأويل»، يخاطبهم فيها بقوله: «يا سَهَوَة.. ويا غَفَلَة.. ويا بَلَسَة.. يا مَثَلَتَ البهائم، ويا سَلَبَة العزائم.. يا خَرَصَة.. يا ظَلَمَة.. يا أهلَ النَصَفَة.. لقد ادّعيتم البهتانَ، وسلكتم طريق العدوان»[١٩٨].

ويومَ يحينُ زمنُ المَعَاد الأخير لن يبقَ من أهل التأويل واحدٌ أمامَ جبروت قائم الزمان. وعندئذٍ سوف يُقضى على شريعتهم الشركيّة، «ويُخْمَدُ حَرُّها ويضمحلُّ العَوار»[١٩٩]، وينتصر دينُ التوحيد.

---

(١٩٧) مخطوط «مختصر البيان...»« رقم ١٤٤١، ورقة ٧٠ ب– ٧١ب.

(١٩٨) رسالة ذكر الردّ على أهل التأويل ٦٧٨/٧٥ – ٦٨٣.

(١٩٩) السيرة المستقيمة ١٢/ ١٢٤.

سادساً - نقض دعائم الإسلام جملة

قيل في الحكمة : «لا تستَحسِنوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن. ومن جملةِ الخبائثِ الدعائمُ السبعةُ الذينَ هم: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والولاية»[٢٠٠]. هذه «الفواحش» و«الخبائث» قد نقضَها الموحِّدون واحدةً فواحدةً، ظاهرَها وباطنها، أصولَها وفروعَها؛ وألّفَ قائمُ الزمان في نَقضِها رسالةً سمّاها: «الكتاب المعروف بالنقضِ الخفيّ»[٢٠١]، وبيّن، في سيرةِ الحاكم بأمرِ الله وتصرّفاتِه وتعاليمِه، كيفيّةَ نقضِها وبطلانِها دعامةً دعامةً.

أ - نقضُ الشهادتين: «لا إله إلاّ اللّه / محمّد رسول اللّه». إنّها تعني عند الموحّدين غير ما تعنيه عند المسلمين. فهي دلالات لمداليل مختلفة: فـ« لا إله إلاّ اللـه» كلمتان: «لا إله/إلاّ اللّه»، الأولى سلبيّة، الثانية إيجابيّة، هما دليل على «العقل والنفس». وهي أربع كلمات: «لا / إله / إلاّ / اللّه»، وهي دليل على الأصلين والفرعين في المذهب: العقل والنفس والكلمة والتالي. وهي سبعة مقاطع صوتيّة دليل على النطقاء السبعة، والأوصياء السبعة، وسبعة أيّام الأسبوع، وسبع سموات،

---

(٢٠٠) تفسير كشف الحقائق، ص ١٨٤، مخطوط ١٤٤٠ ورقة ٧٩أ.

(٢٠١) كتاب النقض الخفي، رقم ٦ من الجزء الأول، ص ٤٩ – ٦٣.

وسبع أرضين، وسبعة جبال، وسبعة أفلاك.. وهي أخيراً أثنا عشر حرفاً، دليل على إثني عشر حجّة أساسيّة لدعوة التوحيد.

أمّا الشهادة الثانية «محمّد رسول الله» فلها أيضاً مدلولات: فهي ثلاث كلمات «محمّد/رسول/اللّه» دليل على ثلاثة حدود التوحيد: النفس والكلمة والتالي. وهي ستّ قطع دليل على ستة نطقاء أصحاب الشرائع الناموسيّة التكليفيّة الذين يخرج منهم محمّد بن إسمعيل لأنه لم يكن له شريعة. وهي إثنا عشر حرفاً دليل على إثني عشر حجّة بإزاء الحجج السابقة، وكذلك السماء ١٢ برجاً، والأرضون ١٢ جزيرة... الخ.

فالمقصود التوحيدي، إذاً، من هاتين الشهادتين ليس هو نفسه مقصود المسلمين. و الدروز يقولونها فيعنونَ بها أمرًا من دينِهم. إنّها ترمزُ عندهم إلى بطلانِ محمّد والإسلام والمسلمينَ كافّة[٢٠٢].

٢ – نقض الصلاة: يأمر القرآن بإقامة الصلاة في خسمة أوقات. ويقول: من تركَ صلاتَه ثلاثًا متعمِّداً فقد كَفر. ويأمرُ بقوله: صَلِّ لِرَبِّكَ وأنْحَرْ[٢٠٣]. فالصلاةُ والنَحْرُ إذاً واجبانِ على المسلمين.

إلاّ أنّ «مولانا، عند الدروز، له سِنينَ بكثرةٍ ما صَلّى بنَاس، ولا صلّى على جَنازة، ولا نَحَرَ في العيدِ.. فَعلِمْنا بأنّه قد نَقَضَ الصلاةَ والنَحْرَ.. وأنّ لعبيدِه رخصةً في تركِهما»[٢٠٤]. أمّا الاوقاتُ الخمسةُ ثم الثلاثةُ فتعني الحدودَ الخمسة: ألعقل والنفس والكلمة والسابق والتالي ثم الجدّ والفتح والخيال، ومن أنكرَها فقد كفر.

---

(٢٠٢) أنظر النقض الخفي ٦/ ٥٠–٥٤.

(٢٠٣) سورة الكوثر من القرآن ١٠٨/٢،

(٢٠٤) النقض الخفي ٦/ ٥٥.

فالصــلاة، بحسب دين التوحــيد، بِمَعْنَـيَيْهَا الـظاهِرِ والباطن، هي «صِلةُ قلوبِكم بتوحيـدِ مولانا. هذه هي الصلاة الحقيقـيّة دون الصلاتين الظاهر والباطن»(٢٠٥). وجميع ما يتبعُ الصلاةَ من نَحْرٍ، وَحَجٍّ، وتضحيةٍ وصومٍ، وفطرٍ، وَترْويَةٍ، وخروجِ الناسِ إلى مِنًى، ويوم عـرفة «إنّما كانت جائزةً في دورالسِّتْر. وإنّمـا حينَ ظهرَ تعالى بالألوهية، في دَور الكشف، فقد عَرف حقيقتها مَن سلّم للنهي والأمر»(٢٠٦).

٣– نقض الزكـاة: «أسـقطَهـا مـولانا جلّ ذكـرُه عنكم بالكليـة». و«بطَّل باطنَ الزّكاة.. كـما بطَّل ظاهرَها. وأنّ الزّكاةَ غـير ما أشـاروا إليه (المسلمون). وأنّه في الحقـيقةِ توحيدُ مولانا. وتزكيـةُ قلوبِكم وتطهيرُها من الحالتين جميعًا، وتركُ ما كنتم عليه قديمًا»(٢٠٧).

٤– نقض الصوم: لمّا ظهرَ «مولانا هَدَمَ الصـومَ بكمالِه مدّةَ سِنينَ بكثـرةٍ بتكذيب هذا الخـبر: صُـوموا لرؤيـته وافطروا لرؤيتـه (أي رؤية الهلال)، وأَمَرَنَا بالإفطارِ في ذلك اليوم الذي يعـتقد(ون) المسلمون كلُّهم بأنّه خاتَمُ الصوم ولا يُقْبَلُ منهم الشــهر إلاّ بصيامه. ولا يكونُ في نقض الصوم أعظمَ من هذا ولا أبينَ منه لمنْ نَـظَر وتفكّر وتدبَّر». والصوم، عند الموحِّـديـن، هو صـومٌ عن الأكل والشــرب، أي عن شـريعـتَـى الظاهر والباطن. وذلك يعني أنّ الصومَ هو «بـالحقيقة غيـر الصومَين المعروفين من الشريعَتين، وهو صيانةُ قلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره»(٢٠٨).

---

(٢٠٥) المرجع نفسه ٦/٥٦.

(٢٠٦) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/٦٦٢، أنظر: ٤١/٣١٥–٣١٧.

(٢٠٧) النقض الخفي ٦/٥٧.

(٢٠٨) النقض الخفي ٦/٥٧ –٥٩.

٥- نقضُ الحجّ: قال القرآن: «ولله على الناسِ حجُّ البيتِ مَن استطاعَ إليه سبيلاً»(٢٠٩). وقال أهلُ الظاهر، نقلاًعنَ الناطقِ: إنّ الحجَّ هو المجيءُ إلى مكّة والوقوفُ بعَرَفَات وإقامةُ شروطِه.. ومَنْ دخل الحَرَمَ كان آمنًا..

إلاّ انّ الدروزَ رأوا في هذا الحَرَمِ قَتْلَ الأنفسِ ونَهْبَ الأموالِ. وشاهدوا داخِلَ الكعبةِ السَّرِقَةَ. لذلك فإنَّ جميعَ ما يعمله المسلمون من «شروطِ الحجّ فهو ضَرْبٌ من ضُروبِ الجنونِ: منْ كشفِ الرؤوسِ، وتَعْرِيَةِ الأبدان، ورمي الجِمَار، والتَّلْبِيَةِ من غيرِ أنْ يدعوهم أحدٌ. وهذا مِنَ الجنون... ومولانا جلّ ذكره قد قَطَعَ الحجَّ سِنينَ كثيرةً، وقطعَ عن الكعبةِ كَسْوَتَها. وقَطْعُ كَسْوَةِ الشيءِ كشفُه وهَتْكُه ليبيّنَ للعالمِ بأنَّ المرادَ في غيرها، وليسَ فيها منفعة»(٢١٠).

وفي تفسير «الحكمة» لقول القرآن: "فَلْيَعبُدوا ربَّ هذا البيتِ الذي أطعَمَهم مِن جوعٍ وأَمَّنَهم مِن خوفٍ"(٢١١) أنّ البيتَ هو توحيدُ مولانا؛ وربَّ البيت هو مولانا؛ والجوع يعني الظاهر؛ والخوف يعني خوفَ الشكوكِ من الوقوفِ عند الأساس»(٢١٢).

٦- نقضُ الجهاد: بالجهادِ «قامَ محمّدٌ وأظهرَ الإسلامَ، وجعلَه فرضًا على سائر المسلمين كافّةً. وقد رَفَعَه مولانا عن سائر أهلِ الذمّة». وَنَقَضَ باطنَ الجهادِ وظاهِرَه. والجهادُ الحقيقيُّ، عند بني معروف، هو

(٢٠٩) سورة آل عمران ٣/ ١٧.
(٢١٠) النقض الخفي ٦/ ٥٩ -٦٠.
(٢١١) سورة قريش ١٠٦/ ٤-٥.
(٢١٢) النقض الخفي ٦/ ٥٩-٦١.

«الطلبة والجهْدُ في توحيدِ مولانا ومعرفَتُهُ، ولا يُشرِكُ به أحدٌ من سائر الحدود، والتبرّي من العدم المفقود»[٢١٣].

٧- **نقض الولاية**: قال القرآن: "أطيعوا اللّهَ وأطيعُوا الرسولَ وأولِي الأمرَ منكم"[٢١٤]. وقالوا (كذا) أهلُ الظاهرِ وسائر المسلمين كافّة بأنّ الولاية لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكانت في بني أميّة، ثم رجعتْ إلى بني العباس. وكل واحد منهم إذا جَلس في الخلافةِ كانتْ ولايته واجبةً على المسلمين كافّة».

«وقد نقضَها مولانا جلّ ذكره وكتبَ لعنةَ الأوّلين والآخِرين على كل بابٍ، ونَبَّشَهُم من قبورِهم»[٢١٥]، وأصبحتِ الولايةُ الحقةُ لقائمِ الزمان.

***

هكذا، وبهذه الصورة، قضى دين التوحيد على كل ما يقوم عليه الإسلام، في ظاهره وباطنه. فهدم أركانَه، وأبطلَ تعاليمَه، ونقضَ أسُسَه، وأوّلَ آياتِ القرآن بما يوافِقُ مبادئَه، وَطعَنَ بنبوّةِ محمّد، وبولايةِ علي وإمامتِه، واعتبرَ أنَ كلَ ما في كتابِ المسلمين من تعاليم سامية يشيرُ إلى دعوةِ التوحيد، وإلى قائم الزمان وحدودِ الدعوة: فـ «بسم اللّه الرحمن الرحيم»، مثلاً، تعني «صفات الإمام وحدوده»؛ و«الجنّة» تعني التوحيد؛

(٢١٣) المرجع نفسه ٦-٦١.

(٢١٤) سورة النساء ٤/ ٥٩.

(٢١٥) النقض الخفي ٦/ ٦١-٦٣.

و«النار» هي الشرك؛ و«طُول الجنّة» هو العقل؛ و«عرضُها» النفس، و«مُمدّ القرآن» هو سلمان الفارسي، أحد تجلّيات العقل الأوّل في أيّام الناطق محمّد.

ولئن اعتمدَ الموحّدون على القرآن وتَلوا أياته فالمقصود، إذاً، من كلّ ذلك غيرُ مقصود المسلمين. وكم مرّة يصلّي الدروز على محمّد جَهْرًا ويذكرون اسمَه الطيّبَ على مسامعِ الناس، ثم يُدمدِمون في سرّهِم «لعنَ الله مَن ذكرنا» أو «لعنةُ الله عليه»[٢١٦]، أو يتنحنحون عند ذكره[٢١٧]...

هذه الدعائم الإسلامية السبع التي نقضَها قائمُ الزمان، ونسخَ بها شريعةَ محمّد بتمامِها وكمالِها، وضعَ مكانَها سبعَ دعائم توحيدية، سنراها فيما بعد[٢١٨].

---

(٢١٦) كما روى أحد الشيوخ الموحدين الافاضل...

(٢١٧) سؤال ١٠٢ من تعليم الدياة الدرزية.

(٢١٨) أنظر ٨/٧٢، ٧/٦٦، ٩٩/ ٧٤ و٨، ١٠/٨٨، ١٦/ ١٧٩، ٤١/ ٣١١، ٤٥/٣٤٨...

سابعا - مصير مكة وبيت الكعبة

لم يبق فـي الإسـلام شيء الاّ طُعِـنَ به: مـحـمّـد هـو «الإبليس الأعظم»، والإسلام «شـريعةٌ إبليسـيةٌ تكليفـيةٌ»، والقرآنُ «أمَـدَّهُ سلمان الفارسي»، ودعائمُ الإسلام «نُقِضَتْ أصـلاً وفرعاً»، ألعجائب التي جرتْ على يديّ مـحمّد «كـذِبٌ وتدجيلٌ»، وعـلي بن أبي طالب «أنجسُ خَلْقِ اللّهِ بعـد محمّـد»، والمسلمـون «في فهـمِهم للحقِ والحـمكة أبلهُ من الحـمار والبَغلِ»، والخلفاء الراشدون «نُبشوا من قبورهم»، واللّه ،كما يُعَرِّفُ عليه الإسـلام، «عَدَمَ وكَـلا شيء»، مِـسخٌ مُـتَعَـالٍ قـابِعٌ على عـرشِـه فـوق السموات السبع...

بقي النظرُ في«مكّة» محجّةِ المسلمين، وفـي «الحجرِ الأسود» قبلةِ المؤمنين. فمـا رأي «الحكمة» فيـهما؟ وكيف يكون مـصيرُهمـا في اليوم الأخيـر؟ قد تُدْهَشُ بمـا ستَقْـرأ، وقد لا تصـدِّقُ ما تَرى عـينَاك. ولكنّ الأمـانةَ تقضـي علـينا الدقّةَ في النَـقْلِ والعَرضِ، ولو سَـئِـمْتَ من كثـرةِ الترداد وحَشْدِ النصوص. وها نحن ننقل ما جاء في الرسائل وشروحات أحد أكبر زعماء الفكر عند الدروز. تسمّع:

حمـزة يحذّرُ من الـركون إلى الكعـبة والحـجر الأسود. يـقول: «ألحذَر الحذَر من الأقاويل الشركـيّة والأفعال الكفريّة. لا تركنوا إلى بيتٍ

خَراب، ولا تجلسوا تحتَ ركنٍ معاب... فتهلكوا عن بكرةِ أبيكم بالجوعِ المدام والعطشِ التمام»[٢١٩].

وبهاء الدين المقتنى يعجب «من قوم قَطَعوا المفاوِزَ، ولَقَوا في سَفَرِهم الهزاهِزَ، إلى بلدٍ لم يكونوا بالغيهِ إلاّ بِشَقِّ الأنفسِ قَصْدًا إلى حَجرٍ أسود، وبيتٍ جَلمد، ليس فيه حياةٌ ولا نطق. فأيّ عَجَب أعجبُ من قومٍ هذا فعلُهم؟! فيا ليتَ شِعري ما نفعُهم من تَقبيلِ الحجر الأسودِ؟.. هل فعلُهم إلاّ كفعلِ النصارى في الصليب؟ بل هم أشدُّ عُتُوّا، لأنّ الصليبَ موجودٌ في كلِّ البلاد، والحجرَ الأسود يُسَافِرُ إليه أهلُ الضلالةِ من جميع العِباد»[٢٢٠].

أمّا في نهاية الأزمنة فستُدَكُّ مكّة على رؤوسِ حَجيجها دكّاً، سَيُحَطَّم ركنُها، ويسقُطُ حَرَمُها، ويُهْزَمُ المسلمون كافّةً أمام قائمِ الزمان كـ «البهائمِ والغنَمِ. ستهلِكُ مَقْطَرَةُ الكفرِ أعني مكّة»[٢٢١]، وستُهْدَمُ أسْوَارُ «دارِ الفاسِقين ومَقيلِ الأبالسة والشياطين»[٢٢٢]، وستدورُ «رُحَى الخَسفِ بديارِ الأنجاس»[٢٢٣]، وستَبورُ «مِن أطرافِها أرضُ الطغاةِ الفَسَقَةِ المكذِّبين»[٢٢٤]...

يومها، سيكونُ النصرُ والغَلَبَةُ للموحِّدين، وتُرفَعُ رايةُ قائمِ الزمان فوقَ الجبال على رؤوسِ جميع البشر. وينتهي العالَمُ، ويرتوي غليلُ أبناءِ

(٢١٩) رسالة البلاغ والنهاية ٩/ ٨١.

(٢٢٠) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٣٣.

(٢٢١) رسالة الى أهل اليمن ٦٠/ ٤٧٢، تأديب الولد العاق ٦٣/ ٤٨٩.

(٢٢٢) تمييز الموحدين ٦٦/ ٥١٧، القاصعة للفرعون الدعي ٦٤/ ٤٩٣.

(٢٢٣) التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٣.

(٢٢٤) تمييز الموحدين ٦٦/ ٥١١.

حمزة بـ «أخذِ الثأرِ لدماءِ الموحِّدين المظلومين»[٢٢٥].

إليكم ما تقوله الحكمة في نصوصها، مع توضيحٍ وتفسير:

«قد أَفَلَ شمسُ الدجالِ الأعورِ (محمّد) وَقَمَرُه (علي) في المحاق.. وتزلزلت أرضُه (مكّة) بالخَسْفِ... إذا تبلّجَ صبحُ اللّيلة الغراءِ (أي التوحيد في اليوم الأخير)، وقُطِعَ رأسُ النِحَل الشركيّة (مؤسّسو الأديان والمذاهب)، وقُضِبَ سَنَامُها (أي محمّد).. إذا تهتّكتْ أستارُ الإبليسِ الأعظمِ مؤسِّسها في القديم (أي الضد).. عند ذلك تهتزُّ الممالكُ بأقطارِ المعمورةَ... إذا طلعتْ راياتُ المَلِكِ المظفَّرِ المسعودِ (حمزة) من الفجِّ العميق.. وأدارَ بديارهم (ديارِ المسلمين: مكة) رُحَى المنون.. وفاضَ طوفانُ القيامةِ بيَعْبوبِ الدماء، وتَعَنْجَرَ شؤبوبه لِهَدْمِ دَارِ الفاسقِين (مكة) وَهَمَا.. فكسفَتْ شموسُ (خلفاء) دجّالِ السُها (محمّد)... فانتبهوا أيّها الغفلةُ المكذِّبون (أي المسلمون)»[٢٢٦].

في اليوم الأخير إذا «صاحَ صائحُ القيامة والنشور (حمزة)، وآنَ البعثُ لِمَنْ في الاجداثِ والقبور.. أينَ المفرّ؟.. إذا استُلَّ من غمده الصارمُ الذَكَر (حمزة)، واقتدَحتْ بالنار والشَّرَرِ، وأتتِ السماءُ بغَبَشِ الأثيرِ والدخان، واسودَّ لِعِظَمِ يومِه الأفُقَان، وأظلمتِ الأقطارُ لهلاكِ أولادِ الشيصبانِ (أهل التأويل أصحاب علي)، وانكشفتْ شمسُ الرجيمِ الدّجّال (محمّد)، وغاصَ في بحرِ الخِلافِ والضلالِ، وهتفَ بأهلِ النكثِ والارتدادِ طوفانُ السيفِ، وهلاكِ مَقْطَرَةِ الكفْرِ وهدمِها، أعني مكّةَ وأهلَ

---

(٢٢٥) انظر: «نظرية الثأر عند الدروز» فيما بعد.

(٢٢٦) رسالة الإيقاظ والبشارة ٥٦ / ٤٣٧ - ٤٤٠. أنظر الرسالة بكاملها.

الخيفِ. هنالك تبورُ الدجاجِلَةُ (الأنبياء) في الآفاق والأقطار»[٢٢٧].

وتُنَبِّهُ الحكمة عمّا ستؤول إليه مكةُ فتقول: «تنبّهوا يا أهلَ البصائرِ الحائرةِ... فعَنْ قليلٍ يتناهَى الأجَلُ محتومُ القَدرِ، وتنكسفُ شمسُ الدجالِ (محمد) لظهورِ القائم المنتظرِ (حمزة)، ويفتَضِحُ أهلُ الشكِّ والنكث والارتياب (أهل التنزيل وأهل التأويل والمرتدّون). إذا صَرَفَ فَنيقُ الحقِّ بالمِنْسَمِ والنَّابِ، وَضَرَبَ بِجرَانِه أعني مَكَّةَ مِنَ الكفرِ الْثَّبَج، وَبَقَرَ خاصِرَةَ الباطلِ وفَرَى المِنْحَرَ منه والوَدَج[٢٢٨].. إذا زَخَر بحرُ الحقائقِ (حمزة) من جانبِ الطورِ الأعلى (جبل مكة)، وضربَ مَوْجُهُ بالجريانِ فزلزلَ أركان الأرضين السفلا (وادي مكة)،وعصفت أرياحُه بالعذاب والسخطِ على عصاةِ الأممِ (المسلمين)، ودارتْ رُحَى الخَسْفِ بدِيَارِ الأنجاسِ (مكة) وحلولِ النِقَم.. هنالكَ تتّصلُ الأنوارُ ببصائرِ الموحِّدين، وينهضُ يَعْسُوبُ المؤمنين (حمزة)، ويتعالى ضياؤُه في الآفاقِ لكشفِ معلومِ الدينِ (الحكمة)، وتحلُّ أولياؤُه (الموحِّدون) بعد ظلمةِ الدجاجِلةِ (الأنبياء) بالحَرَمِ الآمين (الكعبة).. فحينئذ انتظروا يا أمّةَ السوءِ (المسلمين) صَيحةَ البَوار.. فيا لَهَا من نعمةٍ إذا ظهرَ الأعورُ دجالُ العربِ (محمّد).. فحينئذ

---

(٢٢٧) رسالة الى اهل اليمن ٦٠/٤٧٢.

(٢٢٨) «**صرف**»: صوت ناب البعير اذا حكّه على ناب آخر. «**فنيق**»: الفحل المكرّم من الجمال ممثوله حمزة. «**المنسم**»: خفّ البعير. «**جران**»: مقدم العنق. «**الثبج**»: العظيم. «**بقر**»: شقّ. «**فرى**»: قطع. «**المنحر**»: موضع النحر أو الذبح. «**الودج**». عرق في العنق يقطعه الذابح... المعنى جملة هو: عندما يكون حمزة في آخر الأيام امام أبواب مكة، متّخذا شكل حيوان جبّار مكرّم، عند ذاك يصرخ صرخة عظيمة تهتزّ لها أركان المدينة، فيرفس بخفيّه أبوابها الدهرية، ويضرب و ينطح بعنقه جدرانها، ويسقطها حجرا حجرا، حينئذ يزول عنها الكفر العظيم المتأصّل بها، ويشقّ الباطل المتحكّم في كعبتها، ويقطع شريان الحياة منها. هكذا تخسف ديار الانجاس الى الأبد.

انتظروا صيحةَ الفناءِ يا كَدَرَ الأممِ، ويا بقيَّةَ عَبَدَةَ العجلِ (محمّد) والصنَم (علي)»[٢٢٩].

ثم تتساءل الحكمة أيضاً: «أينَ يُتاهُ بعالَم النّجسِ والهلاكِ والمروقِ (المسلمين)؟ وأين المفرُّ بأهلِ الارتدادِ والخِلاف والفسوقِ (أهل التأويل)، من سَيْلٍ عَرِمٍ.. يهدمُ الأركانَ من نواميس الشرَع. أين يَذهبُ من شواظِه (غضب حمزة) أهلُ الكذبِ والنكثِ والزورِ، إذا همرتْ رواعدُه بالبعثِ جبالَ الحَرَمِ من جانبِ الطور، وتلألأتْ أنوارُه بالسقفِ المرفوعِ والبيتِ المعمور (مكة) ، وزمجرَ شؤبُوبُه بأرضِ البَحْرَين واليمامة، وسحَب ذيلَه بالخَسْفِ لمقطرةِ الكفرِ[٢٣٠] والبابِ الأعظمِ لتهامة (مكة)، وعكسَ دخانَه لِذَاتِ الفجاجِ والشعوبِ (أودية مكّة وشعابها)، وسَعَر نارَه بها لهدمِ الهيكل (الكعبة) وإحراقِ بصائرِ القلوب» (مكة)[٢٣١].

وتصفُ رسائلُ الحكمة الموحدين الدروزَ بـ «المرتقبينَ لهدمِ دارِ الفاسِقين (مكة) في ظلّ راياتِ حقّه وبنودِه (أي حمزة والحدود)، البريّينَ ممّنْ شطن عنه لِعَمى بصيرتِه، وشكّ في ظهورِه لطولِ الأمَدِ لِمَرضِ نفسه وضلالتِه وعنودِه، الذينَ عَيَّنتْهم أسفارُ حكمته بالبَلَس والنِفاقِ والطغيان»[٢٣٢].

لقد «آنَ هدمُ الحقِ (أي هدم حمزة لمكة) لِتمامِ المقدورِ (لقرب

---

(٢٢٩) رسالة التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨١ -٤٨٣.

(٢٣٠) أي حيث يتقطّر الكفرُ من جدرانها تقطيراً.

(٢٣١) تأديب الولد العاق ٦٣/ ٤٨٩.

(٢٣٢) القاصعة للفرعون الدعيّ ٦٤/ ٤٩٣. سترفع، بعد هدم مكة، رايات حمزة على جبالها ويدخل الموحدون اليها منتصرين...

الأجل) لِمَبَاني هُبَلِهم القديم العتيقِ (أي لأصنام الكعبة،)، وتزلزلتْ أرضُه (أرض البيت الحرام) للخسفِ بِمَتَالي آياتِهم ومدارسِ الشكِ والشركِ الحقيق [٢٣٣]، وتقضّتْ من أطرافها أرضُ الطغاةِ الفَسَقَةِ المكذّبين.. أما تنظرون إلى حكمة البار الحكيم، وإرساله الزلازل لزوالِ أستارِ البيتِ العتيق القديمِ، وهجومِ الرواجفِ لهدمِ المساجدِ والجوامعِ والبِيَعِ، إشارةً وأذانًا من الباري لِنَقْلِ الدُوَلِ وتمحيقِ الشرَع..

«أتقولون إنّ الصواعقَ النازلةَ بأستارِ المشعَرِ على رايكم والبيتِ الحرامِ، وشقَّها للركنِ من معبدكم والمقامِ، وخرابِ المساجدِ والجوامعِ والبيعِ ببلدِ الشام» [٢٣٤].

«فها هو قد قَربَ... قلعُ العلامةِ النجسَةِ المعيّنَةِ في كتابِ دانيال بهيكلِ الدجّالِ الخبيثِ الاعور الفاجر (محمّد).. وصرختْ بأرجائها (أرجاء الكعبة) البِكرُ الهَمُوس، وطَحَنتْهم بأثقالها العَوانُ الضَروس، وكَشَرَ للكشفِ عن نابِه الرئبالُ الفروس، وهَدَر فَنيقُ الحَقِّ بالصواعِقِ والأرجافِ، ونَهض لأخذِ الثأرِ ساداتُ الأممِ رجالُ الأعرافِ، وقامَ لنصرةِ أسباطِ الدينِ لهلاكِ آلِ الشطنِ والإباقِ والخِلافِ، وأحيطَ بذاتِ الفِجاجِ دارِ الفاسقين، وهَدْمِ مَقِيْلِ الأبالِسَةِ والشَّياطين» [٢٣٥].

---

(٢٣٣) «متالي آياتهم»: الجوامع الكبار. «مدارس الشك»، أي المدارس المظلمة التي نشأت في الإسلام (الدرر، ص ٣٩٢).

(٢٣٤) «المشعر»: علامات الحج (الدرر، ص ٢٠٧).

(٢٣٥) **البكر الهموس، والعوان الضروس، والرئبال الفروس، وفنيق الحقّ**... كناية عن حمزة. وهي ألقابه وأسماؤه في اليوم الأخير عند هجومه على مكّة ودكّ مقدّساتها دكًا. وذلك لأن مكّة هي المكان الذي تجد فيه الابالسة والشياطين راحتهم، ويأخذون فيها قيلولتهم بعد عنائهم الكبير في إفساد الخلق. تمييز الموحدين ٦٦/ ٥١١-٥١٧.

في اليوم الأخير، حينَ يتجلّى الحاكمُ من جديد، ويظهرُ قَبْلَه صفيُّه قائمُ الزمان حمـزة «بالعسكرِ العظيم، فيظهرُ من الشرقِ حـتمًا، ويَسْحَبُ ذيلَه قاصدًا بيتَ مكّـة، فتلاقيه ملوكُ الدنيـا من مشارِقها إلى مـغاربها.. وتخـرُّ الجبابـرةُ له بينَ يدَيهِ على رُكَبِـهم، وتجلسُ أعداؤه على الـتراب.. فيظهـرُ السيّـدُ العظيمُ، صلّى اللّه عليه، بعـسـاكرَ وعظـمات، ومعـجزات وآيات، وهيبـةٍ وسلطان، وعزٍّ وإمكان، وخـيلٍ شُزَّبٍ عـتاق، وزينةٍ تبـهرُ الآفاق.. فحينئذ يتجلّى الملكُ العـلاَّم، جلَّ جلالُه، ويظهرُ بينَ تلك العساكرِ بالقدرةِ الربانيّـة.. وفي ذلك اليومَ يأذنُ جلَّ جلالُه بخرابِ البـيتِ العتيقِ الذي هو الكعبة..

«واذا حلَّ بمكة يُجري الحقُّ سـبحانَه (الحـاكم) على يَدِه (يد قائم الزمان) أمورًا عظيمة، ما لا أذنٌ سمعتْ، ولا عينٌ رأتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَر.»[٢٣٦].

إنّه يوم عسيرٌ على مكة ومقـدَّساتِها. وقد يكونُ أخطرَ ممّا تُصبِحُ عليه مَـا قِيلَ عَنها. وقـد لا يصحُّ ما قيل فـيها. ولكنَّ مـا قيل فيـها دنّس قدسـيَّتـها. قد لا تُهـدَمُ أركانُ الكعـبة، إلاّ أنَّ اعتـبارَها «دارَ الفـاسقين» وتسميتَها «مقطرةِ الكفر»، ووصـفَها بـ «مقيل الأبالسة والشياطين، وبـ «ديارِ الأنجاس» ... وَصَمَها بعارٍ مشين.

(٢٣٦) تفسير كشف الحقائق، ص ٧٨١–٧٨٦.

ثامنا - العرب كثر فيهم الغدر والخيانة

لم يوفّر بَهَاءُ الدين المقتَنى بلدًا من بلادِ العَـرب وشعوبِها إلاّ وَجَّه إليهِ رسـالةً يدعوه فـيها إلى التّوحيد، أو يلومُـه على ارتدادِه وخيانته. إلاّ أنّ «أكثرَ العـربِ كان ذَمِيمًا؛ والمحـمودون كانوا خمسـةً لا غير»[٢٣٧]. لقد كتبَ إلى العربِ عـامّةً، وإلى أهلِ اليمنِ والأحسـاءِ وحلبٍ وجزيرةِ الشام وجبلِ السـمّاق ووادي التّيم، كمـا كتبَ إلى أهلِ العراقِ وإيران والـحجاز ومصـر وغيرها. ويبدو أنّه لـم يكن معهم على وفـاقٍ، ولم تظهرْ منه لهم أيّةُ مودّة. وقد وصَفَهم بشناعةٍ، وخصَّهم بالطَعْنِ والقذْف.

لقد كتَب الى العـرب «من أهلِ العِراقَين والزَوراءِ وما وَالاَها. وَمَنْ بأرضِ فَارِسَ وأقطارِها ومَـا وَرَاَها، وجميع الأمم السالِفـة والآنفةِ، أولي الأسـماء المتـبـاينةِ والمتـواطئـة والمترادفـة»، ووصَـفـهم بـ «أهلِ النكثِ والتـبديلِ والتـضـيـيعِ»، وبـ «أصحـابِ الأجسـامِ الخاليـةِ من الأرواحِ، والهيـاكلِ القائمـةِ كظلالِ الأشبـاحِ،» وبـ «عالَمِ التَلَفِ والبَـوارِ»، «الغفلة النوّام»، «أهلِ البلسِ والضـلالِ والعَـمى»، «أولي السَـغَبِ والسَـفسـافِ والظَمى».

---

(٢٣٧) كتاب الدرر المضيّة... باب «ب» فصل «ع»، ص ٣٨-٣٩.

إنّهم بنظره، «كشــوارد من الأنعامِ، أو كالعُجمِ الممنوعــةِ مِنَ الفهمِ والكلامِ»، الذين «يأتمرون لفــراعنةِ بني العبــاسِ ويَذكُرون نَجَـسَهم في صلواتهم». لقــد سَمِعُــوا تعاليمَ «الإبليس الأعــور الأشأم»، ووقــعوا في حبــائِله. ولمّا دخَل بعضهم في الدعــوةِ الجديدة، لم يلبثْ أن تَركهــا وخانَ دُعاتَها، لأنّ أكثــرَهم «أهلُ شكٍّ وشركٍ وارتدادٍ ومروقٍ ونفاقٍ»، مكذّبون، فَسَقة، مارِقون، سكارى ، «في بحرِ الجهالةِ والتفريطِ غَرِقون»[٢٣٨].

وليس أفضلَ منهم «أهلُ جـبلِ السمَّاق وأنطاكيــا والجُزُرِ والنُّقْرَةِ وجَنْدي قِنّسْرين وَعَزاز وحَلب وبَالَسَ والرِقّتينِ ونهرِ الخابور والجزيرةِ ومَنْبجَ ونهــرِ الجــوز والواديين ونهــرِ الذّهــب، الذينَ طغى عليــهم قَــرْنُ الشــيطان، وكــثُــرَ فــيهم أهــلُ الارتدادِ والنكثِ، الذين قــاتلوا الموحِّــدِين بأسلحتِــهم، وعَبَدوا العــجل (محــمــد) والجاموسَ (علي)». ويرجــو بهاء الدين «اللّه القدير أن يجتثَّ شَجَرَتَهم من أصولِها»[٢٣٩].

وقــد يكون سكّانُ «الشــامَين الأســفلِ والأعــلا، ومَنْ بالصعــيــد، والحجاز، وأرضِ اليمن، ومَن بالجزيــرة والعِراقَين الأبعدِ والأدنى»، أكثرَ شرّاً وفســادًا من كلِّ العرب، لأنَّ أكثرَهم «جهلة، غــفلة، نوّام، تَعامَوا عن الحقّ»، حتى أضــحوا «أخبثَ الأممِ، أشــباهَ البقــرِ والغنم». وهــم «أجلافٌ غلفُ القلوبِ، أولادُ البغايا العواهر»، «أهلُ الخلافِ فراعنةُ العرب»[٢٤٠].

ولكنّ بين العرب ساداتٍ آمنوا بالتوحــيد، ومنهم ستةُ أمراءَ من آل تنّوخ وفروعهم جَعَلهم بهاءُ الدين «ملوكًا على رِقابِ العَرَبِ، وحكّامًا فيها

---

(٢٣٨) رسالة الايقاظ والبشارة ٥٦/ ٤٣٥-٤٤١.

(٢٣٩) رسالة الحقائق والانذار والتاديب لجميع الخلائق ٥٧/ ٤٤٢-٤٥٢.

(٢٤٠) رسالة العرب ٥٩/ ٤٦٣-٤٦٧.

لأجل اعتناقِهم دينَ الحقِ، وهم من كريمِ النَسَبِ»[٢٤١].

غير أنّ صفاتِ أكثرِهم ذميمة رذيلة. فهم غدّارون، خائنون، سَهلُو الانقياد، لا دينَ لهم ولا وفاء. قال فيهم بهاءُ الدين: «...والطريقُ السَهلَةُ فهيَ مَع العرب، وقَد كَثُرَ فيهم الغَدْرُ وقِلَّةُ الوَفَاءِ بالذَمامات. وقد أذَلُّوا جَارَهم بَعدَ العزِّ، وخَانُوا في الرَفَائِقِ والأمانات. وأهلُ الديانةِ منهم أيضاً قَلِيْل، وقد شَسِعُوا عنّا لتغييرِ الأزمانِ والأوقاتِ»[٢٤٢].

أمّا أهل اليمن فهم، بنوع خاص، «الذين استعبدَهم الإبليسُ الأعظمُ (محمّد) الذي سَعَرَ نار ضلالتِه، وبثَّ غواته للفتكِ بأهلِ الحق... ونفثَ سُمَّ نَجَسِهِ في أنيابِهم... وقد ثاروا على الموحِّدين كالنمورِ الضارية والسباعِ، أو كالأراقمِ المزمنةِ والأفاعِ»[٢٤٣].

وأمّا أهلُ القاهرةِ والفسطاط الناكثينَ عن دعوةِ التّوحيد فقد سَيطر على عقولِهم الدجّالُ الرجيمُ الأجذعُ.. وهم أهلُ البصائرِ الحائرة الكليلة، أولو الأنفس السقيمة العليلة، وأهلُ الشكّ والنكث والارتياب. نفوسُهم نَجِسةٌ خبيثَةٌ طَمَسَ الرّانُ على عقولِهم، فمنعَهم التمييزَ بين الصحيحِ والسقيمِ. وهم أهلُ غدرٍ ونكثٍ، أمّةُ سوءٍ مَرَقة فسّاق، كَدَرُ الأممِ، وبقيةُ عَبَدَةِ العجلِ والصنمِ»[٢٤٤].

هؤلاء، كما يقول عنهم بهاء الدين: «أحَوجُونا إلى التغرّبِ..

(٢٤١) الجميهيرية، ٥٠/ ٣٦٥-٣٧١، أنظر ٦٨/ ٥٤٧.

(٢٤٢) رسالة السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٩.

(٢٤٣) رسالة اليمن ٦٠/ ٤٦٨ – ٤٧٣.

(٢٤٤) رسالة التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٠ – ٤٨٥.

ومنعُونَا التبرّكَ بِتُرابِ حَرَمِ الميمونةِ القاهِرَةِ»[٢٤٥].

ولم ينثنِ بهاءُ الدين عن قذفِ العربِ بالشتائمِ واللّعناتِ، فكتبَ إلى أهلِ وادي التيم «الأخيب»، وحلبَ «الملعونة»، وأهلِ القاهرةِ «العاجزةُ نفوسُهم عن قَبولِ الحقِ لإلفها الخبلِ والإنسفالِ، الخونةِ المنافقين الأنجاسِ المرّاقِ، الأفّاكينَ، الهلكةِ الأغفالِ، الكذبةِ المفترينَ، البهائمِ المهملينَ، الجحدةِ السوائم، حزبِ الضلال، آلِ البلسِ والشطنِ والعقوق والإباق.. الذين لا ينزجرون عن المجاهرة بالفسقِ والمحارِم، ولا يرتدعون عن السفهِ وارتكابِ المآثم، الذين مزجوا الحكمةَ بالوَساخَةِ، والذين ضلّوا العوالمَ بمدٍّ حبائلِ الإبليس»[٢٤٦].

مع هذا فـ «الدروز بعامّةٍ يعتقدون أنّهم عربٌ عريقون في العروبة، ما داموا ينتسبون في غالبيتهم إلى قبائل تنّوخ»[٢٤٧]، وحجّتهم في ذلك «أنّ أسماءَهم عربية»، وأنّهم «من أصح الفروع العربيّة لفظًا لبعض الحروف الهجائية، أي الثاء والذال والظاء والقاف»[٢٤٨]، وأنّ «لفظَهم بالعربي الفصيح لا يساويهم فيه أحدٌ من جميع سكان سوريّة»[٢٤٩]. ولا يكلُّ الدروز عن تبريرِ انتمائِهم إلى العربِ والعروبة. ويعلنون ذلك في كلّ مناسبة.

فأمينُ طَليع، لخوفِه من استلاب العروبةِ منه ومن بني قومه، لا

---

(٢٤٥) توبيخ ابن البربرية ٧٦/٦٨٨.

(٢٤٦) تمييز الموحدين الطائعين...٦٦/٥٨٨. ٥٢٥.

(٢٤٧) مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٦٣٧.

(٢٤٨) سليمان ابو عز الدين، مجلة المقتطف أصل الدروز » ص ٧٨ سنة ١٩٣٠.

(٢٤٩) شكيب أرسلان: «النقد التاريخي وعروبة آل معروف»، في مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، سنة ١٩٣١، ص ٤٥٥.

يفتأ يردّدُ بـ «أنّ الدروزَ عربٌ أقحاح»، وبانّه «لا يوجدُ في العرب الجالين عن جزيرة العرب أصحُ عروبةً منهم»[٢٥٠].

ومِثله حافظ أبو مصلح الذي يقول: «والدروزُ عَرَبٌ أقحاحُ، حافظوا على نَقاوة دمِهم منذ نشأتهم، فلم يختلِطوا بالأتراكِ ولا بالفرنسيّين. وهم يعتزّون بعروبتهم»[٢٥١].

ومِثلُه عبدالله النجّار الذي يَجعَلُهم «مضربَ الأمثال في ديار العروبة»[٢٥٢].

أمّا الشيخُ وديع تلحوق فيُزايدُ على مستعربي لبنان بقوله: «فكأنّما كان وجودُ الطائفةِ الدرزيّة في هذه البقعةِ العزيزة لبنان جاءَ ليحفظَ صِفَةَ العروبةِ والاستقلالِ الوطني بهذا الجزء من العالم العربي، عندما غمرته موجةُ الفتحِ الغربي في ذلك الحين»[٢٥٣].

وقد يكون صاحبا «تاريخ الموحّدين الدروز السياسي في المشرق العربي»، أشدَّ الغيارَى على عروبة الدروز الذين «ما عَرفوا في تاريخهم أيّ انتماءٍ سياسيٍ طائفي، بل كانوا دائماً حماةَ الأرضِ يُدافعون عن هويّتهم القوميّةِ العربيّةِ، ويَذودون عن هذه الأمةِ ضدَ غزواتِ الأجنبي ومطامعِ المستعمر». بل إنّ تاريخَهم إنّما هو تاريخٌ وطنيٌ يستطيعُ أن يعطيَ المواطن العربيَ أمثولةً صالِحَةً في النِضال الوطني»[٢٥٤]...

---

(٢٥٠) أمين طليع، أصل الموحدين الدروز، ص ٢٢ و٢٣.

(٢٥١) حافظ ابو مصلح، واقع الدروز...، ص ١١.

(٢٥٢) عبدالله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط٢، ص ٢٣٤.

(٢٥٣) دور الدروز في التاريخ الوطني، في كتاب الواقع الدرزي»، ص ٢١٨.

(٢٥٤) تاريخ الموحدين... ص ٩ و ١٠، انظر: ص ١٥ – ٢٦.

تاسعاً - موقف دروز اليوم من الإسلام

إنّ أدهشَ وأغربَ ما نُفَاجَأ به اليـومَ موقفُ الدروزِ المعاصرين من الإسلام والمسلمين. وقـد يَضيعُ قارئ الكُتبِ الدرزيّةِ المـعاصرةِ ضَيـاعًا كـاملاً لكثـرةِ مـا فيـها مـن مغـالَطاتِ. فـالدروز يُعلنون، في كلِّ حين، إنتماءهم إلى الإسلام، ويفتخرون بهذا الانتماء، ويسارِعون دائماً إلى ردِّ تهمةِ مُروقِهم عن الإسلام، حتى ولو لم يكنْ هناك متّهِمون.

وأكثرُ الكتبِ جرأةً في عَرْضِ العقيدةِ الدرزيةِ يحاولُ تبرئةَ الدروز من هذه التهـمة، ولو اضطُرَّ أحدُهم إلى انكار الحكمة والحـاكم والحدود جميعهم. والإنكار واجب، لأنّ «التَقيّة»، كمـا سترى ، ليست كتمانًا سلبيًا للحقيقة وحسب، بل هي تمويهٌ وتدليس وتضليل، وإظهار العكس.

صدرتْ عن جـامعة الأزهر فـتوى تعلنُ حقـيقـةَ إسلامِ الدروز، ارتاحَ إليـها الدروزُ والمسلمـون جمـيعـاً. جاء فـيهـا: «وحيث أنّ طائفـةَ الدّروز.. ينطقون بالشـهادَتين، ويؤمنون بالقرآن، وبما جاء فيه من أحكامٍ تتعلّقُ بالتوحـيدِ وبالتشريعِ، ولا يحصلُ منهم بجـانبِ ذلك إشراكٌ لأحدٍ مع اللّه، ولا مُناقضَةٌ للإسلام في قولٍ ولا عملٍ، فهم مسلمون، ولا يجوزُ لأحد حينئـذ أن يتّهمَهم بعدمِ الإسـلامِ، فإنّ اتّهامَهم بعدم الإسـلام يُثيرُ الفرقـةَ بين الجماعـةِ الإسلاميـة، وربّما كان هـذا الاتهّام مقـصوداً لتلك

الفـرقة المشـؤومة، ولـذلك نهى اللّه عن هذا الاتهّـام بقوله تعـالى: " ولا تقولوا لِمنْ ألقَى إليكم السلامَ لستَ مؤمناً " . واللّه تعالى أعلم»[٢٥٥]

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

محمّد عبد اللطيب السبكي

حافظ أبو مصلح، في كتابِه «واقع الدروز، معـتقداتهم، خلواتهم، أدباؤهم»، يقـول: إنّ الدروزَ «ينـظرون إلى المسلمينَ كـأخـوانٍ لهم.. والدروز، بالرغم من الافـتـراءاتِ التي كـانَ يُلقـيـهـا عليـهم المسلمـون الجاهلون، لا يتنكّرون للإسلام، ولا يعملَون ضدّه، ولا يحاوِلون المَساسَ به.. والمسلمـون اليوم يَعـيشـون في قراهم مـعزَّزِين مكرَّمـين»... «وأمّا أركانُ الإسلام الخمسة فلا ينكرونَها كما يُشاع عنهم»[٢٥٦].

وفؤاد الأطرش، في كتابِه: «الدروز، مؤامرات، وتاريخ، وحقائق»، يقول وكأنّه يردّ على منكرين: «الدروز إسلام. والإنكار كالإثباتِ لا يُغيِّرُ شيئاً من هذه الحقـيقة الساطعة»[٢٥٧]. ولكنّه، بعد ذلك، تقومُ قيامتُه على الذين لا يميّزونَ بينِ الإسـلامِ والدرزيّة، فيقول: قَرَأْنا الجـرائدَ ونقرأها، فـإذا هي لا تذكـر مـن طوائفِ هذا الوطن سـوى المسلـمين والنصـارى واليهود ... وهـي لا تشاء أن تذكرَ أنَّ في سوريا طائفـةً لها مقامُـها ولها نفوذُها، لهـا آدابُها ولها قوميّـتها، لها أخـلاقُها، ولها وطنيّـتُها، ألا وهي الطائفة الدرزيّة الكريمة»[٢٥٨].

---

(٢٥٥) نشرت هذه الفتوى في مجلة الضحى (الدرزية) الجزء الثاني عشر، كانون أوّل سنة ١٩٦٨/شوّال ١٣٨٨ هـ أنظر: أمين طليع، أصل الموحدين الدروز، ص ١٠٥ – ١٠٧.

(٢٥٦) حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٨.

(٢٥٧) فؤاد الاطرش، الدروز مؤامرات...ص ٩.

(٢٥٨) المرجع نفسه، ص ١٤ – ١٥.

والعجبُ كل العجب ان يقعَ السـفيرُ **عبـدالله النّجّار**، بعد عـرضِه الشيّقِ للعقيدةِ الدرزيّة واطّلاعِـه على نصوصِ الحكمة، في خطأٍ مثلَ هذا الخطأ... فهـو أيضاً يريدُ حشـرَ الدرزيةِ في الإسلام. يقـول: «إنّ مذهبَ التوحيـد يُوصِي بممارسةِ الفرائضِ الـقرآنية»[٢٥٩]. ويثبتُ رأيَه بما جاء في «السجل المعلّق»، وبفتوى محـمّد شلتوت، شيخ الأزهر، الذي أصدَر البـراءة من الأزهر بقـوله: «لقـد أرسلنا من الأزهر بعـضَ العلمـاء كي يتعرّفوا أكثرَ على المذهبِ الدرزي. وجـاءتِ التقاريرُ الأُولى تبشّرُ بالخير. فالدروز موحِّدون مسلمون مؤمِنون»[٢٦٠]. ولكنّ هذه الفتوى، كما يبدو، تؤكّد الشكّ أكثر ممّا تريد إثباته.

أمّا مع **السيد بايازيد** فقـدَ يكونُ المسلمون مقـصّرين عن الدروز في فهمِ الإسـلام ومحبّته. فهو "يزايد" ويقول بأنّ الدروز «إنّما يعتبِرون أنفسَـهم وَديْعَـةَ الإسلامِ. وهـم يعتـبـرون القـرآنَ المسـتنَدَ الرئيـسي لمصادرِهم الروحيّةِ ووحيِهم وتأمّلِهم، كما يعتبرون الإنـجيلَ والتوراةَ من الكتبِ المقدسة» ويقول: «إنّما الموحِّدون هم المسلمين الحقيقيّين والأوّلين»، وربّمـا كانوا على تـفوّقٍ في إسـلامهم: «انّـما الموحِـدون الدروز هم في طليعةِ المسلمين الحقيقيّين توحيدًا وتقرّباً إلى وجهه تعالى، وإيمانًا بوحيه وقرآنِه وكتابه»[٢٦١].

هذه التـأكيدات تـثير الشـكوك أكثـر ممّا تثبت؛ لأنّ مـا هو كثـير الوضوح، بقدر ما نشدّد على توضيحه، يدفع إلى الشكّ دفعاً.

---

(٢٥٩) عبدالله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط٢، ص ٢١٥.

(٢٦٠) المرجع نفسه، ص ٢١٧.

(٢٦١) أضواء على مسلك التوحيد «الدروز»، توطئة لبايازيد، ص ٧٣.

والصعوبة الكبرى تأتي من أكثر المسلمين معرفةً بالدرزيّة. فالذين قرأوا رسائلَ الحكمة وكتبوا عن دعوةِ التوحيد، وتعاطوا مع نصوصِها يصعب عليهم تصديق ما يقرأون:

فالـ **دكتور محمد كامل حسين**، على معرفته الصحيحة لعقيدة الموحِّدين، وتأكيدِه خروجَهم عن الإسلام، يعودُ، في خاتمةِ كتابه، ليعلنَ مع عارفِ النكدي بـ «أنَّ الدروزَ مسلمون، كانوا ولا يزالون، وأنّهم لو لم يكونوا كذلك لصيَّرتْهم عربيّتُهم مسلمين»، ومع أميرِ البيان العربي الأمير شكيب أرسلان بـ «أنّ الدروزَ فِرقةٌ من الفِرق الإسلامية.. يقولون إنّهم مسلمون، ويقيمون جميعَ شعائر المسلمين، ويقولون إنّ مَنْ خَرَجَ عن ذلك منهم ليسَ بمسلم.. ويحفظون القرآن»، ومع الأمير السيّد جمال الدين التنوخي «الذي كان من الذين عَمِلوا إلى العودةِ بالدّروز إلى مذهبِ أهل الجماعة والسنّة»[٢٦٢].

وأغربُ من الدكتور حسين **الدكتور عبد الرحمن بدوي** الذي عرفَ الدرزيّةَ، ونقلَ رسائِلَها، وتأكّدَ من مُروقِها عن الإسلام. ومع ذلك لا يزالُ يصرُّ على إسلاميّتها، ويعتبرُ جمالَ الدين التنوخي خيرَ مرجع لإصراره، ويَنقلُ عنه بأنّه «أمرَ بعمارةِ المساجد في القرى وتجديدِ الجوامعِ، وأنشأَ الأوقاف... ثم جَلَبَ الفَقهاء إلى النواحي، وأقامَ الخطب أيّامَ الجمعات في كلّ قرية.. ثم شدَّدَ على القراءة الصحيحة في القرآن الكريم»[٢٦٣]. ويعتبر الدكتورُ أنّ «كل هذه الملامح تدلُ على تمسّكه بالقرآن وبالصلاة الشرعيّة الإسلاميّة. ولا يذكر لنا أيُّ مصدرٍ أنّ أحداً من الدّروز قد أنكر عليه شيئاً

(٢٦٢) طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها، ص ١٢٦ – ١٢٧.

(٢٦٣) مذاهب الإسلاميين، الدروز، ص ٦٤٧.

من هذا. وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الدروز.. لم يُسقِطُوا الفرائضَ الدينيّة، ولم يطّرحوا القرآنَ ولم يترخَّصوا في ركن من أركان الإسلام، وكانوا يؤدّون الصلوات في أوقاتها، ويؤذّن المؤذّنون في أوقات الآذان.. ففي هذا دلالة قاطعة على حسنِ إسلام الدروز...»[٢٦٤].

أمّا الدكتور **محمّد علي الزعبي**، فيقول، في كتابه «الدروز. ظاهرهم وباطنهم»: إنّ «الموحِّدين فرعٌ من الشجرة الإسلاميّة، وغصنٌ من الأرومة العربيّة»[٢٦٥]، وإنّ «الأكثريّة المطلقةَ من الموحِّدين حافظتْ على أركانِ الإسلامِ العمليّةِ، كما ورثوها منذ صدرِ الإسلام، اذ يعلمون عِلمًا يقيناً أنّ المسلمَ مَنْ حافَظَ على أركانِ الإسلام، بريئةٌ من التأويل الملتوية»[٢٦٦]. ويقول: لقد «دامتْ جوامع الموحِّدين عامِرةً بأركان الإسلام... وتضاعفَ عددُ الذينَ فَهِموا أركانَ الإسلام«[٢٦٧].

ويبدو أنّ كتابَ الدكتور الزعبي كلَّه كتبه من أجل الدّفاع عن إسلاميّة الموحِّدين. وكأنّه يقصد، من خلاله، إقناعَ مَن تخامره الشكوك في ذلك. لكنّنا نرى، في إثباته هذا شكّاً أكيداً بما يحاول إثباته.

والشيخ الدكتور أنور أبو خُزام، إستاذ الفلسفات الشرقيّة في الجامعة اللبنانيّة، في كتاب "إسلام الموحّدين. ألمذهب الدرزي في واقعه الإسلامي والفلسفي والتشريعي"، يدافع، في كتابه كلّه، عن إسلاميّة الدروز. ويأخذ على باحثين تصوّرهم «مسلك التوحيد وكأنّه دين مستقلّ

(٢٦٤) مذاهب الإسلاميين،، الدروز ص ٦٤٧ – ٦٤٨.

(٢٦٥) الدروز. ظاهرهم وباطنهم، ص ٢٥.

(٢٦٦) المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٢٦٧) المرجع نفسه، ص ٢٩.

لا يعترف إلاّ بنفسه. وهذه الصورة لا يقرّ بها الموحّدون. ويستنكرونها أشدّ الاستنكار»[٢٦٨].

ولكنّ الشيخ الدكتور لم ينجُ من فخّ ما اتّهم به الآخرين. ففيما هو يؤكّد بأنّ "أهل الحقّ" -أي الدروز- كانوا قبل الإسلام، وبأنّهم «جميعاً اعتنقوا الإسلام» (ص ١٣)، ويستشهد بأحد أقطاب الفكر الدرزي، الشيخ زين الدين عبد الغفّار تقي الدين (+٩٦٥هـ)، الذي قال: " ولمّا قام محمّد بن عبدالله بشريعة الإسلام.. دخلَ أهلُ الحقِّ قاطبةً في شريعة الإسلام، كما دخلوا في كلّ شريعة ماضية "[٢٦٩].. فيما هو يؤكّد أسبقيّة الإسلام على التوحيد، يستنتج بمنطق غير صحيح، عندما يقول : «وفقاً لذلك، لا يمكن لأحد أن يسلك في مذهب التوحيد ما لم يكن مسلماً» (ص ١٣). وكان الأولى به أن يقول: «وفقاً لذلك، لا يمكن لأحد أن يكون مسلماً ما لم يكن من الدروز»؛ ذاك، لأنّ الدرزيّة، على ما يقول، أسبق من الإسلام.

والمنطق إيّاه يتكرّر، فيقول الشيخ الدكتور، بحسب «الرواية التوحيديّة: «ولمّا قام الإمام علي بن أبي طالب بالتأويل، دخل أهلُ الحقّ في تأويله. واستمرّوا عنده حتّى انقضت مدّة سبعة أئمّة بعده، وهم من ذرّيته... (ص ١٦).

«لقد انتسب أهل الحقّ للإسلام منذ فجر انبعاثه، ووقفوا بإخلاص تامّ إلى جانب النّبي.. ما يعطي فكرة واضحة عن أنّ الموحّدين يعتقدون أنّ الإسلام لم يفاجئ أهلَ الحقّ. بل كانوا ينتظرونه» (ص ١٦).

---

(٢٦٨) أبو خزام، إسلام الموحدين...، ص ٨.

(٢٦٩) عن مختصر البيان في مجرى الزمان، ص ١٠١؛ ص ١٣، حاشية ١.

ويقـول في مكان آخر: «يندر أن نجـد كاتبـاً من كتّـاب الدروز إلاّ ويؤكّد تعلّق الموحّدين بالإسلام» (ص ٢٤٥).

وفيمـا الشيخ الدكتور يؤكّد على إسلامـيّة الدروز، يقول: «ممّا لا شكّ فيه أنّ غـالبيّة الدروز تتهاون في تطبيق الفـرائض إلى درجة الإلغاء التـامّ لها. وقـد خلقت هذه الإشكاليّة شكـوكاً كثـيرة حـول مدى جـدّيّة الموحّدين في انتسابهم للإسلام» (ص ٢٤٩).

ويؤكّد بأنّ «الدروز في لبنان في وضـع متهاون في تطبيق السنن والمفتـرضـات الشرعـيّة» (ص ٢٥٠). ألاّ أنّه يعـود ليقول بأنّ «الشـيوخ الحـاليّين يعلّمـون الطلاّب الفرائض المتـعلّقـة بالوضـوء والصلاة بدقّـة متناهية» (ص ٢٥١).

ولكن يصعـب علينا تصديق مـا قاله الشيخ الدكـتور عن أسـباب ترْك الموحّدين للفرائض الإسلاميّة وإعمار المجوامع وملازمتها. يقول:

«ألواقع الاجـتمـاعي لطائفـة الموحدين القـاطنة في قـرى جبليّـة منعـزلة ونائية اندرست جـوامعـها بسـبب الصراعـات والحروب، كـما اختلطت بيئتـها بما وفد من مسيحيّين، ممّا أبعـدها بالتدريج عن إمكانيّة إقـامـة الصلوات الجـامعـة. ولقـد كـان هدم جـوامع الموحّـدين من أهم الأسباب التي حـدت بالشيوخ إلى ترك المساجـد نهائيّاً» (ص ٢٥٣). كم من المغالطات في هذه الكلام!!

ويقول:

«إنّ الموحّد يؤكّد على إسلامـه دائماً، في أهمّ المحطّات التي يمرّ بها في حياته.. وبكلمة أوضح وأبسط يُقـال: إنّ الموحّد يولد مسلماً، ويتزوّج

مسلمـاً.. وفي النهاية يموت مسلمـاً.. ويتمّ دفنه على السنّة الإسلامـيّة» (ص ٢٦٠).

ولتأكيد الشيخ الدكتور على إسلاميّة الموحّدين، يعطينا واقعة ذات دلالة، وهي:

«ومن الوقائع ذات الـدلالة والمغزى العمـيقَين في الزمـان القريب مشاركة الشـيخ حليم تقي الدين الرئيس الأعلى للقضاء المذهبي الدرزي في صلاة عـيد الفطر المبارك في الملعب الـبلدي في بيروت، في ١١ تمّوز ١٩٨٣. كمـا أمّ سماحـةُ مفتي الجـمهوريّة اللّبنـانيّة الشيخ حـسن خالد الصلاةَ عن روح الشيخ حليم تقي الدين عند استشـهاده بتاريخ ٢ كانون الأوّل عام ١٩٨٣» (ص ٢٧٤-٢٧٥)...

أمّا **قسم البحوث الروحيّة في "الضحى"**، في كتاب "أبناء النور عبر العصور"، فيعالج إسلاميّة الدروز بفطنة بالغة. يقول: التوحيد فهو الإسلام بمعناه الأشمل.. وهو التسليم لمشـيئة وإرادة اللّه الواحد الذي لا وجود لإلهٍ سواه...

«والإسـلام لا يعني بالنسـبة للمـوحّديـن الوقوف الحـرفي عند النّصّ. فـالقرآن الكـريم معـروف بمعانـيه البـاطنيّـة التي لا يعلم تأويل بعـضـهـا إلاّ اللّه... ففي آيات القـرآن المُحكَمات أبعـاد وأعمـاق مرمـوزة ومعبِّـرة عن كثير من الظواهر والبـواطن من المعاني. وكلّها صـحـيحة... ومن المهمّ التذكير بأنْ ليس جميع ما ورد في الكتب المقدّسة إنّما يمكن أن يؤخَذ عن ظهر قلب على حرفـيّته، لأنّ الحقيقة، ومنذ قديم الزمـان، كثيراً ما كـانت تأتي مـغلّفة، حـتّى لا يصعب على العـامّة تقـبُّلها، أو حـتّى لا يسيئون إليها...

«إنّ الموحِّدين هم مسلمون لتعلّقهم بجوهر الأديان الأبدي... ويقول القرآن الكريم: إنّ رسالته هي "التوحيد"، وليس التفرقة. والتوحيد هو رسالة الأديان المقدَّسة التي تحثّ على المحبّة والسلام بين البشر» (ص١٥٦)...

«رفضُ الغير هو ضدّ الإسلام. من هنا.. على الإسلام أن يعيد النظر في مواقفه من غيره، ويكون شجاعاً في مراجعة ذاته وانتقاد نفسه..» (ص١٥٧).

والشيخ مرسِل نصر، رئيس محكمة الاستئناف الدرزيّة العليا، في تقديمه كتاب "تاريخ المسلمين الموحّدين الدروز"، للدكتور صالح زهر الدين، لم يتورّع من اتّهام مَن جرّد الموحّدين عن الإسلام بالتزوير وإثارة الفتن وزرع الأحقاد. قال:

«تنفيذاً لمآرب الصهيونيّة والاستعمار، بادر الذين يدّعون العلم والفهم، إلى تشويه الوقائع وتزوير الحقائق، وأصرّوا على خوض معركة خطّطها المتآمرون، لتحقيق هدفَين: أوّلهما: إبعاد الموحّدين الدروز عن الإسلام؛ وثانيهما: بسلخهم عن عروبتهم، فأتقنوا فنّ الدسّ والتحريف، وأقحموا رسائل لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة..

«.. وتمسّك أبناء هذه الطائفة بإسلامهم وعروبتهم. فالموحّدون لم يختلطوا بشرق أو غرب، بل حافظوا على أصلهم العربي والإسلامي... فعلى هؤلاء (المتآمرين) يجب أن تدور الدوائر، ويلقوا سوء المصير» (ص ٧-٨).

وفي كتابه "الموحّدون الدروز في الإسلام"، لم يفتأ الشيخ من

التشـديد على إسلاميّـة الدروز، وقد استنجـد بما استطاع من أدلّة . وها هو، لكي ينجح في براهينه، ويؤكّـد على إسلاميّـة الموحّدين، نشر كـتابه في " الدار الإسلاميّـة "، وأهداه "إلى كلّ مسلم"، وقدّم له مسـلمٌ شيعي هو "آية الله السـيـد محـمّـد حسين فـضل الله"؛ ومـسلم سنّي هو " الدكتور مصطفى الرافعي " .. والكلّ يصبّ في خانة أنّ الدروز مسلمون مسلمون.

وحتّى «بعض المؤلّفين من أبناء هذه الطائفة وغـيرهم، قد ساهموا في التشويش على نقاوة مذهب التوحيد الإسلامي» (ص ٢٣).

«ولا ننسى ما قام به الأعداء بالتعـاون مع إسرائيل من نشر كتب مزوّرة للطعن بإسلام الموحّدين الدروز والعلويّين تحت أسماء مستعارة، مثل أبو موسى الحريري» (ص ٢٣).

ويعـترف الشـيخ نصر بـ «أنّ البـعض يأخـذون على أكثـر أبناء الطائفة تـقصيـرهم في إقامة الشـعائر الدينيّـة. وسبب هذا القـصور أو التقصير يعود إلى:

«أوّلاً : قيام الدولة العثمانيّة بهدم الجوامع..

«ثانياً : إستمرار الحروب بين الموحّدين وأعدائهم..

«ثالثاً : صعوبة الالتزام بمسلك التـوحيد الإسلامي حيث يفرض الشيوخ سلوكاً معيّناً من المريدين ممّا أبعد الكثير عن الالتزام المطلوب.

«رابعاً : إسـتغلال المثـقّفين الملحدين لـلعوامل السابقـة ودعوتهم للتخلّي عن الأركان الإسلاميّة لعدم أهمّيتّها..

«خامساً : قلّة المرشدين وتدابر المسلمين وتكفير بعضهم للبعض الآخر..» (ص ٢٤-٢٥).

بالرغم من كلّ هذه الأسباب الحاسمة لابتعاد الدرزيّة عن الإسلام، يصرّ الشيخ نصر ويقول: «نحن جزء من الأمّة العربيّة والإسلاميّة» (ص ٢٥).

وفيما يؤكّد الشيخ نصر بأنّ الدروز يقيمون أركان الإسلام؛ يقول: «يتساءل البعض: لماذا لا يصلّي الموحّدون في الجوامع؟ ولماذا لا يبنون الجوامع؟». ويجيب على هذا التساؤل بمبرّرات ثلاثة:

أوّلاً : «بعض العقليّات التي استفاقت على عرف معيّن لا تريد تغييره، وهي أن تبقى الصلاة في المجالس الخاصّة والبيوت»[٢٧٠].

ثانياً : إنّ الموحّدين «يفضلّون السريّة في الصلاة، عملاً بقول أمير المؤمنين عليه السلام: "صلاة السرّ تزيد على الجهر بسبعين ضعفاً" (ص ٣٤).

ثالثاً : إنّ الموحّدين يتميّزون «بالصرامة في معاملة المريدين. فهم لا يسمحون لهم بممارسة الصلاة إذا لم يكونوا ملتزمين بالأخلاق العالية» (ص ٣٥).

يبدو أنّ هذه المبرّرات لإلغاء الصلاة هي براهين على أنّ الدرزيّة ليست من الإسلام في شيء.

ويعترف الشيخ نصر بـ «أنّ الموحّدين يفضلون الصلاة على

---

(٢٧٠) عملاً بقول الرسول: "صلّوا في بيوتكم

النّبي في أنفسهم، أو بصوت خافت» (حاشية ٢، ص ١٠٠).

أمّا **الشيخ نجيب العسراوي**، في كتابه "المذهب التوحيدي الدرزي"، فجريء جدّاً، وعلى غير ما نعهده عند إخوانه، في إظهار مخالفة الدرزيّة للإسلام. يقول:

«إنّه (أي الدين الدرزي) أوجد تشريعاً إجتماعيّاً أدهش المشترعين في هذا الزمن، مثل قانون الطلاق، وعدم إرجاع المطلّقة، وإنصافها إذا طُلِّقتْ لغيرِ سببٍ شرعي، ومنع تعدّد الزوجات، وإثبات الوصيّة لوارث ولغير وارث» (ص ٨، ١٢)؛ و«تعريف الجنّة الروحيّة وحقيقتها، لا الجنّة الماديّة وملاذها، ومثلها جهنّم القصاص الروحي، لا نار تحرق الأجساد..» (ص ١٢).

ومثلها نفي الملائكة والشياطين، يقول: «نفى (الدين) وجود ملائكة وشياطين، قائلاً إنّه لا يجوز في التوحيد والإيمان الاعتراف بقوّةٍ تعارض اللّه، وتحاربه، وتصارعه في أوامره، وتغلبه أحياناً. فكلّ هذا حرام وتطاول على العزّة الإلهيّة، لا يليق بالموحّد المؤمن» (ص ١١٧).

ويقول أيضاً:

«فلا شياطين هناك، ولا أبالسة تغري الإنسانَ وتخدعه، وتغرّر به ليخالف أوامر اللّه؛ بل هي الطبائع التي تكوّنت منها النفس الإنسانيّة، إذ لا يجوز، في العقل، ولا في الدين، ولا في الإيمان، أن تكون قوّة ضدّ اللّه تعالى تناصبه العداء الدائم، وتحاربه، وتغلبه أحياناً كثيرة» (ص ١٦٦)

ويعترف بشواذ ما في الحكمة:

«نحبّ أن نعلن شكرنا لتلك الفئة الدرزيّة الكريمة التي حافظت

وتحافظ دائماً على كتمان كتبنا الدينيّة، لأنّ بإعلانها ضرراً وعيباً أدبيّاً واجتماعيّاً، وإساءةً شاملةً للعشيرة. لأنّ في كتب المذهب أشياء لا يصحّ أن يعرفها الغير، لما فيها من التحامل والتهكّم على الأديان وحسبانها من العدَم وإلى العدَم. ولما فيها من الشواذ العقلي، والغلوّ بالإنسان ذاك الذي ينقض التوحيد، ويعارض العقل، وينافي الحقائق التوحيديّة التي كتبها السادة الحدود (ص). وفي فصول قادمة سنشرح ذلك الشواذ وأسبابه وضرورة إزالته من كتبنا، أو تركه وإهماله حتّى يُنسى، لأنّه شوّه عقيدتنا وأضعف إيمان الأكثريّة فينا، وأبعد الطبقة المتعلّمة عن مجالس الصلاة وإطاعة فروض المذهب.

هذا الغلو في الإنسان، وهو من معتقدات الشيع المتطرّفة، جلَبَ لأجدادنا العذاب الشديد، والنفي والتشريد، والقتل الجماعي، كما جلب لنا الانتقاد المرير، والاتّهام الشنيع. وتُرِكَ النابهون في العشيرة بحَيْرَةٍ عقليّة ومرارة علميّة، لا يُعرف مداها، ولا تُعرف نهايتها» (ص ١٢-١٣).

وكم في الحكمة من رسائل وتعاليم شاذّة يجب حذفها. يقول:

«هناك كتابات خاصّة، وتقاليد للدعاة، وتوابيخ للمحرِّفين، وكثيرٌ مختلط بالرسائل الكريمة، وهو ليس صلاة، ولا عبادة، ولا ديانة، كنسخة ما كتبه القرمطي للخليفة الفاطمي، وجوابه عليها، والرسالة الدّامغة، وما شابهها من الدروس العلميّة البيولوجيّة...

فيكون للموحّدين الدروز كتاب تاريخي صادق يتعلّمون فيه تاريخهم الديني الذي لا يعرفه تسعون بالمائة منهم.. ويُباح لكلّ درزيّ ودرزيّة قراءته واقتناؤه... وإذا كان لا بدّ من تراتيل وترانيم دينيّة، فلينظم ما يكون مقيّداً بالدين والإيمان السليم، لا كهذه التي بين أيدينا

أقوال عنتريّة بعيدة عن الدين والتديّن، وعن التهذيب الاجتماعي. وكلّنا يعرف ما هي» (ص ١٢٢).

عن وجوب معرفة الدين، قال:

«لا يجوز، لا شرعاً ولا عرفاً، أن ينتسب الإنسان إلى دين لا يعرفه، ولا يفهمه، ولا يقرأ كتبه، ولا يصلّي صلاته» (ص ١٦١).

«نحن نعرف لماذا نخفي كتبنا ونستر مذهبنا. وهذا هو الذي دعانا لتأليف هذا الكتاب، لنزيل من كتبنا ما لا يمكن إعلانه، ولا نشره. وما هو بالحقيقة سوى التحريف والغلوّ...» (ص ١٦٣).

عن الكفّ عن السبّ واللّعن، يقول:

«الموحد الدرزي لا يحقّ له أن يقول إنّ مذهبه الديني هو خير المذاهب وأفضلها قطعاً، وأنّ كلّ الناس كفّار وعابدو العدم.. فلنكفّ عن انتقاد غيرنا وطرقهم. فكلّنا نطلب اللّه، ونعبد اللّه، ونرجو ثواب اللّه. وأفضلكم عند اللّه أتقاكم» (ص ١٦٤).

وأخيراً، لا آخراً، يأتي المقدّم المتقاعد **جميل ذبيان**، في كتابه "إسلاميّة الموحّدين الدروز"، ليعلن عالياً، ويقول:

«وأقولها بالفم الملآن: إنّهم إسلاميّون في العقيدة. متشدّدون.. لا ينحرفون. ولا يعاتبون. ولا يتذمّرون» (ص: أ).

ولكن، وفيما هو يؤكّد باستمرار «إسلاميّة الدروز»، يبيّن، منذ البداية، ما تتضمّنه العقيدة التوحيديّة من خصائص. فإذا هي ثلاثة وعشرون. بها يختلف التوحيد عن الإسلام (ص: ج–هـ)؛ ثمّ يعود

فيتوسّع بهذه الخصائص (ص: ١٨٩–٢٢٠).

وبسبب القــهر والاضطهاد،«ثبت المـؤمنون الموحّدون الدروز في إسلامهم الحقيقي، لا يقايضون به، ولا عليه يساومون» (ص: و–ز).

ويقــول أيضاً: «والمـوحّدون، في واقع مـذهبـهم التـوحيـدي، لا يرضون عن حقيقة إسلاميّتهم بديلاً» (ص ١٧٣).

***

الذي يبدو لنا أنّنا وَقعنَا جميعًا في «التَقِيّة»: بين تقيّة الدروزِ الذينَ يمارِسونهـا على المسلمين ليـحفظوا كيـانَهم، وبين تقيّـة المسلمين الذين يمارسونها على الدروز ليربَحُوهم في الإسلام.

والذي يبدو لنا صحيحاً، في نـهاية المطاف، هو أنّ مفهوم الإسـلام الحقيـقي، كما يعـترف به الدروز، ويريدون الانتماء إليـه، هو إسلام من نوع آخر، بمفهـوم آخر. وهذا هو المقصود بإسلامـيّتهم الحقيـقيّة. وعن هذا عبّر الدكتور الشيخ أبو خُزام بقوله:

«وإسلام الموحدين إسلام يعتـرف بإسلامٍ في اليهوديّة، وإسلام في المسيحيّـة، وإسلام في المحمّديّة، وإسلام في الصابـئة... وكذلك جاز لأهل الحقّ الدخول في التنزيل والتأويل في كلّ زمان» (ص ٨٢).

الفصل السابع

المجابهة بين الدرزية والإسلام

أوّلاً – المحنة والإضطهاد

ثانياً – التقيّة والباطنيّة

ثالثاً – الرموز والتأويل

رابعاً – الإنتقام والأخذ بالثأر



أولاً - المحنة والاضطهاد

إنّ موقف الدروز من الإسـلام والمسلمين جرّهم إلى تـاريخ حافلٍ بالمحن والاضطـهـادات. منذ البـدء شنَّ المسلـمـونَ على الدروز حـربًا ضروسًا بقيادة الخليفـة الفاطمي علي الظاهر، «الدجال اللّعين». وبسبب ذلك غابَ حـمزة وسائر الدعـاة، وتحمّل بهاءُ الدين المقـتنى عبءَ الدعوة وقيادَتها بصبرٍ وألَم ودموع.

قبل المقـتنى، رأى **حمزة** أنّ المحنةَ على الموحّـدين كبـيرة؛ يشنُّهـا عليـهم أهلُ الأديان والمذاهب عامَّـة. قال: «إنّ أهلَ الشـرائع يرونَ محـبّةَ الأعداء كـافّةً، ولا يرونَ محـبّةَ رجلٍ مـوحِّد»[1]. واعتـبرَ المسلمـين أشدَّ الأعـداء أذىً على الموحِّـدين، لأنّهم أعداء داخل الدار. قـال: «والمسلمـون الجاحـدون (السنّة) والمؤمنون المشركون (ألشـيعة) يقـاتلونَك في بيتك، وهم أذيّةٌ لأهل التوحيد»[2].

بيد أنّ قائم الزمان، قبل غيبته الأخيرة، عرفَ الاستفادَة من المحنة، ورأى ضـرورتها، لأنّهـا تزيدُ الموحِّديـن إيمانًا وصفـاءً ويقيناً. قـال: إنّ «المستجـيبَ، إذا كان فيه شكٌّ ووقع في هذه المحنة، خرجَ زَيْفُـهُ، وظهَر ما

(١) الموسومة بكشف الحقائق ١٣/ ١٣٧.

(٢) الكتاب المعروف بالنقض الخفي ٦/ ٦١.

كان فيه حَتْفُه. ومَن كان مؤمناً بالِغاً في دينه، سادِقاً في قوله، صحيحاً في فعله، كلمّا زاده الزمانُ امتحانًا، زادَ في نفسه يقينًا وإيماناً، كالفضّةِ الصافيةِ البيضاء التي، كلّما زادتْ عليها النارُ حَمَاهَا، زادتْ في جوهرِها وصفاها، كذلك الموحِّد، كلّما أرادَ به مولانا جلّ ذكره امتحانًا، فهو راضٍ به صابرٌ لحكمِه»(٣).

وفي رسالته الأخيرة إلى الموحّدين تَرَك لهم حمزة هذه الوصايا: «معشرَ الإخوان لا تصحّ الديانة إلاّ عند الامتحان. ففي وقت السلامة والعافية يكونُ العالَم متساويان (كذا)، لا فاضل فيهم ولا مفضول، وإنّما تُنال الدرجات وارتقاءُ المنازل العالية المرتفعات بالصبرِ في وقت الشدّة... فمن صَبر على المكارِه نالَ المسرّات»(٤).

ثم ينصح حمزة أتباعَه بالصبر وبأن يكونوا مستعدّين، لأنّ المحنة سوف تنقلبُ على أعدائهم: «كونوا أيّها الإخوان على هِبةٍ من أمركم، ولا تظنّوا الذي أنتم فيه شرّاً لكم، بل هو خيرٌ لكم. فما تَمُرّ بكم إلاّ أزمان قلائل حتى تَرون مُخالفينكم قد أُرْمِلَتْ منهم الحَلائل، وأُوقِعُوا في الغوائل والمهالك، وسُلِبوا الأموال والممالك... فسوف أجعلُ أكابرَهمُ لأصاغركم أَعْبُد، وعزيزَهم لأحدِكم يطيعُ ويسجد، وأقتلُ المشركينَ والمرتدّين بسيفِ مولانا الحاكم إله العالمين»(٥).

ويوعدهم بتحطيم أعدائهم و «مَلْكِ ذراريهم وأموالِهم وأرضِهم، وخراب ديارهم، وسبي حريمهم وأولادهم، وإخلاطِ دم رِجَالِهم بدمِ

---

(٣) رسالة الرضى والتسليم ١٦/ ١٨٠.

(٤) رسالة الغيبة ٣٥/٢٥٣.

(٥) رسالة الاعذار والانذار ٣٤/٢٤٨ – ٢٤٩.

كلابِهِم. ويُوسَمون بِسِمَةِ العبيد. وتَملكُ ضعفاؤُكم منهم كلّ جبّار عنيد... فاصبروا على الامتحان تَنالوا المغفرةَ و الإحسان»[٦].

ويتضرّع حمزة إلى باريه مناجياً ويقول: «يا مَن له العِزّة والتمكين، أنصرنا على أعداءِ الدّين، المارقين الجاحدين الناكثين، الذين نكثوا عهدَك وجَحدوا ميثاقَك وَعقْدَك، وَمَرقوا من دينِك، وأظهروا الفسادَ في أرضِك. فدمّرْ عليهم بِدَمَارِك، كما دمّرتَ على قومِ عادٍ وثمود، وَدَمْدِمْ عليهم بيوتَهُم. إنّك علاّم الغيوب»[٧].

أمّا **بهاء الدين المقتنى** فيصفُ لنا المحنةَ التي كبّدتِ الدروزَ العذاباتِ المريرةَ والضحايا الكثيرة. ويتوجّهُ إلى المسلمين «أعوانِ الدجّال الرجيم الأجذع» الذين سفكوا دماءَ الموحِّدين وشربوه نهْلاً. يقول:

«يا أيّها الغفلة.. شربتُم بالظلم دِماءَ الموحِّدين المظلومينَ نَهْلا، وسَفكتُم الدم الحرامَ برضائِكم لِمَنْ أطلّه عصيانًا للحقِ وزَلَلا... فمِنْ حيثُ أمِنَ أهلُ الحقّ على نفوسهم أتيتموهم، وبأسلحتهم قتّلتموهم، ومن بيوتِهم ومَقاطِنِهم أزعجْتُموهم، وعلى صَبرهم على البلايا والمِحَنِ وبّختُموهم... وساعدتُم جميعَ مَن قام على أهلِ الحقِّ في ظُلْمِه»[٨].

ويكمّل بهاء الدين وصف ما صنعه المسلمون بالدروز فيقول: «إنّ آل السَفه والفسقِ والجَهل والجحود، الذينَ رفَعوا بالبَلَسِ رؤوسَ الأشهاد على رؤوس الرماح، وسقَوهُم بالجَور والظلمِ كأسَ الذَبَاح، مع مَن أُغرِقوا في البَحار، وأحرقُوهم بلهيبِ النار، وذَرُّوهم في الرياح؛

(٦) رسالة التحذير والتنبيه ٣٣/ ٢٤٤.

(٧) مناجاة ولي الحق ٢٩/ ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٨) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٥٥.

وقَتَلوا الجمَّ الغفير بسيوفِ الأضداد، بعد سبي النساءِ والأولادِ، وقطعِ قلوبهم والأكبادِ، وتعليقِ رؤوسِ الرجال الموحِّدين في أعناقِ أخَواتِهم وبناتِهم، وذبحِ الأطفالِ الرُضَّعِ في حجورِ أمّهاتِهم.

«فلم يَرعَوا لأحدٍ في اللّه إلاّ ولا ذِمَّةً فيرحَموا صغيرًا لِصَبْوَتِهِ وصِغَرِه، ولم يَعْفُوا عن كبيرٍ لشيخوخته وَهَرمِه وكِبَرِه، بل أجْروهم على حدّ السيوفِ قَتلاً وصلبًا، وفي الشوارعِ شَقّاً لبطونِهم؛ وجرًا بأرجلِهم وسحْباً، ولأموالِهم وذراريهم سبيًا ونهبًا...

«بل ذبحتموُهم كما تُذبَح الجُزْرُ والغَنَمُ عداوةً للّه، ووفاءً للفراعنة بالذِّمم... فوا أسفاهُ على أهلِ الحقِّ وعلى التخلّفِ من بعدِهم. ووالهفاهُ حسرةً واستوجاعًا لِفَقْدِهِم»[٩].

ثم يصف بهاء الدين ما حلّ بالموحِّدين في كل مكان، ويشير إلى شموليّةِ الاضطهاد واتّساعِه، من الإسكندريّةِ حتى أنطاكيا. ومع هذا، بقي الدروزُ صابرين صامدين متحمّلين. لقد «هَدَرَ (الدجّالُ علي الظاهر) دماءَهم في جميعِ البلدان، وتبعَهُم هو وتبّاعُه في كلّ موضعٍ ومكان»[١٠]. لقد «قاتَلونا بأسلحتنا من حيثُ أَمَّنّا على النفوس»[١١]؛ و«أظهروا العداوةَ والبغضَةَ لأهل التوحيد فعلَ الحسّادِ، وذوي الدَناءةِ والإنكارِ»[١٢].

ويقدّم بهاء الدين نفسَه مثالاً للموحِّدين المضطهَدين، فهو أيضا تعرّضَ «للأذى والضرَر من الغافلين المعتدين»... وتهجّرَ عن القاهرةِ،

---

(٩) ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٦٤ – ٦٦٥.

(١٠) مثلا ضربه بعض حكماء الديانة ٤٣/ ٣٣٧.

(١١) رسالة الحقائق والانذار ٥٧/ ٤٥١.

(١٢) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٣٤.

ومُنِعَ التبرّكَ بحـرمِها [١٣]. ووصف لنا حاله التعيسة، بعد اشتدادِ المحنة عليه بقوله: «والجرعةُ ممّا تقذُفه القلوبُ، والدمعةُ النزرة ممّا تذرفُه العيونُ من الماء المسكوب، تزيدُ عليه ولو كانت أنهارًا، وتغمرُه ولو كان التكريرُ بحاراً» [١٤].

ويقول أيضا في وصف ضيق حاله «وسِعَةِ المسالكِ والبلدِ، وشعثِ الحالِ ومرارة العيشِ النكِدِ، لقلّة المؤازِر والسَّديقِ، وعدم الجارِ الصالحِ والرفيق. وقد تعذّرتْ علينا الطرقُ والمسالكُ، ونحن من أهلنا على شفا جُرْفِ المصائب والمهالك.» [١٥] حتى «ضاقَ الزمان عن المكاتبةِ والجواب، وانقطعَ لحدّته القولُ والخطاب» [١٦]. وأصبحتِ الدعوة في مصرَ صعبةً مستعصية: «ان التجارَةَ بمصر قد كسدتْ لما فيها من ضيقِ السعر» [١٧].

هذه المحنة المريرة على بهاء الدين شدّدتْ من عزيمته وأكسبتْه فضيلةَ الصبر والاحتمال، ودعا جميعَ الموحِّدين المضطهَدين ليَقتَدُوا به. ويتحمَّلوا المحنة بإيمانٍ ثابت. وصلّى إلى الله بقوله: «أَللّهمَ!.. ألهِم الصبرَ لأهلِ الحق على هَرَج الشيطان ومتّبعيه» [١٨]. ونصحَ الجميعَ أن «يلزَموا الصبرَ والاحتمال» [١٩]، لأنّ للصبر والاحتمالِ ثوابًا كبيرًا [٢٠]. ولولا

---

(١٣) توبيخ ابن البربرية ٧٦/٦٨٧ – ٦٨٨.

(١٤) جواب كتاب السادة ٩١/٧٧٢.

(١٥) رسالة الجبل الانور ١٠٩/٨٣٣

(١٦) جواب كتاب السادة ٩١/ ٧٧٤.

(١٧) كتاب على يد سرايا ٩٢/ ٧٧٥.

(١٨) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٦٩.

(١٩) منشور نصر ابن فتوح ١٠٧/ ٨٢٧.

(٢٠) منشور نصر ابن فتوح ١٠٧/ ٨٢٨.

الصبر لكانت المصائبُ تفتُّ من عزمِ الدعوة.

وغايةُ الصبر انتصارُ الموحِّدين على أعدائِهم، وسعادتُهم عندما يجتمعون في نهايةِ الدهر بقائم الزمان وربّ العالمين: «ولولا أنّنا نُصبِّرُ نفوسَنا ونُوعِدُ قلوبنَا بالاجتماع عند ظهور وليّ الحق وجسومُنا لكانتِ الحسراتُ تَغلبُ، والهمومُ تُنهِكُ وتُتعِب»[٢١]. «وأيضاً لو لم يَلْحقِ الموحِّدين ما يوجبُ الاحتسابَ والرضى والصبر على المِحن ومحتومِ القضا، لما فُضِّلُوا في يوم القيامة على البشر.. فباختيارِ الأمم للجَحْدِ والانكارِ يُعاقبون، وباختيارِ أهل الحق والطاعة والصبرِ على المحن يُثابون»[٢٢]. فلا بد أن تنجلي الليلة عن صباح مشرقٍ بهيج[٢٣].

وبسبب شدّة المحنة والاضطهاد أُغلِقَ بابُ الدعوة. فَمنْ دخَلها بقي فيها إلى الأبد، ومن لم يدخلْها بقي خارجًا عنها إلى الأبد. وعلى الذين يستطيعون الصبرَ والاحتمال أن يوعِدوا أنفسَهم بالرحمة التي لم تتوفّر لسواهم. والذين صَمدوا جَلبوا الرحمةَ عليهم وعلى أولادِهم وأولادِ أولادِهم إلى الأبد: «أيّها الإخوان فاغتنموا زمانَ الإمهال، وتقرّبوا إلى وليّكم بصالحِ الأعمال، قبلَ طيّ الصحائفِ وجفاف الأقلام، وغلقِ أبواب الرحمة وختمِ الأفواه، وقطعِ الكلام...»[٢٤].

---

(٢١) منشور الى آل عبدالله ٩٠/ ٧٧٠ – ٧٧١.

(٢٢) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٦٧.

(٢٣) منشورالى آل عبد لله ٩٠/ ٧٧١.

(٢٤) توبيخ سكين ٧٨/ ٧١٤، أنظر أيضا: ٧٣/ ٦٤٨، ١/ ٣٠ و ٣٢ و٣٣ و ٣٤، ٥٧/ ٤٥١، ٨٤/ ٧٤٩، ٦٨/ ٥٤٤... ومواضع كثيرة غيرها في رسائل الحكمة...

ثانياً - التقية والباطنية

إذا كان الصبر والاحتمال هما الدواء الناجع للمحنة، فانّ التَقِيَّة تَعمَل على تهدئةِ ثورة المضطَهدين. في التقيّة يخفي الدروزُ عقيدَتَهم وحقيقَتهم ودينَهم، ويُظهرون عقيدةَ مضطهِديهم ودينَهم، ويتظاهرون بالمَألُوفِ عندهم. فالدروزُ مع الغالبِ، والغالِبُ لا يرى فيهم أيَّ أمرٍ مُشينٍ. هم كالنعاج التي تخضعُ للجزّار طالما هي لا تقدرُ عليه. «لقد كانوا يفضّلون الوقوفَ على الحياد ما أمكن، على ما يقول الدكتوران أبو صالح ومكارم، وإنْ لم يستطيعوا ذلك كانوا يميلون بشكل عام إلى جانب الفئة التي يرون أنّها سترجحُ كفّتُها في الصراع، والتي يمكن أن تقرَّهم على امتيازاتِهم المتوارثة في السلطة والحكم»[٢٥].

تقوم التَقِيّةُ على صونِ الحكمة عن غير أهلها، وعلى الحفاظِ على سرِّها وكتمانها، وعلى الاحترازِ، والتدليسِ، والكذبِ على «الأضدادِ»، والتظاهرِ بالسنّةِ وبالمألوفِ عند أهلِه. إنّ التَقِيّةَ تقوم عى التظاهرِ بالإسلام ومحبته، وتلاوةِ آياتِ القرآن الكريم، وإعلانِ نبوّةِ محمّد، وإمامةِ علي، وإقامةِ شعائر الإسلام..

يقول الامير السيّد: «إنّ الأمر في دور الستر بما يطابِقُ الشريعةَ

---

(٢٥) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٣١.

(شريعة الاسلام) جائزٌ، ولو كانَ تدليسًا، والتدليسُ هو سَتْرُ الحقيقة وإظهارُ ضدِّها، كالأمر بالصلاة والزّكاة والصوم والحجّ وما شاكل ذلك، وكالأمر أنّ اللّه سبحانه فوق السبع سموات، وكالأمر أنّ محمّد بن عبداللّه هو الرسول الحقيقي. كل ذلك غيرُ الحقيقة، وتدليسٌ من إمام الزمان بأمرِ باريه. فلا لومَ عليه، ولا على مَن يتبعُه ويفعلُ بما أمرَه، لأنه مأمور من قِبَلِ خالِقه، والخلقُ مأمورين (كذا) من قِبَل إمامِ الحقِّ. وهكذا كلُ مذهب من مذاهبِ الشرائعِ كانوا (كذا) الناس مأمورين يفعلوا بما جَارى قدّامَهم من الشرائع. وذلك تدليسٌ. ولكن لم يأثموا بذلك. ومع هذا التدليسِ الجاري في السِّتْر كانت حدودُ اللّه يَلْغَزُوا بالحقائق، ويُوعِزُوا إلى الناسِ إشاراتٍ أنّ الغايةَ غيرُ ما في أيدِيهم، وأنْ سوفَ ينكشفُ الأمرُ»[٢٦].

فالتقيّة، إذاً، لا أنْ تُخفي الحقيقةَ بل أن تقولَ ضدَّها. والرسائل حافلةٌ بدعوةِ الموحِّدين إلى العملِ بالظاهرِ: «إعملوا بالظاهرِ ما دامَ نفعُه مستمِرّاً، وحكمُه مستقِرّاً.. حتى يقومَ بالتوحيد صاحبُ القيامة». بعد ذلك، عندما يحينُ دورُ الكشف يكون «العمَل بالظاهر والباطن، بعد الكشفِ، غير مقبول، والثواب عليهما غير مأمول»[٢٧]. أمّا هنا، في زمن السِّتر والمِحَن، فـ «من لاذَ بِحَرَمِهِ، وانفردَ بكتمانِ سِرِّه، فقد فازَ بنائلهِ وبِرّه»[٢٨].

فالتقيّة أن تكون مسلماً مع المسلمين، ونصرانيّاً مع النصارى،

---

(٢٦) تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد التنوخي، ص ٤٢.

(٢٧) ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٦٩ و ٦٧٠.

(٢٨) مناجاة وليّ الحق ٢٩/ ٢٣٠ – ٢٣١.

ويهوديّاً مع اليهود، وشيعيّاً مع الشيعة، أن تصلي صلاتَهم وتقيمَ عباداتِهم، وتعترفَ بنبوّةِ أنبيائهم. إنّها وصيّة قائمِ الزمانِ لحدودِ التوحيدِ وجميعِ الموحِّدين، يقول إلى «سفير القدرة، أي الكلمة»: «إجمع شملَ الموحِّدين، وكنْ لهم في نَفَاسِهم وأعراسِهم وجنائزهم على السُنّة التي رُسِمَتْ لهم»[٢٩].

وجاء في «تعليم الدين الدرزي»:

س : كيف نقدر نمشي مع النصارى أو مع الاسلام؟..

ج : ذلك يكون ظاهرًا لنا، كما قال مولانا: إحفظُوني في قلوبكم. ومثَّل لنا مثلاً: إنّه مَن كان تردَّى بثوبٍ أبيضَ أم أصفرَ أم أسودَ أم أحمرَ أم أخضرَ، فجسمُه هو هو إنْ كانَ صحيحاً أو مبتلِياً، فلا يقدّمُ ولا يؤخِّر معه ذلك الثوبُ، ولا يغيّرُ جسمَه إلاّ شكلٌ منه. وتشبيهُ الأديانِ كالثوبِ، ودينكم كالجسد، فأبقوه في قلوبكم والبسُوا ما يلائم لبسه، وتظاهروا بذلك الدين غايةَ المظاهرة على قدر راحتكم.

س : وإذا دُعينا إلى صلاة مع أحدى هذه الاديان، هل يجوز لنا أن نصلّي معهم؟

ج : صلّوا على أي ملّة كانتْ لا مانعَ على شيءٍ ظاهر لا يتمّ باطِنًا. فافهموهم على قدر عقولِهم، ولكن احفظونِي في قلوبكم.

س : كيف نقدرُ نقرُّ مع الإسلام بمحمد ونشهدُ أنّه فخرُ الخلائقِ والأنبياء؟ وهل هذا محمّد نبي؟

---

(٢٩) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١/ ٢١٠.

ج : إنّ محمّد نحن بالظاهر نقرّ به نبيًا لأجل الاستتارِ والمُسامَرة مع أمّته فقط، وفي الباطن نشهد به أنّه قِرْدٌ وشَيطانٌ وابنُ زنَا، لأنّه حلَّلَ ما لا يَحلّ، وفعَلَ جميعَ الفواحشِ، واستحلَّ جميعَ النساءِ، وحلَّلَ الفروجَ، ونكحَ الذكورَ، لأنّه يقول في قرآنه: ألمؤمنةُ خيرٌ مِن غيرِ المؤمنة، والذكرُ المؤمن خيرٌ من غيرِ المؤمن...

س : كيف تكونُ مخاطبتُنا مع أصحاب غير ملّتِنا، وهل يجوزُ لنا رفقتهم؟

ج : ان مولانا حمزة أمر بأننا نستر ونستتر في الديانة، الغاية كيف ما كانت النصارى كونوا معهم، أو إذا غلبتِ الإسلامُ كونوا إسلاماً، لأنّ مولانا أمرنا بأنّه أيّ ملّةٍ تغلّبتْ عليكم إتبعوُها واحفظوني في قلوبكم.

س : لماذا نُهلّلُ أمامَ الإسلام بابنِ القِردِ والشيطانِ وابنِ الزنا ، ونقول لا إله إلاّ اللّه ومحمد رسول اللّه؟

ج : نحن نهلّلُ أمام الكافرةِ الخبيثةِ أنْ لا إله إلاّ اللّه ومحمد رسول اللّه، لاجل المساهمة والاستتار. ولكن نهلّل باسم محمّد وهو إبن بهاء الدين المكنّى بمولانا قائم الحق.

س: وعيسى النصراني الكذّاب، هل هو نبي؟

ج : كلاّ ليس نبيّاً بل تاركٌ في إنجيله بعضَ أقوال باطلة لا صحّةَ لها.

س: كيف نقدر نعمل مساهمةً مع أمّته؟

ج : كما أوصانا مولانا ظاهراً، نقول حقَّ المسيحِ النصراني قدّامَ أمّته النصرانية. فهم يظنّون أنّنا نحلف بمسيحهم الكذّاب، ولكن باطناً يرجع قولنا إلى مولانا سَلمان الفارسي.

س : والمتاولة أمّة علي ماذا نقول بهم، وهل هو نبي أم لا ؟

ج : كلاّ ليس نبيّاً، بل إنّ هذا هو علي عَرْصًا ملعونًا في ذات ملّته. فما شأنه يكون نبياً»[٣٠].

فالتقيّة، إذاً، بمعنى التدليس والكذب والكتمان، واجبة على الدرزي، وعلى كلّ درزي صالح سادق عاقل أن يربّي وَلَدَه ويدرّبُه على هذه «المسايرة». والكلمةُ هي للامير السيّد[٣١]. وقد فهمها يوسفُ يزبك بأنها احترامٌ وتقديرٌ لجميع الأديان فقال: «وقد حَان لنا... أن نُعلِنَ رأيًا صريحاً في مذهبٍ يحترِمُ جميعَ الأديانِ السماوية»[٣٢].

لهذه «المسايرة» قواعدُ ثابتة في الرسائل، ننقلُها كما هي:

يقول قائم الزمان حمزة: «صونوا الحكمةَ عن غير أهلها، ولا تمنعوها لمستحقّيها. فإنَّ مَن مَنَعَ الحكمةَ عن أهلِها فقد دنَّس أمانَتَه ودينَه. ومَن سلَّمَها إلى غير أهلها فقد تَغَيّر في اتّباعِ الحقِّ يقينُه. فعليكم بحفظِها وصيانَتِها عن غيرِ أهلها، والاستتارِ بالمألوف عند أهله. ولا تنكشفوا عند مَن غلبتْ عليه شقوتُه وجهلُه. فأنتم تَرَونَهُم من حيثُ لا يَرونَكُم. وأنتم بما في أيدِيهم عارِفون، وعلى ما أَلِفُوه من زخرف قولهم

(٣٠) من كتب محمود الحلبي الدرزي البعقليني النازح من لبنان الى جبل الدروز في السويداء سنة ١٩٢٤، أسئلة : ١٠٢ – ١١٦؛ أنظر: سلسلة الأديان السرّيّة، رقم (٢).

(٣١) تفسير كشف الحقائق، ص ٧٥٦.

(٣٢) يوسف يزبك في مقدمته لكتاب «الدولة الدرزية»، ص ١٤.

مُطَّلِعُون، وهم عمّـا في أيديكم غافِلون، وممّا اقتبستُمُوه من نورِ الحكمة محجـوبُون. لقد أُخْرِسُوا ونطقْتم، وأُبْـكِمُوا وسَمِعْتُم، وعَـمُوا وأَبْصَرْتُم، وجَهِلُوا وعَرَفْتُم»[٣٣].

على الموحِّـدين أن يعـملوا بموجب وصـايا الحكمـة الداعـيـة إلى الصمت والستر والكتمان باستـمرار. تقول الحكمة: «أصمتوا عن الكلام، واغمدُوا سيفَ اللّسان إلى أن يؤذنَ لكم بالايضاحِ والتبيان»[٣٤]. وتقول: «تعاوَنوا على التـقوى والصلاح والبِرّ.. وكتـمانِ هذا السرّ»[٣٥]. وتقول: «تيقَّظوا أيّها الإخوة وتعاونوا على التقوى.. واستديموا بالستْر لما أوعَزْنا إليكم»[٣٦]. وتنصح الحكمة بـ «أن تجـتمع أهلُ كلِّ موضعٍ مع شيـوخِهم في معزَلٍ مُحَصَّنٍ بالسرِّ والكتمانِ.. ويستـروا حالَهم بالعقلِ والسكونِ والفعلِ الجميلِ والرزانةِ والرجّحانِ»[٣٧].

إذا كانت التـقيّة، بمعنى «الكذب» على الأضـداد، واجبة لا مـحالة. فإنّ السـدق فيـما بين الموحِّدين، فـرضٌ واجب: «والسدق فـهو من نفس الأدب، وليسَ لِغَيرِكُم عَلَيكُم فرضٌ. ولا ذلك إلاّ لبعضِكم بعض. فمن كذِبَ على أخـيـه أو كـذِبَ لهُ فـقـد نافَـقَـه وشكَّ فـيـه. ولا يجـوزُ الكذِبُ بين الموحدين...

«وليس لأحدٍ من الموحدين فسـحةٌ في الكذِب لإخوانِه إلاّ أن يكونَ هناك ضدٌّ حاضِرٌ، لا يمكن كشفُ الأمـورِ إليه، ولا شرحُها بين يديه. وإن

(٣٣) رسالة التحذير والتنبيه ٣٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٣٤) رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيف ٤٢/ ٣٢٢.

(٣٥) رسالة جبل السماق ٩٨/ ٧٩٢.

(٣٦) منشور الى آل عبد الله وآل سليمان ٩٩/ ٧٩٤.

(٣٧) مكاتبة الشيوخ الأوّابين ١٠٣/ ٨٠٩ - ٨١٠.

أمكَن الصـمتُ فـهـو أحـسن، وإن لم يمكن فـلا بأسَ أن يحـرِّفَ القـولَ بحضرتِه، أعني الضدّ. ويجب عليه أن يرجِعَ يسدُق الحديثَ لإخوانه بعد خلوّهِم من الشّيطانِ.

«ولا بأسَ بالسـدق فيمـا لا يضرّ عند الأضـداد... لأنّ مَن رخّصَ لنفسه في الكـذبِ خِيْفَ عليه أن يتعوّدَه لسـانُه، وينطقَ به عند إخوانه... وإنّما رخّصْنـا بذلك عند الأضداد إذا كان يأولُ أمدُه إلى مَـضَرّه، مثل أن يكونَ أحدُكم قد قَتَل رجلاً مِن عـالَم السواد، فإذا سألوه عن ذلك جَاز أن لا يُسدِقَهم، وألاّ يُحقِّقوا عليه القتلَ بإقراره»[٣٨].

فالسدق، إذاً، بين الموحّدين فـريضة، والكذبُ على عالم السواد هو أيضاً فريضـةٌ. ودعوة التوحيـدِ تعتمدُ على السِّدقِ بينَ أنـصارِهَا كأعظمِ ركنٍ لها، وعلى الكذبِ عـلى الغيرِ كـأعظمِ وسيلةٍ للوصول إلى أهدافِـها. ألموحِّدون بعضـهم مع بعض هم حقّـاً «السادقون»؛ ومع سواهم أيضاً إنْ لم يسـدقـوهم يكونون دروزاً حـقـيـقـيّين، أي «سـادقين» مع دعـوتهم وعقيدتهم ومسلكهم.

ثم إنّ التـقيّة تعـني صونَ الحكمـة عن غيـر أهلها. فـهو واجبٌ لا مجال للمهـادنة فيه. بل منَ يكشفُ الحكمةَ لغيـر مستحقّيـها قد يُعرِّض نفـسَـه للهـلاك. فـالموحِّـدون «مطالبـون بما اجـتـرحـوه من الألفـاظ، ومسـؤولون عمّـا انتهكوه لهـم من الألحاظِ»[٣٩]. تقول الحكمـة: «إقبلوا الحكمةَ يا أهلَ الحكمة، وأديموا المواظبـةَ على حفظها وصيانتـها عن غير

(٣٨) الجزء الأول من السبعة أجزاء ٤١/٣١٣-٣١٤.
(٣٩) رسالة الجميهيريّة ٥٠/٣٦٨.

أهلها»[٤٠]. وتخاطبُ الحكمة كلّ موحّد بقولها: «إنْ أخفيتَها عمّن أنستَ منهُ هدى إلى التوحيد هَلَكْتَ، وإنْ أذعتَها بالتشرُّدِ إلى غيرهم قُتِلْتَ»[٤١]، «ولعنةُ الباري على مَن قرأها بين يدي شاكٍّ فيها أو مخالفٍ لها، أو أذاعَها إلى غيرِ أهلها»[٤٢]. «وأيضا من أشهَر شيئاً من هذه الأسرار فليُقْتَلْ جَهارًا قدّام كافّةِ الموحِّدين، ولا يُرْحَم، وكان خارِجًا من جملة الموحِّدين داخِلاً في عدد الكافرين. وعليكم في دفن هذه الأسرار تحت الجدار»[٤٣].

***

أمّا الأسباب التي أدّت بالدروز إلى التقيّة والتستّر فهي متعدّدة ومختلفة. وآراء الباحثين والعقّال فيها متضاربة. فمنهم من يقول بأنّ الاضطهاد هو السبب، كما صرّح بذلك السفير **عبدالله النجار**، «صيانةً لأنفسهم من الاضطهاد، ووقايةً لها من العدوان»[٤٤].

والمقدّم المتقاعد **جميل ذبيان** يقول: بسبب القهر والاضطهاد، «كان لا بدّ للموحّدين إلاّ أن يتردّوا بالتقيّة إزاراً يحميهم من تعدّيات خصوم، لم يكتفوا بالزوغان الجدلي واللّوم القارص يشْرعانهما على المعتقد؛ بل انتضوا سيوفَ الإبادة وأعمال التقتيل والذبح والتدمير

(٤٠) رسالة الرشد والهداية ٣٩/٢٨٦. أنظر: ٣٣/٢٤٤...

(٤١) رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيف ٤٢/٣٣٦.

(٤٢) رسالة البنات الكبيرة ٨٣/٧٤٨.

(٤٣) انظر مخطوط ٢٣١ المكتبة الوطنية بباريس، ورقة ١٧ أ و ب.

(٤٤) مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ١٨.

والتـجريح بالموحّـدين شيـوخاً وشبـاباً ونساءً وأطـفالاً، فتـذرت هويّة الموحّدين بالتخـفّي، وتقلّصت ممارساتهم التوحيديّة العلنيّـة إلى مغاور وكهوف وأوجار، وباتت رسائلهم تعتـمد الرمز والإشارة طريقاً للأفهام بين المؤمنين الموحّدين..»[٤٥].

أمّا الشيخ **مرسِل نصر** فيقول بأنّ سبب التقـيّة هو مفهوم خاصّ بالعـرفان ، وصـيـانة الحقـائق التي لا تُعطى إلاّ لمسـتحـقّـيهـا ولمن هم بمستواها:

«إنّ التقيّة عند الموحدين، لا تعني الخوف من الاضطهاد، كما يُحبّ أن يصوّرها البـعض من أبناء الطائفة أو خارجـها، لأنّ التقـيّة تدخل في أصل عقيـدة العرفان التوحيـدي، سيّما وأنّ في الدين مـستويات فكريّة تصلح بعضها للعامّة وبعضها للخاصّة وبعضها لخاصّة الخاصّة»[٤٦].

«وهكذا فإنّ صـيانة الحقـائق في مسلك التوحـيد هـي أصل وأس رئيـسـي لا نهج طارئ، وهي تقليـد متـوارث لما كانـت تفرضـه مسـالك العـرفان على ذويهـا وتابعيـها في جـميع العـصور والأمصـار، يوحي ويوصـي به الإعـتقـاد بعدم اسـتطاعة كـثيـر من الناس استـيعـاب هذه الحقـائق الأخيـرة للوجـود وعدم تطلّبـهم لمثل هذا الكشف وانصرافـهم وتلهّيهم عنه»[٤٧].

أمّا **الشيخ الدكتور أبو خُزام** فيعـتبر الاضطهاد هو سبب التـقيّة والاستتار. يقول:

---

(٤٥) إسلاميّة الموحدين الدروز، ص ١٧٣.

(٤٦) الموحّدون الدروز في الإسلام، ص ١١٢

(٤٧) المرجع نفسه، ص ١١٤.

«ألتقيّة سلوك احترازي يقوم على كتمان حقيقة الاعتقاد، والتظاهر بما هو مقبول، إجتناباً للاضطهاد والخطر». ويبرّر سلوك الدروز هذا بأنّ «الفرق الإسلاميّة المختلفة.. مارست مبدأ التقيّة عند الضرورة من دون استثناء»[٤٨].

«والتقيّة والاستتار من الفرائض السلوكيّة الأساسيّة عند الموحّدين. وفيهما تقول إحدى نصوصهم إنّ من يترك التقيّة كمن يمشي عرياناً هاتكاً عورتَه»[٤٩].

ويفسّر كتمان الدروز هذا بقوله:

«يعتزّ شيوخ التوحيد بتقيّتهم، ويعتبرونها مظهراً من مظاهر التهذيب الرفيع في سلوكهم. ويتواصّون بالإمساك في التناظر في الدين بينهم وبين الآخرين، واحترام خصوصيّات كلّ فرقة من فرق الإسلام. ولا ضير عندهم في مماشاة كلّ فرقة من فرق الإسلام وفاقاً لما ترتئيه من أحكام شرعيّة ظاهرة، لأنّهم لا يجدون فروقاً جوهريّة بين المذاهب الإسلاميّة. ويُضيفون بأنّ هذا التصرّف هو تصرُّف حميد يعكس حكمة عميقة تُجنِّب أهلَ التوحيد الوقوعَ في المصادمات والمنازعات مع إخوانهم المسلمين الباقين على الشكليّات. ويدافعون عن تصرّفهم هذا بالقول بأنّهم لا يرون ضيراً في أن يتصرّفوا مع كلّ فرقة إسلاميّة بالشكل الذي يرضي هذه الفرقة، إذ عندما يكون الجوهر واحداً فما الفائدة من الخلاف على التفاصيل؟

---

(٤٨) إسلام الموحّدين، ص ٢٠٨.

(٤٩) المرجع نفسه، ص ٢١٠، مستشهداً برسالة ١٥ من الحكمة.

«على أنّ هنالك عاملاً لا يمكن إنكاره في جنوح الموحّدين إلى التقيّة المفرطة فإنّ الاضطهادات الدمويّة التي تعرّض لها الموحّدون في تاريخهم عامل كبير في زيادة تقيّتهم وكتمانهم. وهي حال كلّ أقلّية مذهبيّة أو دينيّة عندما تتعرض للخطر[٥٠].

«ولا يُتلَى القرآن في مجالس الذكر هذه إحتراماً.. بل يتعدّون ذلك إلى قراءة فصول طويلة من الأدعية والشروح والرسائل»[٥١].

والتقيّة، في رأي الشيخ الدكتور، سبب من أسباب التهذيب عند بني معروف. يقول: «ويلتزم الموحّدون بقواعد من التهذيب الرفيع. ويظهر هذا التهذيب في أسلوبهم في التخاطب والتصرّف. فالكلام الفاحش أو البذيء أو الجارح معدوم في أوساطهم. كما أنّهم يتفاهمون ويتحدّثون فيما بينهم ومع الآخرين بلطف جمّ وتواضع صادق. ويكثرون من استعمال عبارات المجاملة واللياقة، ولكن من دون رياء مصطنع أو مصانعة. وقاموس اللّياقة والكياسة عند الموحّدين غنيّ جدّاً بالجمل الخاصّة بهم، حتّى إنّ الداخلَ الجديد إلى مجتمعهم يجد حرجاً في الإجابة عن كلّ ما يوجَّه إليه من عبارات الترحيب والضيافة، لأنّ هذه العبارات تستلزم أجوبة معيّنة لا يتقنها إلاّ مَن تعوّد على آدابهم وقواعد سلوكهم»[٥٢].

---

(٥٠) يستشهد بما يقول نجيب العسراوي: «وهذه المذابح معروفة عند الموحّدين بمحنة أنطاكية، وهي التي فرضت عليهم التقيّة والتستّر خشية الفناء. ومع طول الزمن صارت هذه التقيّة تقليداً.. وما هو بالحقيقة سوى تقيّة من المظالم والجور والتشريد والقتل الجماعي الذي نزل بالموحّدين»؛ المذهب التوحيدي الدرزي، ص ٦٤.

(٥١) المرجع نفسه، ص ٢١٦.

(٥٢) المرجع نفسه، ص ٢١٩.

وفي كلام الشيخ الدكتور عن الصدق والكذب، ما يؤكّد بأن الكذب مسموح مع الأعداء، وهو شأن الإنسان وحده، بعكس الصدق الذي هو شأن الموجودات كلّها. يقول: «إنّ الصدق يمكن إطلاقه على كلّ الموجودات الحيّة، كالإنسان والحيوان والنبات. كما يمكن إطلاقه على الموجودات الجامدة، كالمعادن والأتربة. بينما لا يمكن إطلاق الكذب إلاّ على الإنسان.. لهذا «التوحيد يسمح بالكذب مع الأعداء لضرورة السلامة. وهذه الضرورة أكّدت حكمة نبيّنا محمّد (ص) عندما سمح بالتقيّة»[٥٣].

وتحدّد **الدكتورة نجلاء أبو عزّ الدين** التقيّة بأنّها: «ستر المذهب إذا تعرّض الفرد أو الجماعة للخطر بسبب المعتقد... وإلى جانب التقيّة هناك سبب للكتمان أكثر أهمّيّة، وهو الحفاظ على العقيدة كي لا تصل إلى الذين لم يتهيّأوا لقبولها، فيسيئوا تفسيرها، ويشوّهوا حقيقتها، ويختلط عليهم ما يعتقدونه»[٥٤].

وتقول: كتب كثيرون في التقيّة وضرورة كتمان السرّ عن غير أهله: «لقد اتّفق أهل **العرفان** Gnostics والصوفيّة أصحابُ الإيمان الكشفي والحكماء **المتألّهون** Theosophists في كافّة العصور على وجوب حجب بعض الحقائق الروحانيّة عن العامّة.

«وفي **الفلسفة الإسلاميّة**، هناك الحكمة المسكوت عنها، وهي أسرار العلوم الإلهيّة. أمّا العلوم الشرعيّة فمعرفتها بمتناول الجميع[٥٥].

---

(٥٣) مقدّمة لـ"كتاب النقط والدوائر"، ص ٨٨-٨٩.

(٥٤) الدروز في التاريخ، ص ١٥٠.

(٥٥) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ٩٧.

«في **سجلّ لأحد الخلفاء الفاطميّين** بتعيين داعي الدعاة، يوصي الخليفة، من جملة وصاياه للداعي، أن يحفظ الحكمة عن غير أهلها بقدر حرصه على أن لا يمنعها عن مستحقّها[٥٦]. من الجدير أن نلاحظ أنّ الوصيّة بشأن حفظ أسرار الحكمة وردت بعبارات تكاد تكون واحدة في كلٍّ من السجل الفاطمي وكتب الحكمة عند الدروز ورسائل إخوان الصفاء الذين يشاركهم الدروز في كثير من المعتقدات.

«كان **إخوان الصفاء**، أينما وُجدوا، يعقدون مجالس خاصّة بهم، لا يحضرها غيرهم، يتذاكرون في علومهم، ويتأمّلون في أسرارهم. قالوا: إنّهم لم يكتموا أسرارَهم عن الناس خوفاً من سطوة ذوي السلطنة الأرضيّة، ولا حذراً من شغب جمهور العوام، بل ليصونوا الحكمة عن غير أهلها. وحرصاً منهم على حفظ الحكمة عمّن ليس من أهلها، كتب الإخوان ما أرادوا كتمانه في كلمات وعبارات وإشارات لا يفهمها غيرهم[٥٧].

أمّا **جابر بن حيّان**، الذي تنسب إليه مجموعة من الكتب العلميّة والغيبيّات، فقد اتّبع، للحفاظ على السرّيّة، طريقة بعثرة الموضوع الذي أراد أن يبقيه سرّاً في عدّة رسائل بدلاً من إبرازه كاملاً في مكان واحد، كما يقول هو: "إنّ من سبيلي شرح العلم وتبديده وتمزيقه في المواضع الكثيرة".

ويعهد الفيلسوف الإشراقي **السهروردي** إلى أصدقائه في

---

(٥٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٠؛ ص ٤٣٦-٤٣٨.

(٥٧) رسائل إخوان الصفاء، القسم الرابع، الرسالة السابعة، والرسالة الجامعة، الجزء الأوّل، ص ١٦٩-١٧٠؛ ٥٢١-٥٢٣.

الحفاظ على كتابه " حكمة الإشراق "، ويوصيهم " بحفظ هذا الكتاب والاحتياط فيه وصونه عن غير أهله "[٥٨].

والإمام الغزالي كان يرى أنّ من الحقائق الدينيّة ما يجب أن لا توضع أمام العامّة، بل يعطى لكلٍّ على قدر طاقته من استيعاب الحقيقة. وكان أحد المريدين طلب إليه أن يشرح له سرّ الأنوار الإلهيّة والمعنى الباطني لآية النور مع تفسير حديث الحُجب، فأجاب الغزالي: " ولقد ارتقيتَ بسؤالك مرتقىً صعباً تنخفض دون أعاليه أعينُ الناظرين. وقرعتَ باباً مغلَقاً لا يُفتح إلاّ للعلماء الراسخين. ثمّ ليس كلّ سرّ يُكشف ويُنشر، ولا كلّ حقيقة تُعرض وتُجلَى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار "[٥٩][٦٠].

والسيّد **كمال جنبلاط** يردّ التقيّة إلى عدم توفّر الأهليّة الرّوحيّة والاستحقاق الخلقي عند عامّة الناس. يقول: «ألإحتراز ما أمكن فيما يتوجّب أن يبقى سِرّاً مكتنزاً لا تتداولُه أيدي عامّة الناس، ممّن لا تتفتّحُ أفهامُهم وأذواقُهم لمعناه، ولا تتوفّرُ فيهم شروطُ الأهليّة الروحيّة والإستحقاق الخلقي، ولا يرغبون، بجِدّيّةٍ وإخلاص، بالانخراطِ في مسلكِ هذا العرفان»[٦١].

ويقول: «إنّ السببَ الجوهري لمثل هذه السرّيّة ليسَ هو التقية بمعنى الخِشية، بل الصفةُ الملازِمة لهذا العرفان ذاتِه الذي هو محضُ

---

(٥٨) السهروردي، كتاب حكمة الإشراق، ص ٢٥٨.

(٥٩) الغزالي، مشكاة الأنوار، ص ٣٩.

(٦٠) أبو عزّ الدين، الدروز في التاريخ، ص ١٥٠-١٥٢.

(٦١) كمال جنبلاط في مقدّمة كتاب «أضواء على مسلك التوحيد»، ص ٧.

اختبار»[٦٢].

وينقل إلينا حَذَرَ الكتبِ المقدسةِ في ذلك فيقول: «تُحظِّرُ الكتبُ المقدسة على الصدّيقين الروحانيّين أن يتحدّثوا عن الحقيقة كما هي... لأنّ الحقيقةَ تتأذّى من جَرَّاءِ ذلك وتَتَشوَّه. لأنّ الأفرادَ.. إذ ذاك، يباشِرون الهزءَ بالحقيقةِ ذاتها؛ وهذا الهزءُ يجرّهُم إلى التَهْلِكَة. فيجبُ أن نتجنّبَ مثلَ هذه الكارثةِ مهما كلّفَنا الأمر»[٦٣].

بيد أنّ السيّد جنبلاط يرغب في أن تظهرَ محاولاتٌ لنشرِ بعضِ ما يمكن نشرُه من كتبِ الحكمة، وذلك «على يدِ بعضِ الأمناءِ الرّوحانيّين... وما يأذن به الموحِّدون العقّال»[٦٤].

وسببُ هذه الرغبة هو ما يراه من طلاقٍ بين المشايخ وعامّة النّاس، وبين العقّال والجهّال. وذلك لتجنّب عزلةٍ دينيّة قاتلة. يقول: «وكيفَ يتسنّى لمنْ لا يعرفُ شيئًا عن مبادئ دينه العامّة أن يسترشِدَ به، وأنْ ينطبِعَ بِقَالَبِه، وأنْ يتشخَّصَ في صورتِه، وأنْ ينتسبَ روحيّاً، وحتى إجتماعياً إليه، دون أن يتجاوزَ أحدٌ، في كل حالٍ، حدَّ ما لا يحقُّ كشفُه إلاّ للمتعبّدين الصديقين والصالحين المحترزين أي للمريدين»[٦٥].

أمّا الدكتور **سامي نسيب مكارم** فيعتبر أنّ «كشفَ أسرار الحقيقة الأخيرة للوجود يعرِّضُها إلى ضروبٍ من التأويل والتحريف وإساءةِ الفهم من جانبِ الذين يجهلونَ هذه المسالك العرفانيّة. وهذا، حسب

---

(٦٢) المرجع نفسه، ص ١١.

(٦٣) المرجع نفسه، ص ١٦.

(٦٤) المرجع نفسه، ص ٩.

(٦٥) المرجع نفسه،ص ٩ – ١٠.

معتقد التـوحيد، يكون أسوأ بكثير من إبقاءِ هذا المسلك على سـرّيّته، كما أنّ أحداً لا يستفيدُ من هذا الكشفِ، كما يقول الدروز، إلاّ إذا كان قد سلك هذا المسلك العرفاني وعاشَ فيه وشعر به واختبرَهُ»[٦٦].

ويعتبر الدكتور «أنّ صيـانةَ الحقائق في مسلك التوحيد هي أصلٌ وأسٌّ رئيسـيٌّ، لا نهجٌ طارئ»[٦٧]، أي «أنّ السـرّيّةَ هي بالأصلِ عـقـيـدةٌ أساسيّةٌ في مسلكِ التوحيد»[٦٨]. «لذلك كانتْ هذه الصيانةُ، في قصدهـا الأوّل والأصيل وقايةً للعـامة من الناس الذين لا يقوون على هذا المرتقى الجليل في مـعراج التـوحيـد، فتكـون أذى لهم وإفســاداً للظاهر الذي به يؤمنون؛ وهكذا يندفـعـون، لِمَا اخـتلط في نفوســهم وأُشكِل عليـهم من حقيقة التوحيـد والعرفان، إلى إيذاء رجاله ومريديه، وإلى سوء فهم هذه الحـقيـقة. فـالتقـيّة، اذن، حـسب مســالك العـرفان، وقـاية للحقـيقـة، والمستضيئين بهديها، ولمن لا يستطيعون إدراكها»[٦٩].

ويلخّص السيّد **بايازيد** أسباب وجوب التقيّة ومصادرها بما يلي:

«أوّلاً – إنّ عامّـةَ الناس لا يهـتمّـون، عادة، فـيما يـعود لحقـائق الوجود الأخيـر، ولا يجذبُهم هذا الاستعـلاءُ في معراج معرفـةِ البشريّة والألوهيّة، ولا تستهويهم هذه التجربةُ في مجالِ الانفتاح على أسرارِ هذا الوجود...

«ثانياً – إنّ مسلكَ العرفـان، في كل شريعة وفي كل بلدٍ وفي كلّ

(٦٦) أضواء على مسلك التوحيد «الدروز»، ص ٩٦.
(٦٧) المرجع نفسه.
(٦٨) المرجع نفسه.
(٦٩) المرجع نفسه، ص ٩٧. أنظر أيضا ص ١١٩ – ١٢٠.

دين، عَبر العصور، يَتبايَنُ، من حيثُ الانطلاق والاعتماد، مع نَهج الشريعة المعروف. فالأوّل يعتمدُ المعرفةَ والكشفَ الأخيرَ عنها، والثاني يعتمد الإيمانَ... ومن لم يصحَّ له الارتقاءُ إلى مرتبةِ المعرفة فيجبُ أن يَبقى في حِمَى الإيمان..

«ثالثاً – لقد اتّفق الجميعُ، منذ أقدم العصور، على إبقاءِ هذه المسالك العرفانية بعيدةً عن نظر الجَهَلة والمتطفّلين، وحتى عن العلماءِ -في المعنى الزمني للكلمة- والمتفقّهين، خوفاً من تشويهها وضياع حرمتها، وانكشاف معانيها ودلالاتها على غير جدوى لمن لم تتحرّك به نسائم الروح في طلب هديها»[٧٠].

يتّفق السيد بايازيد مع الدكتور مكارم والسيّد جنبلاط في الردّ على السفير النّجار، اذ يقول بأنّ «أوّل ما يؤخذ على مؤلّف كتاب مذهب الدروز والتوحيد، الأستاذ عبدالله النجار، أنّه لم يدرك أنّ السرّيّةَ في مسلك التوحيد هي نهجٌ أساسيٌ ومسلكٌ عرفانيٌ أصيلٌ، وليست تقية في المعنى والقصد العادي الشائع للاتّقاء والاستتار من المكروه ومجانبة الانتقاد»[٧١].

أمّا «**الأمير السيّد جمال الدين التنوخي**» فيعتبر التقيّة والمساترة من صميم التوحيد. ولا يجوز لأيٍّ موحِّد التهاون بذلك، لئلا يكون من المارقين. فالتقيّة، في هذه الحال، فرضٌ دينيّ واجب. لولاه لما كان توحيد. والأمير السيّد، في قوله بوجوب التقيّة، يمثّل العقيدة الدرزيّة الخالصة. وما سواه من كتّاب وعقّال يجتهد اجتهاداً. يقول الأمير:

---

(٧٠) بايازيد في «توطئة« على كتاب «أضواء على مسلك التوحيد»، ص ٦٤...

(٧١) المرجع نفسه، ص ٦٥.

«تجب المساترة على كلّ أحد من أهل التوحيد، كما قال (قائم الزمان) " والاستتار بالمألوف عند أهله " [٧٢]،. وقال: " وكذلك أيّ رجل عرف باطن ثوبه ولبسه –وهو التقيّة والسترة وإقامة الشريعة مع أهلها واللّطف بهم– ثمّ إنّه ينزع ثوبَه وسرباله ويرميهما ويمشي في الأسواق عرياناً، قيل إنّه مجنونا (كذا) وقد خرج من المروّة "[٧٣].

«فمع هذا الكلام والأمر بالمساترة لا يحلّ لأحد يتمسّك بدين التوحيد أنّه يهمل المساترة، بل يجب عليه أنّه يعرف موجبات الصلاة والوضوء ونواقضه، ويقرأ ما تيسّر من القرآن قراءة صحيحة على شيخ، وإن كان ذو يسر فيزكّي عن ماله لمستحقّه، ويعرف أمر الصيام ومفطراته، بحيث لا ينكشف عند الشرائع أمرُ دين التوحيد حتى ولو وخّر (أخّر) الإنسان بعض رسائل الحكمة بلا حفظ، ويحفظ عوض ذلك ما يقيم به للمساترة، كان ذلك واجب،

«لأنّ الإنسان، إذا غرس بستاناً ولم يصنْه بشيءٍ لم يسلم أبداً، وإذا غرسه ثم نقص بعض غرسه، وجعل عوض ذلك النقص حاجزاً يصونه، كان ذلك أقرب لسلامته، وأنتج فيه،

«وكذلك مذهب التوحيد ما يصحّ لأحد صحّةً كاملة إلاّ بالاستتار. و" الاستتار بالمألوف " هو إن كان المحقّ (أي الموحّد) ساكن (كذا) بين أهل الظاهر التنزيليّة فيتساتر بمذهبهم من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وتقديمِ أبو بكر وعمر وعثمان على علي ابن أبي طالب وغير ذلك.

---

(٧٢) أنظر ٣٣/ ٢٤٤.

(٧٣) أنظر رسالة الردّ على النصيري ١٥/ ١٦٨. يفسّرها النجار بأنّها دلالة على «ممارسة الفرائض القرآنية»، ص ٢١٥ من كتابه، ص ٢.

«وإن كان ساكن بين التأويليّة في بلاد غالب عليه الشيعة فيتساتر بمذهب التأويل ويتـزيّا بزيّهم، ويقدّم علي ابن ابي طالب على الصحابة كلّهم، ويسبّ أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة، ويكون موافقهم في دينهم في ظاهر أمره.

«وإن كان بين النّصاري فيتزيّا بزيّهم.

«وهذا الحال رحمة من اللّه على أهل التوحيد أن يكون توحيدُه في قلوبهم، ويتزيّوا بزيٍّ كلِّ طائفة في ظاهرهم.

«ولهذا مثال: إنّ المرآة لولا طمْسُ جهتِه الواحدةِ لكان الذي يَنظرُ فيه يَخرقُه بصرُه، لم تنطبعْ فيه صورةُ وجهه، ولمَّا جُعل على جهته الواحدة شيئًا (كذا) حُجِبَ به نظرُ الناظر ومَنَعه من أن يخرقَه، فانعكس البصر وانطبعتْ في المرآة صورةُ الناظر،

«وهكذا دين التوحيد لا يصحّ ولا يكمل إلاّ بالمساترة، كما لا يصحّ للناظر في المرآة أن يرى وجهه فيه إلاّ بَطمْسِ الجهة الأخرى»[٧٤].

وفي مخطوط آخر للامير السيّد يقول بوضوح: «يجوز النظر إلى الأشرار وتبجيلهم مصانعةً ومداراةً لمجرى الزمان»[٧٥]. ويحقّ للموحّد أن يقضي «حاجةَ ظالمٍ لضرورةٍ تُوجِبُ مداراةً ومصانَعَة»[٧٦]. بل إنّ «مَن أهملَ المساتَرةَ دخلَ في الزنَا، ومَن سلَّم الحكمةَ إلى غير أهلها دخل في الزنا»[٧٧].

---

(٧٤) مخطوط ١٤٣٦ في شرح ميثاق ولي الزمان، ورقة ١٢٥أ - ١٢٧أ.

(٧٥) مخطوط ١٤٣٨ في معنى الجوارح السبعة، ورقة ٢٠ب.

(٧٦) المرجع نفسه، ورقة ١٢٨أ.

(٧٧) مخطوط ١٤٤١ في «ذكر معرفة الشرور السبعة»، ورقة ١ أ.

وبهاء الديـن المقتنى، كمـا رأينا، وقبلَ الأمـير السيّـد، أوجب على الموحِّدين سبَّه ولعنَه إنْ رأوا أنفسهم في خطرٍ داهمٍ. يقول «مَن وقعتْ به منكم مـحنةٌ وطُلبَ منكم سبّ هذا العبـدِ فتـبرّأوا منه وسـبّوه، وان طُلب منكم لعنـتُه فـالعنـوه، هذا عند الإضـرار (أي الضـرر) والله العـالم بما تظهروه وتكتموه»(٧٨).

ويبدو أن **فخرَ الدين المعني الثاني** كان يعرفُ هذا المعنى ا لدرزي للتقـيّة، وقد أوضح لتـرجمانِه في تـوسكانا عن تصرّفاتِ الدروز حـيالَ النصارى بقوله: «وعصـبَتُنا جميعُهم يمدحون أمامَ كلِّ إنسـانٍ مسيحيٍّ يجـالسونَه، وقـدّامَ الكهنةِ والرهبـانِ سكانِ بلادنا، الذين هم مـحمُـودو السّـيـرة والمعـارف والفـضـيلة عندنا وعند كلٍ من بني جـنسِنا ، ولكنْ بالجهرِ والإعلانِ فقط، ليسَ بالقلب والباطنِ؛ لأنّ الدروزَ جميعًا في السرِّ والباطِنِ وفـي خِفيـةٍ يذمّونَ سـائرَ الرهبان والمسـيحيّينَ ويسـتخـفّونَ بالإنجيل، ويُنكرونَ شجاعةَ الشـهداء»(٧٩).

وقد لمس ذلك **الكابتن «كاربيّيه»** حاكمُ جبل الدروز، الذي قال عن السلطان باشـا الأطرش بأنّه «مـتأثرٌ بديانتـه الخـاصـّةِ التي تجـعلُ من الكذبِ عقيدةً حقيقيّة، ومن الحِلفَانِ بالباطلِ فرضًا»(٨٠)

لقد مـارس الدروز، عبر تاريخهم، هذه «المسـاترة»، ونفّذوها، في حياتهم السـياسيّة وفي معامـلاتهم مع جيرانهم، خيرَ تنفـيذ. ولن تبرحَ

---

(٧٨) منشور الغيبة ١١١/٨٤٢. وهو آخر كلام قاله بهاء الدين.

(٧٩) مخطوط ٢٣١، ورقة ٦٣ ب ٦٤أ.

(٨٠) Sultan pacha El Atrach "est influencé par sa propre religion qui a fait du mensonge envers l'étranger un véritable dogme, et du faux serment une obligation" .Carbillet, Au Djebel Druze; Ed. Argo, Paris 1929, p. 64-65.

عن بال مسيحيّي دير القمر تصرّفاتُ الشيخ سعيد جنبلاط معهم في حوادث سنة ١٨٦٠. وقد جهل أسبابَ ذلك قناصلُ الدول الغربية في لبنان آنذاك، فيما **المصادرُ الروسيّة** أكّدتْ ما يلي:

«وكان المشرِف على نشاطِ الأرستقراطيّة الدرزيّة هو الشيخ سعيد جنبلاط، الذي يُعتَبر دعامةً للنفوذ الانكليزي في لبنان. فقد كان يعقدُ اجتماعاتٍ سرّيّةً للأرستقراطيّة الدرزيّة في مقرّه في المختارةِ ويمسك بيدِه جميعَ خيوطِ المؤامرةِ الدرزيّةِ. وينبغي الافتراضُ أنّ القنصلَ العام الإنكليزي كان على علم بنشاط الأعيانِ الدروز. فقبيل وقوعِ الاصطدامات بين الدروز والموارنة أخذَ الشيخُ سعيدُ جنبلاط يسألُ القنصلَ العامَ الإنكليزي (مور) كيف ينبغي عليه أن يتصرّفَ في الوضع القائم. وقد نصحَه القنصلُ نصيحةً لا تحتملُ التأويل، وهي عدمُ القيامِ بأعمالٍ سافرةٍ كي لا يفضحَ نفسَه. وقد نفّذَ الشيخ هذه النصيحةَ بدقّةٍ: فامتنع عن المشاركةِ في العَمَلِيات الحربيّةِ، وحتى أنّه أرسلَ أغذيةً إلى دير القمر التي كانتْ محاصرة من قِبَلِ الدروز وخبّأ عندَه بعضَ المسيحيين[٨١]. وكان يقودُ سرّا جميعَ العمليّات الحربيّة ضدّ المسيحيين»[٨٢].

***

(٨١) أرشيف سياسة روسيًا الخارجية، «السفارة في القسطنطينية».

(٨٢) أ. سميليانسكايا، «الحركات الفلاحية في لبنان»، النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، تعريب عدنان جاموس، دار الجماهير بدمشق ودار الفارابي ببيروت، سنة ١٩٧٢، ص ٢٣٤ – ٢٣٥.

وأخيراً، إنّ سؤال الجاهل للعاقل: «لماذا أوصانا حمزة بن علي أن نُخفيَ الحكمةَ ولا نكشفها»؟ وجوابُ العاقل: «لأنّه فيها أسرار مولانا وعلومه فلا يجبُ أن نكشفَها لأحدٍ كونُها خَلاص النفوسِ وحياة الارواح»[٨٣]، باطلٌ واحتقارٌ كبير للإنسان، الذي تمنع الدرزيّة عنه خلاصه، لأنّ "خلاصَ النفوس وحياة الأرواح" رسالةٌ مطلوبة من كلِّ إنسانٍ تجاه أخيه الإنسان.

***

وثمّة أسئلة يطرحها الجميع: هل يعرِفُ الدروز معاني هذه التقيّة وأبعادَها؟ وهل يمارسونها؟ وهل لجميعِهم نفسُ الموقفِ العِدائيّ من سائر الأديان والمذاهب؟ أليسَ قلّةٌ ضئيلةٌ من المشايخ يعرفون ذلك والسوادُ الأعظم يجهلونَه أو ينكرونَه؟ ألم يغيِّرِ العلماءُ والمفكِّرون موقِفَهم هذا؟ أليسَ للعلمِ اليومَ وللتربيةِ المدنيّة وللأنظمةِ الاجتماعيّةِ وللحقوقِ الإنسانيّةِ وللحضاراتِ الحديثةِ أيُّ تأثيرٍ في توجيه الناسِ نحوَ بناءِ مجتمعٍ بشريٍّ أفضل، تسودُ فيه العدالةُ والمساواةُ والأخوّةُ والصراحةُ والصدق والشفافيّة والمحبّة، و يتبارَى الناسُ بقَبولِ بعضِهم بعضًا بروحٍ منَ التسامح في مواجهة صعوبات الحياة وآلامها وأحزانها؟!

لنا على هذه الإسئلة جوابان:

ألأوّل، إنّ المُناخَ العامَّ الذي ينشأُ فيه ا لدرزيُ وينمو، يفرِضُ عليه

---

(٨٣) مخطوط ٥١٨٨ في تعليم الديانة الدرزية، سؤال ١٠١.

اكتسابَ صفاتِه. فالطفلُ الذي يَرى أبَاه نصرانيّاً مع النصارى، ومسلماً مع المسلمين ينشأ مثلَه. والتاريخَ الذي يحملُ الانسانُ عبءَ أحداثِه يحتّمُ عليه الحفاظَ على قدسيّتِه، اذ ليسَ من السهل على الإنسانِ أن يغيّر ما ورثه. ومَن تجرّأ على تركِ ماضيه كمن استهونَ الانتحارَ الذي لا يقوى عليه إلاّ الأبطال. ثمّ إنّ الظلمَ الذي لحقَ بالموحِّدين، منذ نشأتِهم، يتفاعلُ في النفوس، ويتعاظَمُ من جيلٍ إلى جيل.

وكلّ هذا ارتفعَ في الدرزيّة على مستوى الدين، وعلّمتْهُ «الحكمةُ» كأنّه حقيقةٌ موحاة. ومتى تسلَّم الدينُ عقولَ البشر واستأثرَ بعواطِفهم وتاريخهم وتربيتهم، أصبحوا به مقيّدين مُلزمين.. إنّ حكمَ الدين مُبرَم، ويظهرُ عند أيِّ خطر، فيغدو الإنسانُ مَسيّراً مندفعاً للجهاد عنه بلا وعيٍ وبأيِّ ثمن. هذا اللاّوعي المتجذِّر في الماضي البعيد يفعلُ في النفوس فعلَ سحرٍ مقدس. ولن يمنعَ العلمُ ميراثاً تاريخيّاً ينتظرُ يومَ يقظتِه. ولن يصمدَ المستقبل أمامَ يومٍ واحدٍ من تاريخٍ عَبَر.

ألثاني، إنّ بعض الأصوات الدرزيّة ترتفع من حين إلى آخر لنزع التقيّة والمسايرة والكتمان والباطنيّة. وتدعو إلى كشف ما يجب أن يكشف من الحكمة، وإلغاء ما يجب إلغاؤه. فالشيخ المغترب **نجيب العسراوي** يقول: «إنّ التقيّة والتستّر، والمبالغة فيهما لدرجة الإفراط، قد أضرّا بالمذهب وتابعوه (كذا) أضراراً عظيمة. منها تجميد العقيدة على بعض أقوالٍ ساذجة لا تمتّ للمذهب ولا للتوحيد بصلة، ومنها حرمان غالبيّة الدروز من معرفة حقائق المذهب، فعاشوا موحّدين بالاسم فقط، لا يعرفون كيف وعلى ما بُني مذهبهم، ولا يعرفون صلاتهم»[٨٤].

---

(٨٤) المذهب التوحيدي الدرزي، ص ٨.

ويحاول **قسم البحوث الروحيّة في الضحى** أن يكشفوا بعض الشيء عن الدرزيّة، فيدعون إخوانهم في الدين إلى التعمق في المعرفة وإلى قول الحقيقة. يقولون: «من حقّ الحق أن يُحِق، وإلاّ صار وهماً. ومن واجب الحقيقة أن تجب وتصبح واجبة الإيجاب، وإلاّ صارت ضلالاً.. فمن حقّ الإنسان في هذا العصر، أن يتّصل بالمعرفة، بشكلٍ مستقيم، ويتناول العلمَ خالِصاً نقيّاً مباشراً.. لأنّ حياة الفرد قصيرة.. تدعوه إلى السرعة.. في كلّ ما يأتيه.. فضاع الكثير من عمر البشريّة سُدىً وضلالاً»(٨٥).

ويقولون أيضاً: «نحن الآن على مفرق خطير. لا بدّ لنا من التقرير على صيرورة المصير، فلا تجرفنا الآمال الفارغة، ولا تخيفنا المصاعب العارضة» (ص ٣).

(٨٥) أبناء النور عبر العصور، ص ١.

ثالثاً - الرموز والتأويل

قد لا تكون التقية كافيةً لكتمانِ سرّ الدرزيّة وكتبِها، وقد تقعُ «الحكمة» بين يدي أناس لا يستحقّونها، فلا بدّ لها، والحالة هذه، من صيانةٍ أخرى، ومن حصنٍ منيعٍ آخر تختبئُ وراءه. فكانت «الرموز» وقاءاً آخر، وحمايةً أخرى، يتّقي بها الدروزُ شرَّ «الاضداد». ولهذا نرى لحروفِ الأبجديّة رموزاً، وللأعداد رموزاً، وللألوان رموزاً، ولبعض الكلمات رموزاً، ولآيات القرآن والإنجيل رموزاً، ومعانٍ، ومدلولاتٍ، وتفاسيرَ، لا يفكّها إلاّ المتبحّرون في الحكمة، ولا يفقه معانيها إلاّ مشايخ مستنيرون. وقد وفّقنا اللّه ببعض المراجع الأساسيّة، لفكّ كثير من الرموز والألغاز.

ولولا هذه المراجع، التي بذلنا في اقتناصِها كلَّ نفيس، لما تجرّأنا على الإقدام إلى مثل هذا البحث. ولولا تأمّلاتنا المتواصلة في «الحكمة» وجهودنا الكبيرة في سبيلها لكنّا من جملة المغامرين.

وقد لا نقف عند فكّ الرموز والألغاز ومعاني الحروف والألوان والآيات القرآنية كلّها، لأنّ ذلك أمرٌ شاسع مضنك؛ بل نأخذُ عيّنات وأمثلة، ونختصرُ قدرَ المستطاع.

ومن الواضح أنّ الكلام بالرموز والأمثال ليس من خصائص

الحكمة الدرزيّة وحدَها، فالإنجيل تكلّم بالأمثال، والقرآن أيضاً. جاء في القرآن: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون»[٨٦]، و«كذلك يضرب اللّه الأمثال»[٨٧]..

غير أنّ ما في القرآن والإنجيل من "أمثال"، وما في الحكمة من "رموز" يختلف اختلافاً كبيراً؛ بل يتناقض. فالأمثال في القرآن والإنجيل هي لأجل إعلان ما كان خفيّاً، فيقول الإنجيل نقلا عن سفر المزامير[٨٨]: «أنطِقُ بالامثالِ، وأُعلِنُ ما كان خفيّا منذ إنشاء العالم»[٨٩]، ويقول القرآن: «ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناس لعلّهم يتذكّرون»[٩٠]، «وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون»[٩١]؛ أمّا الرموز في الحكمة الدرزية فهي لأجل التمويه والتدليس والتستّر... وفي كلّ حال، لا بدّ من كشف بعضها.

أ- رموز بعض آيات القرآن

«جميعُ ما في القرآن والصحف، وما نزّله (الله) على قلبي (قلب حمزة) من البيان والأسماء الرفيعة، فهو يقع على عبده الإمام»[٩٢]. ونقدّم بعضها:

---

(٨٦) سورة العنكبوت ٢٩/٤٣.

(٨٧) سورة الرعد ١٣/١٧؛ أنظر أيضاً: ١٦/٧٥، ٣٩/٢٩، ٦٦/١٠، ٢/٢٦٤، ٤٨/٢٩، ١٤/٤٥، ٢٤/٣٥... الخ.

(٨٨) مزمور ٧٧/٢

(٨٩) انجيل متى ١٣/٣٥

(٩٠) سورة إبراهيم ١٤/٢٥.

(٩١) سورة الحشر ٥٦/٢١.

(٩٢) رسالة سبب الأسباب ١٤/١٥٩.

أ) «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم»

مهما اجتهدتَ في تأويل هذه الركيزة الايمانيةعند المسلمين لن تستطيعَ فهم مقصود الدروز فيها. فهم يتلونها كالمسلمين، ولكنّهم يفهمون فيها ما لا يخطر ببال:

يقولون مثلاً:« بسم اللّه الرّحمن الرحيم دعاة عبده الإمام»[٩٣]. ويقولون: «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم حدود قائم الدين»[٩٤]. ويقولون: «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم صفات عبده الإمام»[٩٥]. و «حروف بسم اللّه الرّحمن الرّحيم حدود عبده الإمام»[٩٦]. و «صفات العلّة بسم اللّه الرّحمن الرّحيم»[٩٧]...

وتفسير ذلك: «بسم اللّه» سبعة أحرف، دليل على ٧ دعاة أصحاب الأقاليم السبعة»[٩٨]، و٧ أفلاك، و٧ أيّام الأسبوع، وغير ذلك...

و« الرّحمن الرّحيم»، إثنا عشر حرفاً، دليل على ١٢ داعياً أصحاب الإثني عشر جزيزة»[٩٩]، و١٢ برجاً...

والحروف جميعها التسعة عشر (٧+١٢) دليل على الدعاة التسعة عشر، الذين هم دعاة قائم الزمان حمزة الذي أرسلهم في أقاليم

---

(٩٣) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٨٥.

(٩٤) أنظر: ٧٣/٦٣٦، ١٠٢/٨٠٣، ١٠٣/٨٠٨، ١٠٤/ ٨١١، ١٠٩/٨٣٣. ١١٠/٨٣٧، ١١١/ ٨٤١، وأيضا: ١٩/٢٠٢.

(٩٥) أنظر: ١١/١٢،٩٧/١١١.

(٩٦) ١٨/ ١٩٥، ٢١/٢٠٨، ٦٤، ١٤/١٤٦... الخ.

(٩٧) ٢٠/٢٠٦، ٢٨/٢٢٧، ١٤/١٥٣، ١٥٥، ١٦/١٧٥...

(٩٨) رسالة سبب الأسباب ١٤/١٥٥.

(٩٩) المرجع نفسه.

المملكة الفاطميـة لبثّ دعوة التوحيد. وهؤلاء الدعاة هم بمثـابة «صفات» حمزة، من قول «الحكمة»: «هذا داعي فـلان ومن أصحاب فلان، فصاروا صفـاته بهذا السـبب»[١٠٠]. وصـفات الإمـام هم أيضاً «حـدوده» لأنّهم «مشخَّصُون في وقتنا هذا»[١٠١] بذوات جسمانيّـة، لأنّ كلّ صفة يتولاّها حدّ من هؤلاء الحدود.

ب) «لا اله إلاّ اللّه / محمّد رسول الله»

* «لا إله / إلاّ اللّه»: كلمتان، وأربعة فصـول، وسبعة مقاطع، واثنا عشـر حرفا. ألكلمتـان دليل على العقل والنفس، والفصـول الأربعة دليل على الحدود الأربعـة، والمقاطع السـبعة دليل على النـطقاء السبـعة[١٠٢]، والأوصياء السـبعة[١٠٣]، ودليل على الأيام السبعـة، والسماوات السبع، والأرضين السبع، والجبال السبعة، والأفـلاك السبعة. والإثنا عشر حرفاً دليل على إثني عـشر حـجّة الموزّعين في الجـزائر الإثني عشر، بـحسب تقسيم الأرض عند الدروز بالنسبة إلى الدعوة[١٠٤].

* «مـحمّـد / رسول / اللّه»: ثلاث كلـمات، دليل على ثلاثة حـدود بحسب الدعوة الإسماعيليّة. وهي ستـة مقاطع دليل على ستة نطقاء –ما عـدا آدم الذي لم يكـن له العـزم ليـقـيم شـريعـة ظـاهرة كـغـيـره من

---

(١٠٠) المرجع نفسه.

(١٠١) المرجع نفسه، ١٤/ ١٥٩.

(١٠٢) النطقاء السـبعة: آدم، نوح، إبرهيم، موسى، عـيسى، محمّـد بن عبداللّه، محـمّد بن إسمعيل

(١٠٣) الأوصياء السبعة: شيت، سام، إسمعيل، يوشع، شمعون، علي بن أبي طالب، عبداللّه ابن ميمون القدّاح.

(١٠٤) انظر كتاب النقض الخفي ٦/ ٥٠–٥٢.

النطقاء[١٠٥]. وهي اثنا عشر حرفاً دليل على اثني عشر حجّة، وكذلك السماء فيها إثنا عشر برجاً، والأرض وعليها اثنا عشرة جزيرة[١٠٦].

* والشهادتان معاً مؤلّفتان من ٢٨ حرفاً، وكذلك الأفلاك السبعة: زحل، مشترى، مريخ، شمس، زهرة، عطارد، قمر، هم ٢٨ حرفاً. وكذلك أوّل بروج الفلك السبعة: حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة، ميزان، هم ٢٨ حرفاً. وكذلك أوّل شهور السنة السبعة: محرم، صفر، ربيع، جمادى، رجب، وهم ٢٨ حرفا. وكذلك الأيام السبعة: أحد، إثنين، ثلثا، أربعا، خميس، جمعة، سبت، هم ٢٨ حرفاً. وكذلك النطقاء السبعة... ٢٨ حرفاً. وكذلك الأوصياء السبعة... هم ٢٨ حرفا[١٠٧]... وكلّهم دليل على دعاة قائم الزمان حمزة.

جـ) سائر أركان الإسلام

إذا كان هذا ما حدثَ بركنَي الإسلام الأساسيّين: البسملة والشهادتين، فما تراك يكون بسائر الأركان ومجمل آيات الكتاب!؟:

فـ«الصّلاة هي صلة قلوبكم بتوحيد مولانا»، و«الزّكاة هي في الحقيقة توحيد مولانا بتزكية قلوبكم»، و«البرّ هو توحيد مولانا»، و«الفحشاء والمنكر هما الشريعتان الظاهر والباطن»، و«الصوم هو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا»، و«البيت (أي الكعبة) هو توحيد مولانا»، و«ربّ البيت هو مولانا جلّ ذكره»، و«الجوع والخوف» (في سورة قريش ١٠٦/ ٤) هما الظاهر والباطن»، و«الجهاد هو الجهد في توحيد

---

(١٠٥) أنظر رسالة ١٢/ ١١٧، و ٣٦/ ٢٦٣.

(١٠٦) كتاب النقض الخفي ٦/ ٥٣...

(١٠٧) المرجع نفسه ٦/ ٥٠ –٥٣...

مـولانا»[١٠٨]، و«النفع والضـر» (في سـورة الرعـد ١٣/١٦-١٨) همـا الظاهر والبـاطن»، و«الروح والريحان» (في سـورة آل عمـران٣/١٠٥) هما الإمـام وتاليه»، و«جنّة النعـيم تعني دعوة التـوحيـد»، وسبّح باسم ربّك العظيم «يعني سبّح باسم الإمام الأعظم ذو مَعَة (حمزة)[١٠٩]...

٢ - معنى الأعداد: ٧ و ١٢ و ١٩ و ٢٨

وهي دلائل صريحة على موجودات الكون وأنظمته. فأنت ترى أنّ العدد ٧ في كل مكان: ٧ نطقـاء، و٧ أوصياء، و٧ أيّام، و ٧ سـموات، و٧ أرضـون، و٧ جبـال، و٧ أفـلاك، و٧ أقـاليم... ثمّ إنّ القـرآن نزل على ٧ صنوف: ناسخ، منسوخ، مـحكم، متشابه، وقصـص، وحكايات، وأمثال؛ وقرئ بـ٧ أحـرف؛ والطواف حول الكعـبة ٧، وطول الإنسـان بشـبره ٧ أشبار، وعرضه بشبره ٧ أشبار، وفي وجهه ٧ خروق... الخ[١١٠].

والنتيجة هي ان «كل شيء، إذا بلغ سبـعة، انتهى، ووجبَ تغييرُه وحدوثُ غـيره»[١١١]... ومعـنى ذلك أنّ دورَ الأنبيـاء السبـعة قد انتـهى ووجب حدوثُ دور جديد هو دور العقل حمزة بن علي قائم الزمان...

وبهذا الوجه نستطيع أن نفسّر سائر الأعداد.

٣ - حروف الأبجديّة:

---

(١٠٨) المرجع نفسه، ٦/٥٦-٦١.

(١٠٩) رسالة الغاية والنصيحة، ١٠/ ٨٤-٨٦.

(١١٠) أنظر كتاب النقض الخفي ٦/٥١ -٥٢.

(١١١) الجزء الأول من سبعة أجزاء ٤١/٣١٨.

سنعطيك منها هذا المثل: «الألف والباء والتاء والثاء يتشابهون بعضهم ببعض. غير أنّ الألف يكتب بالطول، والباء والتاء والثاء تكتب بالعرض.

«فالألف دليل على العقل وهو الإمام (حمزة)، والألف قائم بلا نقطة فوقه ولا علامة تحته. والباء دليل على النفس (التميمي) وهي الحجّة وتحته نقطة واحدة، لأنّ بينه وبين العقل حدًا واحِدًا هو الضدّ الروحاني، فصارت نقطة الباء من تحت حيث عصى الضدّ أمرَ باريه، ونافق على إمامِه وهاديه، ولو كان الضدّ طائعاً لكانت نقطةُ الباء من فوق... والتاء دليل على الكلمة وفوقها نقطتين دليل على الحدّين اللّذين هما فوقه. والثاء دليل على الجناح الأيمن رابع الحدود. ونقطه دليل على الثلاث حدود الذين فوقه في المرتبة...

«والجيم والحاء والخاء في صورة شيء واحد، لكن بينهم فرق كثير في الحقيقة، لأنّ

«الجيم دليل على شريعة الناطق الظاهرة، والنقطة التي تحتها دليل على شريعة الأساس التي هي تحت الظاهر مستورة فيه. والخاء دليل على شريعة الأساس التي هي تحت الظاهر مستورة فيه.

«والخاء دليل على شريعة الأساس وهو التأويل، والنقطة التي فوقها دليل على شريعة الناطق التي هي عالية على شريعة الأساس. والجيم والخاء هما يمين وشمال، وهما مضلّتان والنجاة في المحجّة الوسطى (أي الحاء) والحاء دليل على شريعة قائم الزمان...

وكذلك الميم والواو والزاء والنون شيء واحد، لكن الميم شكلته من

خلفه مدوّرة، والـواو شكلته من قدّامه. وهذه صـورتـهما: مرو، والنون يبقى على حاله لكن فوقــه نقطة، والميم دليل على محمّد، والواو دليل على وصيّه... والنون دليل عى شريعة قـائم الزمان، والنقطة التي فوقها دليل على ظهور قائم الزمان بالقوّة والسيف... الخ[١١٢]

٤ – ألغاز الحكمة

إنّ التقيّة أوجـبت على الدروز التفاهم فيما بعضــهم بعضاً برموزٍ وإشاراتٍ لا يفهمها عامّــة الناس، ولا ينالون مقصودها. فقارئ الرسـائل يقرأ مـثلا عن «الفلاحَة» و«الزراعــة» و«الربح والخسارة»، و«الضيـعة» و«الحصص»، و«البستان»، و«صاحب الـبستان»، و«الجراد» و«الكتان»، و«القطن»، و«الإهليلج»، و«الزيت»، و«الزيتـون»، و«الكرم»، و«العنب»... ويكاد لا يعرف سـبب موقعهـا، ولا يفهم مقصـودها... ولكنّها تعني عند الدروز أشياء وأشياء:

تقول الحكمــة مثــلا: «وأمّا الكتّان فــهو غالٍ، ثقـيلُ المحمْل، مـضرٌّ بالتاجر، لكثرة مؤونته وثقلِه»[١١٣]. وتقول أيضاً: «وما وصل من الكتّانِ فَتَحَرَّصْ على إنفاقه وقبضِ الثمن، وإنِ اشتريتَ به زيتاً من عمل فلسطين فهو أفضل»[١١٤]. وتقول أيضاً: «وما حـزمناه مع أعدالِ الكتّان فليحطاط على بَيعــه من غير تضـجيعٍ ولا توانٍ»[١١٥]. فـ «الكتّان» هــنا «يرمز الى

---

(١١٢) رسالة كشف الحقائق ١٣/١٤٣ – ١٤٥. أنظر مـخطوط ١٤٣٩ من المكتبة الوطنية بباريس، وتفسير كشف الحقائق للأمام السيّد ٧١٩...

(١١٣) منشور رمز لابي الخير سلامة ١٠١/٨٠١.

(١١٤) مكاتبة نصر ابن فتوح ٩٤/٧٨٢.

(١١٥) منشور رمز لأبي الخير سلامة ١٠١/٨٠١

الرسائل العارية من الرّمز، مثل «النقض الخفي» (رقم ٦)، و«حقائق الهزل» (رقم ١١)، وغيرها؛ و «الزيت» ممثول حكمة السيد المسيح، أي الإنجيل، الذي يسهل حمله أكثر من الكتّان[١١٦].

«وأمّا الشُزُّبُ الدَّيَبقي فهو على غاية من حسن العاقبة في حمله»[١١٧] و «الشُزُّبُ يعني الزرع النامي، و الدَّيبقي منتوج زراعي في قرية مصرية ينسب إليها. والشزَّب الديبقي ممثوله الرسائل المرموزة»[١١٨]، أي الرسائل التي لا خطرَ من حملها والتنقّل بها بين الأضداد، لأنّها، إنْ وقعت في أيديهم لا يفهمون منها شيئاً. فهي إذاً بخلاف رسائل الكتّان التي يصعب التنّقل بها.

«وأما الهليلجات والقرفة والزنجبيل وجميع البهارات فقد انقطعت السبل بتاجره، ووقع عليه المسار، فلا تذكره في شيء من المكاتبات»[١١٩]. هذه الألفاظ «هي ممثول الرسائل العارية من الرّمز، وفيها الحقائق والمفترضات وذكر الحدود والمقامات»[١٢٠]، وكل ما تقوم به العقيدة التوحيديّة. ومع هذا تبقى أقلّ خطراً من رسائل الكتّان.

«وأمّا القطن[١٢١] فممثول رسائل التوابيخ[١٢٢] التي منع وصولَها شرذمةٌ من المرتدّين الكافرين لأنّهم كانوا يمسكون الطرق على رسل

---

(١١٦) الدرر المضيّة...، باب «ت» فصل «ز».

(١١٧) رسالة ١٠١/٨٠١.

(١١٨) كتاب الدرر المضيّة، لفظة «ديبق»، ص ٤٣٠.

(١١٩) رسالة ١٠١/٨٠١.

(١٢٠) كتاب الدرر المضيّة،، لفظة «بهار»، ص ١٧٦ – ١٧٧.

(١٢١) رسالة ١٠١/ ٧٩٩–٨٠٠.

(١٢٢) انظر رسائل: ٧٦ – ٨٢ في توبيخ ابن البربرية ولاحق وسكين وسهل...

مولاي بهاء الدين حتى لا تصل إلى الشيوخ الموحّدين، كما قال: وأمّا القطن الذي قطعوا عليه التدمريّون فأمرُه قد فات»(١٢٣). ورسائل القطن هذه أقلّ خطراً من الكتان والاهليلج، وأكثر صعوبة في حملها من الديبقي.

وقد تكون العلامة لمعرفة الدروز بعضهم بعضا في سؤال الجاهل للعالم: «كيف نعرف أخانا الموحّد إذا رأيناه في الطريق، أو خطَرَ مارٌّ علينا، ويقول إنّه منّا؟ وجواب العالم: بعد السلام وبسط الكلام، نسأله: أفي بلادكم فلاّحون يزرعون حبّ الهليلج؟ فإذا أجاب نعم نزرعه في قلوب المؤمنين، ثم نسأله هل تعرف الحدود؟ فإن أجاب نعم، يكون لا محالة أخانا، وإلاّ فيكون غريبا عنّا»(١٢٤).

***

بالرموز إذاً يتعارف الدروز، وبالرموز يتميّزون. وعلى تفسير الرموز يجتمعون في مساجدهم، وبفهمها يكونون من الموحِّدين السادقين. «فانتبهوا (أيّها الموحّدون) لمواعظ النذير (بهاء الدين)، وافهموا رموزات السادق البشير (قائم الزمان)»(١٢٥). وبالرموز، أيضاً، يتخلّص الدروز من شرّ الأشرار ومحنة «الأضداد» وخطر المضطهِدين. وقد يكون العلم الحقيقي في الدرزية هو علم فكّ الرموز، كما أنّ العلم عند المسلمين هو «علم الكلام». وهذا هو «اللاّهوت الدرزي»، إن جاز التعبير.

---

(١٢٣) كتاب الدرر المضيّة، لفظة «قطن»، ص ٦٦٢.

(١٢٤) مخطوط ٥١٨٨ في تعليم الديانة الدرزية، سؤال ٤١.

(١٢٥) منشور الى آل عبد الله وآل سليمان ٩٩/ ٧٩٤.

رابعاً - الانتقام والأخذ بالثأر

هنا نتيجة رابعة في مجابهة الموحّدين للأضداد أصحاب المذاهب والأديان عامّة والمسلمين بنوع خاصّ، وهي ردّ إيجابي من الدروز، فيما كانت التقيّة والسرّيّة والرموز والصبر على المحنة وصون الحكمة ردّاً سلبيّاً على تلك العداوة المستشرية. هذه النتيجة تقوم على الانتقام من المسلمين، والأخذ بثأر الموحّدين، وذلك في زمن القوّة والمقدرة.

على الموحّدين أن يقاتلوا المسلمين، لأن المسلمين عامّة «لا يهتدون إلاّ بالسيف»[١٢٣]، ولأنّ الكفرَ هم أئمّتُه وأربابُه: «قاتِلوا أئمّةَ الكفر، إنّهم لا إيمانَ لهم، لعلّهم ينتهون. وهم رؤساء الشريعة الناموسيّة»[١٢٤].

وعادةً ما تبتدئ رسائل الحكمة، أو تنتهي بهذه العبارة التي تصف قائم الزمان حمزة بأنّه «هادي المستجيبين، ألمنتقم من المشركين والمرتدّين، بسَيفِ مولانا، سبحانه، وشدّةِ سلطانه»[١٢٥]. وقائم الزمان

---

(١٢٣) السيرة المستقيمة ١٢/١٣٣.

(١٢٤) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/١٩٠.

(١٢٥) أنظر: ٥/٤٨، ٦/٦٣، ٧/٦٨، ٩/٨٢، ١٠/٩٦، ١٢/١٢٩، ١٣/١٤٥، ١٥/١٧٤، ١٦/١٨٣، ١٧/١٩٤، ١٩/٢٠٥، ٢٠/٢٠٦، ٢١/٢٠٨، ٢١٢، ٢٢/٢١٣ و٢١٤ و٢١٦ و٢١٧، ٢٤/٢١٩، ٢٦/٢٢٣، ٢٧/٢٢٥، ٢٨/٢٢٧ و٢٢٨، ٣٢/٢٤٠، ٣٤/٢٤٩، ٣٦/٢٥٩... الخ.

نفسُـه يعرّف على نفســه بقوله: «أنا مجرّدُ سـيف التوحيـد ، ومُهلك كلّ جبّـارٍ عنيد»[١٢٦]. ويحذّر «خـمّار بن جيش السليـماني» بأن يرتدع عن شرّه، قبل أن ينتقم منه ومن جماعـته بالسيف: «ألحذر الحذر على نفسك ممّا أنت عليه، وانظر لروحِك قـبل قيامي بالسيف على جـميع المشركين، وأنت أوّلهم»[١٢٧].

ومن جملة وصـايا حمزة لمقـام الرضى حثُّه الموحِّـدين على حمل السلاح دفـاعاً عن أنفسهـم وعقيدتهم. يقـول: «أوصِهم بحفظِ بعـضهم بعــضـاً. ولا يمشي أحــدٌ منهم إلاّ ومـعَــه شيءٌ من السّـــلاح، وأقلّه سكّين»[١٢٨].

وبهاء الدين المقـتنى يذكّر الموحِّدين بأمرٍ من السـجلّ المكرّم بحملِ السّــلاح في كلّ مكان، وحتى في الحـرَم الأمين: «ألم تُؤْمَرُوا في سـجلٍّ مكرّم عن الأمرِ العالـي الشريف المعظّم بحَمْلِ السِّلاحِ في جـميع الأماكِن حِزَمًا، وفي الحَرَم الأمين، أشـارةً إلى إظهار التوحيد»[١٢٩].

والسَّـيف هو الوسيلـةُ للدفاع عن دين التـوحـيد ولتـأييده ضـد المنافقين: «وأمّا السيفُ فهو تأييـدُ مولانا الذي أيّدني به لحصاد المنافقين والمارقين بقدرة مولانا»[١٣٠].

ومن ينجو من السيف تفرض عليــه الجزية. وهي محدّدة على أهل

---

(١٢٦) رسالة التحذير والتنبيه ٣٣/ ٢٤٣.

(١٢٧) رسالة الى خمار... ٢٧/ ٢٢٥

(١٢٨) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١/ ٢١٠.

(١٢٩) رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ... ٤٢/ ٣٢١ – ٣٢٢.

(١٣٠) رسالة الرضى والتسليم ١٦/ ١٧٨...

السنّة والشيعة وخونة الدعوة في «رسالة الرضى والتسليم»[١٣١]. يقول حمزة: «ومَن فَضُلَ من السيفِ تُؤخَذُ منه الجالية»[١٣٢]، ويقول في مكان آخر: «والذي يبقى من فضلةِ السيف تُؤخذُ منهم الجزية، وهم صاغرون. ويلبَسون الغيارَ وهم كارهون»[١٣٣].

وتؤخذ الجزية من المسلمين، كما يأخذها المسلمون من أهل الكتاب: «وتصريحُ بيانه للموحِّدين، لا للمشركين، إلى أن يظهرَ السيف فيكون ظاهراً مكشوفاً، طوعاً وكرهاً. وتؤخذ الجزية من المسلمين والمشركين كما تؤخذ من الذمّة»[١٣٤].

هذا في قوّة الموحِّدين وفي هذه الدنيا. أمّا في اليوم الأخير فسيكون السيفُ علامةَ الغَلَبَة والنصر: «إنّ القائم، سلام اللّه على ذكره، بعد غيبته، لا يظهر لأحد إلاّ بعد كمال العدّة، وسيفُه مشهر قائم به على الجَحَدة الفسّاق في جميع الأقطار والآفاق»[١٣٥]. في ذلك اليوم سيقوم الموحّدون عند «ضجيج السيد الهادي الإمام (حمزة) وشموس القيامة وأقمار التمام (الحدود) بسيوفهم، ينتقم من أبالسة الأدوار (النطقاء) وأشياعهم الفاسقين»[١٣٦]

في اليوم الأخير، سيحلّ بالمنافقين الذعر. وبعد أن يشربوا «كأس الحمام»، سيخضعون لـ «الذل الشامل، والسيف الصارم القاتل،

(١٣١) رسالة الرضى والتسليم ١٦/١٨٣.
(١٣٢) المرجع نفسه.
(١٣٣) رسالة البلاغ والنهاية ٩/٨١.
(١٣٤) كتاب النقض الخفي ٦/٥٠.
(١٣٥) توبيخ ابن البربرية ٧٦/٦٩١ – ٦٩٢.
(١٣٦) رسالة الايقاظ والبشارة ٥٦/٤٧٨.

وتطأُهم بأخمصها كتائبُ الملك المظفَّر المسعود»[١٣٧]. عندئذ «إذا استُلَّ من غمدِهِ الصارمُ الذّكر[١٣٨]، واقتدحَتِ الأرضُ بالنارِ والشّرَر.. هنالك تبورُ الدجاجلة (النطقاء)»[١٣٩]. و« إذا اشتهرَ من المشرقِ الصارِمُ المُشرفي، وظهر من الحجبِ المستورُ الخفي، لتطهيرِ الأرض وتغييرِ الملك، وقتل أبالسةِ الدين (الانبياء) ونقل الدول.. هنالك يشتهر من المشرق المشرفي الصارم، ويقوم بحدّه إلى الملحدين الإمامُ القائم»[١٤٠].

في ذلك الزمان العسير، «أين يتاه بعالم النجس... من سيف يعلو الربى متعنجراً بالدم، يَطوي طَلا الباطل، ويهدمُ الأركانَ من نواميسِ الشرَع»[١٤١]. «فأينَ المفرّ.. وكيفَ الخلاص لأهلِ الخِلاف المَردَة المعانِدين، وقد أحدقَ بهم طوفانُ السيفِ؟»[١٤٢].

***

هذا السيف المسلّط على رقاب المسلمين، لا بدّ من أنّه سيتحقّق فعله آخر الأزمنة – نحيل القارئ إلى صورة غلاف كتاب «تاريخ الموحِّدين الدروز السياسي في المشرق العربي»، المطبوع سنة ١٩٨٠، حيث قائمُ الزمان حمزة على ظهْرِ جوادٍ رافِعاً سيفَه مستعِدّاً لدخولِ مكّة لهدمِ كعبتها ساحِبًا ذيله وراءَه بحسب ما تصفه «الحكمة» بقولها: «وسحَبَ

(١٣٧) رسالة التعقّب والافتقاد ٥٥/ ٤٢٢.
(١٣٨) كناية عن حمزة الملقّب بـ «الذكر»، والصارم هو السيف.
(١٣٩) رسالة اليمن ٦٠/ ٤٧٢.
(١٤٠) رسالة التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٤ – ٤٨٥.
(١٤١) رسالة تأديب الولد العاق ٦٣/ ٤٨٩.
(١٤٢) رسالة تمييز الموحدين ٦٦/ ٥١١.

ذيلَه بالخَسْفِ لِمَقطَرَةِ الكفرِ والبابِ الأعظمِ لتهامة.. لهدمِ الهيكلِ وإحراقِ بصائرِ القلوب»[١٤٣].

هذا السيف هو الذي اطمأنّ إليه الدروز في تاريخهم السياسي المقهور، وهو الذي يجيز لهم الإعدادَ ليومه العظيم بأخذِ الثأر لدماءِ الموحِّدين المظلومين عبر التاريخ.

والوصيّة بأخذ الثأرِ عزيزةٌ على قلب كلِّ درزيٍّ موحِّدٍ مخلِصٍ لدينه وتاريخه. بها يحفظُ إخوانَه، ويُسدقُهم، ويتعهّد كرامَتهم، وينتقمُ لدمائهم المهدورة ظلماً وقهراً.

وهو أمرأوجبته «الحكمة» على أصحابها: «لا تَهِنوا عن أَخْذِ الثَّأْرِ لِدمَاءِ المُوَحِّدين المَظْلُومِين»[١٤٤]. والدروز جميعهم مدعوّون إلى أن يكونوا «مقتفين لفضائِلهم (أي لفضائل الحدود) بأخذ الثأرِ لدماءِ الموحِّدين المظلومين الممتحنين»[١٤٥]. وعلى العقّال منهم تقوم عمليّة الثأر هذه، وبنوع خاصّ «سادات الأمم رؤساء الأعراف الآخذين بثأر أهل الحق»[١٤٦]. و«نهض لأخذِ الثأر ساداتُ الأمم رجالُ الأعراف»[١٤٧]. «أولئك أعرافُ الحقّ ساداتُ الأمم.،. الآخذون بثأرِ أهل التوحيد»[١٤٨].

في اليوم الأخير «أين يتاه بكم أيّها المرقة الفسّاق، وقد أُسْرِجتْ لثأر أهلِ الحقِّ الضُمْرُ العِتَاق (الخيل) وتقضَّى المضمارُ وحانَ

---

(١٤٣) رسالة تأديب الولد العاق ٦٣/ ٤٨٩

(١٤٤) رسالة السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٧.

(١٤٥) المرجع نفسه ٦٨/ ٥٣٨.

(١٤٦) رسالة الايقاظ والبشارة ٥٦/ ٤٣٨.

(١٤٧) رسالة تمييز الموحدين ٦٦/ ٥١٧.

(١٤٨) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٦٣.

السبَاق»[١٤٩]. لقد «آن أخـذُهم للثأرِ بدماء آل الحقِّ المـظلومين الموحِّدين، مِن حـزبِ الدّجّال ومن الأدعياءِ النكثة أهل الإلحادِ والتكذيب المعاندين»[١٥٠].

وما قائم الزمان حمزة إلاّ «الآخذ بثأر أوليائه الممتحنين الركّع السجود مِن آل السفه والفسق والجهل والجحود»[١٥١]. وهو يتعهّد بأن يكون «آخِذاً بثأر أهل التوحيد من الشيصبان (علي) والعجل (محمّد)[١٥٢]، ويحلف باللّه العظيم وبعدله الذي لا يفوته شائبة بأنْ لا يهدأ له روع إنْ لمْ يأخذْ بثأر أتباعه المظلومين: «وحقِّ الباري عندنا، وعدله يوجبُ أخذَهم بثأر أنفسِهم من أولادِ السفاح والحرام»[١٥٣].

وفي عودة حمزة، عند تجلّي الحاكم في مكّة، سيكون استيفاء الحقّ وردُّه لأصحابه الأصيلين، ومعاقبة الأشرار، والثأر منهم: «فها هو قد أزمع للمجيء الإمامُ السيّد، لاستيفاءِ الثأر، ومعاقبتكم بأمره على خبيث أفعالكم يا أشرّ الأشرار»[١٥٤].

«الأخذ بالثأر» يتمّ في ساعة ملائمة، لا يتوقّعها أحدٌ. ولكن، تحدث عادةً عندما تدبّ الفوضى في المجتمع، فيتفلّت البشر من القوانين والأنظمة، في ثورة، أو حرب، أو عند تغيير الدّول، أو لدى اضطراب

---

(١٤٩) رسالة التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨٤.

(١٥٠) رسالة تمييز الموحدين ٦٦/٥١٦..

(١٥١) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٦٤.

(١٥٢) رسالة التقريع والبيان ٦٢/ ٤٨١. أنظر كتاب "العجل والشيصبان"، سلسلة "الأديان السرّيّة"، قم ٤، سنة ١٩٨٥.

(١٥٣) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/ ٦٦٥.

(١٥٤) رسالة التعقب والافتقاد ٥٥/ ٤٢٨.

الأمن.. عندئذ لا بدّ للموحِّدين المخلصين أن يعدّوا العدّة.

ويرافق الثـأرَ غـدرٌ، لأنّ المتـربّـصَ لعـدوّه يرابطُ له، ويـتـرقّبُ الانقضاضَ عليه، فيغدرُ به، دون أن تقع عليه لومة لائم.

والثأر عند الـدروز هو الجهاد في الإسـلام، مع الفرق أنّ الجـهاد يكون في سبيل اللّه؛ فـيما الثأر هو انتقام لإخـوانهم الذين قُتِلوا ظلماً في أوائل الدعوة، والذين تقع دماؤهم على عاتِق كلٍّ منهم.

ولا بدّ للدرزي السادق أن يصلّي كلَّ يوم، ويذكـر في صلاته، كي تسـتجـاب، كلَّ ما يعـودُ إلى الثـأر لدماء إخـوانه والانتقـام لهم بإذلال الإسـلام والمسلمين، لأنّ هؤلاء كـانوا المـسـؤولين عن هذا الدم البـريء. وصلاته هي هذه:

«ألّلهمّ! إنَّ قـرنَ الشـيطـانِ قـد طَغى فـأَذِلَّهُ، وعـددَ أهلِ الارتداد والنكْثِ قد كَـثُر فـأَقِلَّهُ. فقد أظهـروا من الغِلِّ والنّكْثِ ما كـانَ في الكنائنِ مستورا، وأبدُوا من الضدادة والعِنادِ ما صارَ لِمُتَأَمِّلِه بعد الطيِّ منشورا. فقاتَلونا بأسلحـتِنَا من حيثُ أَمِنَّا على النفوس، ورجِعُـوا إلى ما أَلِفُوه من عبادةِ العجلِ (محمّد) والجاموسِ (علي).

«أللهمّ! فبكَ المسـتغاثُ، وإليكَ المُـشْتَكا، وفي يدَيكَ المماتُ والمَحـيَا، واليكَ ، بوليِّكَ (حمزة)، المفزعُ والملْجَا.

«ألّلهمّ! فَأَرِنَا بمسادِيقِ وعدِكَ اجتـثاثَ شجرةِ الأوغادِ (المسلمين)، وصلِّ على أوليائكَ الطاهرين الأشهاد ، وسلّم تسليما»[١٥٥].

---

(١٥٥) رسالة الحقائق والانذار ٥٧/ ٤٥١ – ٤٥٢، انظر ٦٠/ ٤٧٣.

وأخيراً. يحمل الدروز على عاتقهم عبء تاريخ، مملوءٍ قهراً واضطهاداً، حافلٍ بالقتل والدم، تلفُّه ضبابةٌ سوداء، شدَّ الظلمُ فيه رباطاً مَتيناً، فتعاونَ الموحِّدونَ على الانقيادِ بوجهةِ سَيرِهِ متكاتِفينَ متّحدِينَ مترابطِينَ منتظرينَ يومَ فَكاكِهم الوشيك.

تُرى أيُّهما أقوى: ظُلمٌ جَحْفَلٌ تتناقلُ الأيّامُ رعبَهُ وتزيد، أم عِلْمٌ غزيرٌ يحطِّمُ قيودَ الماضي ويفتّحُ على مستقبلٍ زاهٍ بالخيرِ؟ في قعر وجدان بني معروف، ظُلْمٌ وقهرٌ واضطهاد.. منذُ ألفِ سنة، تتفاعلُ هذه الرزايا في الخبايا وتنمو، وتتعاظَمُ، يومًا بعد يوم. ظُلمٌ تاريخيٌ جُماعِيٌ، يَحشُدُ معَه ألوفَ الضحايا البريئة، لن يسكّنَ غليانَ دمائِها مسكّنٌ.

عالجوا الظلمَ بشتّى الوسائل: بالتقيّةِ، والمسايرة، والتمويه، والحِيطة، والعزلةِ، والتدليسِ، والتظاهرِ بعقيدة أعدائهم، وبالرموز والألغاز والتآويل الكثيرة المتنوّعة... فكانتِ الوسائلُ نفسُها زيتًا يُصبُّ على نار. عالَجوه بالمسكّناتِ والمطفئات، على ما يقول بهاء الدين، فكانَ «أضعفُ الأدويةِ المسكِّنات، وأقلُّها نفعًا المطفئات. وإنّما المنعة في العقاقير البشِعَة، والشَرْطِ والبَطِّ والقَطْعِ والكَيِّ»[١٥٦].

عالجوه بالعلم والتسامي على الجِراح، فعَقَد العلمُ عليه طَلاءً ظاهرًا لم ينفُذْ إلى الأسباب. وارتفعَ التسامي إلى حدٍّ أنْ رأوا نفوسَهم «أساتيذَ الدنيا في التسامحِ والتساهلِ»[١٥٧]. أيّ حظٍّ يكونُ للعلمِ مع الدين؟! والدينُ نفسُه مظلومٌ يدعو لثأر نفسِه من سائر الأديان!..

---

(١٥٦) منشور الشرط والبط ٢/١٠٢ ٨٠٥. أنظر معاني الالفاظ في مكانها.

(١٥٧) عارف النكدي في مقدمة كتاب «الواقع الدرزي وحتمية التطور»، ص ٨.

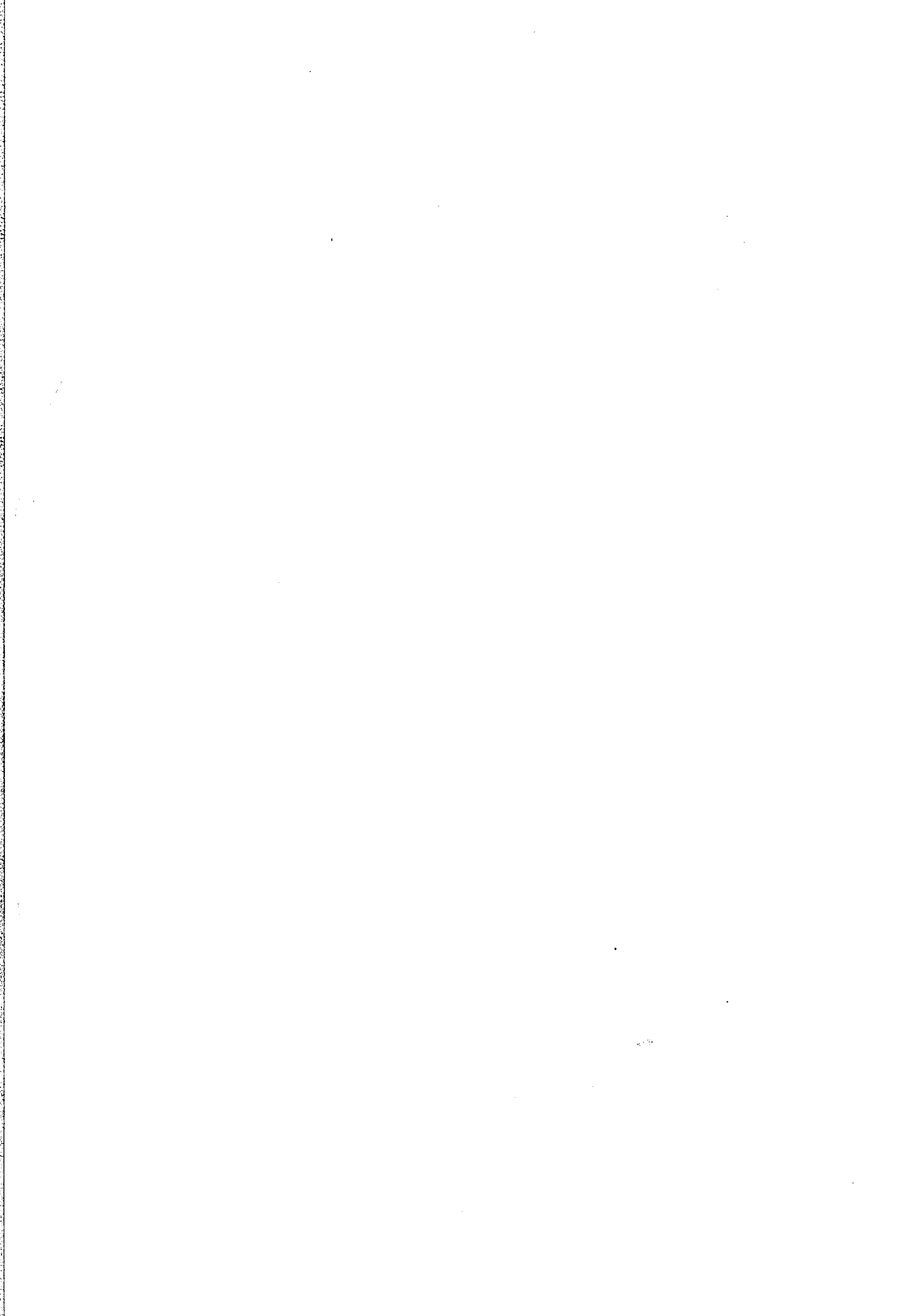
الفصل الثامن

أَلْمَعَادُ الدُّرْزِيّ

أوّلاً - التقمّص

ثانياً - الجنّة والنّار

ثالثاً - اليوم الآخير



اولا - التقمّص

يختلف المعـاد الدرزي (أي الإِسْكَاتُولُوجيا) اختلافًـا جوهريًا عن المَعَـاد الإسلامي. يقـولُ الإسـلام بحـيـاةٍ واحدةٍ للانسـان، وبجنّةٍ ونار مادّيـتين، وبيومٍ للحـساب رهيب، وبنهـاية هذا العالم وزواله؛.. ويـقولُ التوحيد بحَيَوَات وميتـات متعدّدة، أي بتقمصِ الأرواح ونُقْلَتِها، وبأدوار للخليقةِ مُتلاحِقة، وبجنّةٍ ونار روحيّتين، وبنهايةٍ لهذا العالم بنهايةِ أديانه ومذاهبه، وانتصار دين التوحيد على الأديان جميعها...

وتَعـتـبر الدرزيّةُ أنّ الدورَ الـذي نحنُ فيـه هو آخـر الأدوار. في نهايته يتجلّى الحـاكمُ بمجدٍ عظيم وَغَلَبَةٍ لا تُقهر. ويكون البشر جـميعُهم في دينِ التوحـيد، أو تحتَ حكمـه السعيـد. وتكون للموحِّدينَ سـعادةٌ لا يوصفُ بهاؤها، وللمخالفين عذاباتٌ لن تنقـضـي، وقهرٌ يساوي أضعافَ ما حلّ بأهلِ التوحيد المنكوبين. وأعظمُ القـهر سيقعُ على المسلمين، عندما يرونَ مدينتَهم المقدّسة تُدَكُّ دكًا.

بيد أنّنا، قـبلَ الوصول إلى هذه النهـاية، لا بدّ من النظرِ في وضعِ الإنسان وتحـوّلِه من حيـاةٍ إلى حياة، أي تنقّلِه مـن جسدٍ إلى جـسد، أي تقمّصه. فهذا أيضاً من معتقدات الدرزيّة الأسـاسيّة.

***

ألتقـمّص هو انتقال النفس، بالموت، من جـسد بشري إلى جـسدٍ بشري آخـر. أو هو «عودة المبدأ الروحي في الإنسان إلى غـلاف لحمي جديد. وهذا الغلاف يتّخذ بالنسبة للإنسان دائماً جسداً بشريّاً»(١).

أمّا القـول بالتناسخ، أي بانتقـال النفس من جسـدٍ بشريّ إلى أيّ جسـدٍ كان، فـهو، عند الـدروز، باطل، مخـالفٌ للحكمة. هكذا جـاء على لسان **قائم الـزمان**: «لا يدخلُ في المعـقول، ولا يـجبُ في عدل مـولانا سبـحانَه، بأن يَـعصيـه رجلٌ عاقلٌ لـبيبٌ، فـيعاقـبُه في صـورةِ كَلْبٍ أو خنزير، وهم لا يعقلونَ مـا كانوا عليه في الصورة البشـريّة، ولا يعرفون ما جَنوه؛ أو يصيرُ حديدًا يُحَمّى ويُضْرَبُ بالمِطرقة. فأينَ الحكمة في ذلك والعدلُ فيـهم؟ وإنّما تكونُ الحكمةُ في عَذابِ رجلٍ يَفـهَمُ ويعرفُ العذابَ، فيكونُ مأدبَةً له وسببًا لتوبته»(٢).

والنفس تحتاج إلى الجسـد. ولا يمكن أن تكون بدونه. هذا ما جاء في كتاب أساسيّ للموحِّدين، هو **كتاب النقط والدوائر** يقول: «لمّا كانَ من مقتضى حكمة العزيز القادر سبـحانَه احتياجُ النفس إلى الجسم، وإنّها لا تستغني عنه طرفة عين فكان لها في الجسم ممازجات ومشاركات وآلات مدركة»(٣).

ويقول أيضـاً بأنّ النفس بحاجـة إلى الجسم لتـعرف: «فمـا تقدر النفس الناطقـة على الذكـر إلاّ بالقوّة المذكِّـرة التي في الجسم، ولا تقـدر على تخـييل الأشـياء إلاّ بالقـوّة المخيّـلة التي في الجسم، ولا تقـدر على

---

(١) قيس غوش، التقمّص. أهو حقيقة أم خيال؟، ص ١٥.

(٢) رسالة الردّ على النصيري الفاسق ١٥/١٧١.

(٣) كتاب النقط والدوائر، ص ٣٠.

التفكّر إلاّ بالقوّة المفكّرة التي في الجسم... فالجسم حجابها ومنه تظهر أفعالُها، ولا تُدرَك إلاّ منه، ولا تُعرَف إلاّ به. ولا غنى لها عنه، ولا تنتقل منه إلاّ به... وانتقالها بتدبيرِ العلّة الأولى التي هي العقل الكلّي، لأنّه علّة وجودها، ومرقى صعودها... فما لَطُفَ فإلى عالَمِ العقلِ يَرْقَى»[٤].

ثمّ إنّ اللّه قادر على أن يثيبَ الإنسان أو أن يعاقبه في جسدٍ بشري. وليس بحاجة، لكي يُثيبَه، أن يُلبِسَه جسداً ملائكيّاً؛ ولا أن يلبِسَه جسداً حيوانيّا، لكي يعاقبَه. فإنّ «الخلقَ مجتمعون على أنّ الباري قادرٌ. فالقادر قادر ان يُنعِمَ في هذا الجسم، قادر أن يعاقِبَ فيه » أيضا[٥].

وحاجة النفس إلى الجسد اختصرها الشيخ الدكتور **أنور أبو خزام**، في تحقيقه لكتاب النقط والدوائر، فقال: في رأي عبد الغفّار «إنّ النفس لا تقدر على النطق بغير لسان، ولا تنظر بغير عين، ولا تسمع بغير أذن، ولا تفعل بغير آلة.

وفضل الجسد، في المذهب التوحيدي، يعود إلى ما يلي:

أوّلاً – إنّ العالم السفلي هو للعالم العلوي ومن أجله. وهذا ممّا يجعل التوحيد مساوياً لحالة المادة مع الروح. فالمادّة التي تكوّن الجسم وتسمح بدخول الروح إليه، هي بمنزلة الشرف. وهذا يدلّ على أن الثنائيّة مادّة وروح في مذهب التوحيد معدومة.

ثانياً – إنّ فضل الجسم على النفس الإنسانيّة أنّها تعرف ربّها بظهور ناسوته فيه. فالجسم هو منشأ الصورة الناسوتيّة التي تدلّ على

---

(٤) كتاب النقط والدوائر، ص ٣٠ – ٣١.

(٥) من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٥.

المبدع، وتبرهن حسيّاً على وجود الخالق. وهذا تأكيد على أنّ اللّه خلق الإنسان على صورته ومثاله.

ثالثاً – إنّ الجسم هو مجال الاكتساب للنفس، خيراً كان أم شرّاً.

رابعاً – بواسطة النفس تُجزى النفس على أعمالها وتذوق من خلاله طعم الألم وطعم السعادة.

خامساً – إنّ النفس، متى فارقت مسكنها في الجسد، ينعدم فيها الشعور والإحساس، وتبطل قدرتُها على الفعل، وتعود إلى جوهريّتها اللّطيفة»[٦].

ثمّ يوجز شيخ العقل **محمّد أبو شقرا** ما يَفهَم بالتقمّص، فيقول: «ألموحّدون الدروز لا يؤمنون بالحلول ولا بالتناسخ، بل يؤمنون بالتقمّص. فبالتقمّص يثبتُ عدلُ الله في مخلوقاته، وتتكافأ الفرص، وتُتَاح لكلِّ مخلوق. ألنفوسُ البشريّة اللّطيفةُ خالدةٌ باقيةٌ، والأجسامُ الكثيفةُ أقمصةٌ للنفوس، ولا لطيفٌ دونَ كثيف. والنفوسُ لا تفارِق الأجسامَ لحظةً واحدة، بل تنتقل بسرعةٍ من جسدٍ بشري إلى جسدٍ بشري جديد. وتَسري فيه كَسَرَيانِ تيّارِ الكهرباء في السِلك. والنفوسُ جواهرُ، والأجسامُ آلاتُها كالعينِ آلةُ البصر، واللّسان آلة الكلام، والأذن آلةُ السمعِ، والجسمِ بمجموعِ أعضائه آلةُ النفس.

«إنّ خلودَ النفس لا يكون ولا يمكن أن يكون بالنسبة إلى عدل الخالق تعالى، وبالنسبة إلى الثواب والعقاب، إلاّ بواسطة التقمّصِ، وهذا

(٦) كتاب النقط والدوائر، ص ٤٧.

الأمر أشارت إليه كتب الأديان جميعها»[٧].

في كلام الشيخ عناصر التقمّص جميعها. فهو كلام يشمل مفهومَ التقمّص، وطريقَته، ومبادئه، وغايَته، كما نراها في رسائل الحكمة.

والتقمّص، على ما يقول سماحة الشيخ **بهجتْ غيثْ**، يقوم على مفارقة النفس الجسد، لتحلّ في جسد جديد ليتسنّى لها فرصة جديدة لتنال جزاءها بعدلٍ واستحقاق. هذه النفس، بكونها عنصراً لطيفاً خارجَ الزمان والمكان، لا تفنى. لهذا فهي تبدّل قمصانَها إلى يوم الحشر. يقول:

«ما أن تفارق (النفس) الجسدَ القديم الذي يتعطّل بسبب المرض، أو الشيخوخة، أو أي فعل آخر، حتى تحلّ في جسدٍ جديد، دون أن تخسر أيَّ نَفَسٍ من أنفاسها. لأنّ هذا الجوهر اللطيف الأزلي الذي يسمّى الروح، أو النفس الناطقة، إنّما هو مشارك لخالقه في لطافته ودوام أزليّته وسرمديّته، حيث لا تجري عليه قيود الزمان والمكان، ولا يخضع لقوانين المادّة التي يخضع لها الجسم الكثيف الذي ينشأ من المادّة، ويستمدّ غذاءه منها وينمو بها، ويتحلّل ويرجع بعد الموت إليها. فهو منها خُلق، وإليها يعود. كما أنّ الروح اللطيفة من الروح اللّطيف الأزلي أُبدعت، وهي عائدة إليه في كلّ نَفَس من أنفاسها، وفي مختلف تقلّباتها وتبديل آلاتها وجلودها إلى يوم الحشر.. فالاعتقاد، أو الظن، بأن الأرواح تتجرّد من الكثائف وتصعد إلى السماء أو تهبط إلى باطن الأرض، أو ما بين ذلك، هو ظنّ لا دليل له ولا يغني عن الحقيقة شيئاً.

والنفس تنتقل «من كثيف لآخر، لأنّ حياة الكثيف وحركته وحياته

---

(٧) مجلّة الضحى، يصدرها المجلس المذهبي للطائفة الدرزيّة، عدد ١٠ سنة ١٩٧١.

وبقاءه بالروح لا يستغني عنها لحظة واحدة، لأنّها لا تُعرف إلاّ به، ولا تَكتسب ولا تُحتسب أو تثاب أو تُعاقب إلاّ به. وهو لا يوجد ولا يتحرّك ولا يحيا ولا يحسّ أو يعمل إلاّ بها. إذ لا يصحّ في الأذهان والعقول أن تكون حياة الإنسان الواحدة في قميص واحد فرصة كافية لتصنيفه عند الدينونة في ميزان الخير أو الشر، بل يصح ذلك إذا تحقّقنا أنّ الحياة الواحدة حلقة من سلسلة حيواته التي تكوِّن في مجموعها عمرَ الكون منذ بدأه المُبدي المُعيد الفعّال لما يريد بأمر وفعل كن. فكان الكون دفعةً واحدة بقوّته تعالى..»[٨].

«.. تتقلّب الأرواح في الأجسام البشريّة.. فهي تأخذ في كلّ جسدٍ شكلاً ودوراً، أو حالة من حالات القوّة والضعف والعلم والجهل، والصحّة والسقم، والغنى والفقر، والجاه والمسكنة، والانخفاض والارتفاع، والبسط والقبض، إلى ما هنالك من الأحوال التي تختلف وتختلط جيلاً بعد جيل، لتتذوّق شتّى أنواع اللّذات والآلام والأحاسيس والمشاعر التي تعيش فيها المجتمعات والأمم والشعوب في مختلف أماكنها وبيئاتها على اتّساع السموات والأرضين، إذ لا حدود زمانيّة ومكانيّة لانتقال الروح.

ثم يقول أيضاً:

«لا توجد أرواح بغير أجسام، لا شرّيرة ولا خيّرة. إذ الروح لا يمكن أن توجد بغير جسم، حيث عندئذٍ لا تستطيع أن تعبّر عن وجودها. وكلّ شيء غير موجود يعني موهوم، ويعني أنّه معدوم. ومن أجل ذلك،

---

(٨) في معارج الروح، بيروت، ١٩٩٧؛ ص ٧٨-٧٩.

فنحن نقول: إنّ أيّ شيء لا يعبّـر عن وجوده فهو غير مـوجود، وبالتالي فهـو عدم. فـالموجـود المليء يعني البشـر الذين يتقـمّصـون بالأجـساد ويتغيّرون بشكل دائم بالنقلة الدائريّة من الموت للحياة وبالعكس»[٩].

ويقول:

«لا نذيع سـرّاً إذا قلنا إنّنا نؤمـن إيماناً عـميـقـاً بالتـقـمّص، لأنّ مخاطبة الرسالات السـماويّة خصّت الروح الخالد في الإنسان، وهي هي في كلّ عصر وزمن... ولو انّ المخـاطبة للجيل الذي يقاس بعـمر الإنسان الطبيعي في قميص واحـد، لكان يجب أن يأتي رسولٌ، أو ينزل كتابٌ، كلّ مئة سنة على الأكثر لهذا الخلق.

«إنّ الإنسان، حـسب مفهومـنا التوحيدي، هو نفـسه يتقلّب عـبر الأجيال، **وهو نفسه يذهب من شريعة إلى شريعة**»[١٠].

أمّا الشيخ الدكتور **أبو خزام** فيقول شارحاً عبد الغفار: إنّ الروح «تنتقل من جـسم إلى جسم عند الموت، فـتصل إلى الجسم الجـديد فوراً ومن دون زمن.

«أمّا وقت دخولها فهو يحـدث بعد خروج الجنين مباشرة من بطن الأم. وأمّا مكان دخـولها فهـو عبر الفم. ألجنين، بنظر شـيوخ التوحـيد، يتـحـرّك ويحيـا في بطن أمّـه حـيـاة نبـاتيّة، ولا تدخـله النفس إلاّ عند الولادة»[١١].

---

(٩) المرجع نفسه، ٢٦٥.

(١٠) المرجع نفسه، ٢٦٧-٢٦٨.

(١١) مقدّمة الدكتور الشيخ أنور أبي خزام، لكتاب النقط والدوائر، ص ٤٦.

أمّا **محمد خليل الباشا** فيعتبر الروح جوهراً إلهيّاً، وبالتالي، خالداً. «وأنّ خلودها يستمرّ في حيوات شتّى هي في امتدادها حياة واحدة أبديّة مستمرّة..

«ليس صحيحاً أنّه كان وقتٌ لم أكن فيه موجوداً.. وليس صحيحاً أيضاً أن أيّاً منّا سينقطع يوماً عن أن يكون.

«كما أنّ النفس تمرّ جسديّاً في الطفولة والشباب والشيخوخة، فإنّها تمرّ أيضاً من جسد إلى جسد.

«الروح المتقمّصة تخلع الجسوم القديمة وتتخذ لها جسوماً جديدة، كما يستبدل الإنسان بثيابه البالية ثياباً جديدة»[١٢].

ويقول **قسم البحوث الروحيّة في الضحى**: «الإنسان المؤمن يتقمّص، يتجدّد، يتعالى، فيكون يومه خيراً من أمسه، وغده خيراً من يومه، لأنّه يعيش المعراج السماوي، والصيرورة الدنيويّة، والسيرورة نحو أهل الحقّ الذين يتوق لرفقتهم ومعيّتهم. فهو في جهاد متواصل، وجدٍّ دائم في مجمع حيواته، ليكون سابقاً لا مسبوقاً، وأوّلاً لا آخراً، يحاسب نفسه على التقصير. ويصبر ويصابر على كلّ جلل وعسير، حتّى ينال أعلى المنازل.. فيكون دائماً متدرّجاً في الحقيقة.. لا تلهيه السفاسف، ولا تخيفه الرواجف» (ص ٢).

***

(١٢) التقمّص وأسرار الحياة والموت، ص ١٧٩–١٨٠.

أمّا **دواعي الاعتقاد بالتقمّص** فكثيرة عند بني معروف. ويثبتونها من جهات كثيرة: من الأديان كافّة، والمذاهب الفكريّة والفلسفيّة، القديمة والحديثة، أليونانيّة والشرقيّة، ومن التوراة والإنجيل، وبنوع خاص، من القرآن.

* بالنسبة إلى **المسيحيّة**، يقول قسم البحوث الروحيّة:

لقد قام «المجمع الديني الثاني في القسطنطينيّة عام ٥٥٣.. بحذف صفحات عديدة من الإنجيل تتضمّن أقوال للسيّد المسيح يؤكّد فيها حقيقة التقمّص. واختفتْ منه تلك الصفحات المهمّة من الإنجيل. ورغم ذلك بقيت معظم الإشارات والرموز والتنويهات التي تشير بوضوح للتقمّص»[(١٣)] (ص٨).

يقول الدروز: « نقطة الجدل الأساسيّة كانت: هل علّم العهد الجديد حقيقة التقمّص في المقاطع التي أكّدت أنّ إيليا عاد ثانيةً بقميص يوحنّا المعمدان؟.. هناك مَن رأى أنّ إيليّا سيأتي متّخذاً طريقاً آخر عَبرَ التقمّص. إنّها الرؤية التي يثبتها الإنجيل... وما يريد كتّاب الأناجيل إظهاره هنا، أنّ يوحنّا كان حقّاً إيليّا متقمِّصاً..» (ص١٤٥).

«وبناء على ذلك، توضح قصة الرجل المولود أعمى أنّ الاعتقاد بالتقمّص كان جزءاً من تعاليم القرن الأوّل للمسيحيّة» (ص١٤٧).

«أكثر ما يؤكّد أنّ يسوع علّم التقمّص هو أنّه أورد مستلزمات الخلاص التي يراها معظم الناس مستحيلة كي تُسدَّد في حياة واحدة.

---

(١٣) يستشهد بـ: متى ٢٢/ ٣١-٣٦؛ فصل ١١: ١٧؛ يوحنّا فصل ٣؛ ٩/ ١-٣ : الرجل الذي وُلد أعمى؛ ولوقا ١٢...

* أمّا في **العهد القديم** فـ «هناك عدّة أمثلة عن معاقبة اللّه للناس بقسوة على جرائم لا تبدو سيّئة كثيراً. بدون مفهوم التقمّص، تبدو هذه الحوادث غير عادلة. لكن، إذا نظرنا عبر عدسة الحيوات السابقة، نقدر أن نراها كاستحقاق لدَيْن الأعمال ونفسّرها كعقاب عن آلاف السنين. عندما تعاد "نظريّة التقمّص"، الحلقة المفقودة، إلى المفهوم الديني يصبح العهد القديم مفهوماً» (ص١٤٧).

* أمّا **القرآن** فلم يبخل بالآيات الدالّة على التقمّص، والدروز يستندون إليها، «ويذهبون في تفسيرها تفسيراً عقلانيّاً عميقاً، يؤول إلى القول بالتقمّص»[١٤]. من هذه الآيات:

"نحنُ قدَّرْنا بينَكمُ الموتَ وما نحنُ بمَسْبوقينَ، على أنْ نُبَدِّلَ أمثالَكمْ ونُنْشِئَكم في ما لا تَعلَمون، ولقَد عَلمتُمُ النشأةَ الأولَى فلولا تذكَّرون" (سورة الواقعة ٥٦/ ٦٠-٦٢).

«معنى هذا أنّ اللّه جعل الموت قدراً للإنسان؛ وما سبحانه بعاجز عن ذلك، وبعد الموت لا بدّ من تبديلٍ في الأمثال، أي في الصور، ومن تنشئةٍ جديدة... وبما أنّ التنشئة لا تكون إلاّ لمن هو طفل، فإنّ هذا يعني العودةَ إلى الحياة بشكلٍ جديدٍ وبطفولة جديدة، وهو التقمّص. وتنتهي الآية بتذكيرهم بالنشأة الأولى يوم "أتى على الإنسانِ حينٌ من الدّهرِ لم يكن شيئاً مذكوراً" (سورة الدهر ٧٦/ ١).

«وتكرارِ الخلق وردَ كثيراً في القرآن الكريم، وبصيغٍ مختلفة:

"ولقد جئتمونا فُرادَى كما خلَقناكم أوّلَ مرّة" (الأنعام٦/ ٩٦).

---

(١٤) المرجع نفسه، ص ١٩٨.

"إنّه يَبدَأُ الخلقَ ثمّ يُعيده" (سورة يونس ١٠/ ٤).

"وهو خلقكم أوّل مرّة" (سورة فصّلت ٤١/ ٢١).

"قل اللّهُ يبدأُ الخلقَ ثمّ يعيده فأنّى تُؤفكون" (يونس ١٠/ ٣٤).

"اللّهُ يبـدأ الخلقَ ثمّ يُعيـده ثم إليه تُرجَـعون" (الروم ٣٠/ ١١).

والرّجوع إلى اللّه يعني صراحةً أنّ الإنسان كان هناك من قبل، وإلاّ لقال: ثمّ إليه تذهبون. ويؤيد ذلك قوله:

"وستُرَدُّونَ إلى عالَمِ الغيبِ والشهادة" (التوبة ٩/ ١٠٦).

"كـيفَ تكفُـرونَ باللّهِ وكنتم أمـواتاً فـأحيـاكم. ثم يُمـيـتُكم. ثم يُحييكم. ثم إليه تُرجَعون" (سورة البقرة ٢/ ٢٨).

"وهو الذي أحياكم. ثم يميتكم. ثم يُحييكم" (الحج ٢٢/ ٦٦).

"منهـا خلقناكم. وفيـها نُعـيدكم. ومنهـا نُخرجُكم تـارةً أخرى" (سورة طه ٢٠/ ٥٥).

"يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً بعد خلق" (الزمر ٣٩/ ٦).

"ولئن قلت إنّكم مبـعوثون من بعد الموت ليقـولنّ الذين كفروا إنّ هذا لسحرٌ مبين" (سورة هود ١١/ ٧).

"ثمّ بعثناكم بعد موتكم لعلّكم تشكرون" (البقرة ٢/ ٥٦).

يُخرج الحيّ من الميت. ويخرج الميت من الحي. ويحيي الأرض بعد موتها. وكذلك تُخرَجون" (سورة الروم ٣٠/ ١٩).

"قالوا: ربَّنَا! أَمَتَّنَا اثنتَين، وأحييـتَنا اثنتَين. فاعترَفنا بذُنوبِنا. فهل

إلى خُروجٍ من سبيل" (سورة المؤمنون ٢٣/ ١١).

«إنّ في هذه الآية إشارة إلى نوعين من الإماتة والإحياء، لا إلى مرّتين في العدد، أي أنك أمتّنا نوعين من الموت، وأحييتنا نوعين من الحياة. فيفهم من ذلك أنّ للإنسان حياتين: يموت في إحداهما ليحيا في الثانية. أي يموت هناك فيحيا على الأرض. ويموت على الأرض فيحيا في العالم الآخر. ويتكرّر ذلك تكراراً حمل على السؤال في آخر الآية: "فهل إلى خروج من سبيل"؟ والمقصود هو الخروج من دوّامة التكرار، أي من دار العذاب والتحوّل إلى دار السعادة والبقاء، فيتوقف هذا التكرار المتتابع المؤلم»[١٥].

"لا يذوقون فيها الموتَ إلاّ الموتةَ الأُولى" (الدخان ٤٤/ ٥٦). «وهذا دليل على أنّ ثمّة أكثر من موتة واحدة» (ص ٢٠٤).

"سنعذِّبُهم مرّتَين ثم يُرَدّون إلى عذابٍ عظيم" (التوبة ٩/ ١٠٢). «والمراد بالمرّتَين مجرّد التكثير، كقوله: "أرْجِعِ البصرَ كَرَّتَين" (سورة الملك ٦٧/ ٤)، أي كرّة بعد كرّة.. والعذاب مرّتين إنّما يعني نوعين من العذاب لا مرّتين في العدد.. ويتكرر هذا كثيراً بدليل وجود "ثمّ" الدالّة على تطاول الزمن.. (ص ٢٠٤).

"يا أيّتها النفسُ المطمئنّةُ! إرْجعي إلى ربِّك راضيةً مَرضيّةً. فادْخُلي في عبادي. وادْخلي جنّتي" (ألفجر ٨٩/٢٧-٣٠). «رجوع النفس الوارد في الآية يدلّ دلالة واضحة على أنّها من هناك أتتْ، لأنّ الرجوع يجب أن يسبقه مجيء، وإلاّ لقال لها: اذهبي. وهذا الرجوع وارد

(١٥) محمّد خليل الباشا، التقمّص وأسرار الحياة، ص٢٠٣.

كثيراً في القرآن الكريم» (ص ٢٠٤).

" كلّما أرادوا أن يخرُجوا منها أُعيدوا إليها " (السجدة ٣٢/ ٢٠)(١٦).

" وكلّما نضِجَتْ جُلُودُهُم بدَّلْناهم جُلُوداً غيرَها " (النساء ٤/ ٥٥). يعلّق: «ونحسب أنّه كنّى بالجلد عن الجسد، كما يكنّى عنه بالقميص. وأنّه أراد بجهنّم الأرضَ التي جاء في الحديث الشريف أنّها جهنم المؤمن»(١٧).

* أمّا **دواعي التقمّص من جهة العقل** فنجد الدروز يبرعون في التدليل والتأكيد. فها هو السفير **عبدالله النّجار** يقدّم الحجج والبراهين. فيقول:

١ – إذا كانتْ حياةٌ أرضيّة واحدة كافيةً لإعداد المرء ليوم الدينونة، أو الحساب الذي تقول به جميعُ الأديان، فلماذا تكونُ هذه الحياة، أحيانا قصيرةً، وأحيانا طويلةً؟ أحياناً تنتهي في الطفولةِ البريئة، أو بالفتوّة الجامحة، بالجنون أو بالنبوغ، في نطاقات متفاوتة من الفرَص والسنين؟

٢ – ما دام للحساب يومُه الأخير، لماذا لا يستمرّ اتّحادُ النفس بجسدِها حتى ذلك اليوم؟

٣ – أين تُستودَع هذه النفوسُ، بعدَ الموت، في مُهلةِ الانتظار؟ أفي مطهرِها؟ وأيُّ مطهرٍ أولى بها من الجَسد؟ أم في خَفاء مكتومٍ يُفْتَح

---

(١٦) أنظر: سورة الحج ٢٢/ ٢٢.

(١٧) محمد خليل الباشا، المرجع المذكور، ص ٢٠٥؛ حاشية ٢.

سجلُّه يومَ الدينونة، بعد انطوائِه في الدهر الطويل، بانتظار فتحِه الأخير؟

٤ – أتبقَى النفسُ منفصِلـةً، مستقِلّةً، بعد موت جـسدِها حتى ذلك اليوم؟ ثم تتّحد ثانيةً بجـسدها الذي بُلي في التراب؟ "يوم يقوم الأموات من القبور" ،كما تقول إحدى الآيات»؟[١٨].

أيكون مـعنى ذلك أنْ ليسَ للروح شـأنٌ بدون الجـسد، مـا دامتْ قيامةُ الأجسـاد من القبور شرطًا لحساب الأرواح؟ وهو ما تعنيه الآية.

٥ – لماذا لا تبـقى النفسُ ، أو الروح[١٩]، مـستـمرّةَ التـواصل مع أجسادها، في أعمارٍ متجدّدة، جيلاً بعد جيل، ما دام لا بدّ من الموت؟ فتمرّ مع الزمن متطوّرةً في أدوار الامتحان (كما تقول النصوص)، والتصفية، والتكامل، وِفَاقاً لـناموسِ التطوّر الذي سنّه اللّه لجميعِ المخلوقـات الحيّة، وكأنّها، في هذا التواصلِ مستمرّةٌ في عمرٍ واحدٍ لا تنتقل منه؟

٦ – لماذا لا تحـاسَب أخيـراً، بعـد هذا التطوّر المتـواصل، بدلاً من حصيلة عمرٍ واحد يتضاءل فيه كلّ تطوّر؟

٧ – كيف يتـساوى، في الحساب، مَن مـات في عصور الهمـجيّة الأولى، ومَن عـاش، بعد فـارق الزمن، في نعـمةِ الرّسـالات السمـاويّة، وهدى الحضـارات المدنيّة؟ كيف تميّز العدالة الإلهيّة بينَهما في موازِينها؟

٨ – وفي عمـرٍ واحد، كيف يُحَاسَبُ الطفلُ البـريء والشابُّ الذي يقضي في غمـرةِ الغرور ونزوةِ الشهوات، والعـجوزُ التائب عن ذنوبه؟ هل تتفاوتِ الموازينُ بتفاوتِ الـفرص المُتَاحَة؟ ولماذا هذه الإتاحات؟ أم أنّ

(١٨) رسالة بولس الرسول الى أهل رومة ، فصل ٨ عدد ١١..

(١٩) يبدو أن لا فرق، في الكتب الدرزيّة، بين "النفس" و "الروح".

اللّه يحـاسِبُ على ما يـصل إليه الإنسـان في نهـاية التطوّر؟ لا بنسبـةِ الرَجَحانِ والنقصانِ، بينِ الخيرِ والشرّ في كفّتي الميزانِ؟

فـعبـداللّه النّجّـار، إذاً، يؤمن بأنّ التـقـمّص هو الحلّ الأمـثل، بل الأوحد، لتساؤلات العقل، ومعظم مشاكل الإنسان الماورائيّة المستعصية. وهو يعتمـد على مُسلَّماتٍ لا تحتاج إلى براهين، مـثل تجزئة الإنسان إلى عنصرَين، كـل منهما قـائم بذاته، أي: نفس وجسـد؛ ويعتبـر النفسَ هي ذاتها الروح، لا فرق بينهما؛ ويعتقد، كالحكمة الدرزية، بأنّ النفوسَ أزليّة أبديّة، لا زيادة فيها ولا نقصان، محدودة العدد. يقول:

«بهذا تفـسِّرُ نظريّةُ التقمّصِ زيادةَ عَـددِ سكّان الأرض بما يَنْتَقِلُ إليها من أرواحٍ تَهبطُ من كواكبَ مأهولةٍ، باعتبار أنّنا لسنا وحدَنا في هذا الكون اللاّنهائـي غرضَ ربِّ الوجود. فـإنّ اللّهَ يرعى مخلوقـاتِه جميـعًا. وكوكبنا الأرضـي بين سائر الاكوان أشبهُ بِذَرَّةِ رملٍ على ساحل الوجود. وما أيسرَ انتقالِ الأرواحِ بينِ الكواكبِ بالنسبة إلى انتقالِ المَرْكَباتِ الناريّة التي نطلِقُها الى أبعادِ الفضاءِ الخارجيّ»[٢٠].

أمّا **القاضي أمين طَليع**، رئيسٌ فخري في محكمة التمييز اللّبنانيّة، فيـؤكّد التـقمّصَ ويستـعرضُ نظرياتِ الفلـسفةِ اليـونانيّة، والحـضارةِ الغربيّة المعـاصرة، ويرى بأنّ العالم يسير نحـو الإيمان بالتقمّص إيماناً وطيداً، ويُسنِدُ رأيَـه بآيات من القرآنِ والإنجيل. ثم يقـدّم أدلّةً من الواقع بشكل أسئلة. يقول:

أ – ما معنى قولِ البعض بالإلهامِ عندما يقولون: ألّله ألهمني؟

---

(٢٠) المرجع نفسه، ص ١١.

٢– وما معنى أن تفكّر بقريبك المهاجِر في ديار الغربة منذ عدّة ساعات، وقبلَ أن ينقطع حبلُ تفكيرك به يكونُ ساعي البريد قد طرقَ البابَ حاملاً إليك رسالةً منه؟

٣– وما معنى أنّك وأنتَ في الصيدِ تشعر بخَطَرٍ يهدّدُك أو خوفٍ يعتريك من جهةٍ معيّنةٍ دون أن تَرى له أثرًا أو تسمَعَ له صوتًا، ثم لا تلبثُ أن تكتشِفَ وجودَ أفعى أو حيوانٍ برّي على مقربةٍ من المكان الذي أنتَ فيه؟

٤– وما معنى الأحلام، لاسيّما ما يتحقّق منها بسرعة؟

٥– وما هي الحاسّة السادسة؟

٦– وكيف تشعر أحيانا بوجود مَن يلاحِقُكَ في سَيْرِك وأنتَ لا تراه ولا تسمَع له صوتًا أو وَقْع قَدَمٍ؟

٧– وكثيراً ما يقع للإنسان أن يرَى شخصاً، ويعتقدُ أنّه رآه ويعرفُه سابقاً، في حين أنّ اجتماعَه به كان للمرّة الأُولى.

٨– وكم يقع لك أن تذهبَ إلى مكانٍ ما لأوّل مرّة ولكنّك لا تَرى فيه شيئاً جديدًا وكأنّك تعرِفُه من قَبل، أو أقمتَ فيه فيما مضى من سالِفِ الأيّام.

كيف تفسّرُ هذه الغوامضَ؟[٢١].

لا مجال للشكّ فإنّ القاضي يفسّرها بنظريّة التقمّص، كما هي واردة في كتب الحكمة. وجميع أسئلته تدور حول «تذكّر» الإنسان

---

(٢١) أمين طليع، التقمّص، ص ٧ – ٨.

ماضيه، ممّا أجاز له الاعتقاد بأنّ الدليل على صحّة التقمّص هو ما تحمله النفس معها من ذكريات وعلوم ومعارف حصّلتْها في الحَيَوَات السابقة.

يؤكّد **محمّد خليل الباشا** صحّة التقمّص بأنّ هناك أسئلة لا يمكن الإجابة عنها إلاّ بقبول نظريّة التقمّص:

١. «منها أنّ النفس، إذا كانت خالدة، وهي كذلك، أين كانت قبل الولادة؟ وأين تذهب بعد الموت؟ لأنّ كلّ خالد يجب أن يكون آتياً من الأزل. وإذا كانت خلقت من العدم عند الولادة، فلا يمكن أن تكون خالدة لأنّ العدم مصيره العدم. وهي ليست كذلك.

٢. «ومنها أنّ الذين يولدون مكفوفي النظر، أو مشوّهين، أو معاقين، فما ذنبهم؟ وهل صحيح أنّ الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون؟ وهل يتفق هذا مع العدالة الإلهيّة؟

٣. «ومنها السؤال عن الحكمة في توالي النكبات والمصائب على أشخاص معروفين بحسن السيرة، وطيب السريرة، واصطناع المبرّات والحسنات، ومساعدة كلّ طالب، في حين أنّ الخيرات والنعم تتدفّق على من لا يرى فيهم ما يستحقّ ذلك. وحاشا اللّه إلاّ أن يكون كلّي العدالة.

٤. «ومنها السؤال عن سبب التفاوت في الأخلاق والصفات والذكاء بين أخوين، من أب واحد وأم واحدة، وقد رُبيا في بيت واحد ومحيط واحد.

«إنّ نظريّة التقمّص تجيب عمّا ذكرنا»[٢٢].

---

(٢٢) محمد خليل الباشا، التقمّص وأسرار الحياة، ص ١٩٠-١٩١.

أمّا «**قسم البحوث الروحيّة في الضحى**»[٢٣] فيؤكّد التقمّص بما يفترضه من خلود الروح ووجوب بقائها في هذا العالم. يقول:

«.. إذا كانت الروح خالدة، وإذا كانت غير قادرة على التعبير عن وجودها، وحتّى خلودها، من غير جسد، لماذا، إذاً، يعمد الإنسانُ إلى تخيّل الروح هائمة في سماءٍ، غير منظورة.. أو تائهة في جهنّم ما تحت الأرض، رافضاً رفضاً قاطعاً إمكانيّةَ تقمّص الرّوح في جسدٍ آخر لإغناء خبرتها، والتي هي إمكانيّةٌ غايةٌ في المنطق؟!.. أوليس من المنطق أن نتصوّر الروح على الأرض في جسدٍ عوضاً عن تصوُّرها وهْماً تهيم بواسطة جسدٍ أثيري لا يوجد أدلّة ما على إمكانيّة وجوده؟»[٢٤].

«هذه الحقيقة التوحيديّة مبنيّة على أسس بديهيّة لا تقبل الجدل:

١- .. ببساطة، إنّ النفس لم توجد لتتلاشى كهواء لطيف. فمقتضى وجودها في الجسد، أصلاً لا يمكن أن يكون شيئاً عابراً، بل قانوناً إلهيّاً وُجد ليبقى. فمن غير المنطقي تجاهل هذا القانون في مفاهيمنا للحياة ومراحل تجدّدها بعد الموت وقوانين الثواب والعقاب والجنّة والنار والعدل الإلهي..

٢- .. ينبغي على كلّ نفس أن تمتلك شكلاً ماديّاً. أو بتعبير آخر: ينبغي أن تملأ فراغاً ما، في الزمان والمكان. من دون وجودٍ كهذا، تخسر النفسُ كينونتها، وبالتالي فردانيّتها ودورَها في الزمان والمكان.

٣- .. ألمَعرفة تستوجبُ وجودَ "عارفٍ" و"معروف". فبدون

---

(٢٣) أبناء النور عبر العصور، ص ١.

(٢٤) المرجع نفسه، ص ٦.

وجود الرّوح في آلةٍ تسمح لها أن تختبِر هاتَين الحالتَين (أي أن تكون لنفسها في موقف العارف ولغيرها في موقف المعروف)، تصبح الروح غيرَ معنيّة بشيء إسمه معرفة..

٤- من دون وجودها في قالب ماديّ، لا يمكن للنفس أن تختبر أيَّ معرفة للخير أو الشرّ.، فلا يتصوّر العقل شرّاً مستقلاً عن تصوّراته لوجوده الجسدي في الزمان والمكان، أو لأحداثٍ مرتبطة بهذا الوجود.

٥- إنّ الحكم، على النّفس، من أي نوع كان، يعتمد على حضورها في عالم الاستمراريّة؛ إذ لا يمكن الحكم على أحدٍ إعتماداً على نتفٍ عشوائيّة من المعرفة..

ألنتيجة:

«إنّ حقيقة التقمّص مبنيّة على واقع ارتباط اللّطيف بالكثيف.. وهو أنّ الرّوح والجسد لا غنى لأحدهما عن الآخر. فجسد بلا روح جسد ميت، وروح بلا جسد هي لا شيء. فبما أنّ وجود النفس أزلي، وبما أنّ هذه الأزليّة لا تتحقّق وتكون جزءاً من المعرفة إلاّ من خلال آلة التعبير عن الوجود (الجسد)، فلا بدّ من أن تتقمّص الروح جسداً جديداً عن الموت، وتتّخذ آلة جديدة بعد تعذُّر الاستمرار في الآلة القديمة لسبب أو لآخر»[٢٥].

* * *

(٢٥) ألمرجع نفسه، ص ٣-٤.

* **أمّا مبادئ التقمّص** فتقوم على ما يلي:

أ- إنّ الأرواح في العالم محدودة معدودة، لا تزيد ولا تنقص. والسبب هو محدوديّة العالم ونهايته. ولو زاد العالم كل ألف سنة نفس واحدة لضاقت الأرض بالناس، ولو نقص كلَ ألف سنة نفس واحدة لم يبقَ على الأرض إنسان واحد. تقول الحكمة:

«إنّ هذه الأشخاص، أعني عالَم السواد الأعظم، لم يتناقصوا ولم يتزايدوا، بل هي أشخاص معدودة من أوّل الأدوار إلى انقضاء العالم والرجوع إلى دار القرار. والدليل على ذلك أنّ هذه الخلقة، أعني العالم العلوي والسفلي، ليس لها وقت محدود، ولا أمَدٌ عند العالم معدود. أليس لو زاد العالمُ في كل ألف سنة شخصاً واحداً (كذا) لضاقت بهم الأرض، ثم إنّه لو نقصَ في كلّ ألف سنة شخصاً واحداً (كذا) لم يبق منهم أحد؟

«فصحّ عند كل ذي عقل راجح ومَن هو بالحقيقة لنفسه ناصح، أنّ الأشخاصَ لم تتناقصْ ولم تتزايدْ، بل تظهرُ بظهورات مختلفات الصور على مقدار اكتسابِها من خير وشرّ»[٢٦].

ورُبّ معترضٍ يقول: إنّنا نرى العالم يتكاثر ويزيد عمّا كان عليه. فكيف تكون النفوس محدودةً إذاً؟ نترك للقاضي **أمين طليع** أن يسأل هذا السؤال وأن يجيب عليه. يقول:

«يتبادر إلى الذهن سؤال، كثيراً ما سمعناه ونسمعه من الناس، وهو أنّ سكّان الكرة الأرضيّة في ازدياد مستمرّ. فلو كانت الأرواح تذهب من جسد لتعود إلى جسد جديد هي هي نفسها أزلية باقية دائمة،

---

(٢٦) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٣٥.

لما كـانت هذه الزيادة ممكنة. وكان يـجب أن يكون عددُ سكّان العـالم هو نفسه لا يتغيّر.

«يجيب على هذا السؤال الكاتب بـرَنسْلي لُوبْوَار تْرَانْش في كتابه «سكّان السماء» حيث يقول:

«إنّ مـخلوقاتٍ تـعيشُ في كـوكبٍ آخـر، أو في أكـثر من كـوكب. ويبدو أنّ بعـضَـها قـد تقدَّمَنَا كثـيراً. ولكي يبرهَن عن نظريتـه يعودُ إلى أقدم التاريخ لينتهي الى الصـحُـونِ الطائرةِ والمحاولاتِ التي يبذُلها العلماء للوصـول إلى مصدر ذَبذَبات واشـارات تلتقطهـا الآلات، وهي دون شك من خارج الأرض.. وشاهدَها رسمِيّون، ولم تَعُدْ خرافةً..

«ويقدّم دليـلا آخر بقوله: إنّ علمَ الآثار أكّـد لنا ان مدنيّاتٍ كبـيرةً جداً ومتـقدِّمةً جدّاً وُجدت في الماضي، ومكانُهـا الآن صحراوي، سكّانه أقلّ من القليل. فمصر كانت في القديم مأهولةً بعدَدٍ أكبر من عددِ سكّانها اليوم رغم ازديادِه، وبابل في العـراق كانت تَعِدُّ عشـرات الملايين، وكذلك المكسيك، وبلاد أميـركا اللاّتينية، ومناطق أخرى من آسـيا، ولعلّ جزيرةَ البحرَين الكبرى في شبه جزيرة العرب تعطي برهانًا آخر على ان جزيرةَ العرب كانت مـأهولةً بعدد كبير من السكّان...فيـما هي اليوم لا تزيد عن مئة وعشرة آلاف، ثلثهم أجانب...»[٢٧].

٢ – يعتـمد القول بـالتـقمّص أيضاً على نـظرية العدل الإلهي، اذ ليس من العدل فـي شيء أن يحاسِبَ اللهُ الإنسان، علـى فترة من العـمر قصيرة. و «لا يمكن أن يستقيمَ العدلُ إذا كانت الحياةُ مقتصِرةً على جيلٍ

---

(٢٧) أمين طليع، التقمّص، ص ١١٤ – ١١٧.

واحد. لذا كان التقمّص، ،وكان تعـدّد الأجيال. وكان على الانسان أن يمرَّ في جـمـيع الأدوار ليُظهِـرَ جـوهرَ نفـسـه...وعنـدئذ يُمكِنُ الحكُم عليـه، فيستقيمُ العدل»[٢٨].

أمّا **«قسم البحوث الروحيّة في الضحى»** فيـقول: «إنّ حقيـقة التقمّص ما زالت الدليلَ الأكثر عقلانيّة للعدالة الإلهيّة»[٢٩].

ويقول أيضاً : «هناك مَن يولد فـاحش الثراء، وآخر فقيراً مـعدماً. وهناك من يمضي حياته في هدوء وطمأنينة في أحـد معابد الهند، وغيره يعيش حـياة عشوائيّـة فوضويّة في نيويورك مـثلاً. وغيرهمـا مَن يفتح عينيه على الشـهرة والنّجومـيّة، وآخرون على الذلّ والعبوديّة. وهناك مَن يفتح عينيـه فلا يرى قط لأنّه وُلد أعمى، وغيـره يولدون أصحّاء. وهناك مَن يموت قبل ولادته، وهناك من يعمّر ليـرى أحفادَه يكبرون. وهناك من يموت ميـتة طبيعـيّة، وغيره يموت بفـاجعة. وغيـر ذلك من تعدّد مظاهر الاختلاف والتنوّع.. (ص٥).

«تبعاً لأي مقياس تُحاكم روح طفل رضيع بعد موته؟

«.. هل من العدل أن يـأخذ اللّهُ روحاً إلى المحـاكمـة الأبديّة قبل أن يتـيح لها إتمام تجـاربهـا ومعـرفـة كلّ الإجابات؟ أيجـوز أن نتّـهم اللّه باللاّعدل لأنّه منحنا حريّة اختيار ما نؤمن به؟» (ص٥-٦).

«.. لماذا ينتظر اللّه من خـادمة وضيـعة أن تكون فاضلة، شـريفة ومحبّة تماماً كسيّدها ومخدومها؟

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١٨.
(٢٩) أبناء النور عبر العصور، ص ٣.

«كـيف يمكن أن تكون هناك كلّ هذه الـفروقـات بين البـشـر على الأرض، ويكون العقاب أو الثواب هو نفسه للجميع؟» (ص٦).

«ثمّ أين العدل في محاسبة مَن لا يعي ماهيّة ما يُحاسَب عليه؟

«مـا يكون مـصـيـر الشعـوب التي لـم تصلْهـا تعـاليم الديانات والمذاهب؟

«ما هو مـصـيـر مَن سوف يولد بعد سـاعة الحـساب؟.. هل هناك أيّام قيامة عوضاً عن يوم واحـد؟ أم أنّ العالم سوف ينتهي فور أن يُنفخ في البوق؟..

«هل يمكن أن تُحاسب الروح من غير جسد؟

«هل لأحـد أن يتخـيّل الثواب أو الـعقـاب من دون اللجوء إلى مـا يتصـوّره من تجارب وأعمـال خيِّرة أم شـريرة اكتسبـها عبـر الحواس الجسميّة؟» (ص ٧).

٣- وهناك مبدأ آخر يقوم على أنّ «**التقمّص يميِّز الجنسَ**. فالذَكَرُ يخلقُ ذكرًا، والانثى تعودُ أنثى، كما كانت»[٣٠]. والحقيقة أنّنا لم نر نصّاً واحداً في رسائل الحكمة، أو في شروحات المشايخ الأقـدمين، يثبتُ هذا القول. وقـد يكون الاستنتـاج المنطقي غيرَ ذلك؛ لأنّ الـعدلَ الإلهي، الذي هو أساس القول بالتقمّص، يحتّم أن يخـتبرَ الإنسانُ أنواعَ الحَيَوَات على اخـتلافـها. من هنا يمكن أن يتـحـوّل الذكرُ إلى أنثى، والأنثى إلى ذكـر، خلالَ الانتقال من جسد إلى جسد.

---

(٣٠) أمين طليع،و التقمص، ص ١٩.

٤ – ثمّ إنّ التقمّصَ يكونُ للدروز في دينِهم فقط، فالنفسُ لا تنتقلُ من دين إلى دين: «إنّ مَنْ وحّده (من وحّـد الله) في وقتنا هذا فَقَـدْ وحّدَه في سائر الأعصار»[٣١]. بيد أنّ هذا المبدأ مختلَفٌ فيه أيضاً:

فـ**الشيخ أبو شقرا** يتأرجحُ في قوله: «إنّ الروحَ الدرزيّة تتقمّصُ **غالِباً** شخْصًا درزيّا»[٣٢]. فلفظة "غالباً" تفيـد أنّ الروح، أحياناً أخرى، تتقمّص شخصاً غيرَ درزي.

والإستـاذ **النّجار** يتـأرجح هو الآخر بين إثبـات ونفي. فهـو من جهة، يؤكّد بأنّ «في التقمّص تنتقل النفسُ من جسدٍ إلى جسد دونَ تمييز عنصري أو مكاني»[٣٣]؛ ثمّ يعود، من جـهة ثانية، ينفي مـا أكّده فيـقول: «إنّ الأرواحَ تنتـقل إلى أجـسـادٍ جـديدة بالولادة: أرواحَ الموحّـدين إلى موحِدين، وأرواحَ المشركين إلى مشركين»[٣٤].

ومرّة ثالـثة يقول، كـما نقل عنـه وأيّده الشيخ الدكـتور **أنور أبو خزام** يقـول: «إنّ الإنسان، في نقـلته، يولد في بيـت الصديق أو العـدوّ، الغريب أو القريب، عـلى السواء؛ وإنّ الجنس البشري يختلـط بالتقمّص، يتكرّر إختـلاطه وامتزاج عناصـره وشعوبه وطوائفـه في كلّ جيل دون تفريق أو تمييز». أو كما تقول إحدى رسائلهم: «والضدّ قد يظهر في بيت الولي»[٣٥]. ومـا أقرب هذه الـنظريّة، في شـمولهـا، إلى نظريّة "وحـدة

---

(٣١) من دون قائم الزمان، ٦٧/ ٥٣٦.

(٣٢) الدكتور مصطفى الشكعة، اسلام بلا مذاهب، ص ٢٩٤.

(٣٣) النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط٢، ص ٨٨.

(٣٤) المرجع نفسه ، ص ٨١.

(٣٥) النجار، مذهب الموحدين الدروز، ص ٧٦–٧٧.

الوجود "[٣٦].

والمقدّم المتقاعد جميل ذبيان يدعو إلى الحكمة والمحبّة والوئام بين الموحّدين وخصومهم، لأنّهم «لا يدرون مَن أنّه يوماً، بفعل التقمّص، قد يتبادل وإيّاكم داركم ودوركم؛ وقد يصبح لكم ويصبح أيّكم له إبناً أو أباً صديقاً أو عدوّاً ناقماً أو راحماً..»[٣٧].

ثمّ يقول: «إنّ التقمّص في اعتقادهم يجعل الأرواح دوّارةً في الزمن، بحيث تنزل في كلّ المجتمعات، وتتبادل جميع الصفات والألوان والأشكال، وحتّى المذاهب، فتعود أشلاء الوحدة التي قطعها الخلق إلى أمّها الوحدة التي خلقها اللّه لتبعث من جديد هويّة بشر لا يلبثون أن يعاودوا اعتداءً عليها، ويوقعوا بها تقطيعاً جديداً. وهذا ما تعجزهم معرفته»[٣٨].

على هذا، يجمع التقمّص بين الشعوب على اختلاف نزعاتهم وألوانهم وطبقاتهم وأحوالهم ومواقِعهم. ويفرض عليهم التحلي بأنبل صفات الأخوّة والمحبّة والمساواة بينهم. فالنفس، عبر تنقّلها من جسد إلى جسد، قد ترحَلُ بعيداً، وتقطَع حواجزَ العِرق والجنس والدينِ والحضارة والأرضِ والمقامات والمميّزات.. فتكون وحدة تامّة بينَ أبناء الأرضِ.

ثمّ إنّ هناكَ موحّدين مستترين في أديان العالم، لا يمكن عدّهم أو إحصاؤهم، وقد يؤلّفون، بحسب كمال جنبلاط، «أكثر من ربع

---

(٣٦) إسلام الموحّدين، ص ٣٠٢.

(٣٧) إسلاميّة الموحدين الدروز، ص: ح.

(٣٨) المرجع نفسه، ص ١٨٩.

البشـريّة»[٣٩]. لذلك، قـد يموت درزيّ موحِّد، وتـنتقل نفـسُه إلى جـسد مسـيحيٍّ أو يهـوديٍّ، ولا يتمكّن «المتـقمِّص»، في هذه الحـال، من إعلان نفسـه، فيـستـترُ إلى أن ينتـقلَ نقلةً أخرى في تقـمّصٍ جديد. فـإن كانَ صـالحاً انتقلَ إلى ما بين الدروز، وإن كان سـيّءَ السـيرة، استمرّ يتنقّلُ ما بين اليهوديّة أو المسيحيّة. ونادراً ما ينتقل في المسلمين السنّة، وأندر منه في المسلمين الشيعة.

وقد يرجع هذا التناقـض إلى سبب جوهري يقـوم على أنّ نفوسَ البشـر، كلَّها، كانت، في البـدء، موحِّدَةً. لكنّ بعـضَها تخلّف عَـبْر الأدوارِ المتعاقـبة، وبعضَها أشـرك، وبعضَها ارتدّ، وبعضَـها لم تصلْه الدعوةُ... وكلّهـا تسـتطيعُ، في كـشفٍ جـديد، أن تدخلَ الدعـوَة، أو يمكنهـا، بعـد الامتحانِ والاختبارِ بتقمّصاتٍ جديدة، أن تعودَ إلى صفاءِ التوحيد.

فحكمـة الحكمة: «مَن وحّـدَه في وقتنا هذا فـقد وحّـدَه في سائر الأعصار»، يصعب حصرُها فيما بين مَن هم دروز في الظاهر.

ينتج من هذا أمرٌ جسيمٌ للغاية، وهو أنّ مَن كانَ غيرَ موحِّد ويحكمُ «العقلُ» في طهارتِه وخَلاصِه، يُنقـلُه إلى جسدِ موحِدٍ. لكنّ بعضَ الدروز الغـيارَى عـلى دينهم يسـتعـجلون خـلاصَ بعض النفـوس الطاهرةِ من جسدِهـا الكافر، فيتـعمّدون قتلَ الجـسدِ لتخلصَ النفسُ من شقـوتِها... وكـذلك أيضـا، الدرزي الذي يُحكم علـيـه بارتكاب الفـواحش والزنا، يستعـجلُ «العقلُ» نقلتَه من جمـاعةِ الموحِّدين إلى أجسادٍ كـافرة. إنّه أمرٌ إلهيّ يقرّرُه العقلُ ومَنْ ينوبُ عَنه.

---

(٣٩) كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، ص ٥٠.

هـ- أمّـا مسـألة «**النطق»، أو «التـذكّـر**»، وتعني أنّ الروح، عند تنقّلِها من جسدٍ إلى آخر، تحمل معهـا معلوماتِها السابقة، فـ «تَنْطُق» بها وتحدّث عنها. ويروي لنا الدروز حوادثَ مدهـشةً وقعتْ لهم في حياتهم الماضية.

و«معنى النطق الصريح، كـما يقول **الذبياني**، هو أن يكون المولود الجديد في حـالة تمكّنه من الإعلان عن بعض ممّا تعـرّضت له روحه في القميص السـابق. فيدل على الإسم الذي كان يكنّى به، وعلى أسـماء أبيه وأمّه وإخوته وبنيـه. كما يدلّ، وكلّ هذا بدلالةٍ واعيـة واضـحة، على بلده وبيته السابقَين، ويروي عن ذويه الأخبار والقصص الواقعيّة، التي كانت على شيء من الأهمّيّـة في ماضيه، والتي تنطبق، إذا مـا قورنت بما يدلّ عليه، على واقع إنسان عـاش في محيط عائلي وزمن سـابقَين معيّنَين من ديرة معيّنة، بل وبلد مـعيّن... والمولود الناطق يطلب، أوّل ما يطلب، ويلحّ في الطلب، زيارة أهله في القميص السابق»[٤٠].

ويروي سعد الدين محمّد **غندور** ستّ عشرةَ قصّة، نقلها من هنا وهناك، من كتب قرأها، لا من أحداث شـاهدها، ليؤكّد لنا ظاهر "النطق" في بني معروف[٤١].

يعتقد **الشيخ بهـجت غيث** أنّ «ألتقمّـص حقيقة ثابتـة لا تقبل أي شك، وإلاّ كيف يفـسّر لنا المشكّكون في التقمّص نُطقَ بـعض الأشـخاص الذين يروون بدقّة حـوادث عانوها في الزمن الماضـي، ويتـذكّرون بعض أهلهم ومقتنياتهم القديمة، ويتعرّفون عليها في مواضعها بإشراقٍ ووعيٍ

---

(٤٠) الذبياني، التقمّص، ص ١٣٠-١٣١.

(٤١) قصص غريبة في التقمّص، طرابلس، ١٩٩٣؛ ١٤٣ ص.

لا يدع مجالاً للشك! إنّهم هم أنفسهم الذين عاشوا تلك الأحداث في الزمن الماضي، وعادوا ليعيشوا بعد أن بدّلوا آلاتهم الجسديّة أي أقمصتهم.

ويقول أيضاً موضحاً:

إنّ «ألتذكّر لا يصح لشيء طارئ وحادث وإنّما لشيء قديم معروف ومألوف للذاكرة التي، من طبعِها، أن تألف الجديد المستحدث والقريب، وتنسى القديم والبعيد.. فالمعرفة تذكّر والجهل نسيان»(٤٢). فـ «ألإنسان هو هو مع تبدّل قمصانه في دهوره وتقلّباته»(٤٣).

«قد يستطيع الموحّد المؤمن العارف، بواسطة التفكر والتأمّل، أن يتذكّر ما نسي. وبعبارة أخرى، أن يتعلّم ما جهل، لأنّ الطفل، عندما يذهب للمدرسة، ويتعلّم، فليس ذلك إلاّ عمليّة تذكُّر لِما كان يعلم في حيواته السابقة..»(٤٤).

ويقول أخيراً: «إنّنا كموحّدين نفهم حقائق الأشياء بعقلنا ومعرفتنا المخزونة في ذاكرتنا التي تنتقل مع الروح عند تغيير الجسد»(٤٥).

وفي رأي القاضي **أمين طليع** «كلُّ البشر يتقمّصون والقليلُ منهم مَنْ يذكرُ حياتَه السابقة بالنطق»(٤٦). ويعتبر أيضاً أنّ «الحياةَ السابقةَ حلمٌ يَراه الإنسانُ في نَومه. ومن الأحلامِ ما يبقى في الذّاكرةِ بعد اليَقظة،

---

(٤٢) المرجع نفسه، ص ١٨٧.

(٤٣) المرجع نفسه، ص ٢١٤.

(٤٤) ألمرجع نفسه، ص ٢٥٧.

(٤٥) ألمرجع نفسه، ص ٢٦٨.

(٤٦) أمين طليع، التقمص، ص ١٧.

ومنهـا مـــا يزولُ من الذاكـرة. كـثــرةٌ هم الذين يحلَمــون، وقـلـةٌ منهم يتذكّـرون. وأكثـرُ ما يبقى فـــي الذاكرة من هذه الأحلام هي التـــي انتهتْ بفاجعــةٍ أو ألمٍ شديدٍ أو بحادثٍ تكتنفُه الغرابةُ فـيؤثّرُ في النفس تأثيرًا شديداً لا تُزيلُه اليقظة»[٤٧].

ويستنتج القاضي قائلاً: «أمّا النطق فـقد اتّفقَ فيه الدروزُ مع بقيّةِ المؤمنين بالتقمّص»[٤٨]. ثم يحيلُنا إلى «كتاب الدكتور سِتِيفِنْسُنْ المحتوي على عشرينَ واقعــة»، منها واقعة لبنانيّة «حقّقهــا بنفسه في رِحلَتَين قام فيهما بزيارة لبنان، رافقه في إحــداها الدكتورُ سامي مكارم، وهو دكتور في الفلسفــة ومن أساتذة الجامــعة الأميـركيّة في بيـروت. ومن القائلين بوجـود حــادثةِ تقمّصٍ ونــطقٍ مِن كلِّ خمـســمــئة ولادةٍ بين مـواطنيــه الدروز»[٤٩].

وكلاهما، القــاضي والدكتور، يعتمــد على مؤلّفات حديثة كـثيرة، «تبحثُ موضوعَي التقمّص والنــطق... وفيها درسُ عدّةِ حالاتٍ من النطقِ حدثتْ في مختلَف أنحاءِ العالم»[٥٠].

كمــا يعتــبرُ **الدكتور مكارم** بأنّ «الأكثـريّةَ الساحــقةَ من الدروز الذينَ يعتــقِدون بالتقــمّص يعتــقدونَ بالنطقِ»[٥١]. ويقول: إنّ «تذكّـر ما حدثَ في أجـيالٍ ماضــية تُقِـرُّه بعضُ النصوص التي تُثـبتُ إمكانَ تذكّرِ

(٤٧) المرجع نفسه. أنظر أيضاًخليل تقي الدين في «العائد».

(٤٨) المرجع نفسه، ص ١٩.

(٤٩) المرجع نفسه، ص ٧٨.

(٥٠) أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢٦–١٢٧، أمين طليع، التقمص، ص ٥٩–١٥٠.

(٥١) الدكتور سامي نسيب مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢٦.

بعضِ ما يحـدثُ في الحَيَوات الســابقة»[٥٢]. ولكنّ الدكتورَ لا يـفيدُنا عن نصٍّ واحـدٍ من الحكمـة يشـير إلى إمـكانيّة «النـطق»، أللهّمَ إلاّ عن نصٍّ واحدٍ، فهمه بحسب ما يرغب. والنصّ هو:«فالمســتجيبون إنّما استجابوا إلى الدعوة بعـد أن ذُكِّروا بالحقِّ فَـذكَروه وعُرِّفُـوا به فعَـرَفوه»[٥٣]. هذا النصّ، في حقيقته، لا يشير إلى "النطق"، لا من قريب ولا من بعيد.

أمّا السيّدُ **كمال جنبلاط** فيروي لنا قـصـّةً طريفةً تدلُّ على إيمانِه بالتقـمّص وبالنطق سـواء. جاءه شابٌّ مـسيـحيٌّ يقول له: «إسـمعْ. لقد قرّرتُ الموتَ. فأنا إنسانٌ تُـلاحِقُني حياتي السابقةُ. وعندمـا أستيقظُ كلَّ صباح، أقضـي ساعةً أو ساعتينِ في إقناعِ نفسي بأنّي أعـيشُ الآنَ حياةً أخرى غيرَ تلك التي عشتُها ســابقاً. لقد أنهكتْني هذه الحياةُ السابقة التي تُلاحِقُني بكافّةِ هذه الصُوَر التي يختلِطُ بعضُها ببعض. كان يتذكَّرُ حياتَه في ميـونيخ منذ ما ينوف عن القـرن بقليل. وعندما ذهبَ إلـى هناك فإنّه عَثَر على منزِله وقبرِه وكافّةِ ما كان مألوفًا لديه...»[٥٤].

وقـد يذهب الإستـاذ **ســامي أبو شقــرا** إلى دفعِنــا نحو الإيمانِ بالتذكّر والتقمص دفعًا. فالجميعُ، برأيه، «ملزَمون بالتسليم في التقمّص. ويؤيّدهم إلزامًا واقعُ التذكّر»[٥٥].

و**حافظ أبو مـصلح** يؤكّـدُ «أنّ بعضَ الدروز يســترجِـعـون في ذاكرتِهم أمورَ حياتهم الماضية»[٥٦].

---

(٥٢) مكارم، نفس المرجع، ص ١٢٦.
(٥٣) المرجع نفسه يقابل مع نصّ الحكمة ٦٧/٥٣٦.
(٥٤) كمال جنبلاط.. هذه وصيتني، ص ٥٥.
(٥٥) سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ٢٢
(٥٦) حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، معتقداتهم...» ص ٢١.

و«**قسم البحوث الروحيّة في الضحى** «يؤكّد تأكيداً جازماً عمليّة «النطق». ويستفيض في الشرح والإثبات. يقول:

«السؤال الذي يطرح نفسه: هل يستطيع الإنسان أن يعرف ما اقترفت يداه وما اجترح من أعمال سيّئة أو خيّرة في حياته السابقة؟

«لا يستطيع الإنسانُ تذكُّر حياته السابقة إلاّ في بعض حالات النطق التي يتذكّر فيها الطفل بعض الذكريات البارزة في تجسّده السابق. والنسيان هو نعمة إلهيّة للنفس كي لا تنفطر من وطأة الآلام والمعاناة التي اختبرتْها في الحياة السابقة. لكن بعض المتأمّلين الذي سبروا أغوارَ ذواتهم لاستخراج دررها المكنونة استطاعوا أن يتعرّفوا على بعض اختبارات تجسّدهم السابق.

«حين يريد التلميذ استظهار قصيدة من غياهب ذاكرته، ما على الإستاذ سوى أن يذكّره بالكلمة أو الجملة الأولى، وبقيّة القصيدة تتدفّق تلقائيّاً من ذاكرة حافظته. وكذلك الأمر إذا استطاع المتأمِّل التقاط لمحات من حياته السابقة في تأمّله العميق في ذاته العليا، فإنّها قد تفتح له صفحات من التجارب والاختبارات يستخلص منها العبر وتجلو له أسباب معاناة حياته الحاليّة. والتقنيّة هذه تبدأ بالتركيز على مشكلة، نعتقد أنّها وليدة أعمال سابقة وجذورها ضاربة في تفاصيل التجسّد السابق. وتلك المشكلة تكون بمثابة خيطٍ دليلٍ يشدّنا عبر أنفاق الوعي المتعاقب نحو مخزون اللاّوعي الروحي.

" عندما نغوص في التأمّل، تظهر، بطريقة عفويّة، ومضات من الصور، من حيواتنا السابقة، على شاشة الوعي.. "، و «بصبر ومتابعة، يكتسب المتأمِّل مهارةً في استخلاص تلك الانطباعات حين تُفتح أبواب

الوعي، وتهبّ نسيمات صوريّة وشعوريّة من بابٍ إلى آخر لتحمل معها "أجواء" من المشاعر وخلاصة التجارب السابقة.. وكلّما كانت الذكريات قريبة من السطح (أي: من الوعي) كان ظهورها أسرع وأوضح.

«إنّ تكرار العمليّة هذه يُظهر لمحات صُوَريّة قد تستطيع تركيب لوحة تذكّريّة منها. وهنا، حين تظهر ذكرى تقمّصيّة سابقة فإنّها تُعرَف من العاطفة التي تصحبها.

«.. ومن لطف اللّه بنا أنّنا لا نتذكّر بالتفصيل أسباب هذه المشاعر والأحاسيس. فقط نعي بعض الشيء من المنطق الذي يحرّكها. قلّةٌ قليلةٌ، كالأنبياء والرسل المقرَّبين، لديهم القدرة على تحمّل هول الذاكرة الكونيّة.

إنّ «النطق» عقيدةٌ شائعةٌ عندَ بني معروف. لا شكَّ فيها. بل إنّ الإيمانَ بها يقوّي إثباتَ نظريّةِ التقمّص...

غير أنّ تعليمَ **رسائل الحكمةِ** هو غيرُ هذا، بل هو عكسُ هذا. إنّه يناقضُ كلّ ما شاع، ويُبطل كلَّ ما رأينا إبطالاً واضِحًا ثابِتًا، لا مجالَ بعده لأيٍّ مغالَطَةٍ أو لأيّ ضلالٍ وتعليمٍ معاكس. تقول:

«فان قال قائل فما لنا لا نعرف ما مضىَ من الأدوار والأكوار، قال له المحتجّ بالحقيقة: لو ذَكَرتَ وعرفتَ لَشَارَكْتَ المبدِعَ في غيبِ حكمتِه، ولكانَ ذلك عجزًا من الباري جُلّتْ قدرتُه، ونعوذُ بالمولى من هذا. ولكان أيضاً ينفسِدُ النظامُ، لأنّك لو عَرفْتَ نفسَكَ وما كنتَ عليه في الأدوار الماضية لعرفتَ غيرَك، ولكنتَ أيضاً عارفًا بمبدعِك الذي رَدَّدَكَ في الأشخاص، ولو عرفتَهُ لعرفتَ جميعَ العالم كمعرفتكَ بنفسك، ولتساوَى فيه العالِمُ والجاهِل، والناقِصُ والفاضِل، ولكان ذلك عجزًا في القدرة من

إظهار عالِمٍ ليس فيه جاهلٌ، وناقصٍ ليس فيه كاملٌ، وإنّما ظهرتِ القدرةُ، وتمّتِ الحكمــةُ، في إظهارِ العــالِمِ والجاهِلِ والناقِصِ والفــاضِلِ والشيءِ وضدِّه»[٥٧].

والشيخ زين الدين عبد الغفّار تقي الدين، في كتابُ النّقَط والدوائر واضحٌ أيضاً في إثبــاتِ ما ذهبتْ إليه الحكمــةُ، من إنكار «النطق». يقول: «وأمّا في دارِ الدنيا فليسَ للنفوس الناطقــةِ دَرْكُ ما مَضى مِنَ الزمانِ، إلاّ لِمَنْ هو مُحْصِي أعمالِ الخلائقِ الذي هو إمامُ الزمان»[٥٨].

على هذه النصوص يعتمدُ **السفيرُ عبدالله النّجار** الذي ينفيَ نفيًا قاطِعاً نظرية «النطــق». يقول: «إنّني لم أجدْ كلمةً واحدةً، في جـميعِ كُتُبِ «الحكمة» تثبتُ هذا الزَعم، بل وجدتُ ما ينفيه نفــيًا قاطِعًا، لا يتركُ مجالاً للتــأويل»[٥٩]. لهــذا، فــهو يعــتــبــرُ «النطق» خرافَــةً، تتَّــسِمُ بــ «النِفــاق والتضليل»[٦٠]. وبعد اعــتماده على نصــوص ما ذكــرناه من الحكمة[٦١]، يختمُ قــوله: «أوردتُ هذه النصوصَ دحضًا لكلِّ ادّعــاءٍ، وقطعًا لكل واقعٍ مزعوم»[٦٢].

و **الدكتور الشيخ أنور فؤاد أبو خزام**، إستاذ الفلسفــات الشرقيّة في الجامــعة اللّبنانيّة، ينفــي أيضاً كلّ كلامٍ في "النطق" أو "التــذكّر". يقول:

---

(٥٧) رسالة من دون من قائم الزمان ٦٧/ ٥٣٥ – ٥٣٦.

(٥٨) كتاب النقط والدوائر، ص ٣٤.

(٥٩) النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، س ١٠٠.

(٦٠) المرجع نفسه، ص ١٠١.

(٦١) أنظر رسائل ٧٠ و ٦٩، وكتاب النقط والدوائر.

(٦٢) النجار، المرجع نفسه، ١٠٥.

إنّ النفس «لا تعلم شيئاً عن ماضيها. ورسائل الحكمة، التي يستند إليها الشيخ تقي الدين، تثبت بوضوح عدم معرفة النفس بما حدث لها في الأقمصة السابقة لسبب منطقي وهو أن معرفة من هذ النوع تساوي بين العالِم والجاهل والناقص والكامل والشيء وضدِّه. وهذا معناه عجز القدرة الإلهيّة. والعياذ باللّه!»[٦٣].

ويقول أيضاً: وسوف تتذكّر النفس ما جرى لها في حيواتها السابقة، فقط «عند حلول الساعة. ترتفع الحجب عنها. وتُعطَى قوّة تدرك بها كلّ ما حصل لها منذ بداية تكوينها وإلى يوم القيامة. وتصبح الأزمنة الماضية بالنسبة لها وكأنّها يوم واحد كي ترضى بالحكم النهائي عليها لأنّها تقتنع بعدالة هذا الحكم»[٦٤].

***

* أمّا **غاية التقمّص** فهي أيضاً مختلَفٌ فيها، كما اختُلِفَ حول المبادئ. هل الغايةُ من التقمّصِ امتحانُ النفسِ وتطهيرُها أم ترقّيها في درجاتِ الكمال؟ وإلى أيّ درجةٍ من الكمال يمكنُها الوصول؟ وكيف تكون في حال وصولها؟

يبدو أنّ للمفكّرين الدروز رأيًا يختلف عن رأي الحكمة. ففي حين تعتبرُ الحكمةُ أنّ غايةَ أدوار التقمّصِ هي في أن تبلغَ النفسُ حدَّ الإمامةِ والكمالِ، يعتبر بعض الدروز أنّ الغاية من التقمّص هي في الامتحانِ والتطهير وحَسب.

---

(٦٣) كتاب النقط والدوائر، ص ٤٠.

(٦٤) المرجع نفسه، ص ٥٠.

تقول **الحكمة**: «ألجزاءُ في الثواب.. زيادةُ درجته في العلوم وارتفاعه من درجة إلى درجة في اللّهوات[٦٥] إلى أن يبلغ حدّ المكاسرة، ويزيد في ماله، وينبسط في الدين من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ إلى حدّ الإمامة»[٦٦].

وفي رسالة أخرى، عندما يقترب حسابُ المولى للناس، وتستحقّ كلُّ نفسٍ جزاءَ صنيعها، «تعلو(النفوسُ الطاهرة) بِرَونَقِ حكمته (حكمة قائم الزمان) الدينيّةِ بالأعمالِ الرويّة، وتستخرِجُ بِنَهْلِ فيضِ العقل عليها معاني الخيرات الشريفة العلميّة، وتتعالى في دَرَجِ الكَمَالِ مُغْتَبِطَةً بالمعارفِ اليقينيّةِ، وتَسْتَسعِدُ بالضوء المشرق عليها... وتتحلّى بجواهر الفضائل، وتتّحدُ بالأنوار القدسيّة..

«فعند ذلك... تَتَعَالَى بمعالِم الحقِّ دَرَجَاتُ المُحقّين... هنالكَ تَطّلِعُ نفوسُ أهلِ الحقائق بصَفَائها على الخَفِيّاتِ، وتبلغُ بقوّتها المتجلّيةِ لصُوَرِ الحقِّ نهايةَ النهايات، ويتأثر فيها من العقل الفعّال محاكيات... ويكونُ لها بما مَلَكَتْهِ إشْرافٌ على المعقولات... وَنَظرٌ في شرائف الموجودات، وتَتَرَقَّى بِشَرَفِ علومِها إلى أَعلى المراتِبِ، وتتنبّأُ بالأمور الإلهيّات»[٦٧].

هذا النصّ يدلّ على أنّ الغايةَ من التقمّصِ هو بلوغ الكمال، و«محاكاةُ» العقل في بهائه، والاستقرار «والسكون» فيه.

وهو أيضاً رأي **الشيخ بهجت غيث** في كلامه على مصير النفس. أنّها «ترقى إلى عالم العقل الذي هو أصلها ومعدن شرفها وحياتها

---

(٦٥) «اللهوات» جمع «لُهَات» وتعني هنا: التكرار في الاقمصة.

(٦٦) رسالة الردّ على النصيري الفاسق، ص ١٥/ ١٧١.

(٦٧) رسالة تمييز الموحدين ٦٦/ ٥١٣–٥١٧.

الدائمة الأبديّة، حيث السعادة القصوى التامّة الكاملة.. وإنّها لا تستقرّ ولا تسعد وترضى دون أن تبلغ العالم العقلي بكلّ ما فيه، فتصبح عندها قارّة مستقرّة، تامّة الرضى.. راحة النفس الجوهريّة في عودها على بدئها واستقرارها في أصلها الأبدي الأزلي الذي منه انبثقت وإليه تعود»[٦٨].

بيد أنّ **الدكتورَ سامي مكارم**، في ردّه على النجّار، يرى غير ما ترى الحكمة. فهو يقول بوضوح بـ «أنّ التقمّص، في معتقد التوحيد، ليس تطوّراً للروح في هذا الدور، بل هو تقلّب الروح في شتّى الاحوال، لكي يتسنّى لها أن تختبر هذه الأحوال»[٦٩]. ولكنّه لا يفيدنا ماذا سيكون بالنفس بعد هذا الاختبار؟ ولماذا هي تنتقل باستمرار من جسدٍ إلى جسد؟ وما الغاية من هذا التنقّل؟ وإلى أيّ حدّ تصل بعد تنقّلها؟

وهو أيضا رأي **القاضي أمين طليع** القائل بأنّ الدروز «خلافاً لسواهم، لا يرى الدروزُ في تدرّج الروحِ، طريقاً إلى الكمال أو الإمامة، بل اختباراً وامتحاناً»[٧٠]. ويؤكّد بقوله: «التقمّص ومرور الروح في أدوارٍ حياتيّة مختلِفة هو في سبيل الاختبارِ والامتحانِ، وليس للتنقيةِ والتطهيرِ والوصول إلى الإمامة أو الكمال»[٧١].

وكذلك هو رأي **محمّد خليل الباشا** الذي يقول: «أمّا الغاية من التقمّص.. فهي الاختبار والتجربة في طريق التسامي والترقّي لتحقيق

---

(٦٨) في معارج الروح، ص ٣٢-٣٣.

(٦٩) مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢١.

(٧٠) أمين طليع، التقمص، ص ١٨ -١٩.

(٧١) المرجع نفسه، ص ١٩.

الذات وبلوغ الصفاء والنقاء»[٧٢]...

***

وآخر المطاف، لا بدّ من كلمة : من المؤمنين مَن لا يسلّم اليوم بتجزئة الإنسان إلى عُنصرَين: واحدٍ يزول، وآخر يستمرّ إلى الأبد، هما الجسد والنفس. ألإنسانُ، في رأي كثيرين، وَحْدَةٌ كَامِلَةٌ، لا ثُنَائيّةَ فيه ولا تَجزِئَةَ لكيانِه. والموتُ يُغيّبُ الإنسانَ كلّه؛ لا يرحَمُ منه جزءاً، ويقضي على آخر! ليس في الإنسان عنصرٌ أزليٌّ أبديٌّ يبقى، ويستمرّ، ويستهزئُ بعنصرٍ مسكينٍ زائل.

هؤلاء يقولون بالقيامة. ولكنَّ القيامةَ لا تعتمد على عنصرٍ في الإنسان خالد، بقدر ما تركن إلى "روح اللّه" الذي يعمل في الإنسان الزائل ليقيمَه. إنْ كنت تؤمن باللّه مخلِّصاً، فهذا يكفي. واللّه كفيلٌ بما تَبَقّى.

---

(٧٢) التقمّص وأسرار الحياة والموت، ص ١٩٢.

ثانيا - الجنة والنار

في مـفـهوم الجـنّة والنار عند الدروز والمسلمين خـلافٌ شـاسعٌ وتناقض مـبين. فالمسلمـون يقولـون بجنّة ونارٍ ماديّتين، فـيمـا الدروز يعتقـدون بهما روحيتّين. لا سـعادة، عندهم، إلاّ بالتوحيـد، ولا شقاء إلاّ بالشرك.

***

تختصر سورة الواقعـة نعيمَ المسلمين، فإذا هم "أصْحابُ الميمنة.. في جَنّاتِ النّعيم.. على سُـرُرٍ مَوضونَةٍ، مُتّـكئين عليها مُتَـقابلين. يطوفُ عليهم وِلْـدانٌ مُخَلَّدون، بأكوابٍ وأباريقَ وكـأسٍ من مَعينٍ، لا يُصَـدَّعونَ عنها ولا يُنْزِفون. وفاكهةٍ ممّا يتخَـيّرون. ولحمِ طيرٍ ممّا يَشْتَهون. وحُورٌ عِيْنٌ كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المكنون. جَزاءً بما كانوا يعملون. لا يَسمعون فيها لَغواً ولا تأثيماً، إلاّ قيلاً: سلاماً سلاماً.

"وأصحـابُ اليمين! ما أصـحابُ اليـمن! في سِدْرٍ مخـضودٍ (أي شجر النبق لا شـوك فيه)، وطَلحٍ مَنضودٍ (أي شجر الموز كـثير الحمل)، وظِلٍّ ممدود (دائم)، ومـاءٍ مـسكوبٍ (جار دائمـاً)، وفـاكهـةٍ كـثيـرةٍ، لا مقطوعةٍ (في زمن) ولا ممنوعةٍ (بثمن)، وفُرُشٍ مرفوعةٍ (على السرر).

"إنّا أنشَأْنَاهُنَّ إنشاءً (أي الحور العين من غير ولادة)، فجَعَلْناهنَّ أبكاراً (عذارى كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ عذارى ولا وجع)، عُرُباً (أي عاشقات لأزواجهنّ)، أتْراباً (أي مستويات في السنّ)[٧٣].هنَّ «عُرْبٌ»[٧٤] «أتْرابٌ»[٧٥] «كَواعِب»[٧٦]. لا يزيدُ عمرُهنّ، مدى الأبديّة، عن ثلاث وثلاثينَ سنة، «مقصوراتٍ في الخيام لم يَطمثْهُنّ أنسٌ قَبْلَهُم ولا جانٍّ»[٧٧].

ونعيم المسلمين أيضاً "جَنّات تجري من تحتها الأنهار"[٧٨]، أنهار من لَبَنٍ وعَسَلٍ ورَحيقٍ مختومٍ، وأشجارٌ وارفةُ الظلال كثيرةُ الأثمارِ. في هذه الجنّات مِن الحِلى الزاهيةِ، من سندسٍ واستِبْرقٍ وحريرٍ وطنافسَ وسُرَرٍ مرفوعة وأوسدةٍ خضراء وغُرَفٍ مبنيّة عالية، وأساورَ من ذهبٍ ولؤلؤ ما يجعلُ البهجةَ والمتعةَ واللّذةَ في أقصى توتّرِها الجنسي[٧٩].

أمّا الجحيم فهي مكان معدّ لعذاب الهالكين الذين لم يؤمنوا

---

(٧٣) سورة الواقعة ٥٦/٨-٣٨.

(٧٤) سورة الواقعة ٥٦/٣٧.

(٧٥) سورة الواقعة ٥٦/٣٧؛ سورة ص ٣٨/٥٢؛ سورة النبأ ٧٨/٣٣.

(٧٦) سورة النبأ ٧٨/٣٣.

(٧٧) سورة الرحمن ٥٥/٥٦، ٧٠-٧٤.

(٧٨) " وبشّرِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار..." البقرة ٢/٢٥؛ آل عمران ٣/١٥ و١٣٦ و١٩٥ و١٩٨؛ النساء ٤/١٣ و٥٧ و١٢٢؛ المائدة ٥/١٢ و ٨٥ و١١٩؛ التوبة ٩/٧٢ و٨٩ و١٠٠؛ يونس ١٠/٩؛ الرعد ١٣/٣٥؛ إبراهيم ١٤/٢٣؛ النحل ١٦/٣١؛ إلخ... حوالي ٥٠ مرّة...

(٧٩) سورة الكهف ١٨/٣١، سورة الدخان٤٤/٥٣، سورة الإنسان ٧٦/٢١، سورة الحج٢٢/٢٣، سورة فاطر٣٥/٣٣، سورة الغاشية ٨٨/١٣...

بالإسلام، أو الذين آمنوا ثم كفروا. فيها نار خالدة (١٢٠ مرّة) وسعيرٌ (٩٦مرّة) ولظًى وحريقٌ. إنّها كحفْرةٍ لا تمتلئ رغم كثرةِ الواردين إليها[٨٠]. ألنارُ من تحتِهم ومِن فَوقِهم[٨١]، جعلَ اللهُ في أعناقِهم أغلالاً من حديدٍ وسلاسلَ ثقالاً[٨٢]، يأكلونَ الشوكَ والزقّوم[٨٣]، ويشربون الغسّاقَ، أي القَيْحَ والدَم[٨٤]، والصَديدَ[٨٥] الذي يُمزّقُ الأحشاءَ[٨٦]. وهم في خزي وذلّ[٨٧] وزفيرٍ متصاعدٍ وشهيقٍ دائم[٨٨]...

***

أمّا جنّةُ الدروز فهي روحانيّة خالصة، تقوم السعادة فيها على «التوحيد». وتوجّه الحكمةُ ملامتها على المسلمين بسبب إيمانهم المادّي هذا. تقول:

«لمّا كانتِ الجنّة من حيث الحسّ محيطةً بأنواع الأشجار المثمرة والمياه الجارية، تعلّقتْ بها أوهامُهم، وطلبَوا العدمَ الذي ما له حقيقيّة ولا محصول، إذ عَجِزوا عن المعاني المعقولات. ولو عَرَفُوا الجنَّة (الحقيقيّة)

---

(٨٠) سورة مريم١٩/٨٦،سورة ق٥٠/٣٠، سورة آل عمران٣/١٠٣، سورة القارعة ١٠١/٩، سورة الهمَزة ١٠٤/٤و٥، سورة إبراهيم١٤/٢٨.

(٨١) سورة العنكبوت ٢٩/٥٤، سورة الهمزة ١٠٤/٦-٩، سورة الأعراف ٧/٤١، سورة إبراهيم ١٤/٥٠.

(٨٢) سورة غافر٤٠/٧١، سورة يس ٣٦/٨، سورة المزَّمِّل ٧٣/١٢.

(٨٣) سورة الغاشية ٨٨/٦، سورة الدخان ٤٤/٤٣، سورة المزَّمِّل ٧٣/١٣.

(٨٤) سورة النبأ ٧٨/٢٥، سورة ص ٣٨/٥٧.

(٨٥) سورة إبراهيم ١٤/١٦.

(٨٦) سورة محمّد ٤٧/١٥، سورة الواقعة ٥٦/٥٤.

(٨٧) سورة التوبة ٩/٦٣، سورة القلم ٦٨/٤٣

(٨٨) سورة الأنبياء ٢١/١٠٠، سورة هود١١/١٠٦...

لسَارَعوا إليهـا، وكانوا مخلَّدِين فيها، وَعلِمُوا أنّهـا موجودةٌ، وأنّ الباري سـبحـانَه ما أحـالَهم على عدمٍ، بل كـانَ جمـيعُ ما أُوعِـدُوا به موجـوداً بوجوده. وأمّا زعمُهم بـ «أنّ الجنّة عـرضُها السموات والأرض»[89] فقد جَهِلوا معنَى هذا القول. فاذا كانَ عرضَها السمواتِ والإرض فكيف يكونُ طولُهـا؟ وأينَ تكونُ النارُ منها؟ ولو عَـرفوا الطولَ عـرفوا العـرضَ. وكلُّ شيءٍ طولُه أكثرُ مِن عَرضِه»[90].

ألجنّة الحـقـيقـيّـة، بنظر الدروز، «هيَ الدعـوةُ الهـادية المهـديّة، وأثمارُها العلومُ الإلهيّة الحقيقـيّة، التي بها يتخلّصُ الموحِّدون من جَهلِهم من داءِ الشرك. وأمّـا معنى الطولِ والعـرضِ فإنّ طولَها هو الـعقلُ الكلّي الذي هو قائم الزمـان... وعرضَهـا مثلُ النفسِ... الذي منه وجودُ جـميعِ الصُورِ الروحانيّة»[91].

فالجنّة، إذاً، أيّ «الثواب، الذي هو أفـضل العطاء وأجزله، وأشرفُ الجَزاء وأكـملُه، هو دركُ المعلوماتِ الإلهيّة، واقـتناءُ الفضائلِ البـرهانيّة، وإنّهـا الســعادة القـصــوى، وإنّ هذه الســعادة هي الغـرض في وجـود الإنسـان، وهي كـماله... والكمال... هو الـعقل الذي أشـارت إليـه الحكماء المتقدِّمون... وهذا هو حقيقيّة التوحيد...»[92].

«أمّا النار فهي، من حيث المحسوس، المُحرِقةُ للأجسام.. ومنها نار العذاب، وهي الهاوية والجحيم. وهذه الأسماء (هي) معنى الشريعة التي

---

(٨٩) سورة آل عمران ٣/ ١٣٣، أنظر سورة الحديد ٥٧/ ٢١.

(٩٠) رسالة الزناد ٣٧/ ٢٧٢. مقصود بطول الجنّة العقل الكلي، وبعرضها النفس.

(٩١) المرجع نفسه.

(٩٢) معراج نجاة الموحدين ٦٩/ ٥٨٥ – ٥٨٧. تُقرأ بكاملها.

هَوَوا (كذا) أهلُها وغَوَوا ولقوا فيـها العذابَ. ولو قيل لهم (أي للمسلمين) أخرجُوا منهـا،. أَبَوا واستكبَروا وصَدُّوا عن السبـيل. فهم فيها مـاكِثون مُنكِرون في جمـيعِ الأدوار والأعصار، إذ تـخيَّروا الضـلالةَ على الهدى، وعلى البصيرةِ العمَى، وتمسّكوا بزخاريف الأقاويل»(٩٣).

والنار التي هي «دار البـوار»، كمـا يعـرّفهـا القرآن هي، بحـسب الدروز، الشـريعةُ وتكاليـفُهـا الإبليسـيّة. وهذه هي «النار بالفـعل»(٩٤). والشريعة، كمـا هو معروف عنها، هي الكفر والشرك والتـلحيد، فتكون النار، بالتالي، هي الشرك والجهل والشرّ.

عن الجنّة هذه يقول **الشيخ بهجت غيث**: «ألجنّة، حسب التفـسير المادي، قد تعني لبعضهم أنهـار اللبن والعسل والأشجار الوارفة والملذات الحسيّة؛ بينما الجنّة، بحسب المفهوم التوحيدي، هي معرفة الخالق المبدع وعـبادته. ونقـيض الجنة النار التي تحـرق العقل وتشـغله عن مهـمّتـه الحقيقيّة التي هي المعـرفة، أي النور الإلهي الذي نتّصل بمعرفته بواسطة نور العقل الذي فينا»(٩٥).

وفي ذلك أيضاً قال **المقدّم المتـقاعد جمـيل ذبيان**:«نفى الموحّدون ماديّة الجنّة، بمعنى النظر إليها كمآكل شـهيّة، ومشارب لذيذة، ومسرّات جـسديّة.. يُؤتاها المؤمـنون من خلال التـمـتّع بالحور والولدان، ونفـوا بإزائها جهنّم الناريّة.. فسّر الموحّدون الجنّة بأنّها نعيم توحيدي.. فالجنّة هي الدعوة الهادية، وثمارها العلوم الإلهيّة الحقيقيّة التي بها تتخلّص من

---

(٩٣) رسالة الزناد ٧/ ٢٧٣.

(٩٤) المرجع نفسه، ٣٧/ ٢٧٣ – ٢٧٤.

(٩٥) في معارج الروح، ص٢٦٨–٢٦٩.

جـهـلنا. والنعــيم في المذهب التــوحــيــدي هو رضى الله عـن النفس الصـالحة»[٩٦].

وكذلك أيضاً رأي **الشيخ نجيـب العسراوي** الذي قال بـ «الجنّة الروحيّـة وحقيقـتها، لا الجنّة الماديّة ومـلاذها، ومثلها جهنّم القـصـاص الروحي، لا نار تحرق الأجساد..»[٩٧].

وقال **الدكتور الشيخ أبو خزام**: «لا يَعِد المعتقَـدُ التوحيدي الدروز الموحّدين بسعـادة أكثر من التوحيـد. فالتوحيد جنّة الموحّـد دنيا وآخرة. وما الآخرة إلاّ العودة إليه... والتوحيد يقـسِّم البشريّة إلى عقّال وجهّال، ولا يقسّـمهم إلى أخـيار وأشرار. فـالأخيـار والأشرار هم كـذلك بوجه الناس لا بوجـه الله. والله في علوّ مـجـده منزّه عن الحـاجة إلـى عبـادة البرايا وتمجيدهم له»[٩٨].

فالجنّة، إذاً، وبكلٍّ بساطة ووضوح، هـي الإيمان بالتوحيد، والنار هي رفض التوحيد، أي الشرك والاتكّال على العدم والشريعة.

---

(٩٦) إسلاميّة الموحدين الدروز، ص ٢٠١.

(٩٧) المذهب التوحيدي الدرزي، ص ١٢.

(٩٨) في تحقيقه لكتاب النقط والدوائر، ص ٧٢.

ثالثاً - أليوم الأخير

يومُ المَعَاد هـو اليوم الأخيـر من هذا العالم. فـيه تصيـر الدينونة، وتُحاسَب كلُ نـفسٍ بما صنعتْ. فيه تـنتهي الأديان والمذاهب جمـيعـها، ويتـجلّى العليُّ الأعلى البـاري الحاكم المعـبود، ويقـضـي على أصحـاب النواميس الأبالسـة وأحزابهم بالسيف. وتكون عليهم الغلبة إلى الأبد.

في هذا اليوم لن تكون «قيامةٌ عـامّة للأموات»، كما هو الحال في اليهوديّة والإســلام، لأنّ الأرواحَ لن تبرحَ هذا العالَم. فهي فـيه تنتقلُ من جسمٍ إلى جسمٍ إلى أن تتحّدَ بالعقل الكلّي حيث يتمّ كمالُها.

في هذا اليوم، أيضاً، لن يكونَ حـسـابٌ عامّ للأموات، لأنّ كلَّ نفسٍ تُحاسَبُ، لوحدها، عند تنقّلها في الأجساد. وينتهي حسابُها عند وصولها إلى حدّ الكمال في العقل الكلي.

أمّا الـنفوسُ الشـريرة والمشركـة، اللواتي استـمرّت في أديانـها الفاسـدة، وفي نواميسهـا الكافرة، فسـتستـمرّ في أجسادها في خـدمة الموحِّدين، أهلِ الحقّ، إلى الأبد.

وأمّا اليوم الأخير من هذا العالم ففـيه يتجلّى الحاكم بقوّةٍ عظيمة، ويظهَر، قَبْلَه، صفيُّه قائمُ الزمـان حمزة. «وغالِبُ الظنِّ ، كما يقولُ **الأمير**

السَّيِّد في شـروحاته للحكمة، إنّ بدء التجلّي (سيكون) في مكّة، لأنّ صفيَّه، صلّى اللّه عليه، إذا اقتضتْ مشيّةُ الربّ تعالى، أنّه يَظهر بالعسكر العظيم، فيَظهرُ من الشرقِ حتماً، ويَسْحَبُ ذَيْلَه قاصِداً بَيتَ مكَّة، فتُلاقيه ملوكُ الدنيا من مشارقها إلى مغاربها، كما قال:

"إذا اشـتهـرَ من المشرقِ الصـارمُ المُشـرَفي، وظهَر من الحجبِ المستورُ الخفيّ"، وكما قـالَ: "وَسَحَبَ ذَيْلَهُ بالخَسْفِ لِمَقْطَرةِ الكُفْرِ والبابِ الأعظمِ لتهـامة"، وكما قال: "إنّ السيّد يملكُ جميعَ الدنيا"، وأنّه يجـوزُ من البحـرِ إلى لدنِ الأنهـارِ الى منقطعِ الأرضِ، وأنّه الذي تَخُـرُّ الجبـابرةُ له بينَ يديه على رُكَبِهم، وتجلسُ أعـداؤه على الترابِ، وتأتـيه الملوكُ بالقرابين، وتسجدُ له، وتدينُ الأمَمُ كلُّها بطاعتِه والانقياد.

«فـيظهـرُ السيِّـدُ العظيـمُ، صلّى اللّه عليـه، بعسـاكـرَ وعظَمَـاتٍ ومعجـزاتٍ وآياتٍ، وهيئةٍ وسلطان، وعزٍّ وإمكان، وخيلٍ شُـزَّبٍ عتاق[٩٩]، وزينةٍ تبـهرُ الآفاق. فـترتجُّ الأرضـون لهيبـتِه وعـزّتِه، وفعلِه وعَظَمَـتِه، فيشتهرُ في أقطارِ الأرض بِظهورِه، بهذا الزَخْمِ العظيم، ولأجل ذلك تأتيهِ الملوكُ بالقرابين.

«وأغلبُ الظنّ أنّ مـا يَبـقى في أقطارِ الأرضِ مِن مـشـارقِهـا إلى مغارِبهـا مَلِكٌ إلاّ ويأتيه من تلقاء نفسه، بغـيرِ طلبٍ، ولا حثٍّ من أحدٍ. بل لتواترِ الأخبارِ في الأقطار، بأمر مَلِكٍ ظَهَر بالشرقِ بحالٍ لم يُرَ ولم يُسمَع بمثلِه قطّ، فتـقعُ الهيـبةُ والرّعْبُ العظيمُ في قلوبِ الملوك والجـبابرةِ. ولا تأتيـه لقصدِ مـحاربةٍ، ولا لدفـعه عن مملكةٍ من ممالـكِ الدنيا، بل طَمَـعاً لإبقائهم على ممالكهم، ويكونوا من قِبَلِهِ وتحتَ أمرِه، خاضعين خاشعين.

(٩٩) الخيل الشزّب العتاق هي الخيل الضوامر.

«ويكونُ ظهورُه بـهذه العظمات بعـد ظهور الدجّـال الأعورِ اللّعينِ مدّةَ زمانٍ وخرابِ الفِسطاط.. وتكونُ أهلُ الحقِّ في أشـدِّ البلاءِ، كما قال: " وضاقتْ على أولياءِ الحقِ الأرضُ بما رَحبْت ".

«ومن حين ظهـوره بالشرق، صلّى اللّـه عليه، يقعُ الزمعُ والذعـرُ والهـيبـةُ في قلوب الملوك والكفّـار، ويقع الفـرحُ الشديدُ والرجَـا والهنَا والابتهاجُ والاستبْشَارُ في قلوبِ السّادقين الأبرار.

«وربّما لا يصلُ، صلّى اللّه عليه، بهـذا العسكرِ الجرّارِ إلى مكّةَ إلاّ وقد اجتمعتْ به ملوكُ الأرضِ. ومِن جـملةِ الملوك أبو السُّوَيقَتَينِ المشهورُ عنه أنّه يأتي لخرابِ بيتِ مكّة، وهو من السودان...

«وإذا لاقـوه الملوكُ (كذا)، صلّى اللّه علـيه، أغلب الظنِّ أنّه مـا يردّ قربانَ أحدٍ، بـل يَقبَلُه، أو يُوعِدُ بقَبـولِه، إذا وصلَ إلى مكّة. ولا يُظهِرُ لهم غضباً، ولا يبذلُ فيهم سيفًا ولا غيرَه. ولا هـم أيضاً يَعرُفوا ما يَحلُّ بهم.

«فإذا وصلَ الملكُ العظيمُ بهـذ ا العسكر الكبيـرِ إلى مكّة، وحلَّ بها، ونزلَ فيـها، الذي لمْ يكنْ مِن يوم قيـامِ الدنيا رأى أحدٌ عـسكرَ، ولا سمعَ بعسكرٍ مثله، ولا يشبهُـه، ولا يدانيه في حالٍ من الأحوال، لا في فرسانٍ، ولا في خيلٍ، ولا فـي لباسٍ، ولا في زينة، ولا في عَظمـةٍ، ولا في عزٍّ، ولا في مُعجزِ، ولا في هيبةٍ، ولا في حُرمةٍ، ولا في وَقارٍ، ولا في سلطان.

«وربمّا يكونُ مـع العـسكـرِ آلاتٌ بِحِسٍّ كـالـرعـود الصـواعق، والبـروق اللوامع، تهزّ الأرضَ هزّاً، وتملأ الأرض هيـبةً وذعـراً، وتزلزل النفوس عن مراكزها رعبةً ورهبا...

«فحـينئذ يتجلّى الملكُ العلاّم، ويظهرُ بين تلـك العسـاكـر بالقدرة

الربّانية، والعظمة الإلهية، ويبرزُ بالجبروتيّة، فتخرُّ العساكر لعزّةِ سلطانه وقدرة جلاله، وينكشفُ لأعين الجميعِ تلكَ الساعة، ويُشاهِدوا ألوهيّتَه وربوبيّتَه، ويصعقُ مَن في الأرض والسموات لهيبته وعظمته. فهنالك يصيرُ ما قالَ السادِق (حمزة): "عند ذلك تهتزُّ الممالكُ بأقطار المعمورةِ المبنيّة"، وكما قال: "واهتزّتِ الأرضونَ لظهور القائم"...

«فصحّ بهذه الشواهد أنّ الأرضَ يصيرُ فيها، يومَ القيامة، أمرٌ عظيمٌ من الحركاتِ والرّجّات والرَّجفاتِ والزلزال، وفي الأفلاكِ حركاتٌ مزعجات، ما لا صار في الدنيا أبداً.

«وربّما يكونُ، يومَ يتجلّى الرّبُّ بمكّةَ، يعرفوا (كذا) أهلُ الدنيا بقيامِ القيامةِ بحركاتِ الأفلاك وارتجاج الأرضين. وفي ذلك اليوم يأذن جلّ جلالُه بِخَرابِ البيتِ العَتيقِ الذي هو الكَعبة. ويأمرُ السيّد العظيمُ قائمُ الزمان بجريانِ سَيفِ الحقِّ في العساكر المجتمعة. ويكونُ بدء الفعل مع خرابِ البيت. كما قال: "وظهورُ بدءِ الفعل المنتظَر من تهامَة".

«والمشهور أنّه إذا حضرتْ دَابَّة الأرض في مكّةَ، ومعها خاتمُ سليمان، تصرخُ ثلاثَ صرخاتٍ، فيَسمَعُها مَنْ بين الخافقين، يعني الشرق والغرب. والدابّةُ هي إمامُ الزمان، صلّى اللّه عليه، إذا حلّ بمكّة، يجري اللّهُ تعالى على يده أموراً عظيمة، ما لا أذن سمعتْ، ولا عينَ رأت، ولا خطر على قلبِ بشر، مِن كشف الأمور الدينيّة، وإظهار المعالم الإلهيّة، والإطلاعات على الأحوال السرّيّة، والثواب للأنفس الزكيّة، بالنعيمَين المستقرَّين في الجنّة العليّة، والعقاب للأنفس الخبيثة الدنيّة، من الحسرات المحرقة، والتنكيل والتمحيق والمسوخيّة، المعنويّة والصوريّة.

«وكل ذلك بحضرته تعالى، وهو متجلّي في الصورة الناسوتيّة.

ومع تجلّيه سبحانه وتعالى في الصــورة البشريّة، يظهَر بالقدرة الباهرة الربّانيّة، والمعــجزاتِ الجبــروتيّة، والعظمــاتِ القاهرةِ القدّوســيّة، وتملأُ هيــبتُه قلــوبَ جمــيع البــريّة، ويقعُ الزّمع والــفزعُ والخــوفُ في الســرّ والعلانيّة، ويستقــرّ الرعبُ والرهبُ والذلُّ والخشوعُ في النفوس الناطقةِ الجوهريّة، لأنّ الربَّ سبحانه بحكمته البالغة، يَقدِّرُ بإظهارِ قُدَرِه وساطِع نوره وبواهر آياتٍ وهيبةٍ وجلال لم يكن مــع ذلك أحدٌ يستطيعُ يفعلُ ذلّةً ولا يرتكبُ معصيةً، حتى ولا إبليسُ اللعين (محمّد) لِعظَمِ الهيبةِ والحرمةِ والقدرةِ التي عمّتِ الدنيا من مشارِقها إلى مغاربها»[١٠٠].

لقــد تعــمّــدنا نقلَ هذا النصّ الطويل بحــرفــيّــتــه؛ لأنّه يدلّ دلالةً صريحة على ما في الرسائل، وعلى فهم الدروز لما في الرسائل؛ ولأنّه من قلمِ رجلٍ مــعــتبــرٍ في العــالم الدرزي، هو الأميــر السَــيّــد جمــال الدين التنوخي؛ ولأنّه يــغنينا من الرجــوع إلى رســائل عــديدة في هذا البــاب؛ ولأنّه، أخيــراً، يعفينا من تهــمةٍ قد توجَّــه إلينا بسببِ ما اســتحلّ الدروزُ قولَه على أقدس مقدّسات الإسلام.

ومع هذا نحــيلُ القــارئ إلى الرسائــل التاليــة: ٥٦/٤٣٧-٣٣١؛ ٥٧/٤٤٤-٤٥٠؛ ٦٠/٤٧١-٤٧٢؛ ٦٢/٤٨١-٤٨٢؛ وأيضـــاً ٤٨٢-٤٨٥؛ ٦٣/٤٨٩-٤٩٠؛ ٦٤/٤٩٣؛ ٦٦/٥١١؛ ٩٠/٧٧٠-٧٧١؛ ٥٥/٤٢٨؛ ٤٨/٣٥٩؛ ٤٢/٣٣٤؛ ٥٣/٣٨٣ و ٣٩٦؛ ٤٩/٣٦٣؛ ٥٥/٤٢٢..

يومُ المَعَاد هذا يكونُ، إذاً، في مكّة، عندما يجيءُ حمــزةُ «لاستيفاء

(١٠٠) تفســير كشف الحقــائق للأمير السيّــد، ص ٧٨١ – ٧٨٦، مخطوط رقم ١٤٣٩ في المكتبة الوطنية بباريس، ورقة ٥٥ب – ٥٩ب.

الثأرِ لدماء الموحدين»[١٠١]. ولكنّ هذا اليوم ليس هو "اليوم الأخير"، كما في اليهوديّة والإسلام؛ إنّما هو آخر يومٍ للأنبياء والأوصياء والأديان. فيه تنتهي مهمّةُ النواميس التكليفيّة الإبليسيّة. وفيه يُعْلَن «التوحيد» جَهاراً على الملأ، ويُدعى الجميع إليه. عندئذٍ يبدأ دورُ «كشفٍ» جديد تكونُ الغَلَبة فيه للموحِّدين الذين يملكون العالَم وما فيه، ويُخضِعون كلَّ مخالِفٍ مشرك. ويبقى الحكمُ فيهم إلى الأبد.

عن اليوم الأخير هذا، يقول **الشيخ الدكتور أنور فؤاد أبو خُزام**، إستاذ الفلسفات الشرقيّة في الجامعة اللّبنانيّة: «أمّا القيامة الكبرى فهي الحركة الكونيّة العظمى التي تُنهي أدوارَ الدنيا، وتفتح باب الآخرة. والجدير بالذكر أنّ الموحّدين يعتقدون أنّ دور القيامة قد بدأ منذ العام ٤٠٨ هجريّة، أي منذ إلف سنة ونيّف»[١٠٢]، وهو العام الذي نشأت فيه الدرزيّة، في دور الحاكم، وهو الدور الأخير، عند الدروز.

«ألقيامة المرجوّة عند الموحّدين هي قصّة حربٍ ظافرة يخوضها القائم المنتظر بعساكر جرّارة مقسّمة إلى خمسة جحافل، كلٌّ جحفل منها يقوده حدٌّ من الحدود. وهذه الحرب تقع بين القائم المنتظر وجيوش الكفّار والعصاة. وتدور رحاها، كالحروب القديمة، على ظهور الخيل وبواسطة السيوف...

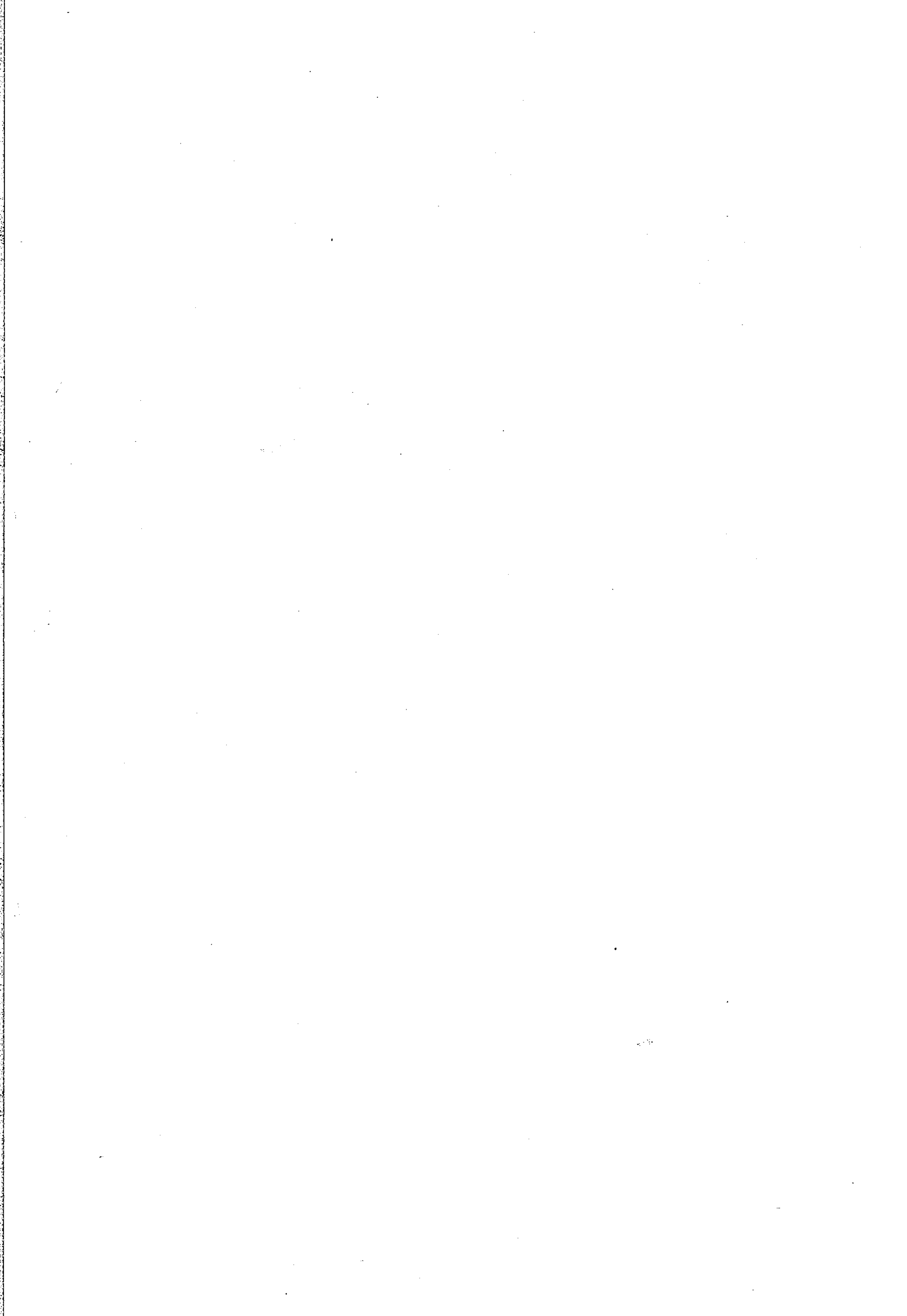
«وبنهاية هذا اليوم العظيم، تُفْتَتَح المحاكم للحساب وتستمرّ مفتوحةً مدّة ١٥ سنة»[١٠٣].

---

(١٠١) رسالة التعقّب والافتقاد ٥٥/٤٢٨.

(١٠٢) إسلام الموحّدين، ص ٣١٩.

(١٠٣) ألمرجع نفسه، ص ٣٢٢-٣٢٣.



الفصل التاسع

دعائم التوحيد

أوّلاً — سدق اللّسان

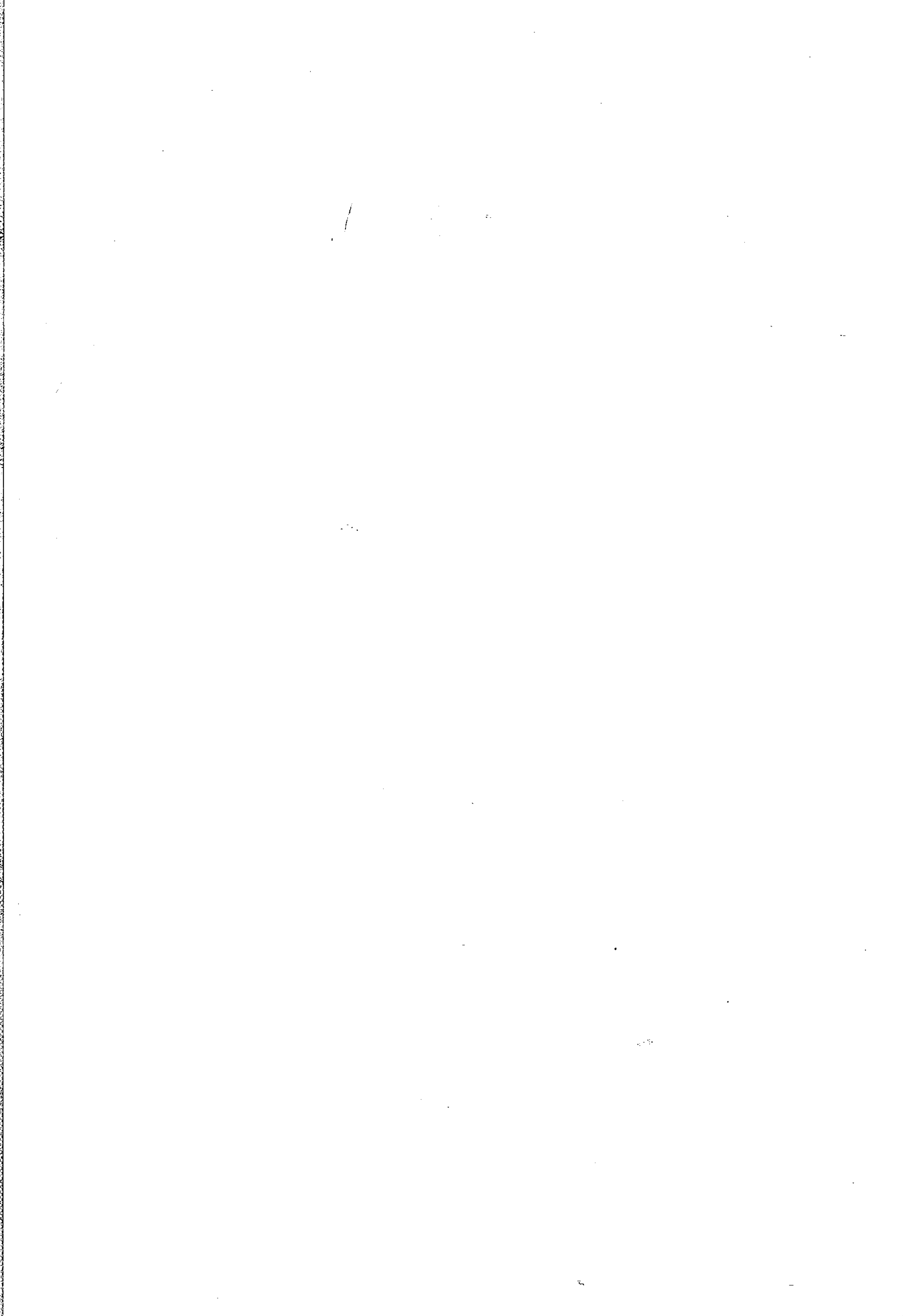
ثانياً — حفظ الإخوان

ثالثاً — ترك عبادة العدم والبهتان

رابعاً — البراءة من الأبالسة والطغيان

خامساً — توحيد الحاكم جلّ ذكره

سادساً وسابعاً — الرِّضى والتّسليم



أولاً - صدق اللسان

قلنا في ما سبق: «للتوحيد غايتان متكاملتان: الواحدة سلبيّة والأخرى إيجابية. أمّا السلبية فهي البراءة من جميع الأديان والمذاهب والأنبياء والأوصياء.. أمّا الإيجابية فها نحن الآن نتكلّم عليها، ألا وهي «الخصال التوحيديّة السبع» بدل «الدعائم التكليفيّة الإسلاميّة السبعة».

يقول قائم الزمان: «إعلموا أنّ مولانا جلّ ذكره، قد أسقطَ عنكم سبعَ دعائم تكليفيّة ناموسيّة، وفرضَ عليكم سبعَ خصال توحيديّة دينية: **أوّلها** وأعظمها صِدْقُ اللّسان. و**ثانيها** حِفْظُ الإخوان. و**ثالثها** تَرْكُ ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان. و**رابعها** البراءَة من الأبالسة والطغيان. و**خامسها** التوحيد لمولانا جلّ ذكره في كلّ عصر وزمان ودهر وأوان. و**سادسها** الرّضى بفعله كيفما كان. و**سابعها** التسليم لأمره في السرّ والحَدَثان»[1].

***

(١) رسالة بدء التوحيد لدعوة الحقّ ٧/٦٦، ميثاق النساء ٨/٧٢. «الحدثان» يعني «الجهروالاعلان»، بخلاف «السرّ والكتمان».

أوّل خصال الموحِّدين وأعظمها هو «السِّدق»، بل «السدق هو الإيمان والتوحيد بكماله. والكَذِب هو الشِّرك والكفر والضلالة»[٢]. «ألسِّدق دليل على توحيد مولانا جلّ ذكره»[٣]. و«السِّدق من الإيمان كالرأس من الجسد»[٤].

«والسدق أيضاً دلّ على خمسة معاني، وهي أنّه: دلّ على الإله السِّدق، ودلّ على التوحيد السِّدق، ودلّ على الإمام السِّدق، ودلّ على حروف السِّدق، ودلّ على فريق السِّدق»[٥].

فالسدق هو مختصر ديانة التوحيد وفضائل الموحِّدين: «فمَن كان يزعم أنّه مؤمن موحّد ولا يعمل بفرائض مولانا سبحانه، ولا يكون سادقاً في أقواله، محسناً في أفعاله، كان مدّعي التوحيد، مستعمل الشرك والتلحيد»[٦].

ولن يكون خلاصٌ، في النهاية، إلاّ للموحّدين الذين سدقوا القول في كلِّ شيء مع إخوانهم: «لا رفعة في المعاد الاّ لمن سدق لسانه»[٧].

أما الكذب فهو «دليل على شخص إبليس اللّعين»[٨]، و«هو الشرائع الناموسيّة»[٩] و«هو الكفر»[١٠].

---

(٢) رسائل: ٩/٧٦، ٤١/٣١٢، ٧٧/٦٩٩.
(٣) رسالة ٩/٧٨.
(٤) رسالة ١٥/١٦٥.
(٥) كتاب النقط والدوائر، ص ٥٤.
(٦) رسالة ٤١/٣١١.
(٧) رسالة ٩٣/٧٧٩.
(٨) رسالة ٤١/٣١٢.
(٩) رسالة ٥٣/٣٩٧.

والكذب لا يكون شرّاً إلاّ على إخـوان التوحيد، أمّـا مع «الأضداد» فهو واجب، لأنّهم لا يستحـقّون السدقَ إطلاقاً. «ألكذب على أخيك المؤمن هو الكفر»[١١]، و «من كذب على أخـيه المؤمن فقد كذب علـى داعيه. ومن كذب على داعيه فقد كذب على إمامـه. ومن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا جلّ ذكره وجحدَ نعمَه واستوجب سخطه»[١٢].

والكذب هو «أن يقـول أحدُكم في أخـيـه (المؤمن الموحّد) مـا ليس فيه، أو يحرّف عليه قوله، أو يحلّل له شيئاً ممّا حرّمه عليه إمامه، أو يقول في مولانـا ما لا يجوز أن يقـال في عبـده، فقـد جحد الفـضل والإيمان، وتظاهر بالردّة والطغيان»[١٣].

فـالسـدق اذن لا يكـون إلاّ مع «الإخـوان»، وأمّـا مع «الأضـداد» فالكذب والحذر والحيطة والمساترة والمصانعة والمداراة هي خير وسيلةٍ. والاعتماد على السدق هو أعظم أركان الدين، تماماً كالصلاة عند أصحاب الشرائع[١٤]، فيـما الكـذب على الأضداد هو أعظم وسـيلة للحفـاظ على الحقّ عند أهل الحق.

«فالحذر الحـذر، معاشر الموحِّدين، أن تخـالف قلوبُكم ما تنطق به ألسنتكم لإخـوانكم. فإنّ ذلك يُسـخط قائم زمانكم. وهو نـفس الشرك... وليس يلزمكم، أيّها الإخوان، أن تسدقوا لسائر الأمّة، أهلِ الجهل والغمّة، والعمى والظلـمة، وأن لا يلزمكم فيـه شيئـا لهم. والسدق فـهو من نفس

(١٠) رسالة ٢١/ ٢١٠، أنظر: ٤١/ ٣١٢...

(١١) رسالة ٢١/ ٢١٠.

(١٢) رسالة ٤١/ ٣١٢.

(١٣) رسالة ٩/ ٧٦، أنظر ٧٧/ ٦٩٩ – ٧٠٠، ٤١/ ٣١٢...

(١٤) كتاب النقط والدوائر، ص ٥٤.

الأدب. وليس لِغَيرِكم عليكُم فَرْضٌ، ولا ذلك إلاّ لبعضِكم بعض»[١٥].

ولكن، يجب على الموحّد أنْ يكذبَ على أخيه إذا كان بينهما ضِدٌّ: «وليسَ لأحدٍ من الموحدين فَسْحَةٌ في الكذب لإخوانه، إلاّ أن يكون هناك ضِدٌّ حاضرٌ، لا يمكن كشفُ الأمور إليه، ولا شرحُها بين يديه. وإن أمكنَ الصمتُ فهو أحسن، وإن لم يمكن فلا بأسَ أن يُحرِّفَ القولَ بحضرته، أعني الضدّ. ويجب عليه أن يرجِعَ يَسْدُقُ الحديثَ لإخوانه، بعد خلوّهم من الشيطان»[١٦].

ولكن «لا بأس بالسدق فيما لا يضرّ عند الأضداد»[١٧]، أي: لا بأسَ بالسدق مع الإخوان إذا كان لا يضرّ ذلك بهم في حضرة الأضداد.

لذلك، لا يجوز الكذب بين الإخوان إذا كان مجتمعهم خالٍ من الأضداد: «من حرّك لسانه بالكذب بين إخوان التوحيد والدين، وهو آمن أهل الردّة المخالِفين، فقد صدّ عن التوحيد والكشف، وباين النفاق والخلف»[١٨].

وأخيراً إنّ الكذب خطير جداً. وخطره كامن في كونه يتشبّه بالسدق؛ لأنّ كلاهما ثلاثة أحرف. إلاّ انّ فرقاً شاسعاً بينهما من حيث قيمتهما ودلالتهما. فمجموع حروف الـ «سدق»: ١٦٤؛ ومجموع حروف الـ «كذب»: ٢٦ حرفا. والنزاع بينهما باقٍ إلى الأبد[١٩].

---

(١٥) رسالة ٤١/ ٣١٤

(١٦) المرجع نفسه.

(١٧) المرجع نفسه.

(١٨) رسالة ٥٧/ ٤٤٥.

(١٩) انظر رسائل: ٩/ ٧٨ – ٧٩، ٢٢/ ٢١٥-٢١٦، ٤١/ ٣١٢...

ثانيا - حفظ الإخوان

هي الدعامة الثانية من دعائم التوحيد وخصال الدين، وهي، عند الدروز، كـ «الزكاة» عند المسلمين[٢٠]. فإذا كانت «الزّكاة هي الشريعة بكاملها»[٢١]، فإنّ «حفظ الإخوان» هو التوحيد بتمامه.

ولهذا لم يفتأ قائمُ الزمان، في كلّ رسالة، من توجيه النصيحة والتوصية: «أوصيكم بحفظ إخوانكم فإنّه بحفظهم يكمل إيمانُكم. فأجيبوا دعواهم، واقضوا حاجاتِهم، واقبِلوا معذرَتهم، وعادُوا مَن ضامَهم، وعُودوا مَرضاهم، وبرّوا ضعفاهم، وانصروهم ولا تخذِلُوهم»[٢٢].

ويقول حمزة في وصيّته لسفير القدرة:

«أوصِهم بحفظِ بعضهم بعضاً». و«احفظ الإخوان، واعضدُهُم في السرِّ والإعلان». و«اجمع شملَ الموحِّدين. وكنْ لهم في نَفَاسِهم وأعراسِهم وجَنائِزهم على السنّةِ التي رُسِمَتْ لهم». وإن خالفَ موحِّد

---

(٢٠) كتاب النقط والدوائر ص ٥٧.

(٢١) كتاب النقض الخفي ٦/ ٤٩.

(٢٢) رسالة التحذير والتنبيه ٣٣/ ٢٤٥.

إيمانَه، فعلى سفير القدرة تأديبُه وضربُه «حتى لا يعودَ إلى خطأ لا يليقُ بالموحِّدين، وذلك في بيتِكَ موضِعٌ لا تكونُ فيه الأضداد»[٢٣].

وإذا كان من حجّة لإسقاط دعائم الإسلام فليس أعظم منها سوى حفظ الإخوان: «وأنتم معاشرَ المؤمنين الموحّدين! قد علمتم وسمعتم السجلّ الذي أمر مولانا جلّ ذكره بقراءته عليكم، وأسقط عنكم الزّكاة والأعشار والأخماس وسائر السدقات إلى أبد الأبدين. ولم يُسقِطْ عنكم محافظةَ بعضكم بعضاً. ولا يكونُ في نسخِ الشريعة حجّةٌ عقلية واضحةٌ مرئيّة أعظم من هذا»[٢٤].

و«الحفظ، في لغة الموحِّدين، معناه الصيانة والحراسة والرعاية. ومعنى استحفظه استرعاه. ومعنى استرعاه لاحظه بالإحسان إليه. وفي اللغة، المحافظة معناها المراقبة؛ والمحافظة المواظبة والذبّ عن المحارم.

«فعليك أن تنظر درجاتِهم، وتحفظَ عهودَهم، وتصونَ ذمامَهم، وتحرسَ مُقامَهم، وترعى حقوقَهم، وتراقِبَ مصالحَهم، وتواظبَ خدمتَهم، وتقضي حاجاتِهم، وتمحضَ محبّتَهم بالعقلِ والجنان، وتذبَّ عنهم بالمالِ واليدِ واللّسان.

«فإن كنتَ ذا علم فاهْدِهم بعلمك، وإن كنت ذا جهلٍ فأرشِدْ بعلمهم جهلَك، وإن كنتَ ذا مال فبرّهم بمالِكَ، وإن كنتَ ذا فقرٍ فأغنِ بجودهم فقرَك، وإن كنتَ ذا عزٍّ فاكنفْهم في عزّك، وإن كنتَ ذا ذلٍّ فادفعْ بعزّهم ذِلّك.. ولا يجوزُ لأحدٍ منهم أن يميِّز نفسه على غيره..، ولا يرى لنفسه

---

(٢٣) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١/ ٢١٠.

(٢٤) رسالة بدء التوحيد لدعوة الحقّ ٧/ ٦٦.

فـضيلةً عـلى أخيـه بِنَسَبٍ ولا بمالٍ ولا بجـاهٍ ولا بآلٍ إلاّ بالعلمِ والعـملِ والعفّةِ عن الزللِ.

«وإذا أخطأ أخوه وَعَظَهُ وَعاتَبَـهُ. وإن تمادى لامَهُ وَعَنَّفه. وإن طالَ به السفهُ واللّددُ هَجَرَه. وإن دام على غيِّه أبعدَهَ وتبرّأ منه. وإذا خرَجَ إلى البِدَع عَادَاه وصانَعه ودارَه...

«وعليك بلمِّ شـملِهم، وذكرِ فـضلِهم، ونشـرِ محـاسِنهم، وستـرِ عيوبِهم واحتمالِ عثرتِهم، وحسنِ الظنِّ بهم»[٢٥].

«والمحافظةُ كـلمةٌ جليلة القـدَر، وهي فريضـةٌ لازمـة على أهل هذه الدار. ميمُهـا معونات. وحَاؤُها حسنات. وألِفُهـا إفادات. وفَاؤُهَا فرائض لازمات. وظَـاؤُها ظَفَرٌ بالكرامـات. وهَاؤها هنياً لمن حـافظ عليـها ورزق عاقبة الثبات»[٢٦].

وَفي «المصـحف المنفـرد بذاته» هذه النصائح أيضـاً: «وإن أحدٌ من الموحِّدين استجَاركم فأجِرُوه، ثم أبلِغوه مَأمَنَه؛ أو أصابتْه مصيبةٌ، فكلّكم يكفِه. إنّما الموحِّدون تتكافأ دمـاؤُهم. وهم يدٌ على سواهم. وكان مولاكم بما تعلمون خبيراً»[٢٧].

وأمّـا بهـاء الدين المقتـنى فلم يوفّـر فرصـة إلاّ توجّـه فيـها إلى الموحِّدين لحفظِ بـعضِـهم بعضاً. يقـول: «فارعوا بالرأفة حـقوقَ بعضكم بعض»[٢٨]، «واحذروا من التـحاسد والاخـتلاف. وكونوا على قَـبولٍ من

(٢٥) كتاب النقط والدوائر، ص ٥٥– ٥٧.

(٢٦) كتاب الدرر المضيّة، ص ٣٤٢ كلمة «حفظ» ، مخطوط ١٤٣٩ ورقة ٩٢.

(٢٧) مصحف المنفرد بذاته، منسوب الى حمزة، ص ١٥٢، أنظر ايضاً ص ٢٤٤.

(٢٨) رسالة جبل السمّاق ٩٨/٧٩٢.

الحقِ والوفاء والإنصاف»[٢٩]. وينصحهم بتوحيد كلمتهم: «فلتكنْ، أيّها الإخوان، الكلمةُ واحدة، والإلفةُ مجتمعة، والمذاكرةُ دائمة»[٣٠]، ويقول أيضاً: «ولتكن كلمتكم واحدةً وشملُكم مجتمعاً وقولُكم مؤتلفًا. فالاختلاف يورِث الفشَل، وقلّةُ المذاكرة في الدين تُهبِطُ قديمَ العمل»[٣١].

وإنْ كان من فضلٍ لموحّد على أخيه فهو بما يعرفه من الحكمة: «لا ميزَة لأحدٍ على أحدٍ إلاّ بما عَلِمَه من الحكمة.. ولا فضيلةَ إلاّ بمواصلة أهل الحقّ في الحقّ والبراءة ممّن عَنَدَ عنه وأباه»[٣٢].

«وتزداد قربى الموحّدين إلتصاقاً عندما نعلم أنّ الموحّدين يعتقدون بأنّهم يربّون بعضهم بعضاً في الأحوال المتعاقبة. وهذا يعني أنّه قد يكون والد أحدهم في هذا الجيل إبناً لولده في جيل سابق، وفاقاً لنظريّة التقمّص، لذلك، فالسلام التقليدي بينهم يكون بالتقبيل المتبادل للأيدي مع قولهم: "متذكّرين الأفاضل"، ويعني: أنّ الفضل المتبادل بين كلّ موحّد وموحّد سببه التربية المتبادلة بين جيل وجيل»[٣٣].

---

(٢٩) مكاتبة تذكرة ٩٣/ ٧٧٩.

(٣٠) جواب كتاب السادة ٩١/٧٧٣.

(٣١) منشور الى آل عبدالله ٩٠/ ٧٧١.

(٣٢) مكاتبة تذكرة ٩٣/ ٧٧٩.

(٣٣) الشيخ الدكتور أبو خزام، إسلام الموحدين، ص ٢٣٠.

ثالثاً - ترك عبادة العدم والبهتان

ثالث الخصال التوحيديّة ترك عبادة العدم والبهتان. في كتاب النقط والدوائر، «العدم والبهتان يجمع العقيدتين: التنزيل والتأويل وفروعهما؛ لأنّ اعتقادهم أنّ الربّ سبحانه ساكن فوق السماء، فهو عدم وبهتان... والعدم هو الذي لا وجود فيه، ولا فائدة له. والبهتان هو الكذب الذي لا سدق فيه. وذلك مجموع العقيدتَين، وحاصل المذهبَين... وبالجملة فكلّ مذهب خارج عن مذهب التوحيد فهو عدم.

«وهذه الفريضة كونها: ترك عدم وبهتان، فلذلك كانت عوض الصوم، لأنّ ظاهرَ الصّوم تركُ الأكلِ والشرب، وحقيقيّتهما التنزيل والتأويل. وكذلك باطن الصوم عند أهل التأويل تركُ الكلام والمفاتحة لغير إخوانهم»[٣٤].

وباختصار الكلام إنّ «كلّ منَ ذكر عن نفسه أنّه موحّد وهو متمسك بشيء من الشرع. فقد أبطل وكذب في قوله. بل هو ملحد كافر»[٣٥]. «العدم» هو إله لم يكشف عن نفسه.

---

(٣٤) كتاب النقط والدوائر، ص ٥٨.

(٣٥) رسالة الشمعة، ٣٨/ ٢٨٠.

رابعاً - البراءة من الأبالسة والطغيان

رابع الخصال: البراءة من الأبالسة والطغيان. «والأبالسة والطغيان تجمع كلّ فريق الضلال. أوّلهم إبليس اللعين»، ثم سائر الأبالسة «النطقاء والأسس والأئمّة والحجج أصحاب الشرائع الظاهرة والباطنة». أمّا التبرّي فهو «البراءة من شرائعهم الدارسة، وعقائدهم الفاسدة، وأديانهم المضلّة، ونيّاتهم الخبيثة، وأقوالهم الكاذبة، وأفعالهم القبيحة. ثم الاحتماء من كثرة لقائهم ومجالستهم وقلّة الإصغاء إليهم، ثم مصانعتهم ومداراتهم والمسايرة بمألوفهم»[٣٦].

ولن يكون الدرزي درزيّاً سادقاً إنْ لم يحسب لبراءته من هؤلاء حساباً. فالجنّة مرتهنة بالبراءة منهم. والبراءة طلب العفو والمغفرة من الحاكم المعبود عمّا قد يكون علق بنفوس الدروز من شرائع الأبالسة.

هكذا «كلّ من ادّعى التوحيد وهو يقول بالظاهر والباطن كان كاذباً في قوله»[٣٧]. ومن تبرّأ منهما نال حظوة عند ربّ العالمين.

---

(٣٦) كتاب النقط والدوائر، ص ٥٩.

(٣٧) رسالة الشمعة، ٣٨/ ٢٨٠.

خامسا - توحيد الحاكم جلّ ذكره

ألتوحيد يعني أنّ «الباري سبحانه منفرد عن جميع مخلوقاته بصفات الربوبيّة التي لا نهاية لها... فمن أجل ذلك سبحانه انفرد بالوجود عن العدم... وانفرد بالتنزيه عن التحديد... وانفرد بالقدرة عن العجز... وانفرد بالعظمة عن المُضَادَّة... وانفرد بالوحدانيّة عن المشارَكة... وانفرد بالألوهيّة عن العبوديّة... وانفرد بالأزليّة عن البداية... وانفرد بالإرادة الفعّالة عن المُعين... وانفرد بالعلم المحيط عن الزيادة... وانفرد بالإبداع عن المثال... وبالجملة، فالتوحيد هو نقطة مركز الفرائض الدينية وهيولاها وأصلها وغايتها»[٣٨].

والتوحيد هبة من اللّه للموحِّدين. به تُعرف الأشياء جميعها. وقد كشفه اللّه في وقتنا هذا على يد قائم الزمان حمزة وحدوده الأربعة. وهو نعمة منه لا تفوقها نعمة على الذين سدقوا واستجابوا.

لئن كان كلّ دين يدعو إلى التوحيد فإنّ الدرزية وحدَها عرفتْه، واختصّتْ منه بالحِكمة. أمّا غيرها فبقي في ضلال، يعبد العدم الذي لم يظهر مرّة واحدة لأوليائه ليأنسوا به ويطمئنّوا إليه.

---

(٣٨) كتاب النقط والدوائر، ص ٦٠–٦١.

سادسا وسابعا - الرضى والتسليم

والفرضان الأخيران في دين التوحيد هما الرّضى والتسليم. هما نتيجة الخصال السابقة. لأنّ من سدَق بلسانه وحفظَ إخوانه وتركَ العدم وآمن بالتوحيد لا بدّ أنّه يرضى بفعل الباري كيف ما كان، ويسلّم أمرَه إليه سرّاً وجهراً. بهاتين الفضيلتين يتميّز الموحِّدون عن سائر البشر: «معشرَ الإخوان... ليس بينكم وبين عالَم الجهل فرقٌ إلاّ الرضى والتسليم. والرضى والتسليم نهاية العلم والتعليم»[٣٩].

بهما يكون للدروز شعارٌ مُمَيَّز وإقرارٌ بما هم عليه من إيمان: «فاجعلوا الرضى والتسليم لجماعتكم شعاراً ووسيلةً إلى رحمة المولى بوليّه (حمزة) وإقراراً»[٤٠].

وكلاهما يقوم على «ترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جلّ ذكره (بمعنى أنّه) لو طُلِبَ من أحدِكم أن يَقتُلَ وَلَدَه لَوَجَبَ عليه ذلك بلا إكراهِ قلبٍ لأنَّ مَن فعلَ شيئاً وهو غيرُ راضٍ به لم يُثَبْ عليه»[٤١].

---

(٣٩) رسالة الغيبة، ٣٥/ ٢٥٤.

(٤٠) الجميهيريّة،٥٥/ ٣٦٩، السفر الى السادة ٦٨/ ٥٤٧.

(٤١) رسالة البلاغ والنهاية ٩/ ٨٠، انظر رسالة البنات الكبيرة ٨٣/ ٧٤٧، ورسالة البنات الصغيرة ٨٤/ ٧٥٠.

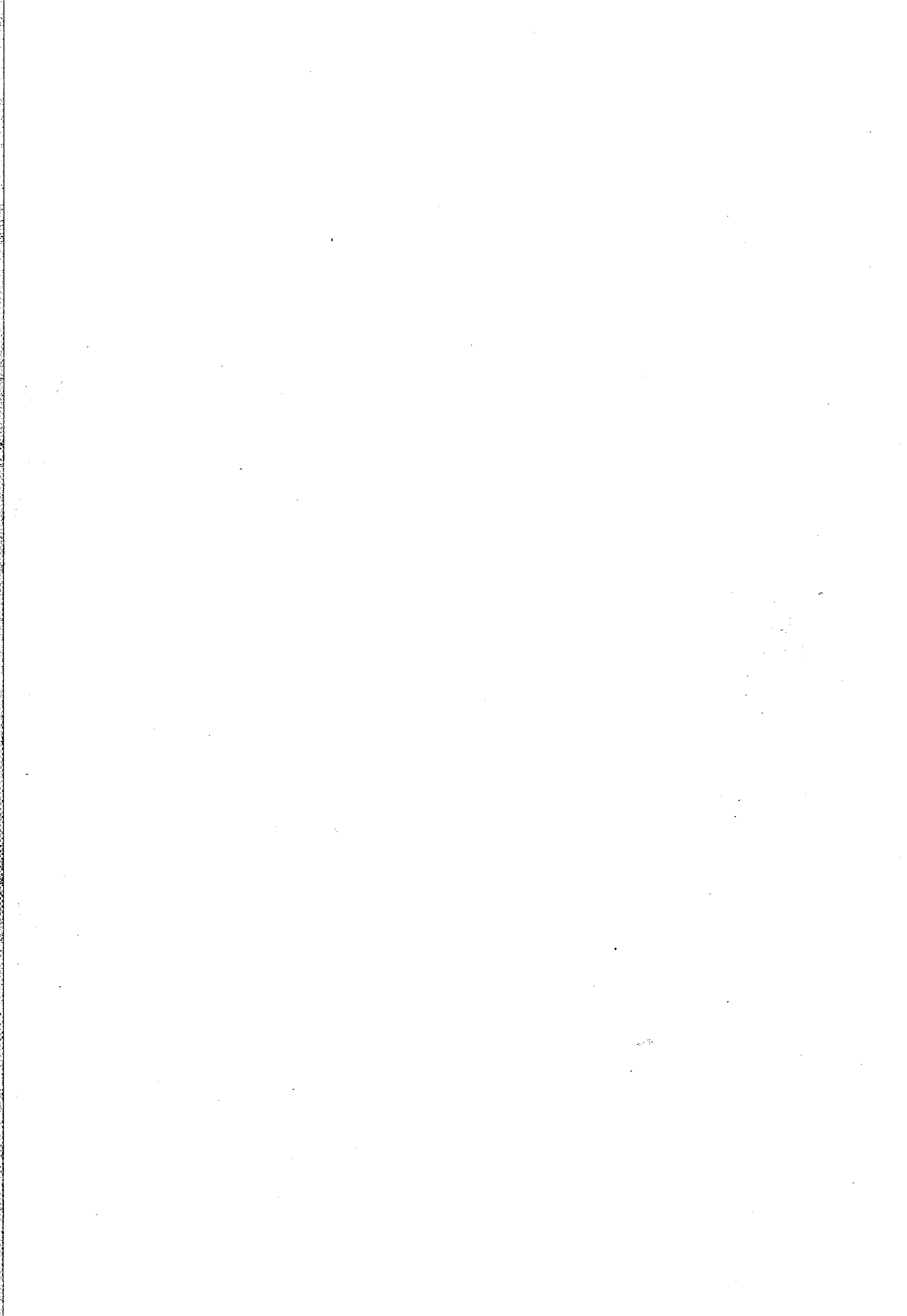
الفصل العاشر

ألمجتمع الدرزي

أوّلاً - ألعقّال والجهّال

ثانياً - ألمرأة والزواج

ثالثاً - ألأخلاق الدرزيّة



اولا - ألعقّال والجهّال

ينقسم المجتمع الدرزي من الناحية الدينيّة إلى قسمين: عقّال وجهّال، ومن الناحية الاجتماعيّة إلى أمراء وفلاّحين، ومن الناحية السياسيّة إلى جنبلاطيّين ويزبكيّين، ومن قبْل: إلى قيسيين ويمنيين. ويعنينا منها الآن قسما المجتمع الديني.

ألعقّال هم القيّمون على دعوة الحقّ، المحافظون على سرّيّتها وسرّيّة كتبها، الناسخون لرسائلها، الشارحون عقيدتها، المتمسّكون بقواعد الأخلاق والسلوك فيها.

يُمسكون عن التدخين، وشربِ الخمرة، واحتساء القهوة. ويمارسون الزهد والتقشّف في المأكل والملبس والمسكن. ويرفضون أخذَ قرشٍ واحد من الحكّام والموظّفين لظنّهم بسوء مصدرِه. ويتجنّبون الرذائل والموبقات، ويمتنعون عن الحرام من الطعام، ويُسدقون القولَ مع الإخوان. ولا يختلي أحدهم بامرأة، ولا يردّ تحيّتَها إنْ حيّته، إلاّ إذا كان بينهما ثالث.[1]

يتميّز العقّال عن سائر المؤمنين، بزِيِّهم، فـ «العمامة المدوّرة لا

(١) اقرأ ميثاق النساء، رقم ٨ ص ٧١.

يلبسها إلاّ المؤمنون الذين حفظوا غيباً جميعَ كتب «الحكمة». والأجاويد الذين لهم لحى طويلة يرتدون العباءات القصيرة ذات الكمّ النصفي والمخطّط باللّون الأحمر أو اللّون الأسود. أمّا الأجاويد الذين ليس لهم لحى يرتدون العباءات الحمراء المخطّطة بخطوط بيضاء صغيرة»[٢].

يرئس الدروز اليوم شيخ عقل واحد، يسمّى «شيخ العقل»، أو «شيخ العصر»، أو «شيخ المشايخ»، فيما كان، في زمن ماض، شيخان أو ثلاثة، وذلك تبعاً لاختلافاتهم السياسيّة.

ينقسم العقّال الى طبقتين: الطبقة الدنيا وهم الذين يحق لهم معرفة رسائل «القطن»[٣]، والطبقة العليا وهم الذين يَعرفون كلَّ ما في الحكمة من رموز ومواقف عدائيّة من «الأضداد»

أمّا **الجهّال** فهم عامة الناس الذين لا يحقّ لهم سماع شيء من الحكمة أو من شروحاتها. بل لهم أن يسمعوا «السجلاّت «الأربعة الأولى من مجموع الرسائل. وهذه، كما نعلم، لا تمتّ إلى العقيدة الدرزيّة بصلة. ولكنّهم يتدرّبون على قبول الحكمة، ويتنشّأون عليها على أيدي مشايخ توكل إليهم مهمّة التدريب والتنشئة هذه.

هؤلاء الجهّال يحضرون المجالس الدرزيّة التي تقام ليلة الخميس الجمعة، لسماع الوعظ والإرشاد العام، وأخذِ بعض تعليماتٍ خاصّة بحسب المناسبات السياسيّة والمواقف الموحّدة التي يتّخذها الدروز حيالها، بما قد يكون وفَد إليهم من المجلسِ الدرزي الأعلى، المركزِ

---

(٢) حافظ أبو مصلح، واقع الدروز...، ص ٧٠.

(٣) أنظر معنى هذه الكلمة في فصل "الرموز".

السياسي الأوّل، أو من خلوات البيّاضة المركز الديني الأوّل.

لا يتميّز الجّهال بعضهم عن بعض في شيء، لا في الدين ولا في الزّي. إنّهم يجهلون عن الدّين كلّ شيء، ويرتدون من اللباس ما يشاؤون. ولكنّهم، قبل بلوغ سنّ الأربعين بسنتين، يتدرّبون على تسلّم الدين، بممارسة الزهد والتقشّف والأعمال الصالحة.. فإن كان منهم مَن هو أهلٌ لقبول الدين، سلّموه إيّاه على درجات. وألبسوه السروال والألوان المعتمة، غير الزاهية.

والتدرّج إنما يكون بقدر حفظهم الحكمة ومقدرتهم على صونها، عملاً بنصيحة بهاء الدين المقتنى: «بحفظ الحكمة والعلم ترتفع درجات المحقّين.. وبحفظ الحكمة تتميّز الأخيار من الأشرار»[٤]. «إستر نفسَك، وامسك لسانَك، ومَن بحوزتِك، عن الكلام الخارج عن أهلك وإخوانك»[٥].

ويتمّ التدرّج في يوم عيدهم، وهو اليوم الموافق لعيد الأضحى عند المسلمين. في هذا اليوم –وليس له مع الأضحى أيّة علاقة– يجتمع الدروز في «مجالسهم»، ويصير تسليم الدين؛ ويُحتفل بانتقال الجهّال إلى العقّال. إنّه يوم خروج قائم الزمان بالسيف وإهراقه دماء الكفرة والمشركين استيفاءً لدماء الموحّدين، وأخذاً بثأرهم[٦].

والنساء أيضاً، كالرجال، عاقلات وجاهلات. وشروط الانتقال هي نفسها كما عند الرجال.

---

(٤) رسالة البنات الكبيرة ٨٣/٧٤٧.

(٥) منشور نصر ابن فتوح ١٠٧/٨٢٦.

(٦) انظر مخطوط ٦١٨٢، ورقة ١٣٨ أ في المكتبة الوطنية بباريس.

ثانيا - المرأة والزواج

في مجموعة الحكمة جملة رسائل موجّهة إلى النساء، منها «ميثاق النســاء» رقم ٨ ص ٦٩-٧٢، و«رســالة البـنات الكبـيـرة» رقم ٨٣ ص ٧٤٤-٧٤٨، و«رسالة البنات الصغيرة» رقم ٨٤ ص ٧٤٩-٧٥١. ومنها أيضا رسالة «الردّ على النصيري الفاسق «رقم ١٥ ص ١٦٣-١٧٤.

المرأة ، عند الدروز، هي «عـرض الـرجل»، كـمـا «العـقل هو طول الجنّة، والنفس عرضـها»[٧]. ألنفس، كمـا رأينا، هي زوج العقل، ومـعينه على الضـدّ؛ كـذلك «العـرض.. في اصطلاح بنـي مـعـروف، هو المرأة. وصيانتـها، عندهم، أعزّ من صيانة النـفس. يستميتـون في الدفاع عنها. ويفاخرون بها الشعوب»[٨].

يشدّد الدروز جداً في الحـفاظ على المرأة وتصرّفاتها وأخـلاقها، ويبـالغون في الحـيطة عليـهـا، لئلا تقع فـريســة الظنون والشـبهـات، ويحرصــون على آدابها وتهـذيبها وطهـارتها وتعليـمها أشـدّ الحرص، ويغـارون عليـها أن تكون عـرضـةً لناظر وقح، ومطيّـةً لكلِّ زير نســاء.

---

(٧) طول الجنّة وعرضها، أي العقل والنفس. كلاهما ضروري بعضه لبعض ومتلازم.

(٨) عبدالله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ص ٢١٩.

يأمرونها بالحجاب والتستّر والتعفّف وملازمة دارها. «ولا يعرف التاريخ جماعةً أحرص من الدروز على الآداب، والتهذيب الجنسي، وطهارة الأعراض، وصراحة الأنساب»[٩]. ويبالغون في الحصانة عليها «مبالغة أصبحت مضرب الأمثال. فليس في الأنام جماعة كالدروز ظلّت ألف سنة لم يصبها الخلاط»[١٠]

«ولا يعرف المجتمع الدرزي شيئاً من الزنا أو الخيانة الزوجيّة، أو ما شابه ذلك من المفاسد الاجتماعيّة. فالمرأة الدرزية أعفّ نساء العالم، وأشدّهنّ طهارة ومحافظة على شرفها. ولا يزال الحجاب إلى الآن مضروباً على نساء الدروز. بل حجاب المرأة من صميم عقيدة الدروز»[١١].

والمرأة التي تصون نفسها أشرف من الملائكة. وعليها ان تكون مصانةً عفيفةً خَفرةً حييّةً عندما ترى رجلا. وكأنّها، وهي تنظر إليه، تنظر إلى ابنها أو إلى أبيها. واللّه يراها في جميع حالاتها، في ما تخفيه كما في ما تبديه. وعليها ان تبتعد عن كل حالة منكَرة، وتتحاشى النزوات الغرائزيّة وتخلّص روحها بمعرفة مولانا وحدودِه[١٢].

والرجلّ الذي «لا يغار على عياله فليسَ بمؤمن، بل هو خِرَّمِيٌّ طالبُ الراحة والإباحة، راكبٌ هواه وضلالته»[١٣].

---

(٩) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٢٣.

(١١) الدكتور محمد كامل حسين، طائفة الدروز، ص ٢٩.

(١٢) رسالة ١٥/ ١٦٤، ١٧٤، و ٨/ ٧١-٧٢.

(١٣) رسالة ١٥/ ١٦٥.

أمّا «عـفّة المرأة فـشرط لسـلامة الزواج، وَبَـتُوليّـة الفتـاة شرطٌ لعقده. ويفسخ إذا هي لم توافق عليه»[١٤]. وقد لا يكون الزواج أمراً مهمّاً في الدين، أو أكثر من عَـقْدٍ طبيعي مألوف، بقـدر ما هو يعني الزواجَ من الحكمة. فـ « الجـماع ليس هو من الدين، ولا ينتسب إلى التـوحيد إلاّ أن يكون جماع الحقيقة، وهو المفاتحة بالحكمة».[١٥].

و«المجـامعـة الظاهرة» لا تزيد في الدين شـيـئاً. فـ «لو انّ رجـلاً موحِّداً عـاش مائة سنة ولم يتزوّج حلالاً، ولم يَعـرِفْ حَراماً، لم يُنقِصْ ذلك من منزلته في الدين شيئًا. وكذلك لو انّ امـرأةً مؤمنةً موحِّدةً عارفةً بدين مولانا وتَعبُـدُه حقَّ عبادتِه، وعاشتْ مائـةَ سنة ولم تتزوّج، وماتتْ بِكْرًا لم يُنقِصْ ذلك من دينها شيئا»[١٦].

«لا يستطيع الدّرزي أن يتزوّج أكـثر من امرأةٍ واحدة مهـما كانت ظروفـه الشخصـيّة والدّينـيّة»[١٧]. وجاء في قـانون الزواج الدرزي في لبنان ٢٤ شـبـاط سنة ١٩٤٨ فـي المادّتين ٩ و١٠: إنّ تعـدّد الزوجـات ممنوع وباطل. وجاء في المادّتين ١١ و ٣٨: إنّ إعادة المطلّقـة غير جائزة. بل إنّه من «المحـــرّم والممنوع على المـرأة الدرزيّة المطلّقـــة أن ترى وجـهَ زوجها، أو أن تحضرَ معه في أيٍّ اجتماع[١٨].

إنّ الزواج محصـورٌ بين الموحِّدين والموحِّدات عملاً بشـريعة قائم

---

(١٤) عبدالله النجار، المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

(١٥) رسالة ١٥/١٦٥.

(١٦) رسالة ١٥/١٦٦ - ١٦٧.

(١٧) حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٧٠.

(١٨) المرجع نفسه.

الزمان: إنّ «زيجــةَ الموحِّدين والإلفةَ بين الإخوان والاخــواتُ مُرْتَجَةٌ (أي مغلقة) عليهم»[١٩].

ومن الطبيــعي، والحالة هذه، أن يحرّم الدروز زواج «المتعــة»، كما هو عند الشيعــة، أي الاستمتاع بالنساء لوقتٍ محــدودٍ وبِدَرَاهِمَ معلومة. كما يحــذِّرُون من زواجِ الإخوة من الأخوات، كما هو عنــد النّصيريّة، ولو بقي الواحدُ منهم طوال العمر بلا زواج[٢٠].

وقــد يكون مَن نهى نفسَــه عن الزواج وعن الشــهوات أفــضل من الملائكة، لأنّ «مَن نهى نفسَه عن الشهوات البهيميّة كان أفضلَ مِن الملائكة المقرّبين»[٢١]. وكثيراً ما مارسَ بعضُ العــقّال هذه الفضيلة، فانقطعوا، في درجات تعقّلهم السامية، عن النساء والطيّبات.

أمّا مــساواةُ المرأة بالرجل فهو أمــرٌ واجبٌ في الدّين الدّرزي. وقد جاءَ في »«شَــرْطِ الإمام صــاحبِ الكشف»« أنّه، إذا تسلَّم أحدُ المــوحِّدين بعضَ أَخَوَاتِه الموحِّــداتِ (أي تزوّجها)، فيُســاويها بنفسِه، ويُنصِــفُها من جميع ما في يده»[٢٢]. والمرأة المطلَّقة تحتفظُ برتبتها الدينيّة التي كانت لها مع زوجها الأوّل[٢٣].

***

---

(١٩) شرط الامام صاحب الكشف ٢٥/ ٢٢١.

(٢٠) أنظر رسالة الردّ على النصيري الفاسق، ١٥/ ١٧٠.

(٢١) رسالة الردّ على النصيري ١٥/ ١٦٦.

(٢٢) رسالة ٢٥/ ٢٢١ –٢٢٢، حيث تجد مبادئ الزواج والطلاق والمساواة والانصاف والارث والنفقة التي اعتمدها القانون المدني.

(٢٣) رسالة ١٥/ ١٦٨.

ولكن، مساواةُ المرأة بالرجل لم تكن في جميع الأمور. فهي لم تحظَ بنفس الحرّيّة. بل هي مقيّدةٌ بلبسها وخِدرها ونظرتِها إلى الحياة. و«أمّا أمرُ النسوان فينبغي أن يكونَ جَبَاهُنَّ (اختيارُهن) أشدَّ وأعظم، ولا يَنكَشِفْنَ إلاّ على القليل من الرجال، لأنّ النِساءَ عوراتٌ، وكلُّ عَورَةٍ يجبُ سترُها. فيجب على كلِّ امرأة لا تخرج من بيتها إلاّ وهي ساترةٌ غالبَ وجهها، ولابسةٌ لباسها. والذي يَحسُنُ ويليقُ أنّ المرأةَ لا تفارقُ اللباسَ لا في بيتِها ولا في غيرِه»[٢٤].

«وينبغي أيضا أنّ الرّجلَ لا ينكحُ امرأةً مَنَّانَةً، ولا حَدَّاقَةً، ولا بَرَّاقَةً، ولا شَدَّاقَةً. فالمنّانةُ هي التي تَمنّ على زوجها فتقول فعلتُ من أجلِكَ كذا وكذا. والحدّاقة التي ترمي بِحَدقَتَيها إلى كل شيء فتشتهيه وتكلّفُ الزوجَ شراءَه. والبرّاقة أن تكون طوالَ النهار في تصقيلِ وجهها وتزيينها ليكونَ وجهُها بريقاً يحصلُ بالصنع. والشدّاقة الكثيرةُ الكلام»[٢٥].

و«النساء، في نظر الأمير السيّد، كما ينقل عنه **الشيخ الدكتور أنور أبو خزام**، عورات. وكلّ عورة يجب سترها "[٢٦]. ومن هنا يتوجّب على المرأة الاحتشام الدائم، وتجنّب الضحك والبكاء والزينة وكلّ ما من شأنه أن يحرّك شهوات الرجال...

«شرف الدرزي مرتبط بعِرْضه ولا يمكن التفريق بينهما. والخروج على هذه القاعدة الصارمة يعرّض المخالف للموت. إنّ معظم

---

(٢٤) مخطوط ١٤٣٨ بعنوان «الجوارح السبع»، في المكتبة الوطنيّة بباريس، ورقة ١٧ آب.

(٢٥) المرجع نفسه، وقة ٧٥ ب – ٧٦ أ. أنظر أيضا ما يلي في صفات ا لمرأة.

(٢٦) التنوخي، شرح الأصول التوحيديّة، ٥، ص ٢٩٦.

حوادث الزنا والخيانة الزوجـيّة وأمثالها أدّت بأصحـابها إلى الموت قتلاً على أيدي أقرب الأقرباء. والمجتمع الـدرزي لا يرحم المتخاذل أو المتهاون في هذا الشأن..

«ويمنع الموحِّدون الاختلاء بالنساء إلاّ لمن كان من المحارم.. ويجب على الموحِّدة أن تلبس النقاب بصورة دائمة، وتغطّي وجهها بكامله ما عدا العينَين. والمدقِّقات من النساء لا يكشـفن إلاّ عن عين واحدة. والاجتماعات المشتـركة بين الرجال والنسـاء ليست من عـادات مجتـمع الموحّدين. بل يجب أن يكون هنالك حجاب مضروب بين الرجال والنساء. فإنّ الاختلاء بالنساء لغير المحارم خروج عن قواعد الدين»[٢٧].

وأغرب ما في الدرزية كَبْتُ عاطفة المرأة كبتـاً مَرَضِيّاً مُخِيفًا. وقد عبّرتْ عن ذلك **الآنسةُ عفيفة صَعب** الدرزيّة، فقالت: لـ «قد عنّفتِ التعاليمُ الدينيّة، وبعدها التعالـيمُ الاجتماعيّة، أشدَّ العنف على العاطفة، وكـبتَتْها. وأخذتِ الرّجلَ عنجـهيّةُ الحفاظِ على العـرض فاستنكَر العاطفـةَ في أكثر مظاهرِها تحـفّظًا، وشدّدَ مِن محـاصرتهـا والحجْر عليـها، حـتّى تجاوزَ مسلكُ المرأة في ذلك حدَّ الاحتشام والـتحفظِ إلى الرهبةِ والخوف، وحتّى لنسمع من المتديّـنات المتصوّفات في تراتيلِهنّ الدينيّـةِ قولَهُنَّ: مُشْ حَرَام حُبّي لِرَبي مُشْ حَرام»؟ [٢٨].

وتعبّـر الأديبة الدرزية **الآنسةُ نور سلمان** عن مرارةٍ في نفـسها حيالَ وضعِ المرأة الدرزيّة التعيسِ في مجتمعٍ يحجرُ عليها حتى أنفاسها. فهي تخـاطبُ أمَّها، كـأنّها تخاطبُ جمـيعَ الأمّهات، بألَمِ وحـزنٍ مريرين

---

(٢٧) إسلام الموحدين، ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٢٨) عفيفة صعب، المرأة الدرزيّة، في كتاب «الواقع الدرزي»، ص ١٢٦.

فتقول، مبيِّنةً تعاستَها في بيئة بالية:

«أتُراني ضعيفةً سخيفةً عندما أخاطبُ أمّي بمريرِ أعماقي.

«إنتظارٌ مِن عصيرِ السُّمِّ.. ثم أيّامٌ لا تتحرّك، ثم ساعاتٌ تتثاءبُ ولا تنام.. ثم غيومٌ من الغبار.

«صوتُكِ يا أمّي يعميني: "إبنتي! دعينا والتهوّر.. إبنتي! ألتعقّلُ.. ألتعقّل.. ألتعقّل".

«كلماتُ جَارتِكِ تَصفَعُني: "يا صَغيرَتي! إحذري غَدْرَ الزمان.. إحذري خداعَ الأيّام.. إحذري المحبّين.. إحذري إحذري.. إحذري.. مكرَ الرجال"..

«يا أمّي! أتركي يَدي. أتركيني.. دَعيني أطير.. أركضُ في الجلجلة مع العَجلَة.. ما نفعُ سلامةٍ نائمة.. يا أمّي! أتركي يَدي.. هذا الجديد يناديني.. يا أمّي! لا تقولي انتظري.. ألغدُ يناديني»(٢٩).

---

(٢٩) نور سلمان، «آن لنا أن نعترف»، المرجع نفسه، ص ١٧٣ – ١٧٤.

ثالثاً - الأخلاق الدرزية

يعتبر الدروز أنفسهم أفضلَ الأمم وخـيرَ عبادِ اللّه. «فأنتم أفضلُ الأمم، وخيرُ مَـن وطِئَ الأرضَ بقَدَم. لأنّكم عبدتُم الموجـودَ، وانعكفوا هُم على عـبادة العـدم المفقـود. فسـوفَ أجعلُ أكـابِرَهُم لأصاغِـرِكم أعْبُـد، وعزيزَهم لأحَدِكم يُطيعُ ويَسجُد.»[٣٠].

وبكونهم كذلك، يرى الدروزُ أنّهم هم شـعبُ اللّه المختار. اجْتَـبَاهُم العليُّ الأعلى منذ البدء، لأنَّ «مَنْ وَحَّدَه في وقتِنا هذا فقدْ وَحَّدَه في سائر الأعصار»[٣١]. ولا يستطيعُ أحدٌ أن يختارَ لنفسه أحسنَ ممّا اختاره اللّه له منذ البدء.

بسـبب هذا الاخـتـيار الإلـهي منذ البـدء، اضطُرّ الدروزُ «إلى أن يكونوا شديدي المحافظةِ على تقاليدِهـم القديمة، ولم يختلطوا بغيرِهم من الشعـوب. وصاروا في شبـه عزلةٍ، مـستقلّين عن كلِّ شيء يـحيطُ بهم. ولذلك ظلّتْ أخلاقُهم وعـاداتُهم هي نفسُ الأخلاق والعادات التي ورثوها جيلاً بعد جيل، دون أن تتأثّر بمؤثّرات خارجيّة»[٣٢].

---

(٣٠) رسالة الإعذار والإنذار، ٣٤/ ٢٤٩.

(٣١) من دون قائم الزمان ٦٧/ ٥٣٦.

(٣٢) الدكتور محمد كامل حسين، طائفة الدروز، ص ٢٨.

وكان نتيجة ذلك أنْ تحصّنَ الدروزُ في جبالِهم، وتمسّكوا بتقاليد مجتمعِهم المتوارثةِ، وانكمشوا عن سواهم: «إنّ حقيقةَ الدروز وواقعَهم الصارخ لا نجدُهما إلاّ حيثُ كثرتُهم المنكمشةُ في حيث تقطنُ النسور»[٣٣]. هذا «الانكماش» فرض عليهم، أن يتميّزوا بجملة فضائل:

أوّلها : التّعَفُّفُ. «إنّ العفاف وقَمْع الشهوة وقهرَها أمرٌ عظيم، وفضلٌ جزيل، وثوابٌ عميم، وتخليدٌ في النعيم المُقيم»[٣٤]، فـ «إنّ اللّه عزّ وجلّ ما خلقَ هذه الشهوةَ إلاّ لأجلِ النَسْلِ لا غير. فالأولى والأليقُ والأحسنُ والأجدرُ بالموحِّد الديّان أنّه لا يُجَامعُ زوجَتَه إلاّ للوَلَد فقط... فإذا جامَع الرجلُ زوجَتَه للقصدِ المذكورِ فلا يجوزُ له أن يُعَاوِدَ بالمجامعةِ. والجماعُ محرّمٌ أيضاً في حال الرضاع وفي حال الحَمْل أيضاً»[٣٥].

وعلى الموحّد «أن يكون غضيض الطرفِ، خاشعَ اللّحظِ، لأنّ إرسالَ الطرف يقتضي الحَتْفَ. والعينُ مجلبةٌ لبواعث الهوى ودواعي الغرام، فإن لم تتقيّدْ بالغضِّ مُقْلَتُه أوقعتْه بالآلام والأسقام»[٣٦]. وللأذُنِ أيضاً آداب. فعليها أن «لا تصغي إلى سَماع غناء امرأة.. لأنّ الإصغاءَ إلى ذلك يحرّكُ الشهوة.. والصبيانُ يَجرون مجرى النساء، فَلْيُتَجَنَّبُوا أيضاً»[٣٧].

---

(٣٣) عفيفه صعب، الدروز وحتمية التطور، في الواقع الدرزي، ص ٢٨.

(٣٤) مخطوط ١٤٣٨ في «الجوارح»، ورقة ١٠٠ أ.

(٣٥) المرجع نفسه، ورقة ٨٦ ب – ٨٧أ، و ٨٩ب – ٩٤أ، و ٩٦ب – ٩٧.

(٣٦) المرجع نفسه، ورقة ١٧ أ.

(٣٧) المرجع نفسه، ورقة ١٢٣ أ وب.

فالمذهب الدرزي يفرض «على أتباعه، إذن، الامتناعَ عن التمتّع بما أباحَـه القرآن الـكريم للمؤمـنين، وما أجـاز من ملذّات الدنيـا الـحـسّيّـة. ويعتـبرُها مناقِضـةً للفضيلة أو لـلجَودة التي ينميـها التعـفّف، حتى أنّ المغرقين في "الجودة" كثيراً ما يُسْمَـعون مستغفِرين من ربّهم من طعامٍ استطابوه، أو راحةٍ استساغوها»[٣٨].

عن عفّة الدروز، يقول **الشيخ الدكتور أبو خزام**:

«ألعفّـة عند الموحّد مبعث اعـتزاز وفخـر.. ترقى عندهم إلى درجة المقدّسات...

«إنّ العلاقة الجنسيّة، بنظرهم، هـي عمل غريزي بهيمي، لا يكون مشروعاً إلاّ في حال ممارسـته بين الزوج والزوجة لإنجاب الأولاد فقط. وتحمل النصـوص عند الموحدين تعظيمـاً ما بعده تعظيـم لمن يتغلّب على شهوته. فتقـول: " فمن نهى نفسه عن الشهوات البهيـميّة كان أفضل من الملائكة المقرّبين "[٣٩].

«وتضع الشروحـات التي كتبـها **الأمير الـسيّد** شروطاً صـارمة للعمل الجنسي. وتعتبر أي خروج عن هذه الشروطِ نوعاً من أنواع الزنا. والزنا من كبائر الذنوب...

«ونظراً لشدّة التـركيـز على ضرورة تجنّب العمل الجـنسي طلباً للّذة، نجد بعض الشيوخ يمتنعون عن مقربة زوجاتهم، ويكتفون بالعيش

---

(٣٨) عبدالله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ص ٢٢٨.

(٣٩) الأصول التوحيـديّة، ١٥. وفي ذلك يقول الأمير السيّد: " والقـصد الأعظم في الجماع أنّ العـبـد يفـعله على وجـه إرادة اللّه تعـالى لأجل إتمام النوع وبقـاء النسل لا لغـيـره "، التنوخي، شرح الأصول التوحيديّة، ٥، ص ٢٧٠.

وإيّاهنّ كالأخ وأخته.. ويشتدّ التقدير في حال تعفّف الزوج والزوجة بعد إنجابهم للعدد المقرّر من الأولاد»[٤٠].

ثانيهَا : الصَّبْرُ والاحْتِمَالُ. وهي فضيلة نشأتْ مع الموحّدين في محنتِهم، واستمرّتْ فيهم عَبْرَ تاريخِهم المنكود، وتوسّعتْ حتى شملتْ نواحي حياتهم كلّها. فهم، أكثر من أيّ شعب، تمرّسوا على احتمالِ مصائب الدهرِ ومشاكلِ السياسة وآلامِ الحروب ونكباتِ الزمان.

وعند بهاء الدين المقتنى جملةٌ نصائح يحثُّهم فيها على الصبر: «أثبتوا. فإنّ العاقبةَ لِمنْ ثَبتَ وصبرَ وأغضَى»[٤١]، و «اعلموا إخوانَ الدين أنّ العاقبة بالحسنى للصابرين في دار الحقّ الممتحَنين»[٤٢] «وروِّضوا نفوسكم على الرّضى والتسليم والصبر والتدبّر»[٤٣]. ويطلب من داعيه نصر بن فتوح: «ثبّتِ الجماعةَ في كلّ موضعٍ على السترِ وإجمالِ الحال، وترْكِ الكلام والمنازعة. ويكونوا على الصبرِ والاحتمالِ. ولا يواقفوا أحداً لا بقولٍ ولا بفعل، بل يكونُ أعظم ما عندهم الصبر والسكوت»[٤٤]. فـ «مَنْ صَبِرَ على بَرْدِ القرِّ نالَ خضرَةَ الربيع»[٤٥].

وما احتفال الموحِّدين بعيد «النّبي أيّوب»، في كلّ سنة، وعلى مستوى التمثيل الرسمي والشعبي في لبنان، إلاّ احتفالهم وتقديرهم

---

(٤٠) إسلام الموحدين، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٤١) رسالة الوادي ٥٢/ ٣٧٩.

(٤٢) المرجع نفسه ٥٢/ ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٤٣) المرجع نفسه، ٥٢/ ٣٨٠.

(٤٤) منشور نصر ابن فتوح ١٠٧/ ٨٢٨.

(٤٥) مكاتبة رمز الى الشيخ ابي المعالي ١٠٥/ ٨١٦...

وتعظيمهم لفضيلتَي «الصبر والاحتمال» اللّتَين تميّز بهما هذا النّبيّ الصبور.

ثالثها : التَمنُّع عن المال الحرام. وهو أمر بالغُ الأهمّيّة في سعي الدرزي العاقل نحو الكمال. إنّه «من الحرامِ المحضِ أجرةُ الزنا، والنياحة، وغناء الإمرأة، وأجرة الشَعْبَذة، وبيعُ الخمرة... ومن الحرامِ أيضاً مالُ السلطان وحاشيتِه وَحَشَمِه وَوُلاتِه حيثُ كانوا بالمدنِ أو بالبرِّ، وكذلك مالُ القضاةِ وخدّامِهم ونوّابِهم.. والحلالُ في رزقِهم نادرٌ..فالتجنّب لمالِهم ومخالطتهم والاجتماعُ بهم واجبٌ لأنّهم نارٌ مضرَمة.. ومن الحرام أيضاً ما يؤكل من الأوقاف من غير شرْطِ الواقف.. (ويجب) تركُ معاملة الفقهاء من بيعهم وشراهم لأنّ الغالبَ في أرزاقهم مِن الوقوفات.. مَن لم يَسْأَلْ مِن أين اكتسبَ المالَ لم يَسأَلِ اللّهَ من أين أدخلَه النارَ... ومَن لم يُبَالِ مِن أينَ مَطعمُه لم يُبالِ اللّهُ من أيِّ أبوابِ النارِ أدخلَه»[٤٦].

ولئلا يكون الحكم على أموال السلطان والقضاة مطلقًا، يرى الأميرُ السيّد «فيها بعضَ الحلال. لكنَّ الحرامَ هو الغالب. واللّه أعلم إن كان عشرُ عشير مالِهم حلال!! ولا عبرة بذلك»[٤٧].

ومن المحرّمات أيضاً أخذ الربا بعضهم من بعض، فيما هو جائزٌ من الأضداد: «لا تقرِضوا أموالكم لتأخذوا الربا أضعافًا مضاعفة، إنّ ذلك كانَ على الموحّدين محذوراً. ولقد عفا مولاكم عن الذين يأخذونه من غيرِ الموحِّدين، مضطرّين غير عادين»[٤٨]. وقد يجوز للدرزي، إذا ما كان

(٤٦) مخطوط ١٤٣٨: «الجوارح السبع»، ورقة ١٢٩أ – ٣٣ب.

(٤٧) المرجع نفسه، ورقة ٤٠.

(٤٨) المصحف المنفرد بذاته، ص ١٤٨. انظر أيضا ص ١٥٦.

عليه دَين لأحد الأضـداد أن ينكرَه عليه. يقول بهاء الـدين: إذا «كان للضدّ عنده (عند الموحّد) دَيْنٌ، بغيـر وثيقةٍ أو وديعةٌ بغير بليّـة، وكان (الموحّد) مُـعْسِـرًا عن وَفَـائه.. يجـوز له الإنكارُ وقلّةُ السـدق»[٤٩]. «أمّا إذا كـان لأحدهم عند أخيه مالٌ، وعلِمَ إعْسَـارَه، صَبَرَ عليه. وإن سـأله الزيادةَ دَفَع إليه»[٥٠].

رابعها : التعاون. قال الشيخُ عارف النكدي : الدرزيّة «في أمورها العامّة، تقف صفّاً واحداً متراصّاً، يشدّ بعضه أزر بعض»[٥١].

وشـهد الدكتور صـالح زهر الدين بقوله: «كثيراً ما نسمع اليوم من المشـايخ المتـقدّمين في السنّ عـبـارات تحـمل في جوهرها الـكثيـر من الدلالات حول أهمّـيّة التعـاون والتحالف بين أبـناء الطائفة؛ ومنها مـثلاً: "الدروز مثل طـبق النحاس أينمـا ضربت عليه بـإصبعك يعطـيك صوتاً واحداً"»[٥٢].

والدليل الأوضح علـى تعـاون الدروز وتآلفـهم وجـوبُ السـدق بعضـهم مع بعض، والكذب على الأضـداد؛ ووجوب إنكار ما يمكن إنكاره على الأضداد من ديونٍ وأمـوالٍ .. وهذا جائز لئـلا يساعد الموحّـد أعداءه فيقوى عليه.

خَامِسُها : الشَّجَاعَةُ. لن تقرأ كـتابًا أو مقـالاً وُضِعَ في مناقبِ الدروز إلاّ وتجـد في رأسها الـشجاعـة. بها عَـرَفُوا عن أنفسِهم، وبـها

---

(٤٩) رسالة ٤١/ ٣١٤.

(٥٠) المرجع نفسه، ص ٣١٥.

(٥١) عارف النكدي في مقدمة كتاب «الواقع الدرزي»، ص ١٠.

(٥٢) تاريخ المسلمين الموحّدين الدروز، ص ٤٢.

عَرَفَهم الناس. فحمزة قائم الزمان هو «صاحبِ سيفِ الانتقام»، وهو في آخر الزمان سيحملُ سيفَه لقطعِ رقاب الملوكِ والجبابرة. وأوصى «كلمتَه» ليُوصي الموحِّدينَ بحملِ السلاح وأقلّه سكّين[٥٣]. «والدرزي اليوم كما كان من ألف عام يدٌ على المحراث، وأخرى على السلاح»[٥٤]، «وكل درزيٍّ صالح يحمل في كلِّ حينٍ على وسطِهِ سكّينًا قويًّا معكوفًا (كالخنجر)»[٥٥].

غيرَ أنّ هذه الشجاعة هي لدرءِ المخاطرِ وأغدارِ الناس، اذ لا يجوز البتةَ أن يُغْدَرَ بالموحِّد، أو أن يُقْتَلَ على يدِ كافرٍ مشرك؛ ولا تجوزُ الرحمةُ عليه إذا ما قُتِلَ غَدْرًا. لذلك فهو حَذِرٌ، مُتَيَقِظٌ متربِّصٌ، مترقِّبٌ، «عليه أن يكون فطناً دائماً للأمور»[٥٦]، أي أن لا يُضبَط بفِعلتِه.

هذه الشجاعة لم تكن يوما لاقتحام الصعاب والانتقال بصاحبها من حالٍ إلى حال، والمغامرة بالحياة والمال، ألّلهم إلاّ ما ندر. بل كانت شجاعة نادرة في الصبر والاحتمال، ومداراة الأضداد، ومصانعتهم، والميل إلى عقيدتهم ان اشتدّتْ عليهم، والميل عنها إن آتَاهم الزمان.

وكثيرا ما يتغنىّ الدروز بشجاعَتهم بسبب إيمانِهم بالتقمّصِ. وفي ظَنِّهم أنّ الدّرزيَ لا يهابُ الموتَ، لأنّه إن ماتَ سيُنقَل مباشرةً إلى حياةٍ ثانية، هي أفضل من الأولى. واذا ما ماتَ في سبيلِ الحكمة فإنّ الحياةَ الثانية، لا محالةَ، أحسن.

---

(٥٣) أنظر فصل «الانتقام والثأر» من هذا البحث.

(٥٤)عفيفة صعب، «الدروز وحتميّة التطوّر» في «الواقع الدرزي»، ص ١٩.

(٥٥) Capitaine CARBILLET, Au Djebel Druze, Paris 1929, p. 72...

(٥٦) حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٢٠.

سادسها : أللياقة والمجاملة والتهذيب. في هذا يقول الشيخ الدكتور أنور أبو خُزام: «يعتزّ شيوخ التوحيد بتقيّتهم، ويعتبرونها مظهراً من مظاهر التهذيب الرفيع في سلوكهم. ويتواصّون بالإمساك في التناظر في الدين بينهم وبين الآخرين، واحترام خصوصيّات كلّ فرقة من فرق الإسلام. ولا ضير عندهم في مماشاة كلّ فرقة من فرق الإسلام وفاقاً لما ترتئيه من أحكام شرعيّة ظاهرة.. ويُضيفون بأنّ هذا التصرّف هو تصرّف حميد يعكس حكمة عميقة تُجنِّب أهلَ التوحيد الوقوعَ في المصادمات والمنازعات مع إخوانهم المسلمين الباقين على الشكليّات. ويدافعون عن تصرّفهم هذا بالقول بأنّهم لا يرون ضيراً في أن يتصرّفوا مع كلّ فرقة إسلاميّة بالشكل الذي يرضي هذه الفرقة، إذ عندما يكون الجوهر واحداً فما الفائدة من الخلاف على التفاصيل؟

ويقول الشيخ الدكتور أيضاً: «يلتزم الموحّدون بقواعد من التهذيب الرفيع. ويظهر هذا التهذيب في أسلوبهم في التخاطب والتصرّف. فالكلام الفاحش أو البذيء أو الجارح معدوم في أوساطهم. كما أنّهم يتفاهمون ويتحدّثون فيما بينهم ومع الآخرين بلطف جمّ وتواضع صادق. ويكثرون من استعمال عبارات المجاملة واللياقة، ولكن من دون رياء مصطنع أو مصانعة. وقاموس اللّياقة والكياسة عند الموحّدين غنيّ جدّاً بالجمل الخاصّة بهم، حتّى إنّ الداخلَ الجديد إلى مجتمعهم يجد حرجاً في الإجابة عن كلّ ما يوجَّه إليه من عبارات الترحيب والضيافة، لأنّ هذه العبارات تستلزم أجوبة معيّنة لا يتقنها إلاّ مَن تعوّد على آدابهم وقواعد سلوكهم»[٥٧].

---

(٥٧) إسلام الموحّدين، ص ٢١٨–٢١٩.

الفصل الحادي عشر

الأحوال الشخصية والمؤسسات الدرزية

أوّلاً – الأحوال الشخصيّة

ثانياً – الخلوات والمقامات

ثالثاً – مشيخة العقل

اولا- الأحوال الشخصية

أوّلاً - تنظيم الأسرة الدرزيّة:

أوّل قرار صدر من نوعه هو قرار رقم ٦٠ بتاريخ ١٣ آذار سنة ١٩٣٦. فيه اعترف المفوّض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان بأنّ الطائفة الدرزيّة هي من الطوائف الدينية التاريخيّة الحائزة على مميّزات: يحقّ لها أن تتمتّع بشخصيّة معنويّة، وتسنّ قوانينها، ويكون لها مؤسّسات تعليميّة وخيريّة، وتملك وتشتري وتتصرّف كما تشاء. وتتمثّل برئيس ديني...

وفي تاريخ ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ صدر مرسوم اشتراعي تحت رقم ٢٤١ ينظّم الأحوال الشخصيّة للطوائف في لبنان، ومن جملتها الطائفة الدرزيّة.

ثم عُدّل هذا المرسوم بقانون ٤ كانون الأوّل سنة ١٩٤٦. ثمّ جرى عليه تعديل آخر بمرسوم رقم ١٠ بتاريخ ٢ كانون الثاني سنة ١٩٥٢، ثم تعديل ثالث يحمل رقم ٥٣ بتاريخ ١٢ آذار سنة ١٩٥٣.

وكان قد صدر عن مجلس النوّاب اللبناني، في هذه الأثناء، قانون الأحوال الشخصية للطائفة الدرزيّة بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٩٤٨.

وتتضمّن هذه المراسيم والقوانين كلّ ما له علاقة بالأمور التالية:

الخطبة (قوانين ١-١٣)، والزواج (١٤-٢٣)، والمهر (٢٤-٢٧)، والنفقة (٢٨-٣٦)، والمفارقات (٣٧-٤٩)، والعدّة (٥٠-٥٣)، والحضانة (٥٤-٦٦)، والنفقة أيضاً (٦٧-٨٠)، والولاية (٨١-٨٧)، والوصاية (٨٨-١١٨)، والحجر ومفاعيله (١١٩-١٢٥)، والقيّم عن المفقود (١٢٦-١٣٦)، والنسب، أي انتساب الولد إلى أبيه (١٣٧-١٤٤)، والوصيّة والإرث (١٤٥-١٦٩)، والأوقاف (١٧٠). ثم القانون الأخير (١٧١)، حيث يطبّق القاضي الدرزي أحكام الشرع الإسلامي المذهب الحنفي وجميع النصوص القانونيّة التي لا تتعارض مع الشرع الإسلامي هذا في حال عدم ورود نصّ في القوانين الدرزيّة المذكورة.

يجدر بنا التنويه بنقاط أربع، في موضوع الأسرة، يتباين فيها الشرع الدرزي عن الشرع الإسلامي الحنفي المتبّع لدى مسلمي لبنان:

١- منع الدروز تعدّد الزوجات منعًا مطلقاً.

٢- منع الدروز إعادةَ المطلّقة إلى زوجها منعًا مطلقًا.

٣- يجيز الدروز الوصيةَ لوارثٍ ولغير وارثٍ وبكلِّ التركةِ أو بعضِها، فابتعدوا عن قاعدة لا وصيّة لوارث.

٤- يطبق الدروز قاعدةَ التنزيل التي يحلّ بموجبها الأحفادُ محلَّ الأولاد في الإرث.[١]

---

(١) راجع أمين طليع، أصل الموحدين الدروز، ص ١٤١ - ١٨٠، ثمّ محاضرة حليم تقي الدين في «نظرة الاسلام الى الاسرة في مجتمع متطوّر»

ثانياً - قانون تنظيم القضاء المذهبي:

قـانون ٥ آذار سنة ١٩٦٠ المعـدّل بـقـانون ٤ كـانون الأوّل سنة ١٩٦٧. وهو ينصّ على تألـيف محـاكم درجـة أولى بدائيّـة، ومـحكمـة إستئـنافيّة عليا (مـادة ١)، ويعتبر جـزءاً من تنظيمات الدولة القضـائيّة (مادة ٢)، ويحـدّد عدد المحاكم البـدائيّة ومراكـزها ومناطق صـلاحيّـاتها وعدد قضـاتهـا والمساعدين القضائيّين والحجّـاب (مادة ٣-٤) ، ويجعل مركز المحكمة الاستـئنافيّة العليا في بيروت، وتشمل صلاحـيّاتها جميع الأراضي اللبنانيّة (مادّة ٣و٥)، وينصّ على انتداب قاضٍ درزي من سلك القضاء العدلي للقيام بمهام التفتيش (مادّة ١١-١٢).

ثالثاً - قانون إنشاء المجلس المذهبي:

قـانون ١٣ تموز سنة ١٩٦٢: ألمجلـس المذهبي «يتـولّى شـؤون الطائفة الزمنيّة والمالية، وتمثيلها في الشـؤون العائدة لكيانها الاجتماعي والسـهر على رفع مستواها، والمحافظة على حقوقها» (مادة ١).

تتناول صـلاحيـاته: الإشراف على الأوقـاف الدرزيّة، باستـثناءِ أوقافِ خلوات البيّاضة[٢]، التي تبقى تحت إشراف وتصرّف مـشايخها، وعلى المؤسّـسات وجـمـعيّـات الطائفة... وتعـيين مـدير عامّ للأوقـاف، واهتمام بالمدارس الطائفيّة، والاطلاع والمصـادقة على موازنة وحسابات المؤسّسات والجمعيات الدرزيّة.. إلخ (المواد ٣-٥).

ويتألّف المجلس من أعـضاء دائمين وأعضـاء منتخبين: ألأعـضاء الدائمون: هيـئة مشيخـة العقل، الوزراء والنواب الحاليّون والـسابقون.

---

(٢) سيأتي الكلام عليها.

والأعضــاء المنتخبون: مــحاميان، مــهندسان، ثلاثة من حاملي شــهادات الطب، وثلاثة من حاملي شهادات جامــعيّة. وأعضاء ممثّلون للمناطق: ٦ عن الشوف، ٦ عن عــاليه، ٣ عن بعبدا، ١ عن حــاصبيا، ١ عن راشــيا، ١ عن بيروت والمتن الشمالي وباقي المناطق (مادة ٦).

مدّة ولاية المجلس ٤ سنوات (مادّة ٧) من شــروط صحّة المنتخَب في المجلس «أن لا يكون موظّفاً في الدولة» (مادّة ٣).

رابعاً- قانون إنتخاب شيخ العقل:

قانون ١٣ تموّز سنة ١٩٦٢. يتضمّن «إســتقلال الطائفة الدرزيّة بشؤونها الدينيّة» (مادة ١). يكون للطائفة الدرزية شيخَا عقل[٣] يتمتّعان بذات الحرمة التي يتمتّع بهــا سائر الرؤساء الروحيّين» (م٢). ولا يجوز الجمع بين مــنصب شيخ العقل وبــين أيّة وظيفة أو مــهنة حرّة أو حــرفة كانت (م٣). ويتــقاضى تعــويضَ تمثيلٍ شــهــري قدرُه ٦٠٠ ل.ل. (م٤). يُنتخب شــيخ العقل لمدى الحياة (م ٦). يُشــترط فيه أن يكون «قــد أكمل الأربعين من عــمــره، من أهل التقــوى والدين، من ذوي العلــم والمعرفــة بتقاليد الطائفة، حَسَن السمعــة ومحمودَ الشيم، منزّهاً عمّا يمسّ الكرامة والدين، وغيرَ محكوم بجناية أو جنحة شــائنة» (م ١٠). «يتولّى مشيخةَ العقل مَن تتــفق كلمةُ الطائفة الدرزيّــة في لبنان على اختيــاره من أبنائها اللبنانيّين الأخيار. ويتم ذلك بطريقة الانتخاب العام من قبل جميع الذكور من الدروز الذين لهم حق الانتخــاب وفقاً لقانون انتخــاب أعضاء المجلس النيابي» (م٥).

---

(٣) اجتمعت المشيخة في واحد مع الشيخ محمّد أبو شقرا المتوفّي في ٢٤/١٠/١٩٩١.

خامساً – القوانين الدّرزيّة السوريّة:

وضعت الحكومة السوريّة في قانون الأحوال الشخصيّة العام مادّة خصّت بها الطائفة الدرزيّة هي المادة ٣٠٧، ونصّت على صلاحيّة القضاء المذهبي الدرزي.

أمّا تنظيم القضاء فنجده في قانون ١٣٤ بتاريخ ٣٠/١/١٩٤٥ وقانون ٢٩٤ سنة ١٩٤٦، وقانون ٥٦ سنة ١٩٥٩، وقانون ٩٨ سنة ١٩٦١. ومعظم موادّها لا يختلف عمّا هو في القوانين اللبنانيّة.

سادساً – القوانين الدرزيّة في فلسطين:

كان دروز فلسطين، أبّان الاحتلال العثماني، يتقاضون أمام قاضي المذهب في حاصبيّا. وبعد الحرب العالميّة الأولى وإقامة الحدود بين لبنان وفلسطين وصعوبة عبور الحدود وانقطاع الصلة بين دروز فلسطين وقاضي حاصبيا، طالب الدروزُ السلطةَ البريطانيّة المنتدبة باستقلالٍ مذهبي يضمن لهم مصالحهم. وكان أوّل جواب تلقّوه الكتاب الموجّه من الحاكم البريطاني إلى الشيخ طريف الأحمد بتاريخ ٧ تموز سنة ١٩١٩ يقضي بأن ينظر الدروز بقضايا الزواج والطلاق طبقاً للتقاليد دون سائر القضايا مثل الأوقاف والإرث...

وبتاريخ ١٨ آب سنة ١٩٣٢ طالب الدروز بإعادة النظر، فلم يستجب طلبهم. وفي الاحتلال الاسرائيلي، يمارس الدروز كامل حقوقهم كطائفة مستقلّة ذات كيان له قوانينه وعاداته الخاصّة»[٤].

---

(٤) انظر: حليم تقي الدين رئيس المحكمة الاستئنافية العليا الدرزية، قضاء الموحدين «الدروز» في ماضيه وحاضره، الطبعة الاولى، سنة ١٩٧٩..

ثانياً - الخلوات والمقامات

لا مساجدَ ولا جوامعَ في الدرزيّة. ولئن كان منها شيء فهو «جوامع أثريّة»[٥]، على ما يقول القاضي **أمين طليع**. ويصرّح بذلك **كمال جنبلاط** بقوله: «وليس لدينا كنيسة ولا مسجد بالمعنى المعروف للكلمة»[٦]. ومع هذا ما نزال نسمع «دكتور الفلسفة محمّد الزعبي يقول: «اتّفقت كلمة المؤرّخين على أن جميع قرى الموحّدين... كانت عامرة بالمساجد والجوامع[٧].. ونحن نقدّر عنده لفظة: «كانت» أمانةً له منّا.

ويصعب علينا أيضاً تصديق ما قاله **الشيخ الدكتور أنور أبو خزام** عن أسباب إهمال الموحّدين إعمار الجوامع والمساجد وملازمتها. يقول:

«ألواقع الاجتماعي لطائفة الموحّدين القاطنة في قرى جبليّة منعزلة ونائية اندرست جوامعها بسبب الصراعات والحروب، كما اختلطت بيئتها بما وفد من مسيحيّين، ممّا أبعدها بالتدريج عن إمكانيّة إقامة الصلوات الجامعة. ولقد كان هدم جوامع الموحّدين من أهم

(٥) انظر: أمين طليع، أصل الموحدين الدروز، ص ١٣٩.

(٦) كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ٥٣.

(٧) محمد علي الزعبي، الدروز ظاهرهم وباطنهم، ص ١٠٨.

الأسباب التي حدت بالشيوخ إلى ترك المساجد نهائياً»[٨].

أصدق من ذلك اعترافُه بـ «إنّ شيوخ التوحيد هم "ملامتيّون"، يعتبرون أنّ تعرّضهم للافتراءات والاتّهامات الظالمة يزيد في أجرهم عند اللّه»[٩]. يعني: أنّ الدروز، إذا ما تهاونوا في إقامة شعائر الإسلام، فذلك لكي يكونوا عرضةً للتّهم، فيكسبون، بالتالي، أجراً من عند ربّهم.

هذا، ويعترف الشيخ الدكتور مراراً بهذه الحقيقة، فيقول: «ممّا لا شكّ فيه أنّ غالبيّة الدروز تتهاون في تطبيق الفرائض إلى درجة الإلغاء التامّ لها. وقد خلقت هذه الإشكاليّة شكوكاً كثيرة حول مدى جدّيّة الموحّدين في انتسابهم للإسلام»[١٠].

ويؤكّد بأنّ «الدروز في لبنان في وضع متهاون في تطبيق السنن والمفترضات الشرعيّة»[١١]. ألاّ أنّه يعود ليقول بأنّ «الشيوخ الحاليّين يعلّمون الطلاّب الفرائض المتعلّقة بالوضوء والصلاة بدقّة متناهية»[١٢]. وهذا أيضاً يدلّ على عدم ممارستهم لها سابقاً.

وأخطر ما عند الشيخ الدكتور قوله: «ولا يُتلَى القرآن في مجالس الذكر هذه إحتراماً.. بل يتعدّون ذلك إلى قراءة فصول طويلة من الأدعية والشروح والرسائل»[١٣].

---

(٨) إسلام الموحّدين، ص ٢٥٣.

(٩) المرجع نفسه، ص ٨١.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٤٩.

(١١) المرجع نفسه، ص ٢٥٠.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٢٥١.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٢١٦.

كلّ هذه الشعائر الدينيّة، والأمكنة والأزمنة، والمساجد وزي رجالات الدين، وما إليها، ما هي إلاّ "زخارف فاسدة مذمومة". يقول فيها الشيخ الدكتور:

«أمّا الزخارف فهي، برأيهم، فاسدة ومذمومة؛ لأنّ مجالها الظاهري يُخفي ضررَها الخطير على الإنسانيّة من قِبَل الذين يستخدمونها... لذلك، فكلّما ازدادت الزخارف في مذهب ما، كلّما ازداد ابتعاد أصحابه عن الله، واقترابهم ممّن يدّعي الوساطة بينه وبينهم.

فإذا قال قائل: "ألا يوجد في مجتمع الموحّدين الدروز زِيّاً دينيّاً أيضاً"؟ والجواب عن هذا السؤال يوضح قضيّة الزخارف برمّتها فالحقيقة أنّ مذهب الموحّدين ليس له زيّ خاص.. ولا يوجد في التوحيد الدرزي شيء إسمه رجل دين. ألموحّدون في المذهب التوحيدي إخوان وليسوا ضبّاطاً وعساكر..

ألزخارف... بنظرهم، تستبدل الجوهر بالعرض. وتشكّل استلاباً للمؤمن يجذبه خارج الحقيقة الخالصة...، وإلهائه بالأشكال الصارعة، والأصوات المنذرة، والألبسة والتجهيزات البرّاقة... هذه الممارسات تجذب المؤمن كما يجذب النور الفراشة فتدور حوله حتّى تحترق وتموت... إنّ التديّن الناتج من الزخرفة هو بمثابة طاعة ملزمة كما في الجيوش، والطاعة الملزمة هي إعدام لحقّ الإنسان في التفتيش عن السعادة»[١٤].

ولنا نموذج عن فساد التكاليف والشعائر الدينيّة الظاهرة، وهو

---

(١٤) ألمرجع نفسه، ص ٨٢-٨٤.

في الصلاة. فكيف تصحّ صلاةٌ يجد الإنسانُ نفسَه فيها ملزَماً بها، لا يؤدّيها بحرّيّة؟. يقول الشيخ الدكتور: «إنّ من كان على صلاة فكيف يقيم الصلاة؟.. إنّ من لا يتذكّر الله إلاّ وهو يصلّي الصلوات الخمس اليوميّة فقط، فكيف يمكنه التواري عن الله بعدها؟ وكأن هناك وقت يقضيه مع الله، ووقت يقضيه من دونه!..»(١٥).

و«يستعمل الشيخ تقي الدين عبارة "الشرائع والشريعة"، بمعنى العقائد الفاسدة المذمومة. ويجعل الناموس قيداً لحرّيّة الإنسان»(١٦).

وكذلك يعترف **الشيخ مرسِل نصر** رئيس المحكمة الاستئنافيّة الدرزيّة العليا، بـ «أنّ البعض يأخذون على أكثر أبناء الطائفة تقصيرهم في إقامة الشعائر الدينيّة. وسبب هذا القصور أو التقصير، على ما يقول، يعود إلى:

«أوّلاً : قيام الدولة العثمانيّة بهدم الجوامع..

«ثانياً : إستمرار الحروب بين الموحّدين وأعدائهم..

«ثالثاً : صعوبة الالتزام بمسلك التوحيد الإسلامي حيث يفرض الشيوخ سلوكاً معيّناً من المريدين ممّا أبعد الكثير عن الالتزام المطلوب.

«رابعاً : إستغلال المثقّفين الملحدين للعوامل السابقة ودعوتهم للتخلّي عن الأركان الإسلاميّة لعدم أهمّيتّها..

«خامساً : قلّة المرشدين وتدابر المسلمين وتكفير بعضهم للبعض الآخر..»(١٧).

---

(١٥) المرجع نفسه، ص ٨٩–٩٠.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٨٤.

(١٧) الموحدون الدروز في الإسلام، ص ٢٤–٢٥.

ولكن، وبالرغم من كلّ هذه الأسباب القـاطعة بابتعاد الدرزيّة عن الإسـلام، يصـرّ الشـيخ نصـر ويقول: «نحـن جزء من الأمّـة العـربيّـة والإسلاميّة»[١٨].

وفيما يؤكّد بأنّ الدروز يقيمون أركان الإسلام؛ يعترف في الوقت نفسه بإهمال الدروز للفرائض الدينيّـة، ويقول: «يتساءل البعض: لماذا لا يصلّي الموحّـدون في الجوامع؟ ولماذا لا يبنون الجوامع؟». ويـجيب على هذا التساؤل بمبرّرات ثلاثة:

أوّلاً : «بعض العـقليّات التي اسـتفاقت عـلى عرف معـيّن لا تريد تغييره، وهي أن تبقى الصلاة في المجالس الخاصّة والبيوت»[١٩].

ثانياً : إنّ الموحّدين «يفضلّون السريّة في الصلاة، عملاً بقول أمير المؤمنين عليه السلام: "صلاة السرّ تزيد على الجهر بسبعين ضعفاً".

ثالثاً : إنّ الموحّدين يتميّزون «بالصـرامة في معاملة المريدين. فهم لا يسـمحـون لهم بممـارسة الـصلاة إذا لم يكونوا مـلتزمين بالأخـلاق العالية»[٢٠].

يبدو أنّ هذه المبـرّرات لإلغاء الصــلاة هي براهين على أنّ الدرزيّة ليـست من الإسلام في شيء. ويعـترف الشـيخ نصر بـ «أنّ الموحّـدين يفضلون الصلاة على النّبي في أنفسهم، أو بصوت خافت»[٢١].

---

(١٨) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(١٩) عملاً بقول الرسول: "صلّوا في بيوتكم

(٢٠) الموحدون الدروز في الإسلام، ص ٣٤-٣٥.

(٢١) المرجع نفسه، ص ١٠٠؛ حاشية ٢.

ويعتبر **الشيخ بهجت غيث**، أنّ عبادات الظاهر، بطريقة عامّة، مضرّة غير مفيدة: «ألتعبّدات الجسمانيّة.. تخدع ممارسيها؛ فيحسبونها شيئاً وهي بالحقيقة كالسراب اللأمع تحسبه ماءً فإذا جئته لم تجده شيئاً»[٢٢]. لهذا، لم يبق في الموّحدين أيّ توجّهٍ أو إقبالٍ لغير اللّه.

هؤلاء «ماتت عندهم التكاليف والأمكنة والأزمنة؛ وتحرّروا من جمود التقاليد والأعراف ومخاوف وآمال الثواب والعقاب.. أمّا الذين انشغلوا عن المعبود (بالقيام بالتكاليف) فقد انطفأتْ سرج عقولهم، وتحجّرت قلوبهم، وهتكوا أستار محارم الحق، فباتوا، وقد شغلتْهم أنفسهم الأمّارة بالسوء بظاهر ألفاظهم، عن الحقّ والحقيقة، فتاهوا في ضلالهم المبين، واستكبروا، وظنّوا أنّهم أشدّ قوّة من الحق وفيهم الحول والطول. وقد فُتنوا وحسبوا أنّهم مهتدون. إنّهم في غياهب جهل أنفسهم سامدون.. ويخادعون الحق وأهله...»[٢٣].

وتعترف **الدكتورة نجلاء أبو عزّ الدين** بأن لا شعائر دينيّة عند الدروز، ولا وسائط، أي: لا أمكنة، ولا مساجد، ولا معابد، ولا شيوخ، ولا كهنة. تقول: «إنّ مذهب الدروز مسلك صوفي عرفانـي، يصفونه المسلك الثالث. فالسالك، بعد أن يكون قد ارتاض بالعمل بموجب ظاهر الشريعة وباطنها، يصل إلى مرحلة يصبح عندها مهيّأ لتقبّل الحقيقة دون حاجة إلى شعائر ووسائط»[٢٤].

***

(٢٢) في معارج الروح، ص ٣٧.

(٢٣) ألمرجع نفسه، ص ١١٣.

(٢٤) ألدروز في التاريخ، ص ١٤٨.

أمكنةُ العبادة في الدرزيّة على ثلاثة : المجلس، والخلوة، والمقام.

المَجْلِسُ مكان للقاء العموم. يوجد منه، أقلّه، واحد في كلِّ قرية أو مجموعة قرى درزيّة. يحدّده الدكتور صالح زهر الدين بقوله: «ألمجلس هو المركز الديني الذي تمارِس فيه عائلة، أو مجموعة عائلات، في قرية واحدة، واجباتها الدينيّة، مساء كلّ خميس، وفي الليالي العشرة التي تسبق عيد الأضحى المبارك، والتي تسمّى بـ «ليالي العشور»[٢٥]. «في المجلس، يقوم أحد مشايخ القرية، والذي يسمّى بـ "سايس المجلس"، بمهمّة المسؤول عن شؤونه، مشرفاً على الاجتماعات الدينيّة الأسبوعيّة ذات المراحل الثلاث:

١. تستغرق المرحلة الأولى تسعين دقيقة. وباستطاعة كلّ درزي أن يشارك فيها شرط ارتداء الثياب الخاصّة بشيوخ الدين: سروال أسود وعمامة ذي لون أبيض، أو قلنسوة بيضاء.. وتقتصر على الوعظ والإرشاد فقط.

٢. وتستغرق المرحلة الثانية ثلاثين دقيقة زيادة عن الأولى. وهي مخصّصة للذين تقدّموا في اطّلاعهم على العقيدة، مستفسرين حول بعض التعاليم التي يتضمّنها مذهب التوحيد قبل "تسلّم الدين" والسماح لهم في الاطّلاع على كتب العقيدة.

٣. وتستغرق المرحلة الثالثة ساعتين ونصف الساعة بعد المرحلتَين الأوليتين (كذا). وهي مخصّصة لكبار المشايخ الذين تخطّوا الشروط الواجبة لانتقالهم إلى هذه المرحلة. وبالنسبة لهم، تمثّل هذه

(٢٥) تاريخ المسلمين الموحدين الدروز، بيروت، ١٩٩١، ص ٤٧.

المرحلة "دور الكشف" والتعمّق في أسرار المذهب. بيد أنّ ليلة عيد الأضحى هي الوحيدة التي يستمرّ فيها كبار المشايخ بممارسة فروضها الدينيّة حتى الصباح.

وإذا كان ذلك حال العقّال الرجال، فكذلك الحال بالنسبة للنساء المتديّنات. فهنّ يخضعن أيضاً لنفس النظام ونفس المراحل. كلّ منهنّ حسب تقدّمهنّ في معرفة تعاليم العقيدة»(٢٦)(٢٧).

***

والخَلْوة مكان خاص بأحد المتديّنين، أنشئ على اسم أحد الأولياء. وأكثر ما تكون في مكان منعزل عن الناس. يختلي فيها مَن يشاء من المتعبّدين.

أشهر الخلوات:

أ - خلوات البيّاضة:

تقع على تلّة مرتفعة، تشرف على حاصبيا وفلسطين والبحر وسهل مرجعيون وقسم كبير من البقاع. تتألّف من عدّة مجالس: مجلس يخصّ دروز لبنان، ومجلس يخصّ دروز حوران، وثالث يخصّ دروز فلسطين، ورابع يخصّ دروز حلب. تتوسّط هذه المجالس الخلوة

---

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٢٧) عن هذه المراحل أشار ابراهيم الأسود بقوله: «وفي ليلة كلّ جمعة ينضمّون (أي رجال دين الدروز) إلى مجالس خلواتهم لاستماع قراءة الكتب الدينيّة. وانصرافهم من تلك المجالس يكون بحسب درجاتهم في الدين. فمنهم من يبكّر في الانصراف، ومنهم من ينصرف في وسط السهرة، ومنهم مَن ينصرف في آخرها» (ذخائر لبنان، ص ١٢٢).

الأساسيّـة المركزيّة التي تقوم أمامهـا بركة مبنيّة من الحـجر، ترمز إلى معانٍ دينيّة يعرفها المشايخ.

تعدّ خلوات البياضة المركز الديني المشـترك لكلّ دروز العالم. فيها يقوم المشايخ بنسْخ كتـب الحكمة وشرحها. كلّما فُقِـد كتابٌ من مكان ما من المعابد الدرزيّة، يُرسَل عِـوضَه كتابٌ آخـر من نسخ البيّاضة. وفـيها يمارسون العـبادة والزهد والتـأمّل. ويحفظون الكتـب غيبـاً، ويتمّـمون جميع الفرائض التوحيديّة.

يعيـش المشايخ من مـحصول الأراضـي الـزراعيّة العـائدة لوقف الخلوة. وأهمّ مـحاصيلهـا: الحبـوب، والخضـار، وكـروم العنب، واللّوز، والصنوبر، وأصناف الفاكهة ، والعسل. واشتهر المشايخ بصنع نوعٍ من الضيافة يسمّونه «النقل»، وهو من مسحوق اللّوز والسكّر وسواهما.

بالرغم مع انقطاع مشايخ البيّـاضة عن الناس، يقوم بعضهم، بين الحين والحين، بزياراتٍ اجتمـاعيّة وقت الحاجة. فهم بـ «اسـتطاعتهم أن يوفّقوا دائـماً بين المتنازعين منهم (من الدروز)، وأن يحسروا نـار الحقد والتعصّبَ البغيض، وأن يخفّفوا من حدة الأعمال الخطيرة ونتائجها، وأن يغرسـوا بذور الوفاق الاجـتمـاعي، ويقوّوا روابط المحـبّة»[٢٨]. كلمـتهم مسموعة، ورأيهم محترم.

٢ – خلوة القطالب:

خلوة قـديمة، ترجع إلى أيّام الأمـير السـيّـد في القرن الخـامس عشـر. تقع على تلّة صغيرة، مـشرفة على عين قنيـة في الشوف. رُشَّتْ

(٢٨) راجع: حافظ أبو مصلح، واقع الدروز...، ص ٢٣ – ٢٤.

جدرانها باللّون الأبيض. فيها يَقرأ المتعبّد الحكمة، وَيطّلع على التفسيرات الدينيّة الضــروريّة لمارساته الروحــيّة. تعلو عن سطح البحــر نحو ألف متر، سمّيت كذلك لكثرة شجر القطلب المحيط بها. و« الوافدون (اليها) هم في العادة أناس بسطاء سليمو الطويّة ويطمحون إلى القداسة»[٢٩].

٣ – خلوة عين الشاوي:

تقع في عبيه على مقربة من الكلّيّـة الداوديّة. بناء قديم شبه مهمل الآن، وربّما لوجود مقام الأمير السيد بالقرب منه والذي يستقطب معظم الوافدين . القيّمون عليها الآن آل فرج من عبيه.

٤ – خلوات المونسة:

تقع على رابيــة فوق بلدة عرمــون في قضــاء عاليه. تــشرف على البــحر ومــدينة بيــروت. كانت في الــقديم جــملة خلوات لم يبق منهــا إلاّ واحدة عامرة، والبقيّة آثار دارسة.

***

والمَقَامُ مزارٌ مخصّص لأحدِ حـدود الدّعوة في ظهوراتهم المتعدّدة عبر الــتاريخ. يأتيه الدروز، بمناسبــات سنوية معيّنة، للتبّــرك والصلاة والتقرّب إلى الباري المعبود.

أشهر المقامات:

أ – مقام شمليخ.

يدعى أيضا «المقــام الشريف»، و«مقــام سيّدنا لوقــا» (الإنجيلي)

---

(٢٩) كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ٥٣.

الذي مَثَّلَ في دوره بهاءَ الدين المقتنى. بني هذا المقام تخليداً لذكرى إقامة بهاء الدين ليلةً واحـدة، وهو في طريقه إلى دمشــق. يقع بالقرب من بلدة شــارون، عند ســفح الجبـل. مدخله مـؤلّف من ٣ قنـاطر نُقِش على كلٍّ واحدة منها ٣ نجمات. كل نجمة تنتهي بـ٥ رؤوس، تمثّل الحدود الـ ٥.

يتألّف هذا المقـام من سبع عشـرة غرفة وساحـة فسيحـة تصلها بدرج من حـجر منحـوت، في وسطها ثلاث شــجرات وارفـة الظلّ. وفي المقام أيضا قـاعة واسعة بطول ٢٥ م وعـرض ١٢م. فيها حـجرة مغطّاة بالسجّاد المزخرف، وجدرانها مزنّرة بالعلم الدرزي ذي الألوان الخمسة.

٢ – مقام النبي أيّوب.

هو نفـسـه أيّوب التوراة. يـقع المقام فوق بـلدة نيحا الـشوف، في مكان رائع الجمال، غني المنظر، كثيف الشجر، على ارتفاع ١٤٠٠م. يقوم على قناطر عاليــة من حجر منحوت. ويتألف من ســاحة رئيسيّــة محاطة من كل جهاتها بعشرين غرفة صغيرة من الحجارة البيضـاء، وفي أعلاها غرفة المقام، تدخلها من باب صغير بعد أن تخلع الحذاء.

يزوره الدروز كلّ نهـار جمـعة. ويحـتـفلون في صيف كلِّ عـام بذكرى هي من أحبّ الذكريات والعِبَر إلى قلوبهم. ومن تقاليدهم فيها أنّ رئيس الجمهـورية اللبنانيّة يُرسِل ممثّلاً عنه ويُلقي في المحـتفلين خطابا أصبحَ تقـليديًا. وتتوالـى خطبُ ممثلي سائر الطوائف الدينيّـة في لبنان. كما يشترك بهذا الاحتفال معظم السفراء والوزراء والوجهاء.

وسبب إجـلال هذه الذكرى وتكريم هذا المقـام، هو أنّ النبيّ أيّوب

هو نفسه العقل الكليّ في إحدى ظهوراته، وأيضاً بما يرمز إليه النّبي أيّوب من «الصبر والاحتمال» فضيلة الدروز العظمى.

٣ – مقام الأمير السيّد جمال الدين التنّوخي.

يقع إلى الجنوب من بلدة عبيه. فيه رفات صاحبه وبقاياه ومؤلّفاته التوحيديّة النادرة. يؤمّه الزوّار من أصقاع البلاد ملتمسين بركاته في ظروفهم العصيبة، طالبين من رضاه «الصبر والاحتمال». فالأمير السيّد، كأيّوب، ابتلاه اللّه بموت أبنائه وبناته كلّهم في حياته. يغطّي أرضَ المقام سجّادٌ مزركش، وتكثر في زواياه الهدايا على مختلف أنواعها من شموع وساعات وأعلام درزيّة. وهو يعتبر من حيث المكانة كمقام النبي أيّوب.

٤ – مقام عين الزمان

عين الزمان هو نفسه قائم الزمان الإمام حمزة بن عليْ. يتألّف المقام من طابقين يحتويان على عدد كبير من الغرف. يقع قرب السويداء عاصمة جبل الدروز.

٥ – مقام المسيح

يقع في جبل حوران بين منعلة ونمرى والطيبة في منطقة البجعة. يقال أنّ المسيح التجأ مرّة إلى هذه القمّة حيث أقام حلقةً سريّة مع تلاميذه. والمسيح هو العقل الكلّي، وهو قائم الزمان حمزة. يتكوّن هذا المقام من ستّ غرف ومن أسطبل كبير للحيوانات. تعلوه قبّة من ثلاثة أمتار. بناؤه من الحجر، وسقفه مرتكز على قناطر.

٩- مقام النبي شُعَيب

وشُعَـيب من «مدين»، أنكره شعـبُه وجحـدوا نبوّتَه، فهـاجر إلى فلسطين حيـث مات في حِطّين عند سفْح الجـبل في أعلى طبريّة. يُحـتفل بذكراه في ٢٥ نيســان من كلّ سنة. تُقام فيه الاحتـفالات الدينيّة، وتُنقل إلى العالم بـواسطة الراديو والتلفزيون. يتـألّف المقام من ثلاث طبـقات، ومن حوالي ثلاثين غرفة. في الطابق الثالث منها حجرة النّبيّ المقدسة.

ثالثاً - مشيخة العقل

«مشيخة العقل» هي المركز الذي يستعيض به الدروز، اليوم، عن مقام «الإمامة»؛ أو هي امتداد تاريخي ديني للامامة[٣٠] «إنّ هذه الزعامة الروحيّة الأصيلة، على حدّ قول كمال جنبلاط، هي اشتقاق معنوي وامتداد تاريخي لفكرة الإمامة، أي الرشاد والحكمة وسلطة التوحيد والتقويم لمن تكون له. وهي نوعان: ولاية تنظيم، ورعاية للمصالح الشرعيّة والروحيّة الظاهرة للجماعة، ولاية القسط فيما بينهم بالعدل؛ وولاية استرشاد بالمثل الأفضل، واهتداء بالولاء الأرفع، واستئناس بالعرفان الأعلى، وبالتوجيه الأصفى والأفضل. والأقرب إلى تمثيل فكرة الإمامة هو قيام الولايتين ووجودهما وتوحّدهما في الشخص ذاته»[٣١].

كان مقرُّ شيخِ العقل محصوراً في لبنان، وصلاحيّاته تشمل جميع الدروز حيثما كانوا، في لبنان أم في سوريا أم في فلسطين. وفي لبنان، «لم يكن للمشيخة مكانٌ معيّن خاصٌّ بها، فكان مكانُها تابعًا لمكان الشيخ، فالبلدة التي منها الشيخ هي مركز المشيخة، ولذا فقد تداولتْها

---

(٣٠) ألقاضي أمين طليع، مشيخة العقل والقضاء المذهبي الدرزي عبر التاريخ، المطبعة الانطونية، بيروت ١٩٧١، ص ٧٤.

(٣١) كمال جنبلاط في مقدمة كتاب «أضواء على مسلك التوحيد»، ص ١٩....

مناطقُ جبل لبنان، كما تداولتها مناطق وادي التيم»[٣٢].

لُقّب شيخ العقل، في الماضي، بعدّة ألقاب. فكان يدعى بشيخ العصر، وشيخ العقّال، وشيخ المشايخ، وشيخ مشايخ العصر... يعاونه عدد من المشايخ الذين دعوا هم أيضاً شيوخ العقل. وكان عددهم في الغالب أربعة ليتمّ بهم، مع شيخ العقل، عدد الحدود الخمسة.

«وقد كان شيخ المشايخ يتميّز بلبس مشلح أبيض ونظافة فائقة. ويصحبه في أثناء تنقّلاته جمهور غفير من الناس، وأينما حلّ كان الشعب يستقبله بالحفاوة والحماسة، وكان السعيد مَن يُتاح له أن يَمسّ ذيلَ جبته تبركاً»[٣٣]. «وقد تعوّد الدروز منذ القدم أن ينظروا إلى مقام المشيخة نظرة احترام وتكريم. يرون في احترامه احترامَ ذواتهم، وفي تكريمه تكريمَ أنفسهم. يلحظون فيه الرمز القائم لعظمة الإمامة وهيبتها ووقارها»[٣٤].

«كان الشيخ منذ توليه ينقطع عن كل عمل دنيوي، ويعيش من الهدايا التي كانت تأتيه من مختلف النواحي. وكانت حياته بسيطة منظّمة منعزلة خليقة بعاقلٍ يعيش في الزمن القديم. وكانت أعماله روحيّة.. وكان مشايخ العقل يعيشون ممّا يأتيهم من رزق يوصَى لهم به. وكان حقّاً لهم أن يرثوا كلَّ مَن مات وليس له وارث شرعي. كما أنّ الدروز كانوا في اضطرار إلى الإيصاء بشيء إلى أولئك الشيوخ كي ينالوا بذلك

---

(٣٢) عارف أبو شقرا، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفيّة، مطبعة الاتحاد، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٩٠.
(٣٣) المرجع نفسه، ص ١٩٠.
(٣٤) المرجع نفسه، ص ١٨٨.

رضاهم وبركتهم»[٣٥].

استمرّ شيخ العقل واحداً لجميع الدروز حتى الرّبع الأوّل من القرن التاسع عشر، بسبب خلاف نشب بين البشيرَين: الشيخ بشير جنبلاط والأمير بشير الشهابي الثاني. وانقسمتْ مشيخة العقل بين الحزبَين الدرزيَّين الكبيرَين، فكان شيخ عقل لليزبكيّين وشيخ عقل آخر للجنبلاطيّين... وبعد الحرب العالميّة الأولى، عند تقسيم الدول العربيّة، انقسمت أيضا المشيخة شتاتاً: فكان لسوريا ثلاثة مشايخ، ولفلسطين شيخ واحد، وفي لبنان كان عددهم يتراوح بين شيخين وثلاثة. أمّا اليوم فالمشيخة، في كلٍّ من البلدان الثلاثة، اجتمعتْ في واحد.

«ليس لدينا ثَبْتٌ يوضح تعاقبَ الشيوخ على هذا المنصب شيخاً شيخاً وعهداً عهداً. فهنالك عهود لم يصل إلينا أيّ خبر عن أي شيخ في أثنائها»[٣٦]. وقد تكون «التقيّة» سبباً لذلك، جرياً على نصيحة بهاء الدين: «أن يكون أعظم ما عندهم الصبر والسكوت والسترة»[٣٧].

هذه «السترة» ضُربتْ على الموحِّدين منذ نشأتهم.، منذ غيبة الشيخ الأوّل بهاء الدين المقتنى ، بسبب اضطهاد الفاطميّين لهم، واحتلال الصليبيّين لبلادهم، وانتصار السلطان صلاح الدين عليهم، وسيطرة المماليك، ثمّ العثمانيين الذين قدّموا الأمراءَ المعنيّين على سائر الأمراء في أوائل القرن السادس عشر... كلّ هذه الفترات كانت غامضة جدًّا في تاريخ مشيخة العقل.

---

(٣٥) المرجع نفسه، ص ١٩٠.

(٣٦) المرجع نفسه، ص ١٨٨.

(٣٧) منشور نصر ابن فتوح ١٠٧/٨٢٨.

ومع هذا، تلمع أسماء بعض المشايخ، في عصور القهر و«التقيّة» هذه، نتوقّف عندهم لما لهم من أعمالٍ تفيدنا في توضيح العقيدة وتفسير الحكمة. نذكر منهم:

أ - الأمير عيسى التنوخي: وهو الجدّ الخامس للأمير عيسى المعاصر للأمير السيّد. عُرف عنه جمعُ كتب الحكمة في ستّة أجزاء، في الجزئين الأوّل والثاني جمع رسائل حمزة بن علي وإسمعيل التميمي، وفي الأربعة الباقية رسائل بهاء الدين المقتنى. وعدد رسائلها جميعها: مائة وسبع رسائل (١٠٧ لا ١١١ كما هي عليه اليوم. ممّا يعني أنّ الرسائل الاربع الأولى لم تحسب في عدادها). و«لذلك يكون له فضل كبير على كل موحّد»[٣٨].

٢ - الأمير عيسى الثاني المعاصر للأمير السيّد. كان يتفنّن بكتابة الحروف وتنميقها حتى شبّهه بعضهم بـ «ابن مُقْلَة» كاتبِ القرآن الأوّل. وقد كلّفه الأمير السيّد ليَنسَخ كتبَ الحكمة بخطّه الجميل. ولا يزال رجال الدين يغالون بالكتاب الذي يعرفون أنّه مخطوط بيده. ويقال أنّ الأمير السيد استكتبه في وضع كتب الشرح. فعليه «يكون لكلٍّ من الأميرَين فضلٌ لا يمّحى وذكرٌ لا يزول»[٣٩].

٣ - الأمير سيف الدين التنّوخي (٧٨٩-٨٦٤هـ). «الأمير الخطير والشاعر الكبير والصائغ القدير». وُلد في عبيه. كانت جلّ أشعاره في الغزل والوصف والمديح. فاستدعاه الأمير السيّد وطلب إليه

---

(٣٨) توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، ص ٢١٩. أنظر ايضا: سامي ابو شقرا، مناقب الدروز...، ص ٥٧.

(٣٩) توفيق سليمان، المرجع المذكور، ص ١٣٣.

أن يحوّل غـزله المادّي بالغزل بالعـزّة الإلهيّـة ومدح الأنبيـاء. فنزل عند رغبته. ذهب إلى القـاهرة وتعلّم فيها الصياغـة وصكّ النقود، ثم عاد إلى عبيه فأخذ يشتري الحلى القديمة ويصكّها دنانير فأثرى. ولكنّه زهد بما أثرى. كان يتجوّل على دابّته بين الموحّـدين، وعلى دابّته خُرْجٌ، فيطلب من المحتاجين أن يأخذوا من الخرج حاجَتَهم، ومن الميسورين أن «يحطّوا» في الخرج ما يزيد عندهم. فضُرب بذلك المثل: ««حطّ بالخرج». ولّما تحسّنت بذلك أحوال الموحدين وأصـبحوا كلّهم مكتفين راحوا جمـيعهم «يحطّون بالخرج». وهكذا جعل الأمير من «الخرج» بدايةً الإشتراكيّة عندهم.

٤ً – **الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي** المعروف بالأمير السيّد.

ولد سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، وتوفّي سنـة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م. «لعلّ أكبـر شـخصـيّة علمـيّة بين الدروز، منذ بـهاء الدين المقـتنى، هي شخـصيّـة الأمـيرالسـيّد جـمال الديـن عبـدالله التنوخي»[٤٠]. وقد لا يكون له بين الدروز مثـيل، لسعة اطلاعـه، وعمق سرّه، وكـثرة شروحـاته للحكمة، ونزاهة آدابه، وشـمول معـرفتـه، وقداسة سـيرته، وتجلّده على نـكبات الدهر، واستئناسه بالقرآن والإسلام...

«ولسنا نبـالغ إذا قلنا إنّ شـروح الأمـيـر السـيّـد تأتي في رأس القـائمة. فهـي بداية الاجتـهاد التـوحيدي ونهـايته حـتّى الآن... لأنّ كلّ المؤلّفات التي وضـعها المجـتهدون الـدروز، الذين أعقبـوا الأمير السـيّد، كانت في جوهرها دوراناً في فلكه»[٤١].

وعن شروحـات الأمير السـيّد قال الـشيخ الفاضل: «شـروحات

---

(٤٠) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين: «الدروز»، ص ٦٤٤.

(٤١) الشيخ الدكتور أنور فؤاد أبي خُزام، إسلام الموحّدين، ص ٩٢.

السيّـد الأمير أمامنا، وهي أوّل مـا يحاسبنا اللّه فـيه يومَ القيامـة، لأنّها واضحـة موضِحـة، ما تركـتْنا في شبهـة، ولا أبقتْنا في حـيرة. وفيـها كفايتنا، وما نريد علماً وعملاً»[٤٢].

ولد في عبـيه، و«كان يطوف القـرى في طلب العلم والحديث وهو صغير السنّ، وتورّع يافعاً»[٤٣]. «جوّد كتاب الله العزيز (القرآن) ودرَسَه وتلاه غيـباً، ولازم الدرس فـيه حـتى انطبعتْ فـصوله وآياتُه وأعـشارُه وسُوَرُه وسطورُه في قلبـه، بحيث لا يغيـب عنه لفظةٌ واحدة»[٤٤]. وكان يحـرّض الأولادَ على حـفظ الكتـاب العـزيـز، ويأمـر الآباء بأن يجـعلوا لأبنائهم جُعْلاً على حفظه ترغيباً لهم.

رحل الأميرُ السيّد إلى دمشق للعلم، وبقي فيها اثنتي عشرة سنة. بعدها عـاد إلى عبيه حـيث أقبل عليه التلامـيذ من مختلف الـبلاد. وكان مـتشـدّداً معـهم في أمور الدين: «فـمن خـالف أو بان منه زلّة يُطرد من المجلس، فيُـشهر أمرُه أنّه منفيّ، ويـكون ذلك عاراً عليه. فصـار لذلك أمرٌ عظيم في قلوب الناس وخوفٌ شديد وهيبة بالغـة من غير قيد ولا سجن ولا خوف قـتل ولا ضرب. ثم جـعل رسمـاً على مَن يثبت عليـه ذنب من الذنوب العظيمـة... ومَن شرب شيئاً من المسكرات، أو أخـطأ في تصرّفه بوجه آخـر، أو ظلم أحداً، أو تعدّى على أحـد، وما أشبـه ذلك، يمنعوه من دخول تـلك المجالس التي رتّبـها. فـصار ذلك أشـدّ هيبـة عند الناس من قـصاص الحكّام بالـضرب والقـتل. وهابوا مـخالفـة أوامـره أكثـر من

---

(٤٢) من آداب الشيخ الفاضل، راجع يزبك، وليّ من لبنان، ص ٧٨؛ أبي خزام، ص ٩٤.

(٤٣) عجاج نويهض، التنوخي الامير جمال الدين...، ص ١١٣.

(٤٤) المرجع نفسه، ص ١١٣.

مهابتــهم سطوات الملوك الدنيوية. وكان الرجل، إذا جرى منه ذنب كــبير واشتــهر عنه ذلك، يلزم بيــته ولا يجســر على الـخروج بين الناس، حــياءً وخجلاً، أو احتسـابا للطرد والنفي»(٤٥).

رُزق ثلاثة أولاد وبنات، توفّوا جـميعـاً في حياته. وكــان آخرهم عبد الخالق الذي مــات ليلة الاحتفال بعرسه، وذلك برفسة بغلتــه المميتة. ولمّا بلغ الأميرَ السيّدَ مقتـلُه ، كتمَ الأمرَ على المحتفلين والمغنّين، ثم أعلمهم آخر الأمر، وارتجل لهم خطبة في الأمر العصيب.

بعد وفاة آخر أبنائه «كره الدنيا، واشتدّ شوقه إلى ربّه، ثمّ أخذ في تدوين الشــروحات، وتبيين السنن والـفروض والواجبـات، في التوحـيد وإقامةالحجّــة وإيضاح المحجّة واليوم الآخر ومــعرفة ربّ الأرباب وخالق الأرض والســماوات»(٤٦). ويصف لنا ابن ســباط زهد الأمــير في أواخــر حيــاته بقوله: «كان يســهر الليل في طاعة ربّه، وينام ثلثــه. وكان يجلس أكثر لياليه لا يشتغـل بأمور دنيونة ولا حكايات في غير الحكمة. ثمّ يعظ ويفيد مَن حـضـر إلى نحو ثلث الليل، ثم ينام ثلثــه، فينام من في المجلس، ثم يقوم الثلث الأخير فيخلو في طاعة ربّه»(٤٧).

عُرِف عنه أنّه «أمَرَ بعــمارة المساجد في القــرى، وتجديد الجوامع، وإنشــاء الأوقــاف.. ثم جَلَبَ الفـقــهــاء إلى النواحي، وأقــاَم الخطب أيّام الجــمعــات في كلِّ قريــة.. ثم شدَّد على القــراءة الصــحيــحة في القــرآن

---

(٤٥) عجاج نويهض، المرجع المذكور، ص١١٤– ١١٥.

(٤٦) عجاج نويهض، المرجع المذكور، ص ١٠٠. نقلا عن ابي مرعي.

(٤٧) عجاج نويهض المرجع المذكور، ص ١١٤.

الكريم»[٤٨]. ويستفيد الدكتور عبد الرحن بدوي من تشدّد الأمير في حفظ القرآن وفرائضِ الإسلام ليقول عنه: «إنّ هذا الأمير العالم الدرزي الكبير كان يستمدّ علمَه وورعه من أعلام أهل السنّة ويقتدي بهم»[٤٩]. ويطمئنّ إلى «أنّ أحداً من الدروز قد أنكر عليه شيئاً من هذا. وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الدروز –حتى ذلك الوقت على الأقل، أعني في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي– لم يسقطوا الفرائض الدينيّة، ولم يطّرحوا القرآن، ولم يترّخصوا في ركن من أركان الإسلام، وكانوا يؤدّون الصلاة في أوقاتها، ويؤذّن المؤذّنون في أوقات الآذان»[٥٠].

ولكن، إذا علمنا، من ناحية أخرى، أنّ الدروز، حتى يومنا هذا، يُعدّون الأميرَ السيّد قطباً من أقطاب مذهب التوحيد، وأنّ قبره في عبيه لا يزال مقصد الزيارة والتبرّك من آلاف الدروز في كلّ عام، وأنّ شروحاتِه لرسائل الحكمة تنال عنايةً فائقة لدى شيوخ العقل حتى الآن، وأنّ هذه الشروحات نفسها سرّيّةٌ كسرّيّة الحكمة نفسها.. هذا يعني أنّ في مواقف الأمير السيّد «تقيّة ومساترة»، فهو، في الظاهر، مسلم تقيّ، وفي الباطن، درزيّ خفيّ.

لقد أخطأ الدكتور بدوي في استنتاجه، ويثبت خطأه بنفسه في قوله بأنّ الموضوعات التي وضعها الأمير السيّد «تدور كلّها حول موضوعات في الأخلاق والآداب والمعاملات، ولا شأن لها بشيء من عقائد الدروز في الإلهيّات والتوحيد والمعاد. واذا تصفّحناها وجدناها في

---

(٤٨) عجاج نويهض، المرجع المذكور، ص ١١٤..

(٤٩) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين: «الدروز»، ص ٦٤٧.

(٥٠) المرجع نفسه، ص ٦٤٧ – ٦٤٨.

آرائهـا لا تخرج عـمّا نجـده في كتب الأخـلاق والمواعظ والفـقه السنيّـة الإسـلامية، وليس فيها أيّ ظل من تأثير عقائد الدروز الإلهيّة»[٥١].

إلاّ أنّ الدكتور عبد الرحـمن لم يطّلع، على ما يبدو، على شروحات الأميـر السيّـد لكتب الحكمة. ولكن، إذا كـان من حقّ الدكتـور أن يجهل ذلك، فليس من حـقّه إطلاقاً إطلاقُ الأحكام المبـتورة الناقـصة.. ألا يعلم الدكتـور أنّ الأميـر السيّـد هو نفسـه أرسل إلى مصـر مبـعوثاً ليـأتيه بسجلاّت حـاكميّة فـاطمية ليضـعها في مقدّمـة الرسائل الـ١٠٧، وذلك لاجل التمـويه والتدليس والمسايرة!!. كنّا نظنّ بـانّ الدكتور يعرف أكـثر من سواه مضمون رسائل الحكمة، ولكنّه، كما يظهر منه الآن، «خَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وجَعَلَ على بَصَرِه غَشَاوةً»، على حدّ قول الكتاب[٥٢].

ألا يعلم الدكتـور أيضاً أنّ الأمير السـيّد، عندما استـجاب لدعوة أهل بلدته للرجـوع إليـهم من دمشق، عـرضَ عليـهم مطالبَه وشـروطَه، «فاجتمع الناس لدرسِ مطالبه. ولمّا تُليتْ عليهم وَقَفوا إجلالاً وتقديراً. ولا يزالون إلى اليوم عندما يهـمّون بقراءة ما كَتَبَـه في شرح بعض الرسائل يقـفون جـرياً على العـادة التي ألفوها. وبعـد تلاوة الرســالة (المطالب) رضـخوا لمضمونها. من هذه المطالب «حثّ الناس على مجاراة الكثرة فيما يرغـبونه، ودراســة القرآن الكريم، وقطع المناداة على الأمـوات في المآتم، ومنع النساء من النواح، وتعليم البنات، وفتح المدارس»[٥٣]...

ألا يعلم الدكتور أنّ «مجاراة الكثرة» هي دعوة قائم الزمان حمزة:

---

(٥١) المرجع نفسه، ص ٦٥١.

(٥٢) سورة الجاثية في القرآن ٤٥/ ٢٣.

(٥٣) توفيق سليمان، المرجع المذكور آنفا، ١٤٥.

«استتروا بالمألوف عند أهله»، وهي «التقيّة»، والمساترة، والمداراة، والمصانعة... وأنّ في «دراسة القرآن» أضمن سلامة لـ «مجاراة الكثرة»!!!

لقد كان الأمير السيّد أكثر حذاقة من الدكتور حتى يجعلَه يظنُّه مسلماً طيّباً. ولئلا نُتَّهم بالغباوة نقول: لعلَ الدكتور يريد كسبَ الأميرِ السيّد العالِم ومَن معه إلى حظيرة الإسلام!!! أللّه أعلم. ولكنّ الدليلَ على جهل الدكتور كان أقوى من الدليل على حذاقته.

ثمّ إنّ الأستاذ سامي أبو شقرا يقول: «للأمير السيد كتبٌ متعدّدة... كلٌّ كتاب منها لا يقلّ عن أربع مائة صفحة منسوخة نسخاً، ومحظورةٌ على غير العاقل تلاوتُها»(٥٤). ثم يدعونا إلى التعرّف إلى آثاره وأخلاقه والتشبّه به فيقول: «ما أحوج البلد، على مختلف طوائفه وأحزابه، إلى سيّدٍ مقدام حصيف يفرض طاعته على كلّ مواطنيه، ويعمل على إزالة التخلّف الحضاري والنزعة التقدميّة المزعومة»(٥٥).

لكنّنا نسأل الأستاذ أبو شقرا: كيف يكون البلد بحاجة إلى الأمير، وكيف يدعونا إلى التشبّه به؟.. وجميعُ كُتبِه «محظورة على غير العاقل»؟! واحدة من اثنتين: امّا سرّيّة شروحات الأمير وبالتالي خراب هذا البلد؟ وإمّا نجاة البلد وبالتالي نشر أقوال الأمير؟!

هـ – **الشيخ أبو علي مرعي زهر الدين**، تلميذ الأمير السيّد الذي أوفده إلى مصر ليأتيه ببعض الرسائل الدينيّة. فرجع حاملاً «السجلات

---

(٥٤) سامي ابو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ٢١٥.

(٥٥) المرجع نفسه، ص ٢١٧.

الأربعة التي ألحقها الأمير السيّد بالكتاب الأوّل من المعلوم الشريف».[٥٦]. مات فدفن في قرية الفساقين ناحية غرب الشوف. وله فيها ضريح لا يزال قائماً الى يومنا هذا.

٦- الشيخ زين الدين عبد الغفّار تقي الدين. وُلد في كفرمتّى سنة ٩١١هـ. وتوفّي سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٧م. تأتي منزلته في تفسير رسائل الحكمة، بعد الأميرالسيّد. و«قلّما نجد مَن خلّف مثله تراثاً دينيّاً وأدبيّاً ضخماً. وقد بلغت كتبُه المتعلّقة بالدين منزلةً عاليةً جداً، يستعان بها في تفسير ما غمض أو أشكل من النصوص»[٥٧].

من مؤلّفاته السّرّيّة: **١)** قاموس الحكمة. وهو يحتوي على شرح مفصّل لرسائل الحمكة[٥٨]؛ **٢)** ألنقط والدوائر. نشره سيبولد المستشرق الإلماني سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٢م. وهو كتاب مخطوط فيه إيضاحات دينيّة كثيرة. **٣)** كتاب مختصر البيان في مجرى الزمان. نشره هنري غيْز وترجمه إلى الفرنسية سنة ١٨٦٣[٥٩].

٧- ألشيخ محمّد أبو هلال المعروف بالشيخ الفاضل. من قرية الشعيرة من أعمال وادي التيم. رعى الماعز، ثمّ احترف الزراعة. وكان، مع هذه، يتعلّم حتى اشتهر بعلمه وفضله. عاصر الأمير فخر الدين المعني الكبير. وكانت وفاته سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م في قرية عين عطا قضاء راشيّا. له فيها مقام يقع غربي القرية. له جملة قصائد تُرتّل في

---

(٥٦) توفيق سليمان، المرجع المذكور، ص ١٥٢.

(٥٧) أمين طليع، مشيخة العقل...، ص ٨٩.

(٥٨) اسم القاموس الحقيقي: «كتاب المناظرات وبهجة المذاكرات»،

(٥٩) أنظر تعريفاً كاملاً بهذه الكتب في فصل "المصادر والمراجع".

المعابد، وفي مناسبات مختلفة: كالزّواج والموت... وله في مديحِ صبرِ قومه واحتمالِهم مشقّاتِ هذا الدهر أشعار وقصائد.

اشتهر الشيخ الفاضل بالورع والزهد والخلوة في الجبال واعتزال الناس. واتّخذ الخَشِنَ من اللّباسِ، والقليلَ من الطعام. تورّع عن الملذّات البدنيّة، طمعاً في اللّحاق بمَن تقدّمه من عقّال وصوفيّين. كان يلبس اللبسَ الأزرقَ من الثياب دون غيره[٦٠]. «ولعلّ هذا هو الأصل في اتّخاذ العقال حتى اليوم الأزرق الغامق من الثياب»[٦١].

٨- **الشيخ محمّد الأشرفاني**، مؤلّف كتاب «عمدة العارفين في قصص النبيّين». ويسمّي رجالُ الدين هذا الكتاب «المؤَلَّف». وهو من المراجع الأساسية المعتمدة في فهم ما غمض من أمور الدين. ولد الشيخ في أشرفية الشام، وعاش، على ما يبدو، في القرن الحادي عشر الهجري، وذلك من قوله في خاتمة كتابه بأنّه عمل في تأليفه سبع سنين، آخرُها سنة سبعين بعد الألف (١٠٧٠هـ).

قيل في هذا الكتاب بأنّه «لا يَبلغُ العَالِمُ من علماء بني معروف رتبةَ العلم إذا لم يكن متقناً الوقوفَ على عمدة العارفين»[٦٢]، و«اشتهر عند بني معروف اشتهاراً واسعاً، لم ينلْ مثله كتابٌ آخر إلاّ كتب الأمير السيّد»[٦٣]، وقيل فيه أيضاً: «لعلّ هذا الكتاب هو آخر ما أُلّف على هذا

---

(٦٠) راجع عجاج نويهض، «التنوخي» حيث يستشهد بـ «آداب الشيخ الفاضل محمد ابي هلال »لابي علي بن عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي، ص ٢٧٤.

(٦١) الدكتور بدوي، مذاهب الاسلاميين، ص ٦٥٦.

(٦٢) عجاج نهويض، الأمير السيّد عبدالله التنوخي، ص٢٤١.

(٦٣) المرجع نفسه ، ص ٢٣٩.

المستوى في بابه في المجتمع المعروفي في لبنان وديار الشام حتى اليوم»(٦٤).

٩- **الشيخ يوسف بن الشيخ سعيد الكفرقوقي.** كان شاعراً فذّاً يضاهي ابن الفارض في التصوّف، والمعرّي في نظمه لزوم ما لا يلزم. لقد التزم في قوافيه اتّباع الحروف الهجائيّة، وسمّى كتابه «درر النحور في التوبة إلى الملك الغفور». وقدّم لكلٍّ قصيدةٍ منظومةٍ بمقطوعةٍ نثريّة، هي الأخرى تبتدئ بالحرف الذي تبتدئ به القصيدة وتنتهي...

١٠- **الشيخ أبو زين الدين يوسف أبو شقرا.** عاصر الأمير يوسف الشهابي الذي تولّى حكم لبنان من سنة ١٧٦٢ حتى سنة ١٧٧٠م. وكان له معه حادثة شهيرة، وهي: أنّ الأمير يوسف أحدث ضريبة على الشاشات (والعمائم هي من الشاشات) فاعترض مشايخُ الدروز على هذه البدعة، وتوجّه الشيخ لمقابلة الأمير في دير القمر. ولم تسفرِ المقابلة عن نتيجة. فاحتدم بينهما الجدال. وقال الأمير: إنّ البلاد لم تعد تتسع ليوسفين، أجابه الشيخ: «المَزْرُوكَ يَرحَل». وخرج الشيخ غاضباً وهو يسمع الأمير يقول: «إنّي سأحمّي أفرانَ دير القمر بشاشات العقّال». وصل الشيخ إلى بعقلين ودعا الدروز إلى القتال، فاجتمع لديه في مرج بعقلين سبعةُ آلاف مقاتل. وركب بغلتَه وسار أمام الثائرين نحو دير القمر، وهو يردّد صلواتِ الحرب. فلمّا عَلِم الأميرُ يوسف بالأمر، همّ بالفرار. غير أنّ آل نكد سَعَوا بالصلح وأقنعوا الأميرَ بالرجوع عن قراره، والدروزَ بالعودة إلى ديارهم... إلاّ أنّ الأميرَ حقد على الشيخ وأضمرَ له الشرّ. لكنّه أظهر له غيرَ ما يُضمر حتى قرّبه إليه. فاطمأنّ

(٦٤) المرجع نفسه، ص ٢٤١.

الشيخُ، وقَبل، في أحد الأيّام، دعوةَ الأمــير إلى الطعام. وفي الطعام دسّ الأميـرُ للشيخِ السمَّ فمات... ولكنّ الـدروز لم يبيتوا على ضــيم. فدبّروا للأمير وشاية لدى حاكم عكّا الذي انتقم للدروز، فأمات الأمير شنقاً.

١١ - الشيخ علي جنبلاط جدّ الشيخ بشــير (+١٧٧٨م) عاصر الأمير حيدر الشهابي والأمير ملحم والأميرَين الشقيقَين منصور وأحمد، ومات في نهاية عهد الأمير يوسف الشهابي.

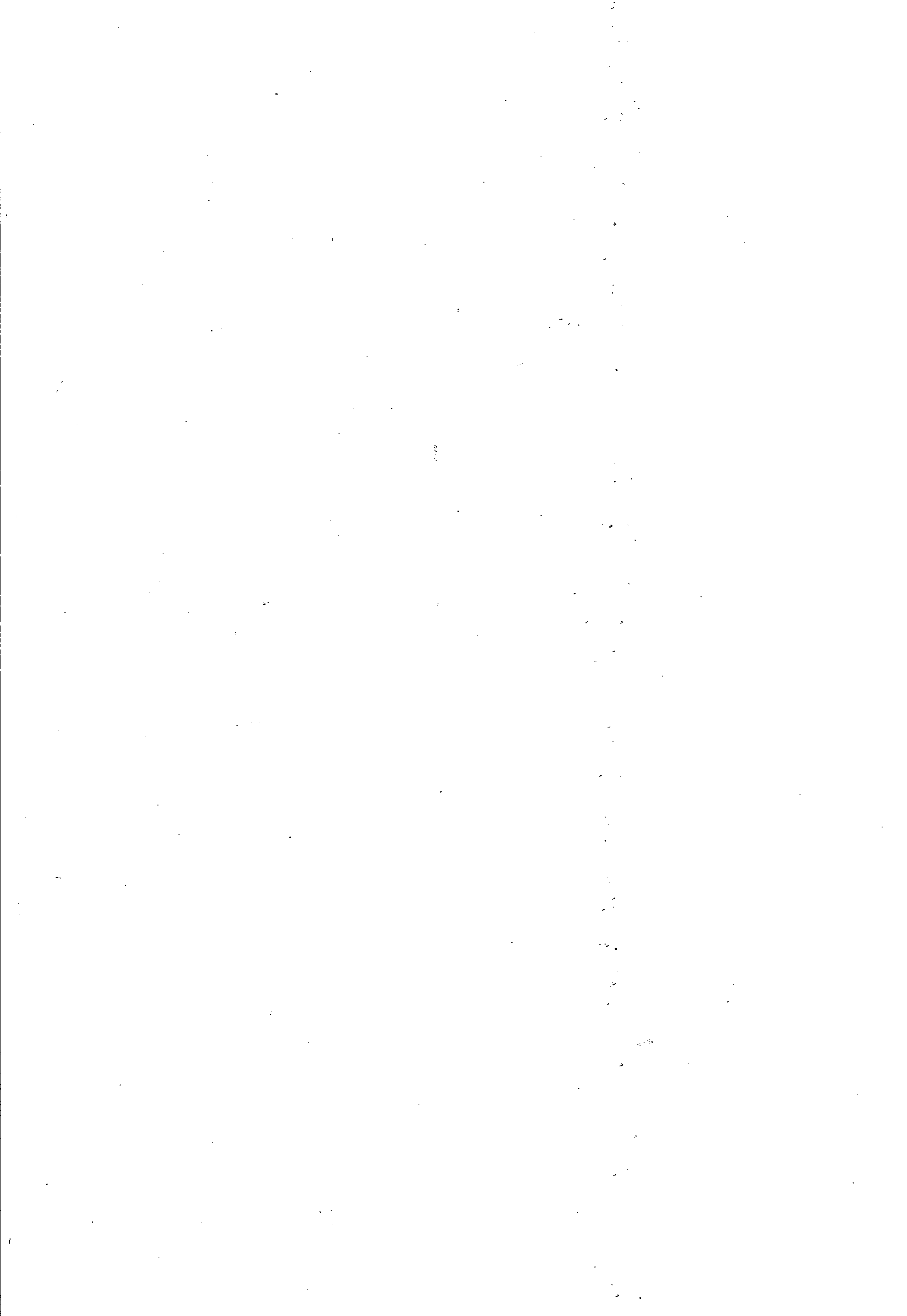
وبانتقال الإمارة من المعنيّين إلى الشهــابيّين عمد الأمير ملحم إلى قسمة الدروز بين جنبلاطيّين ويزبكيّين، فانقســمت بالتالي مشيخة العقل بين الشيخ علي جنبلاط و**الشيخ عبد السلام يزبك العماد**.

واستمرّت المشيخة مشيــختَين في لبنان إلى أن اجتمعتا من جديد في **الشيخ محــمّد أبو شقرا** من عمّاطور. وذلك عند وفــاة الشيخ اليزبكي **رشيد حــماده**. وكان الشيخ أبــو شقرا ولد سنة ١٩١٠، وتولّى مشــيخة العقل سنة ١٩٤٩، وتوفّي في ٢٤/١٠/١٩٩١.

١٢ - الشيخ بهــجت غيث. تسلّم المشــيخــة إثر موت أبو شــقرا، كقائم مقام شيخ الـعقل. ولا يزال حتى اليوم على هذه الحال، ولكن، ليس بدون مشــاكل بين الدروز. للشيخ غــيث جملة كتب في الـدين، منها: في معارج الروح؛ ومعارج الرّوح في مرايا التوحيد.

خاتمة الكتاب

يوم تكشف الأسرار



«... وسوف أعقِد مؤتَمرًا صحافيا أذيعُ فيه أسرارًا ووثائقَ عن محاولاتِ اسرائيل لانشاءِ دولةٍ طائفيةٍ تضمّ جنوبَ لبنان وجزءًا من الشوف والبقاع الغربي مع الجولان المحتلّ: ان محاميًا لبنانيًا كبيرًا قد دعي الى روما لمقابلة رئيس الاستخبارات الاسرائيلية، وقد قابله بالفعل، واطّلع على ذلك المخطط الرهيب، فأَطْلَعَ عليه بعض الجهاتِ اللبنانية والسورية. وتمّ احباطُ المكيدة حينذاك»[1].

هذا الكلام هو لنقيب الصحافة اللبنانية رياض طه الذي دعا يومذاك الى اجتماعٍ مغلَق عُقِدَ في ٢٢ أيّار سنة ١٩٧٣ في دار النقابة. ذهل الحاضرون، وراح ينظر الواحد الآخر، ويريد مزيداً من المعلومات والايضاحات والاسماء، فلم يَكشفِ النقيبُ عن شيء منها، بل وعدهم خيرا في اجتماعٍ آخر مغلق، يكون فيه الحاضرون أكثرَ جَلَدًا وأصلبَ أعصابًا. وبقيتِ الاسرارُ في بطنِ النقيبِ لم تُكشَفْ لشرٍّ حَدَث. الاّ أنّنا، والشرُّ الكبيرُ على النقيب قد حدَث، سنوافيكم بما لم يستطعِ النقيبُ الشهيدُ إعلانَه:

«بتاريخ ١٦/١٠/١٩٦٧، اتّصل كمال كنج هاتفيا من روما بكمال أبو لطيف (المحامي اللبناني الذي أشار اليه رياض طه) الى منزله في عيحا-راشيا. وطلب اليه أن يوافيه الى روما لأمر هامّ... اعتذر أبو لطيف لانه كان قادما حديثا من أمريكا اللاتينية حيث زار إخوته هناك، وان الناس يأتون للسلام عليه، ووعدَه بالسفر بعد حوالي أسبوعين.

---

(١) فاضل سعيد عقل وأنطوان جرجي الجبيلي، وقائع الحرب في لبنان ١/٣١٤.

«اتّصل الكنج عدّة مرّات هاتفيـا بأبي لطيف على رقم مكتبه أو منزله في بيروت يلحّ عليه بأن يحضر الـى روما. فتذرّع أبو لطيف بضيق الوقت لا سيّـما والسنة القضائيـة كانت في مطلعهـا. فظنّ الكنج انّ نفقات السـفر هي التي تُعيقـه، فقطَع لأبي لطيف تذكرةَ سفرٍ من روما. وأُبلغتْ لشـركة أَليطَاليَا بَرقـيًا. وهذه اتّصلتْ بأبي لطيف وأخـبرته بالأمـر. فعـيّنَ أبو لطيف مـوعدًا للسفرِ بعد أن اطّلعَ على بطاقة سفرِه من بيروت الى روما وبالعكس.

«استقبل الكنج أبا لطيف في مطار روما، ثم انتقلا معا الى «بانسيون فرانشيسي» في شارع «فينيتو» قرب متحف «بوركيزي»»، حيث حُجزتْ غرفة لكمال أبي لطيف، بينما كان الكنج يمكث في فندق أقلّ شأنا من «البانسيون»».

«قال الكنج لابي لطيف بأنّ اليهود منـذ احتلوا محافظة القنيطرة وهم يحاولون بشـتّى الوسائل التـقرّب من الدروز في الجولان، وخـاصّة مع بيت الكنج في مجـدل شمس، باعتبـاره البيت المتنفّذ الأوّل في المنطقـة... وقد قام عدد من الضـبّاط اليهـود بزيارة كمال الكنج في منزله، وكـذلك زاروا الشيخ سليمان الكنج ابن عمّه...

«وتردّد الضبـاط اليهـود، من نساء ورجـال، لمجدل شـمس. وكانوا يحلّون في دار الشيخ سليمان الكنج باعتباره ابن دار زعامة المنطقة وصاحب العـباءة التـقليدية... وبقـيت مجـدل شمس مـدّة شهـرين لا تخلو يوميّـا من عشـرات الزائرين من دروز فلسطين... وقـام عدد من الوزراء بزيارة مـجدل شمس أيضا. ومنهم «موشه دايان» و«ألون»... ثمّ بـدأ يُقبِل عليهم ضبّاطا من المخابرات الاسرائيليّة...

...وابتدأ الدروز يشعرون أنّ أمرا خطيـرا سيحدث... وعمد الزائرون على الافـصاح عن مـهـمّتـهم وغرامـهم بزعـماء مـجـدل شمس الروحـيين والزمنيين. وعرف هؤلاء «أن الغاية مـن ذلك فصلُ الدروز عن الاسلام لانهم لا يمكن أن يتعايشوا وايّاهم...

«وعندما أبلغت المخابرات الاسرائيلية بقبول بعض الوجهاء الدروز بالتعاون معهم سُرَّ اليهودُ لذلك كثيرا ، وأخذوا يُكثِرون من التردّد على مجدل شمس، ويُسْدون الخدمات للناس، ويُنفّذون المطالبَ بسرعة مذهلة. وبدأ تنفيذُ المخطط اذ انتُدِب كمالُ الكنج للاتصالِ بدروز سوريّا ولبنان، بعد أن وُضعتْ قوائمُ بأسماء الوجهاء الدروز الذين يُمكن التعاون معهم وطريقةُ اصطيادهم. ولذلك ذهب الى روما «بمهمّةٍ كعضو في لجنة اسرائيلية تدرس مع السلطات الايطالية موضوع تصريفِ الفاكهة من اسرائيل، متّخذين من كون مجدل شمس بلدةً غنيّة بالفاكهة ذريعةً لوجودِ كمال في اللجنة. كما أشاعَ كمال، قَبْل مغادرته مجدل شمس بانّه سيُداوي عَينيه لدى أطبّاء في تل أبيب، وقد يُضطرّ لعرضها على اختصاصيين خارج اسرائيل.

«وبذلك حضر كمال كنج الى روما برفقة ضابط مخابرات اسرائيلي (من الشّيْنْ بِتْ) تحت إسم «يعقوب». ويصف كمال أبو لطيف يعقوبَ هذا فيقول انّه رجل متوسِّط القامة، أحدب، يُتقن اللغةَ العربية.. وكان كمال الكنج قد اقترح الاتصال بكمال أبو لطيف وهو ضابط سابق في الجيش السوري، وقريب له، ووافقت المخابرات الاسرائيليّة على ذلك بعد أن قامت بجمع المعلومات عنه.

«ولذلك استدعي أبو لطيف الى روما، واجتمع مع كمال الكنج الذي أخبره بالمخطط، واتّفقا على ابلاغ الجهات العربية المعنيّة بالطريقة التالية:

١ً – يقوم كمال أبو لطيف باعلام كَمَال جنبلاط بالأمر، ليقوم بدوره بإعلام السلطات اللبنانية وغيرها من السلطات العربيّة التي يجد من المناسب اعلامها.

٢ً – يقوم كمال أبو لطيف، بعد أخذ موافقة جنبلاط، باعلام السلطات السوريّة.

وبعد أن عـاد كمـال أبو لطيف ونفّذ مـا اتّفق عليه، طـلب منه متـابعة الاتصـال مع المخابرات الاسـرائيلية. فـسـافر مـرّة ثانية الى رومـا واجتـمع بيعقوب وكمال الكنج...

واتّضـح، لابي لطيف، المخططُ على الشكل التالي:

مشروع الدّولة الدّرزيّة:

أ - حـدود الدولة الـدرزية: تمتـدّ هذه الدولة من جـبل الدروز الى الشـاطئ اللبناني مـحـيطة باسـرائيـل. وتشمـل: القنيطرة، وقـضـاء قطنا، وضواحي دمشق (بعض قرى الغوطة الدرزيّة)، فقضـاءي حاصبيّا وراشيّا، ثم الشوف، وقضاء عاليه حتى خلده، بما في ذلك بلدة الشويفات.

٢ - عاصمة الدولة الدرزية: ومن المقـرّر أن تكون السـويداء أو بعقلين عاصمة هذه الدولة. وذلك حـسب أيٍّ من دروز لبنا ن أو سوريّا يكونون أكثر تعاونا مع اسرائيل.

٣ - علَم الدولة: هو العلم ذات الألوان الخمـسة الذي وضعتـه فرنسا للدولة الدرزية بعد تقسيمها لسوريّا.

٤ - ألسكّان: يكون المسلمـون السنّيون والشيـعة في لبنان الجنوبي وكذلك في حوران والبقاع الغربي مخيّرين بين البقاء كأقليّة لا شأن لها ضمن الدولة الدرزيّة أو الرحـيل. أمّـا المسيـحـيون فـلا ضيـر من بقـائهم. ويمكن اشراكهم في الحكم كأقلية.

٥ - ألمقوّمات الاقتصادية: هي مضـمونة من قِبل اسرائيل، وبتعهدات أميـريكيّة. يصبح مـيناء صور، بعـد تطويره، الميناء التجاري لـلدولة، ويبقى ميناء صيدا لتصدير النفط.

ورصدت أميركا ٣٠ مليون دولار للبدء بتهيئة الاجواء للتنفيذ.

طريقة التّنفيذ:

١ً – تحت ستار مقاتلة الفدائيين الفلسطينيين تقوم القوّات الاسرائيلية باقتحام واحتلال المناطق التي يتواجد فيها الفدائيون. ثمّ تقوم قوّات أخرى باحتلال جنوبي لبنان حتى صيدا. وتتوجّه في الوقت ذاته قوّات مدرّعة اسرائيلية خارقة الجبهة السورية على محور درعا–أزرع–السويداء، وعلى محور القرى المتاخمة للحدود السورية الاردنيّة.

٢ً – تقوم حركات «سلبيّة» ضدّ الجيش الاسرائيلي المحتلّ، فيشجّعها اليهود سرّا ولا يقمعونها بعنف، الى أن تبلغ من القوّة ما يكفي ظاهريا لنشوب معارك بين الفريقين، يكون النصر فيها للدروز المحتلّة مناطقهم.

٣ً – في تلك الاثناء يكون الاتفاق قد تمّ مع عدد من زعماء الدروز على الصمود في مناطقهم والمحافظة عليها، كي لا تعاد الى سوريا ولبنان، تمهيدا لانشاء كيان سياسي مؤلّف من هذه المناطق «المحرّرة» يتمتّع باستقلال تامّ.

٤ً – تتكفّل أميركا بحماية هذا الكيان عن طريق اسرائيل، كما تتكفّل أميركا بالاعتراف فورا بهذا الكيان السياسي، وبأن تدفع الامم المتحدة والدول الغربية السائرة في فلكها للاعتراف به. وتكون اسرائيل بذلك قد كسبت «حزاما واقيا لها» (حسب تعبير يعقوب)، يقيها شرّ الاعتداءات العربية، ان من الجيوش النظامية أو الفدائيين.

٥ً – بعد انشاء الدولة الدرزية تقوم أميركا بالعمل لجعل لبنان وطنا قوميّا مسيحيّا، وتقيم دولة علوية في اللاذقية، ودولة كرديّة في شمال سوريا تتعاطف فيما بعد مع حركة البرزاني، فتتقلّص الجمهوريّة العربيّة السوريّة الى سوريا الداخلية وتشلّ قدراتها.

ونفّذ كمال أبو لطيف المهمّة، فتمّ ابلاغ كمال جنبلاط وشوكت شقير والسلطات اللبنانية والسورية. ونقلت المعلومات الى الجمهوريّة العربية

المتّحدة (الى عبد الناصر مباشرة)، وكلّف عبدُ الناصر الضابطَين: أكرم صفدي وهيثم الأيّوبي بنقل هذه المعلومات الى السلطات العراقية بغيةَ حثّها على تكوين الجبهة الشرقيّة، ثمّ استدعي أبو لطيف الى بغداد للاستفسار منه عن بعض التفصيلات[٢].

ولكن، إثر اكتشاف هذا المشروع، قطع أبو لطيف اتّصالاته بالمخابرات الاسرائيليّة خوفا على سلامته، وألقي القبض على كمال الكنج، وحكم عليه؛ واستمرّ عضو الكنيست الدرزي «جَبر معدى» يعمل باتّجاهه.، فعَقَدَ يوما «اجتماعا صحفيا بمفرده، دعا فيه الى ضمّ هضبة الجولان لاسرائيل. واعترف أنّ أمنيتَه هي أن تقوم دولة درزيّة تضمّ كل الدروز، وتكون عاصمتها السويداء». وعندما استهزأ الصحافيّون بأقواله، أعلن: «ان اليهود أيضا أرادوا قبل مئة سنة أن تكونَ لهم دولة، واذ ذلك ضُحِك منهم أيضا»[٣].

وبعد مدّة، طالب «جبر معدى»، وكان نائبا لوزير الاتّصال، بقيام «وكالة درزيّة» على غرار الوكالة اليهودية، تهتمّ بالهجرة والتوطين، وتجمع النقود من ثمانين ألف درزي يعيشون في المهجر، للبدء بانشاء دولة درزيّة مستقلّة»[٤].

***

الاّ أنّ «جبر معدى» لم يكمّل شوطَه، فقتله أحدُ عربان فلسطين في أوائل شهر شباط سنة ١٩٨١... وكمال جنبلاط أيضا لم ير لجهوده ثمرةً، فقُتِل هو الآخر في ١٦/٣/١٩٧٧... وكمال الكنج قُطِعتْ عنه، بعد خروجه

---

(٢) أنظر كتاب «الدروز في ظلّ الاحتلال الاسرائيلي» لغالب أبو مصلح، منشورات مكتبة العرفان، بيروت ١٩٧٥، ص ٢٤٧ - ٢٥٢.

(٣) جريدة الاتّحاد، ١٦/٨/١٩٦٨، نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٥٣.

(٤) جريدة الاتّحاد، ٢١/٧/٧٢ ، نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٥٤.

من السجن كلُ زيارة من أيّ درزي... وكمال أبو لطيف فرَّ بنفسه من ملاحقة الاستخبارات العاملة لاسرائيل... وشوكت شقير عُزل من منصبه... وسليمان الكنج يُدلي بشهادته على المضايقات الاسرائيلية[٥].

هذا المشروع الاسرائيلي هو استمرار لمحاولات عديدة سبقته في التاريخ. وكلّها تضرب على وتر «أن الدروز لا يمكنهم أن يتعايشوا مع المسلمين».

ففي مخيّم عكّا ١٧٩٨/٣/٢٠، أعلن نابليون بونابرت للأمير بشير: ان «رغبتي المخلصة هي أن أقيم للدروز استقلالهم، وأعطيهم مدينة بيروت ذات المرفأ كمركز تجاري لهم»[٦].

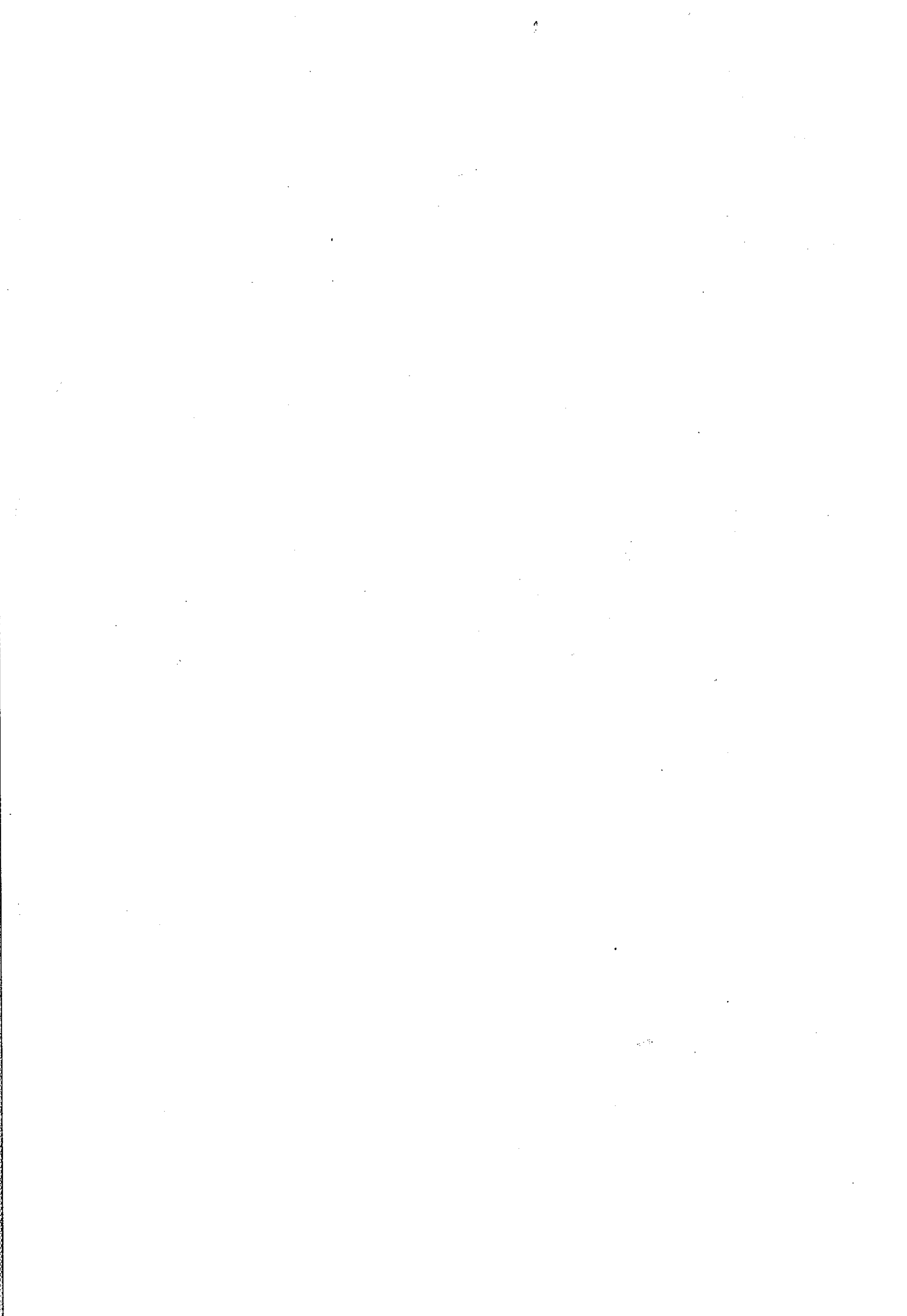
وأجاب الامير بشير، لا برسالة، بل بـ «قوة من الخيالة الدروز لنجدة نابليون بينما كان يحاول اخضاع عكّا، تحت أمرة الشيخ عمر الظاهر وكان ذلك في آذار سنة ١٧٩٩»[٧].

وفي زمن الانتداب قسّمت فرنسا برّ الشام الى خمس دول «ذات سيادة كاملة»: دولة لبنان، دولة دمشق، دولة حلب، دولة جبل الدروز، دولة جبل العلويين. وعرفت «ان هذه الدول تتألّف من شعوب مختلفة، لا جامع بينها. لا تشدّها أواصر واحدة، ولا تجمعها أيّة مصلحة مشتركة»[٨].

لقد عرف دروز اسرائيل هذه الحقيقة واعترفوا بها وأعلنوها على صفحات الجرائد. فقال «شريف مهنّا»، من البقيعة: «نعيش نحن أبناء الطائفة

---

(٥) جريدة العمل البيروتيّة ١٩٨١/٢/٢٥.
(٦) Bouron, Capitaine N., Les Druzes, Histoire du Liban et de la Montagne Houranaise, Paris, 1930; Trad. angl. par Massy, 1952; p. 51-53.
(٧) Ibid., p. 52- 53
(٨) Ibid.,p. 137 -138.



المصادر والمراجع



أوّلاً – المرجع الأساسي

رسائل الحكمة، تأليف حمزة بن علي بن أحمد، أسمعيل بن محمّد التميمي، بهاء الدين علي بن أحمد السّموقي المقتنى، ستّة أجزاء في مجلّد واحد، طبعة أولى، سنة ١٤٠٠هـ. تقديم أنور ياسين،«مقدّمة» عامّة، ومقدّمة في التعريف على كلّ رسالة. وفي هوامش الصفحات شروحات وتوضيحات ومراجع قرآنية وكتابيّة. في آخر كل مجلّد صُوَرٌ عن المخطوطات. سلسلة "الحقيقة الصعبة"، رقم (٧)، دار لأجل المعرفة، ديارعقل، سنة ١٩٨٠؛ (١٧×٢٤)، ٨٦٣ صفحة.

كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور. ألجزء الثاني: «لَمع من كتب الدروز أصحاب حمزة بن علي» ويتضمّن الرسائل التالية مع ترجمتها الى الفرنسية: رقم ١ و٢ و٤ و ٥ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٨٤. صفحاته من ٦٧ حتى ١٥٥. وصفحات الترجمة: من ١٨٩ حتى ٢٧٧. وعليها شروحات وتعاليق . وهي من نشر M. Le Baron Silvestre de Sacy; Impr. Royale, 1826.... Chrestomathie arabe.

L'Epître à Constantin (N°53). Ecrit religieux druze, publié et annoté pp. J.Khalil et L.Ronzevalte, in Mélanges de la Faculté Orientale, III, Fasc. II. Université St. Joseph, Beyrouth, 1909, pp 493-534.

ثانياً – تفاسير الحكمة

ميثاق يعني حجّة ورباط على الخلق. للأمير السيّد التنّوخي، مخطوط رقم ١٤٣٦ في المكتبة الوطنيّة بباريس ٧٩٠ ورقة. وهو شرح لقسم من «ميثاق وليّ الزمان»، رقم ٥ من «رسائل الحكمة».

ألجوارح السبع. للأمير السيّد التنّوخي، مخطوط رقم ١٤٣٨؛ ١٢٣ ورقة. فيه معالجة لجوارح الانسان السبع، وهي اللسان (٢أ–١٠ب) والعين (١٠ب–٢٢أ) والأذن (٢٢أ–٢٥أ) (واليد ٢٥أ–٢٦ب) والرِّجل (٢٦ب–٢٨أ) والبطن (٢٨ب–٦٦ب) والفرج (٦٦ب–١٢٢ب).

تفسير الموسومة بكشف الحقائق، للأمير السيّد.، يقع في ٧٩٦ ص. وهو تفسير صخم للرسالة رقم ١٣ من الرسائل. وتشرح مجمل العقيدة الدرزيّة شرحاً وافياً عميقاً وجريئاً.

مخطوط رقم ١٤٣٩ بباريس. وهو جزء من «تفسير كشف الحقائق». من ص ٢ أ حتى ٦٩. وهو يؤلّف الجزء الأخير من التفسير، أي من ص ٧١٩ حتى ٧٩٦. ويتضمّن أيضا:

* أسباب المناداة الخمسة، ص ٦٩ب.
* وفصول «عن إمام العارفين وحجة الطالبين ومنهل الواردين وزين العابدين وأزهد الزاهدين وكنز المجتهدين دنيا ودين، وحيد عصره وفريد دهره، الأمير العالم العامل الراجع الكامل جمال الدين.» وهي تفسير لبعض آيات الحكمة مأخوذة من رسائل شتّى: ٧٠أ–٩٢ب.
* و«تعيين الفصول التي شرحها الشيخ شرف الدين ابن المرحوم الشيخ بدر الدين، وهو دون ثماني سنين، وأكثرها من فكره بغير نقل». وهي أيضا شرح لبعض آيات الحكمة: ٩٢ب–١٠٠أ.
* و«دعاء مبارك للشيخ الفاضل»: ١٠٠ب–١٠٢ب.
* وللشيخ الفاضل أيضا: صباحيّات: ١٠٢ب–١٠٥ب.
* دعاء آخر: ١٠٥ب–١٠٦أ
* ودعاء اسمه «تحويطة»: ١٠٦أ–٠٦ب.
* وشروحات على آيات من رسائل الحكمة: ١٠٧أ–١٠٩أ.
* وذكر معرفة الأربعة وخمسين فريضة توحيدية: ١٠٩ب–١١٤ب.
* وله أيضا شعر: وحكَم مأثورة: ١١٤ب–١١٦ب.
* وذكر معاني متفرّقة من الحكمة: ١١٦ب–١٢١أ.
* وذكر أسماء الحدود الطاهرين والمشايخ المحمودين وأكابر المرتدين: ١٢١ب–١٢٧ب.
* «من فضائل السيّد الأمير» نصائح وحكم مأثورة: ٢٧ب–١٣٠ب.

*أشعار عن المعاد الأخير: ١٣٠ب-١٣١أ.
* وذكر طرف من سيرة الشيخ العالم العامل المفضال المرحوم الشيخ أبي هلال (+١٠٥٠هـ) ومن تعاليمه عن الامير السيّد: ١٣١ب-١٣٢ب.

تعيين أسماء الفصول المستشهدة من التوراة ومن الزبور ومن الانجيل ومن القرآن. مخطوط رقم ١٤٤٠؛ ٩٦ ورقة. وهو جزء من «تفسير كشف الحقائق»: ص ٨٨- ٢٠٧.

ذكر معرفة الشرور السبعة، وهي :الزنا والفسق والقتل والسرقة والرغبة والغش والحمق. مخطوط رقم ١٤٤١. مؤلّف من ورقتين.

مختصر البيان في مجرى الزمان. مخطوط رقم ١٤٤١: ٨٠ ورقة. مهمّ لمعرفة الادوار والظهورات والحدود الروحانيّة جميعها.

قصيدة تشتمل على ذكر الأزمان الماضية والقرون الخالية. بها ذكر الأنبياء والخلفاء والحكماء والفلاسفة والعابر والغابر والقفار والبحار وغير ذلك». مخطوط رقم ١٤٤٨؛ ١٦٢ ورقة.

كتاب النقط والدوائر. تأليف الشيخ زين الدين عبد الغفّار تقي الدين من بعقلين؛ «وهو من كتب الدروز الدينية. نقله خْرِيسْتْيان فريدِرخ سَيْبُلد الالماني. وفي ذيله نبذة من شرح البيان في ذكر البدعة ومجرى الزمان، والرسالة الموسومة ببدؤ الخلق، والرسالة الموسومة بكشف الحقائق». الطبعة الأولى ١٩٠٢ في مطبعة شْمِرسو في كِرْخَهاين من مدن لوسَاصيَا السفلى. ٩٦ صفحة. ثمّ طبع سنة ١٩٩٩ في دار إشارات، بيروت، تقديم المحامي سليمان تقي الدين وشرح وتحقيق الدكتور الشيخ أنور فؤاد أبي خزام، (١٧×٢٤)، ١٥٢ ص.

مصحف المنفرد بذاته؛ ٢٧٠ صفحة. جاء في وصفه: إنّه «نور صراط المستقيم. وهو مسوقٌ إلينا، معروض علينا، دانٍ إلى أفهام قلوب ألبابنا، عالٍ بأسراره وأنبائه، لا يُمَلُّ مِن تلاوته، ولا يُنْزَفُ من حلاوته. ظاهرُه أنيق، وباطنه عميق، قريبه حكْم وبعيده علْم... هو الكل والبعض، والجمع

النازح من لبنان الى جبل الدروز»، وهي من خطّ يده ومن تاريخ ١٣/ ٢/ ١٩٢٤. هذه المخطوطات تكمّل بعضُها بعضًا. الاولى تقع في ١٠١ سؤال، والثانية في ١٠٤ أسئلة. وهي مصدر للاولى، وترجَمَها «سِلفَسْتِر دي سَاسِي» الى الفرنسية، والثالثة في ١٢١ سؤال هذا «التعليم» واسعُ الانتشار، موجود في أيدي عديدة. نشرها أنور ياسين مترجمة إلى الفرنسيّة في "الأديان السريّة"، رقم (٢)، سنة ١٩٨٥.

ثالثًا – مراجع حديثة مطبوعة

مذهب الدروز والتوحيد، عبد الله النجّار، طبعة أولى؛ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥. وقد أصدرت السلطات اللبنانية المختصّة قرارًا رقمه ٤٨٩ بتاريخ ٢ تموز ١٩٦٥ بمنع الكتاب ومصادرته. طبعة ثانية سنة ١٩٦٧ في بيروت، لا دار نشر ولا تاريخ؛ ظهرت تحت اسم **مذهب الموحدين الدروز**. يتصدّر الكتاب تقريظ في الكتاب والكاتب؛ (ص أ–ك)؛ ٢٣٤ ص.

أضواء على مسلك التوحيد «الدرزيّة»، الدكتور سامي نسيب مكارم. قدّم له الاستاذ كمال جنبلاط، ووطّأه بايازيد؛ دار صادر بيروت؛ ١٩٦٦؛ ١٧٦ ص. منها ٧–٦١ مقدمة، و ٦٣–٧٧ توطئة. وهو يردّ، بتكليف من مجلس الطائفة الدرزيّة، على كتاب النّجار. لكنّ الردَّ جاء خالٍ من أيٍّ استشهادٍ برسائل الحكمة.

مذاهبُ الاسلاميين: فصل «الدروز» من الجزء الثاني، للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣، من صفحة ٥٠٧ حتى ٨٢٣.

طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها، للدكتور محمد كامل حسين، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢، ١٣٠ص.

الواقع الدرزي وحتمية التطوّر، مجموعة محاضرات، منشورات رابطة العمل الاجتماعي، (رابطة درزية)، سنة ١٩٦٢؛ ٢٣٨ص.

الدروز، ظاهرهم وباطنهم، محمّد علي الزعبي دكتور بالفلسفة، مؤسسة

مطابع معتوق، طبعة ٢، سنة ١٩٧٢، ١٨٤ص.

التقمّص، لأمين طَليع، سلسلة «زدني علما» رقم ١٦٨، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ١٩٨٠، ط ١؛ ١٥٢ص .

أصل الموحدين الدروز، أمين طليع، سلسلة «زدني علما» رقم ٩٧، منشورات عويدات، بيروت–باريس؛ ١٩٨٠؛ ٢٠٠ ص.

إمامة العقل في مذهب الموحدين (الدروز)، عبدالله ا لنّجار، محاضرة في دار الطائفة الدرزية في ٦ آذار؛ ١٩٧٤، ٣٠ص

مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، سامي أبو شقرا «دكتور في الفلسفة»، لا دار نشر ولا تاريخ. لكنّه يبدو من سنة ١٩٧٨؛ ٣١٠ ص.

واقع الدروز، معتقداتهم، خلواتهم، أدباؤهم، وضعه بالفرنسية حافظ أبو مصلح، ترجمة نازك فوّاز، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، لكنّه يبدو من سنة ١٩٧٨؛ ٨٨ ص.

الدروز في ظلّ الاحتلال الاسرائيلي غالب أبو مصلح، منشورات مكتبة العرفان، ١٩٧٥، ٢٨٠ص.

الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق: فؤاد الاطرش، بيروت ١٩٧٥؛ ٣٩٢ ص.

الدروز: وجودهم ومذهبهم وتوطّنهم، الجزء الأوّل، للاستاذ سليم ابو اسماعيل، مؤسسة التاريخ الدرزي، بيروت، بدون تاريخ.

أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، توفيق سليمان، بيروت، دار ألف ليلة وليلة، سنة ١٩٦٣، ٢١٩ص.

تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، تأليف الدكتور عبّاس أبو صالح بالاشتراك مع الدكتور سامي مكارم، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والانماء، بدون تاريخ. لكنّه من سنة ١٩٨٠؛ ٤٣٢ ص.

أصل الدروز، لسليمان أبو عزّ الدين، مقال في مجلة «المقتطف»، يونيو ١٩٣٠.

مشيخة العقل والقضاء المذهبي الدرزي عبرالتاريخ، للقاضي أمين طليع، رئيس غرفة في محكمة التمييز اللبنانية. «ويحتوي مجموعة قوانين

الاحوال الشخصية، وتنظيم القضـاء المذهبي الدرزي المعمول بها حاليا». المطبعة الانطونية، بيروت ١٩٧١، ١٧٥ص.

قـضاء الموحـدين «الدروز» في مـاضيـه وحاضـره، حليم تقي الدين، رئيس المحكمـة الاستـئنافيـة العليـا الدرزية، الطبعـة الاولى ١٩٧٩ توزيع دار النهار للنشرر، بيروت. ٤٤٥ص.

هذه وصيّتي، كمال جنبلاط، مـؤسّسة الوطن العربي للطباعة والـنشر، طبعة ١٩٧٨، ١٥٨ص.

إسلام بلا مذاهب، الدكتور مصطفى الشكعة، الدار المصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، سنة ١٩٧١، ٥٢٠ ص.

الدولة الدرزية، بيجـيه ده سان بييـر، سنة ١٧٦٢، ترجمة حـافظ أبو مصلح سنة ١٩٦٧، الناشـر مـحـمّـد آل ناصـر الديـن، قـدّم له يوسف يزبك؛ ١٤٧ص.

أهل التوحيد «الدروز» وخصائص مذهبهم الدينيّة والاجتماعيّة، خمسة أجزاء، لا دار نشر، لبنان، ١٩٩٢.

مَن هم الموحّـدون «الدروز»؟ لـ جـمـيل أبو ترابي، دار عـلاء الدين، دمـشق، ١٩٩٨؛ ٢٤٠ ص.

تذكّر يا مَروان. ألمدارس الفكريّة والتيّارات السياسيّة ودعوة التوحيد الدرزيّة، سليمان سليم علم الدين، دار نوفل، بيروت، ١٩٩٨؛ ٦١٢ ص.

إسلام الموحّدين، ألمذهب الدرزي في واقعه الإسلامي والـتشريعي، الشيخ د. أنور فؤاد أبي خُزام، دار اليمامة، بيروت، ١٩٩٥، ٣٦٠ ص.

ألموحّدون «الدروز» في الإسلام، سماحـة الشيخ مرسل نصر، تقـديم السيّد محمّد حسين فضل الله، الدار الإسلاميّة، بيروت، ١٩٩٦، ١٩٢ ص

الوصـيّة والميـراث عند الموحّـدين الدروز، ومـقارنة مع المذاهب الإسـلاميّـة الأخـرى، منشورات المذهب الدرزي للبـحوث والإنماء، بيـروت، ١٩٨٣؛ ٣٥٨ ص.

الأحوال الشخصيّة عند الدروز، وأوجه التباين مع السنّة والشيعة، مصدراً واجتهاداً، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، بيروت، ١٩٨١، ٣٥٨ ص.

إسلاميّة الموحّدين الدروز، فلسفة. دين. دنيا، المقدّم المتقاعد جميل ذبيان، لا دار نشر، لبنان، ١٩٩٢، ٢٥٨ ص.

قصص غريبة في التقمّص، سعد الدين محمّد غندور، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ١٩٩٣، ١٤٤ ص.

التقمّص. أهو حقيقة أم خَيال؟ قيس غوش، جرّوس برس، طرابلس، ١٩٩١، ٢٧٢ ص.

عقيدة الدروز. عرض ونقض؛ د. محمّد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٣؛ ١٩٨٩؛ ٢٦٠ص.

في معارج الرّوح، سماحة الشيخ بهجت غيث، منشورات الضحى، ١٩٩٧، ٢٨٠ ص.

معارج الروح في مرايا التوحيد، سماحة الشيخ بهجت غيث، لا دار نشر، ١٩٩٨؛ ١٤٢ ص.

قصص ومشاهد من جبل لبنان، محمود خليل صعب، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، بيروت، ١٩٨٠؛ ٣٦٤ ص.

التقمّص، الذبياني، لا دار نشر، بيروت ١٩٦٧؛ ٢٠٤ ص.

المذهب التوحيدي الدرزي، أصوله. جذوره. نشأته. فلسفته. مؤسّسوه. أركانه. دعائمه. حلاله. حرامه. فرائضه. حقيقته. صلاته. إصلاحاته؛ نجيب العسراوي؛ (كتب للموّحدين الدروز فقط دون سواهم)؛ لا دار نشر، البرازيل، ط ٣؛ ١٩٩٠؛ ١٩٢ ص.

التقمّص وأسرار الحياة والموت، محمّد خليل الباشا، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٢؛ ٣١٨ ص.

الأحكام الشرعيّة والقانونيّة في الوصيّة والزواج والطلاق عند الدروز

(بالمقارنة مع أنظمة المذاهب والطوائف الأخرى في لبنان)؛ سجيع الأعور؛ دار النهار للنشر، بيروت، بلا تاريخ، ٢٣٨ ص.

طقوس الموحّدين: الصداق والوصيّة وصلاة الجنازة، مكتب مشيخة العقل؛ ط ٣؛ ٣٤ ص.

جوهر الحقيقة، كمال أسد العسراوي، لا دار نشر، لا تاريخ، كتاب خطّ .

مجلّة الضحى، توحيديّة إسلاميّة شهريّة، تصدر عن مكتب مشيخة عقل الطائفة الدرزيّة، منذ ١٩٦٧.

أبناء النور عبر العصور، إعداد قسم البحوث الرّوحيّة في "الضحى". يجمع مقالات "الضحى" خلال عشر سنوات، تعالج موضوعات: التقمّص، وقدم الكون، وعقيدة التوحيد، في عصورما قبل التاريخ، مروراً بمدارس الحكمة المصريّة القديمة، ومدارس اليونان، وعصر اليهوديّة، والمسيحيّة، والإسلام، حتّى الموحّدين الدروز. «لعلّ إخوان الحقّ والوفاء يعاودون الهجرة الكبرى من ذات الهجود إلى ذات الوجود» (افتتاحيّة الدكتور خليل أحمد خليل، بدون رقم الصفحة)، دار الأندلس، بيروت، لا تاريخ، (١٩٩٩)، (٢١×٢٧,٥)، ١٩٨ صفحة.

رابعاً – مراجع التاريخ والسّير

تاريخ المسلمين الموحّدين الدروز، د. صالح زهر الدين، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩١؛ ٣٤٢ ص.

الدروز في التاريخ، الدكتورة نجلاء أبو عزّ الدين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥، ٣٤٤ ص.

تاريخ الدروز في بيروت (١٠١٧–١٩٧٥)؛ حافظ أبو مصلح، دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع؛ بيروت، ١٩٩٨؛ ١٢٩–٢٥ ص.

الدروز والموارنة، تحت الحكم التركي من سنة ١٨٤٠ إلى ١٨٦٠، ألكولونيل تشارلز تشرشل، دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٦؛ ١٨٠ ص.

سلطان باشا الأطرش، مسيرة قائد في تاريخ أمّة، حسن أمين البعيني، منشورات لجنة الإعلام/الإدارة المدنيّة في الجبل، ١٩٨٥، ٤١٦ ص.

الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف، القسّ حنانيا المنيّر، لا دار نشر، لبنان، ١٩٨٤؛ ١٧٦ ص.

قصّة الدولتَين المارونيّة والدرزيّة، مع الوثائق والمستندات، محمّد خالد قطمة، لا دار نشر، بيروت، ط ٢؛ ١٩٨٥؛ ١٦٨ ص.

تاريخ إقليم الخرّوب، محمّد حسين الميسو الحجّار، توزيع دار النهار بيروت، ١٩٧٨؛ ٢٥٦ ص.

إقليم الخرّوب، الحرمان والصمود والانتفاضة (شهادات)، ربيع فوّاز، دار الكاتب، بيروت، ١٩٨٥؛ ٢٠٠ ص.

حرب الجبل في لبنان دفاعاً عن الوجود والكرامة، أللجنة الإعلاميّة في الإدارة المدنيّة في الشوف، لا دار نشر، لبنان، ١٩٨٤، ٢٧٢ مع خرائط وصور.

جبل العرب. صفحات من تاريخ الموحّدين الدروز (١٦٨٥-١٩٢٧)، حسن أمين البعيني، دار النهار، عويدات، ١٩٨٥؛ ٤٩٦ ص.

رجال من بلادي..، نجيب البعيني، جزءان من ٧٠٦ ص؛ مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر.

معجم أعلام الدروز، محمّد خليل الباشا، مجلّدان من ١٠٧٦ ص، الدار التقدّمية المختارة، ١٩٩٠.

دروز بيروت (تاريخهم ومآسيهم)، د. سليم حسن هشّي، منشورات دار لحد خاطر، ١٩٨٥؛ ١١٦ ص.

المراسلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة لزعماء جبل لبنان خلال ثلاثة قرون (١٦٠٠-١٩٠٠)، لا دار نشر، بيروت، طط ٢، ١٩٨٢؛ أربعة أجزاء من ٦٧٤ ص.

في الإسماعيليّين والدروز، سليم حسن هشّي، منشورات دار لحد خاطر، ط ٢؛ ١٩٨٥؛ ١٦٢ ص.

معاناة الموحّدين الدروز في الأراضي المحتلّة، وفيق غريزي، دار الكاتب بيروت، ١٩٨٤؛ ١٧٦ ص.

جبل الدروز (بحث عام في تاريخ بني معروف، وأخلاقهم، ونسبهم، وعاداتهم، واعتقاداتهم، ونوادرهم، وآثارهم، وحروبهم، مع ضمّ الحلقة الثالنية: حوران الدامية)، بيروت، ط٢؛ ٣٢٨ ص.

لوحات من حرب الجبل، محمّد الذيب، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥؛ ١٦٨ ص

مجموعة المحرّرات السياسيّة والمفاوضات الدوليّة عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠-١٩١٠؛ فيليب وفريد الخازن (تعريب)؛ مطبعة الصبر، جونيه، ١٩١٠؛ ٣ مجلّدات من ١٤٢٢ ص.

حوادث ١٨٦٠ في لبنان ودمشق،لجنة بيروت الدوليّة، المحاضر الكاملة ١٨٦٠-١٨٦٢؛ ألأب الدكتور أنطوان ضو (تحقيق وترجمة)، منشورات مختارات، الزلقا، ١٩٩٦؛ جزءان في ٦٠٠ ص.

ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف، شعرهم، آدابهم، تصوّفهم، عارف أبو شقرا، لا دار نشر؛ ١٩٥٧؛ ١١٢ ص.

ألتنّوخي الامير جمال الدين عبدالله، والشيخ محمّد أبو هلال المعروف بـ «الشيخ الفاضل»؛ دار الصحافة بيروت؛ ١٩٦٣؛ ط ٢؛ أ-ع + ٣٠٤ ص.

سيرة العارف بالله الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، أبو عليّ مرعي (تلميذ التنوخي)، بيروت سنة ١٩٦٣.

ولي من لبنان، سيرة العارف بالله الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، قدّس الله سرّه، يوسف ابراهيم يزبك؛ منشورات «أوراق لبنانية»؛ ١٩٦٠؛ ط ٣؛ ١٠٠ ص.

ألحركات في لبنان الى عهد المتصرّفيّة، «وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلمّ بحوادثَ لبنان وأحواله يُدْلـي بها مِن رواةِ الدروز شاهدُ عيان ويساهم بها واحدٌ منهم لأوّلِ مرّةٍ في تاريخ لبنان». ألراوي: حسين غضبان أبو شقرا، المؤَلِف: يوسف خطّار أبو شقرا، الناشر: عارف يوسف

أبو شقرا. المكتبة الأهليّة في بيروت؛ ١٩٥٢؛ ٢٥٦ ص.

الحركات الفلاحية في لبنان، النصف الأول من القرن التاسع عشر تأليف أ. سْمِيْلِيَانْسْكَايَا، تعريب عدنان جاموس، دار الفارابي، بيروت ودار الجماهير دمشق، ١٩٧٢، ٢٥٦ ص.

النقد التاريخي وعروبة آل معروف؛ مقال في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ج ١١ سنة ١٩٣١، لشكيب ارسلان. يردّ فيه على الدكتور فيليب حتي الذي ينكر هذه العروبة.

تاريخ بيروت وأخبار البحتريين من بني الغرب؛ للامير صالح بن يحيى التنوخي من عبيه، وضعه سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م. طبعة لويس شيخو سنة ١٩٠٥ ط ١، ط ٢ سنة ١٩٢٧، وأعيد طبعه في دار المشرق بيروت؛ ١٩٦٩؛ ٢٨٤ ص.

تاريخ ابن سباط، جزآن كبيران. يوجد منه نسخة في الجامعة الاميركية بيروت تحت رقم ٢٨١٨٦، وثانية في المكتبة الوطنية في باريس، رقم ١٨٢١، وأيضا في الفاتيكان وفي المكتبة الشرقية... ومعظم المخطوطات ناقص، يكمّل بعضه بعضا.

تاريخ ابن سعيد الانطاكي، صنّفه تتبّعا لتاريخ سعيد بن البطريق. طبعة الاباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠٩، من ص ٨٩ حتى ٣٦٣.

تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، للدكتور حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة؛ ١٩٥٨؛ ٧٤٢ ص.

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، محمد عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ط ٢؛ ١٩٥٩؛ ٤٢٣ ص.

خامساً – المراجع الأجنبية

Silvester de Sacy, **Exposé de la Religion des Druzes**, 2 tomes: I-VIII+DXVII+234 pp. t. II: 708 pp.; Librairie Orient-Edition, Paris; 1838; Réimpression 1964.

Henri Guys, **La Nation Druze**, son histoire, sa religion, ses mœurs, et son état politique; Paris, 1863; 233p.

Henri Guys, **Théogonie des Druzes**, ou Abrégé de leur système religieux, traduit de l'Arabe avec notes explicatives et observations critiques. Imp. impériale, 1863; XXII + 141 p.

وهو ترجمة لمخطوط عربي من عمل الاب حنانيا منير الذي يختصر بدوره مخطوط «مختصر البيان في مجرى الزمان».

Sami Nassib Makarem, **The Druze Faith**; Edit. Caravan Books, Delmar, New York, 1974; XII+154 p.

Selim Hassan Hichi, Doct. en hist., **La Communauté druze**, son origine et son histoire, Beyrouth, 1973, 89 p.

Capitaine N. Bouron, **Les Druzes, Histoire du Liban et de la Montagne Houranaise**, Paris, 1930.

Charles Cherchill, **The Druzes and the Maronites under Turkish rule from 1842-1852**; London, 1862.

Philip Hitti, **The Origins of the Druze. People and Religion**; New york; Colombia University Press; 1928.

G. w. Chasseaud; **The Druzes of Lebanon**, Their Manners, Gustoms and History London, 1855.

Capitaine Carbillet, **Au Djebel Druze**, Choses vues et vécues; Ed., Argo, Paris, 1929.

François Lenormant, **Les derniers événements de Syrie;** Une persécution du Christianisme en 1860; Ed Paris; 1869; 280 pp.

Baptistin Poujoulat; **La Vérité sur la Syrie;** Ed. Dar Lahad Khater, Beyrouth; 1986; 494 pp.

مضمون كتاب بين العقل والنبي